

جامعة نواكشوط
العصرية



مجلة الدراسات

التاريخية والإجتماعية

العدد 68 يناير 2025



مجلة علمية محكمة فصلية



رقم الإيداع الوطني: 1425 – 2014
الترقيم الدولي: ISSN 2412 – 3501



Historiques et Sociales

N° 68 January 2025

REHS

Revue Scientifique Arbitré Trimestrielle



مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية

مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية دورية محكمة تعنى بالقضايا التاريخية والاجتماعية يصدرها فريق بحث المعارف للدراسات التاريخية والاجتماعية ونشر التراث، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة نواكشوط – موريتانيا.

مدير المجلة

أ.د/ محمد الراضي ولد صدفن، موريتانيا

رئيس التحرير

أ.م.د/ محمد الأمين ولد أن باريك، موريتانيا

التدقيق اللغوي

د. أحمد ولد حبيب الله، موريتانيا

أ.د. عبد الهادي سيد أحمد عبد العال، مصر

أعضاء هيئة التحرير

أ.د. بزان ميسر الحامد، العراق

أ. د. الحمدي أحمد، الجزائر

أ.م. د. جمال ولد الخليل، السعودية

أ.م. د. سيدي محمد ولد ختاري، موريتانيا

د. الحسين ولد بديدي، موريتانيا

الهيئة الاستشارية

الاسم الكامل	الجامعة	الدولة	التخصص	البريد الإلكتروني
أ.د/ ابتهاج عادل إبراهيم	جامعة دهاوك	العراق	تاريخ قديم	altaiem940@gmail.com
أ.د/ إسماعيل نوري الربيعي	الجامعة الأهلية	البحرين	تاريخ حديث ومعاصر	imseer@yahoo.com
أ.م.د/ أشرف صالح محمد سيد	جامعة ابن رشد	هولندا	تاريخ ونزك العصور الوسطى	ashraf-salih@hotmail.com
أ.د/ بشير بن علي اللويش	جامعة حائل	السعودية	خدمة اجتماعية	abu_sultan3@hotmail.com
أ.د/ خالد حسين محمود	جامعة عين شمس	مصر	تاريخ إسلامي	drkhd777@yahoo.com
أ.م.د/ رائد أحمد طه صالحه	الجامعة الإسلامية	فلسطين	جغرافيا	rsalha@iugaza.edu.ps
أ.د/ طه حسين هديل	جامعة عدن	اليمن	تاريخ وحضارة إسلامية	dr.taha.2012@hotmail.com
أ.د/ عبد القادر بوباية	جامعة وهران	الجزائر	تاريخ وسيط	aboubaya@gmail.com
أ.د/ عيسى محمود العزام	جامعة العلوم والتكنولوجيا	الأردن	تاريخ إسلامي	isa.alazzam@yahoo.com
أ.م.د/ غسان محمود وشاح	الجامعة الإسلامية	فلسطين	تاريخ إسلامي	gwshah@iugaza.edu.ps
أ.د/ فاطمة بلهوازي	جامعة السلطان قابوس	سلطنة عُمان	تاريخ وسيط	fbelhouari10@gmail.com
أ.م.د/ محمد المختار سيد محمد	جامعة نواكشوط	موريتانيا	تاريخ معاصر	moems70@yahoo.fr
أ.د/ محمد محمد حسان ابراهيم	جامعة الفيوم	مصر	خدمة اجتماعية	mmaa1966@yahoo.com
أ.د/ منجي الزيدي	جامعة تونس	تونس	علم اجتماع	m.ezzidi@gmail.com
أ.د/ منيرة بنت مدعث القحطاني	جامعة الأميرة نوره	السعودية	تاريخ إسلامي	dr.m.m.q@hotmail.com
أ.م.د/ نوف بندر ناصر البنيان	جامعة حائل	السعودية	تاريخ المغرب والأندلس	nowf.albnyan@gmail.com
أ.م.د/ واغي عثمان	جامعة نواكشوط	موريتانيا	علم اجتماع	wousmane@yahoo.fr
أ.م.د/ ياسر محمد عثمان حماد	جامعة شندي	السودان	جغرافيا	yassirelmak@gmail.com

* حسب الترتيب الأبجدي

شروط النشر

- ١- يجب أن يكون البحث المقترح للنشر أصيلاً لم يسبق تقديمه لمجلة أو أي جهة ناشرة أو أكاديمية، وألا يكون جزءاً من رسالة علمية.
 - ٢- لا يقل البحث الواحد عن ٢٠ صفحة، ولا يزيد على ٣٠ صفحة حتى تتاح فرصة النشر لأكبر عدد من الباحثين.
 - ٣- ترسل البحوث إلى المجلة مطبوعة على الحاسوب باستعمال Word باللغة العربية:
 - الخط المستخدم في المتن Simplified Arabic الحجم ١٤ أما الهوامش فتكون آلية أسفل كل صفحة على حدة؛ بنفس الخط حجم ١٢.
 - ٤- بالنسبة للبحوث المحررة باللغة الفرنسية:
 - الخط المستخدم في المتن Timed New Roman الحجم ١٢، أما الحواشي فتكون بنفس الخط بحجم ١٠
 - ٥- أن يكون توثيق الكتب بذكر شهرة المؤلف متبوعاً باسمه الأول والثاني واسم الكتاب، واسم المحقق أو المترجم، والطبعة والناشر ومكان النشر وسنته، ورقم المجلد.
 - ٦- أن يكون توثيق الدورية بذكر اسم كاتب المقال، عنوان البحث موضوعاً بين علامتي تنصيص " "، واسم الدورية، ورقم المجلد والعدد والسنة، ورقم الصفحة.
 - ٧- يلتزم الباحث القيام بالتصويبات والتعديلات التي اقترحها المحكمون خلال شهر من تاريخ تسلمها.
 - ٨- الأبحاث المنشورة لا تعبر إلا عن رأي أصحابها.
 - ٩- يخضع ترتيب الأبحاث في المجلة لمعايير فنية.
 - ١٠- يكتب الباحث في الصفحة الأولى من البحث اسمه وعنوانه الكامل والهاتف والبريد الإلكتروني والمؤسسة التي ينتمي إليها، وكذلك الدولة، باللغة العربية والإنجليزية. (ويفضل أن يكون اسم الباحث ثلاثياً).
 - ١١- عنوان البحث باللغة العربية والإنجليزية.
 - ١٢- يكتب ملخصاً باللغة العربية وآخر باللغة الإنجليزية بما لا يزيد عن ١٠٠ كلمة لكل منهما، وكذلك الكلمات المفتاحية باللغتين العربية والإنجليزية.
 - ١٣- مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية مُحَكَّمة، وهي ترحب بجميع المقالات المستوفية للشروط السالفة الذكر، ولا ترد المقالات لأصحابها في حال عدم نشرها.
- وعليه نرجو من كل الراغبين في نشر أعمالهم بالمجلة أن يبعثوا بها على البريد الإلكتروني التالي:

revuehs2020@gmail.com

كلمة العدد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من بعث رحمة للعالمين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

يسرنا أن نتقدم إليكم بمناسبة صدور العدد الثامن والستين، والذي تزامن مع بداية العام الميلادي الجديد "٢٠٢٥"، جعله عام خير وبركة واجتهاد وإنتاج.

مع كل عدد جديد من مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية، نحاول أن نضع لمسات جديدة من التطوير والتحسين والإخراج الفني اللائق، لتتواصل المسيرة نحو الأمثل وتقديم الأفضل بإذن الله.

أتمنى أن ينال هذا العدد رضاكم وأن نكون قد وفقنا لاختيار مقالات مفيدة ومتنوعة بما يخدم الهدف الأسمى والأرقى وهو نشر الوعي العلمي والمعرفي.

وفي الأخير لا يفوتنا إلا التتويه بأن هذا الجهد لم يكن ليرى النور لولا حرص أعضاء هيئة التحرير وعملهم الدؤوب وصبرهم المحمود على إنجازه ووضعه بين أيادي الدارسين والباحثين.

وفقكم الله وأنار دربكم بنوره العظيم.

رئيس التحرير

أ.م.د/ محمد الأمين ولد أن باريك

٥	"قرار تقسيم فلسطين واندلاع الحرب العربية - الإسرائيلية الأولى ١٩٤٧ - ١٩٤٨ ونهاية التنافس السياسي بين أسرتي آل الحسيني - آل النشاشيبي"	العراق
٢٦	بان محمد وعد خليل الحياي، جامعة الموصل، و أ. د. مجول محمد محمود العكيدي، جامعة الموصل	السعودية
٧٢	دور المملكة العربية السعودية في الحفاظ على أمن الخليج العربي أثناء الحرب العراقية الإيرانية (١٩٨٠-١٩٨٢) "دراسة وثائقية"	العراق
٩٢	د. مترك بن تركي بن درع السبيعي، جامعة الطائف	السعودية
١١٤	القيمة التاريخية لكتب الرحلات رحلة ابن جبير أنموذجا	ليبيا
١٤٢	م. د. وجدان جعفر غالب، جامعة البصرة	ليبيا
١٥٨	الإجراءات العلاجية لمواجهة الأزمات الاقتصادية والمجاعات في مصر والشام وانعكاساتها على المقاومة الإسلامية الصليبية	موريتانيا
١٧٥	أ. د. عائشة مرشود حميد الحربي، جامعة طيبة	السعودية
١٩٦	الأطعمة والولائم والمآدب في صدر الإسلام	المغرب
٢٢٦	د. عايشة أحمد عثمان الرطب، جامعة بنغازي	فلسطين
٢٦٤	العلاقات العثمانية الصفوية في عهد السلطان سليمان القانوني	ليبيا
٢٨٤	د. تهاني إدريس عبدالله العرفي، جامعة بنغازي	السودان
٣١٢	تحديث الواقع السياسي وموقف النخب من النظم الدستورية والبرلمانية مقارنة بين تركيا والمغرب (ق 19- 20)	مصر
	د. كباد ولد عبد الرحمن، المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية	
	الأمير عيسى بن موسى دراسة في سيرته ودوره السياسي في الدولة العباسية	
	د. مساعد بن مساعد بن محمد الصوفي، جامعة الملك عبدالعزيز	
	المرأة وفعل المساهمة في صنع القرار السياسي في المجتمع المغربي-دراسة ميدانية-	
	د. عبد السلام العثماني، جامعة عبد الملك السعدي	
	دور مواقع التواصل الاجتماعي في انحراف الأحداث من وجهة نظر ذوي الاختصاص	
	د. رؤوف نادي محمود أبو عواد، جامعة الاستقلال-أريحا	
	المنهج العلمي بين العقلانية الحديثة والتأويلية الظاهرية	
	"مقارنة منهجية بين ديكرت وغادامير"	
	د. رضاء عبد الحليم جاب الله، جامعة طبرق	
	تحديات تحقيق منهج التدريب الميداني لطلاب الدراسات الاجتماعية (دراسة تطبيقية على مؤسسات التدريب الميداني لطلبة برنامج الخدمة الاجتماعية بجامعة الخرطوم)	
	د. الدسوقي جلال محمد حامد، جامعة حائل	
	تلوث الهواء وأمراض الصدر بمدينة كوم أمبو بالاعتماد على البيانات الجيومكانية وتقنيات نظم المعلومات الجغرافية	
	د. محمد أحمد محمد محمود عبود، جامعة أسوان	

"قرار تقسيم فلسطين واندلاع الحرب العربية - الإسرائيلية الأولى ١٩٤٧ - ١٩٤٨ ونهاية التنافس السياسي بين أسرتي آل الحسيني - آل النشاشيبي"

"The Decision to Partition Palestine, the Outbreak of the first Arab-Israeli War 1947-1948, and the End of the Political Competition Between the Families of the Al-Husseini family - the Al-Nashashibi Family"

الباحثة: بان محمد وعد خليل الحيايالي

Mrs.: Ban Muhammad Waad Khalil Al-Hayali

ماجستير/جامعة الموصل/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/العراق

Master's/ University of Mosul/ College of Education for Education for Human Sciences/Iraq

banm9821@gmail.com

و

أ. د. مجول محمد محمود العكيدي

Prof. mujal mohamed Mahmoud Al-Aqidi

أستاذ بقسم التاريخ

كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة الموصل - العراق

Teaching/ Department of History, College of Education for Human Sciences/
University of Mosul/ Iraq

mujalmohamed@yahoo.com

ملخص

إنّ حالة التنافس السياسي الذي استفحل ما بين أسرتي آل الحسيني وآل النشاشيبي منذ عام ١٩١٧، كان أحد أهم الأسباب الرئيسية التي شجعت بريطانيا في أكثر من مناسبة على تقديم مشاريع هدفت كلها إلى تقسيم فلسطين من جهة، وفي هزيمة العرب في اثناء الحرب العربية - الصهيونية ١٩٤٨ من جهة أخرى، على الرغم من مشاركة العديد من الجيوش العربية، خاصة مع معارضة الكثير من شخصيات والعوائل المحلية المنضوية في المعارضة النشاشيبي لتوجهات زعامات أسرة آل الحسيني في القتال والحرب ضد الصهاينة، لا بل انها انضمت مع الصهاينة، أو انضم جزء منها إلى توجهات الملك عبد الله



من خلال قيام الأخير بضم الضفة الغربية إلى حكمه، وهو ما أدى نهاية المطاف في القضاء نهائياً على أي نفوذ سياسي امتلكته تلك الأسرتين مع نهاية حرب ١٩٤٨، وإسدال الستار بشكل نهائي على حالة التنافس السياسي الحسيني-النشاشيبي.

كلمات مفتاحية: أسرة آل الحسيني - أسرة آل النشاشيبي - حرب عام ١٩٤٨.

Abstract

The state of political competition that has intensified between the families of the Al-Husseini and Al-Nashashibi families since 1917 was one of the main reasons that encouraged Britain on more than one occasion to present projects all aimed at dividing Palestine on the one hand, and at defeating the Arabs during the Arab-Zionist war of 1948. On the other hand, Despite the participation of many Arab armies, especially with the opposition of many local personalities and families affiliated with the Nashashibi opposition to the directions of the leaders of the Al-Husseini family in fighting and war against the Zionists, rather they joined with the Zionists, or part of them joined the directions of King Abdullah through the establishment of The latter annexed the West Bank to his rule, which eventually led to the final elimination of any political influence that these two families possessed at the end of the 1948 war and finally brought down the curtain on the case of the Husseini-Nashashibi political rivalry.

Keywords: Al-Husseini Family - Al-Nashashibi Family - 1948 War.

مقدمة

أصبحت حالة التنافس التشرذم السياسي بين أسرة الحسيني من جهة وأسرة النشاشيبي من جهة أخرى في فلسطين خلال مدة الاحتلال والانتداب البريطاني (١٩١٧-١٩٤٨)، وما بعدها مشكلة خطيرة جداً أثر في واقعها السياسي، ففضلاً عن حالة الانقسامات الاجتماعية والسياسية التقليدية التي ميزت المجتمع العربي الفلسطيني منذ العهد العثماني القائمة على الانماط المحلية العشائرية الضيقة والزعامات العائلية والأسرية، أصبح لعدد من تلك العائلات وعلى رأسها أسرة الحسيني وأسرة النشاشيبي بوصفها أكبر الأسر تأثيراً على ساحة الحركة الوطنية الفلسطينية آنذاك، كيانات سياسية جديدة قائمة بشكل رئيس على أساس الفكرة العائلية، والتي تشكلت بسبب ظروف الاحتلال والانتداب البريطاني، ومع مرور الزمن بدأت تلك الكيانات العائلية السياسية تطالب السكان بالولاء المطلق لها والطاعة التامة لمؤسساتها ورموز القيادة العائلية فيها، بوصفها تحمل الرؤية الأفضل في قيادة العمل السياسي الفلسطيني وحركتها الوطنية، وهو ما أفضى إلى إحداث نوع خطير من حالة التنافس السياسي وصل إلى حد الصراع بين تلك الأسرتين في كسب التأييد الشعبي وحتى الخارجي من أجل قيادة فلسطين، لدرجة ان اخذت كلاً من تلك الأسرتين ترمي بالأخرى بصفات العمالة والتعاون مع البريطانيين واليهود، الذين راحوا يغذون أواصر التنافس السياسي بين العائلي بين الحسيني - النشاشيبي، وهو ما أفقد عرب فلسطين الكثير من حقوقهم السياسية في مواجهة

الصهاينة وحلفائهم البريطانيين والذي تفاقم مع نكبة عام ١٩٤٨، والتي شكلت النهاية الحتمية لذلك التنافس بين الأسرتين

هدف البحث إلى تشخيص دور مجلس الأمم المتحدة في تبني قرار تقسيم فلسطين في عام ١٩٤٧ وتداعياته في قيام حرب عام ١٩٤٨، والتعرف على مدة التأثير الذي عكسته حالة التنافس السياسي بين أسرتي آل الحسيني- آل النشاشيبي على مجريات الحرب، والتعرف على الدور الذي أدته أسرة النشاشيبي في قلب مجريات الحرب لصالح القوات الصهيونية، وتشخيص دور المعارضة النشاشيبية مع نهاية الحرب ونكبة الجيوش العربية، في تبني قرار ضم فلسطين لحكم ملك الأردن.

فيما تكمن اشكالية البحث في التعرف على مدى التأثير والمكانة التي حازتها أسرة آل النشاشيبي في تبنيها لقرار تقسيم فلسطين عام ١٩٤٧؟، وما هو الدور الذي أدته المعارضة النشاشيبية في الاصطفاف إلى جانب القوات الصهيونية بالصد من القوات الفلسطينية بقيادة اسرة آل الحسيني والجيوش العربية؟، وكيف تمكنت أسرة النشاشيبي ومن خلال علاقاتها السياسية التي عقدتها مع الملك عبدالله بن الحسين في أخذ القرار السياسي لصالح ضم ما تبقى من الأراضي الفلسطينية مع الأردن؟، وكيف شكلت نهاية حرب عام ١٩٤٨ إيذاناً في نهاية حالة التنافس السياسي بين آل الحسيني وآل النشاشيبي وإلى الأبد، وما هو مصير القيادات السياسية للأسرتين بعد ذلك؟.

جاء البحث بعنوان: "قرار تقسيم فلسطين واندلاع الحرب العربية - الإسرائيلية الأولى ١٩٤٧ - ١٩٤٨ ونهاية التنافس السياسي بين أسرتي آل الحسيني - آل النشاشيبي"، قسم البحث إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة. تطرقنا في المبحث الأول على: (قرار الأمم المتحدة الخاص بتقسيم فلسطين ١٩٤٧)، أما المبحث الثاني فتطرق على: (اندلاع الحرب العربية - الإسرائيلية عام ١٩٤٨ ونهاية التنافس السياسي الحسيني - النشاشيبي)، تم الاعتماد على جملة مصادر مهمة، خاصة بفهم طبيعة الموضوع وحيثياته، والتي تأتي في مقدمتها: وثائق البلاط الملكي العراقي، ومجموعة من الوثائق الفلسطينية والبريطانية والأمريكية غير المنشورة، فضلاً عن العديد من الكتب العربية والمعرية والأجنبية والمجلات العلمية والدراسات الجامعية.

المبحث الأول: قرار الأمم المتحدة الخاص بتقسيم فلسطين ١٩٤٧

في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧، أعلنت الجمعية العامة للأمم المتحدة القرار ذو الرقم (١٨١)^(١)، والقاضي بتقسيم فلسطين إلى دولتين يهودية وعربية، بأكثرية ثلاث وثلاثون صوتاً، ومعارضة ثلاثة عشرة صوتاً، وامتناع عشرة أعضاء من التصويت^(٢)، وبذلك أعطى القرار اليهود الذين لم يكونوا يمتلكون من الأراضي الفلسطينية سوى (٧ %)، الحق في دولة مساحتها (٥٦ %) من فلسطين، وأعطت لعرب فلسطين الذين كان يمتلكون يومئذ (٩٣.٣ %) من أرض فلسطين دولة مساحتها (٤٢ %) فقط، واستثنى القرار (٠,٦٥ %) خصصت للأماكن المقدسة في القدس^(٣)، أعلنت الهيئة العربية العليا الرفض القاضي لمشروع التقسيم^(٤)، كما قامت بتشكيل لجان قومية في جميع المدن الفلسطينية تقوم بتولي مهام المعارض لقرار التقسيم الجائر والإشراف على الاضراب الذي عم المدن الفلسطينية ومواصلة المظاهرات الشعبية ورفع البرقيات الاحتجاجية^(٥)، في حين عبرت أسرة الناشيبي ممثلة براغب الناشيبي عن رضاه لقرار التقسيم عن الأمم المتحدة لأنه الضمانة لعرب فلسطين في اقامة دولتهم، وهذا التشتت في المواقف بين القيادات الفلسطينية تجاه القرارات الدولية الحاسمة اثبت من جديد سلبية تلك القيادات سواء من قبل أسرة الحسيني او الناشيبي، وجراء تعبئتهم بالحالة التنافس والتشرذم السياسي قد اضعافوا فرصاً كثيرة للتسوية كان من الممكن ان تجنب الشعب الفلسطيني نكبة عام ١٩٤٨ - والتي ستأتي معنا لاحقاً-، وهو ما سهل عوامل نجاح المشروع الصهيوني في اغتصاب معظم الأرض العربية في فلسطين^(٦).

(١) ظاهر شاش، مفاوضات التسوية النهائية والدولة الفلسطينية الآمال والتحديات، دار الشروق، (القاهرة، ١٩٩١)، ص١٦؛ أحمد محمد أبو جعفر، دراسة نقدية في قراري الجمعية العامة للأمم المتحدة ١٨١ و ١٩٤ المتعلقة بالقضية الفلسطينية، رسالة ماجستير، (غير منشورة)، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس- فلسطين، ٢٠٠٨، ص٣٠.

(٢) حنه شاهين، "المواجهة الإسرائيلية العربية الأولى ١٩٤٨ وأثرها على وضع الشعب الفلسطيني"، مجلة شؤون فلسطينية، العدد ١٠٩، مركز الابحاث - منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، كانون الاول ١٩٨٠، ص ٥٤.

(٣) حسني أدهم جرار، نكبة فلسطين عام ١٩٤٧ - ١٩٤٨ مؤامرات وتضحيات، دار المأمون للنشر والتوزيع، ط١، (عمان، ١٩٩٤)، ص٣٣.

(٤) بيان نويهض الحوت، القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين ١٩١٧ - ١٩٤٨، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، (بيروت، ١٩٨٦)، ص ٥٧٧.

(٥) ابراهيم يونس سمين صالح السمين، المعارضة السلمية للشعب العربي الفلسطيني من التحديات الصهيونية ١٩٢٢ - ١٩٤٨، رسالة ماجستير (غير منشورة) جامعة الموصل، كلية التربية للعلوم الإنسانية، ٢٠١٧، ص ١٨٦.

(٦) عوني فرسخ، التحدي والاستجابة في الصراع العربي الاسرائيلي: جذور الصراع وقوانينه الضابطة ١٧٩٩ - ١٩٤٩، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، (بيروت، ٢٠٠٨)، ص ٤٦٣.

وفي ضوء حالة التشرذم الحسيني - النشاشيبي أكد عوني فرسخ قائلاً: "لم يكن رفض قرار التقسيم خطأ تاريخياً ولا كان ذلك الرفض المجمع عليه عربياً وإسلامياً ومن اقطاب العالم الثالث علةً مسلسل النكبات والنكسات المتوالية منذ عام ١٩٤٧، وإنما كانت الخطيئة التاريخية قصور المفتي والهيئة العربية العليا والأنظمة العربية وجامعة الدول العربية في توظيف الإمكانيات المتاحة والقدرات البشرية المتوفرة واستخدامها الاستخدام الأمثل في تقديم الاستجابة الفاعلة في مواجهة التحدي المتجسد في التحالف الاستعماري الصهيوني، فضلاً عن تحمل الأحزاب والمنظمات الشعبية والصراعات العائلية مسؤولية العجز في إدارة الصراع مع التحالف المضاد"^(١).

واكبت تلك الحالة لوضع عرب فلسطين نزوح الخطة التي وضعها زعماء الصهيونية بمشاركة البريطانيين الذين مهدوا لها من خلال اعلانهم في ليلة ١٥ ايار ١٩٤٨، عن انتهاء الانتداب على فلسطين وغادر مندوبها السامي الأراضي الفلسطينية^(٢)، ليعلن المجلس الوطني اليهودي في تلك الليلة عن تأسيس دولة إسرائيل^(٣)، وهو ما مهد الطريق لاندلاع الحرب العربية - الاسرائيلية الأولى في عام ١٩٤٨.

المبحث الثاني: اندلاع الحرب العربية - الإسرائيلية عام ١٩٤٨ ونهاية التنافس السياسي الحسيني - النشاشيبي

على أثر اعلان قيام الكيان الصهيوني في ١٥ ايار ١٩٤٨، أصبح حايم وايزمان Chaim Weizmann^(٤)، أول رئيس لما يسمى بـ (دولة إسرائيل)^(٥)، في حين أصبح أول رئيس وزراء لإسرائيل

(١) فرسخ، المصدر السابق، ص ١٠١٦.

(٢) سنية الحسيني، "تشكل الكيان الفلسطينية"، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد ١٣١، منشورات مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ٢٠٢٢، ص ١٠٧؛ خولة صامرلي، الصراع العربي الاسرائيلي حرب ١٩٤٨ أنموذجاً، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة محمد خضير، بسكرة، ٢٠١٣، ص ٤٤.

(٣) Eugene L. Rogan and Avi Shlaim, The War for Palestine Rewriting the History of 1948, University of Oxford, Second Edition, (UK, 2007), p3.

(٤) حايم وايزمان (١٨٧٤ - ١٩٥٢): عالم مشهور، وأول رئيس لدولة اسرائيل، وكان احد الزعماء الاوائل للحركة الصهيونية خلال الفترة التي تلت وفاة هرتزل، ولد في روسيا ١٨٧٤، في ايام الحرب العالمية الاولى ترأس العمل السياسي الصهيوني، وكان من بين واضعي حجر الاساس للجامعة العبرية في القدس في عام ١٩١٨، ونظم الوكالة اليهودية عام ١٩٢٩، اختير رئيساً لدولة إسرائيل في عام ١٩٤٨، وفي عام ١٩٥١ اختير لفترة رئاسية اخرى، توفي في عام ١٩٥٢. للمزيد من التفاصيل ينظر: أفرايم ومناحيم تلمي، معجم المصطلحات الصهيونية، ترجمة: احمد بركات العجرمي، ط١، دار الجليل للنشر، (عمان، ١٩٨٨)، ص ص ١٧٠-١٧١.

دافيد بن غوريون David Ben-Gurion^(١)، واتخذوا من تل أبيب عاصمة لها^(٢)، واعترفت الولايات المتحدة الأمريكية بهذا الكيان بعد إحدى عشرة دقيقة من إعلانه^(٣)، ولم يتوقف ترومان فقط على الاعتراف بالكيان الصهيوني فحسب بل وعد بأن تلتزم الولايات المتحدة الأمريكية بضمان بقاءه وأمنه^(٤)، ثم اعترف به الاتحاد السوفيتي^(٥)، والحكومة الكندية^(٦)، في ١٥/أيار ١٩٤٨^(٧).

نتيجة لتلك التطورات الخطيرة، أعلنت الدول العربية عن رفضها قيام هذا الكيان، ومنع تنفيذ قرار التقسيم وتحرير فلسطين، وتشكيل جيش الإنقاذ الذي شاركت فيها الجيوش العربية، ولاسيما جيوش العراق ومصر والأردن وسوريا ولبنان^(٨)، واختارت الدول العربية الملك عبد الله بن الحسين قائداً للجيوش العربية

(٥) سبع شافية، تطور الانتداب البريطاني على فلسطين ١٩٢٠ - ١٩٤٨، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة محمد خضير - قطب شتمه، ٢٠١٥، ص ٩٤.

(١) دافيد بن غوريون (١٨٨٦ - ١٩٧٣): أحد أبرز الزعماء الصهاينة، قام بدور أساس في انشاء الكيان الصهيوني في فلسطين خلال حقبة الانتداب البريطاني عليها (١٩١٨ - ١٩٨٤)، انتخب في عام ١٩٢١ أميناً عاماً للهستدروت، ثم انتخب في عام ١٩٣٥ رئيساً لإدارة الوكالة اليهودية في فلسطين، ساند القوات البريطانية في اطار جهودها الرامية في قمع ثورة الشعب الفلسطيني ١٩٣٦، أدى دوراً مهماً في اعلان قيام دولة اسرائيل في الأراضي المحتلة الفلسطينية. للمزيد من التفاصيل ينظر: صبري جريس، دافيد بن غوريون: يوميات الحرب ١٩٤٧ - ١٩٤٩، ترجمة: سمير جبور، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، (بيروت، ١٩٩٣)، ص ٣٤.

(٢) حبيبة دوار وسارة بن جازية، العامل السياسي الفلسطيني ١٩١٩ - ١٩٤٨، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة الجيلالي بوتمامه - خميس مليانة، الجزائر، ٢٠١٦، ص ٨٨؛ سبع شافية، المصدر السابق، ص ٩٤.

(٣) سلوى العمر، "قراءاتي في مراسلات تدويل القضية الفلسطينية وتعريبها (١٩٤٥ - ١٩٤٩)"، مجلة شؤون فلسطينية، العدد ١٢٩ - ١٣٠ - ١٣١، منظمة التحرير الفلسطينية - مركز الأبحاث، بيروت، ١٩٨٢، ص ١٠٢؛ جمال محمد مصطفى، "الأمم المتحدة وتطورات القضية الفلسطينية (مشروع التقسيم في ضوء الوثائق والسجلات)"، د.ع، كلية الآداب، الجامعة العربية الأمريكية، جنين، د.ت، ص ١٦.

(٤) صامرلي، المصدر السابق، ص ٤٤.

(٥) حسن أحمد سلمان، بريطانيا والشرق الأوسط من أقدم العصور حتى عام ١٩٥٢، مطبعة الرابطة، (بغداد، ١٩٥٦)، ٢٠٧.

(٦) (د. ك. و)، القضية الفلسطينية ١٩٤٨ - ١٩٤٩، رقم الملف (٣١١/٤٨٥٥)، رقم الوثيقة (٤٨).

(٧) يوسف محمد عيدان، "الصراع العربي الإسرائيلي ١٩٤٨ - ١٩٧٣ شهادات اسرائيلية"، مجلة جامعة الانبار للعلوم الانسانية، العدد ٥٠، ٢٠٢٠، ص ٢١٨.

(8) British Foreign Office Documents, (B. F. O. D), "Telegram from Washington to the British Foreign Office (Lord Inver Chapel) Relating to The Decision to Partition Palestine: The repercussions of the decision to partition Palestine in the 1948 war", Document No. 7920, Julie 12, 1947.

التي تتواجد في فلسطين^(١)، وبذلك قامت أول الحروب العربية - الصهيونية وتزامن دخول الجيوش العربية لفلسطين في يوم ١٥ ايار ١٩٤٨^(٢)، إعلان الحكومات العربية الحصار البحري عليها، وبدأت تفتش البواخر في مياهها الإقليمية وتصادر ما يوجد عليها لليهود، واستقبلت الشعوب العربية نبأ دخول الجيوش العربية بمزيد من الأمل والسعادة لدى عرب فلسطين ممثلة باللجنة العربية العليا بزعامة محمد امين الحسيني، في الوقت الذي عبرت فيه أسرة النشاشيبي ومؤيدوها خاصة فصائل السلام النشاشيبي التي ما لبثت أن عادت مجدداً تنظم نفسها تتعاون مع الصهاينة في القتال والتجسس لصالحها ضد القوات العربية التي أخذت تدخل فلسطين من أكثر من محور^(٣).

وبعد ان تمكن الجيش العراقي من إعادة مدينة جنين، كما سيطر على مستعمرة الجسر على اليرموك، وسار الجيش العراقي باتجاهين، الأول: باتجاه نابلس وطولكرم، والثاني: باتجاه مرج ابن عامر على مشارف مستعمرة العفولة، أما القوات اللبنانية تمركزت على طول الجبهة اللبنانية - الفلسطينية^(٤)، كما تقدم الجيش المصري وانضم إليه سرايا من السعوديين وبعض المتطوعين الليبيين والسودانيين والمصريين، وتمكنوا من تحرير غزة وبئر السبع، في حين ساروا في خطين، أحدهما: باتجاه الخليل، والآخر باتجاه يافا، واذ تمكنت القوات المصرية ان تعزل مستعمرات النقب وتحرر بعضها بعد ضرب حصونها، ولاسيما بين يافا وغزة، واستطاعوا السيطرة على القسم الجنوبي من فلسطين بالكامل عدا بعض المستعمرات المعزولة^(٥)، في حين تمكنت قوات الجيش السوري من السيطرة على منطقة سمخ وطبريا، واستطاعت ان تحرر مستعمرة مشمارهايردن، وعلى الرغم من ان اعداد الشهداء كبيرة التي قدمها ذلك الجيش في تلك المنطقة، إلا أنه بقي قوياً يحسب له اليهود حساباً، ومكث الجيش السوري في منطقة الغور على الحدود الأردنية، وسيطر على مستعمرة مسادة اليهودية^(٦).

(١) نجيب الأحمد، فلسطين تاريخاً ونضالاً، دار الجليل للنشر، ط١، (عمان، ١٩٨٥)، ص ٤٥٧.

(٢) Eric Engel Tuten, Between Capital and Land: The Jewish National Fund's finances and land-purchase priorities in Palestine, 1939-45, First published, by Routledge Curzon, (New York, 2005), p133.

(٣) أكرم زعتير، القضية الفلسطينية، دار المعارف، (مصر، ١٩٥٥)، ص ٢١٥.

(٤) صامرلي، المصدر السابق، ص ٥٠-٥١.

(٥) زعتير، المصدر السابق، ص ٢١٦.

(٦) صامرلي، المصدر السابق، ص ٥١.

أما القوات الأردنية فقد استطاعت ان تسيطر على أريحا والقدس القديمة، بعد قتال عنيف وقصف الحي اليهودي الذي جعلته ركاماً، كما سيطرت على المنطقة بين رام الله وجسر اللنبي، وأصبحت القدس الجديدة تحت سيطرة مدافعها، إذ زحفت نحو يافا، وبدأ القتال من قبل عرب فلسطين بباب الواد والطررون حتى تمكنوا من السيطرة على طريق القدس الرملة، ثم عسكرت القوات حول منطقة اللد والرملة وقصفت القوة الجوية المصرية تل أبيب والمستعمرات اليهودية الواقعة حولها، وذلك مكنها السيطرة الجوية والتفوق على إسرائيل وتوالت الطائرات العراقية والسورية قصف المستعمرات القريبة منها في نطاقها المحدود^(١)، لم يكاد يمر اسبوعان على دخول الجيوش العربية فلسطين حتى تمكنوا من السيطرة على المناطق المخصصة للعرب في قرار التقسيم، باستثناء يافا وقسم من الجليل الغربي^(٢).

وعلى الرغم من تحقيق الجيوش العربية الانتصارات العديدة في بداية الحرب، وجدت اللجنة العربية العليا بقيادة محمد امين الحسيني ان دعوتها على تشكيل "جيش الجهاد المقدس"، برئاسة عبدالقادر الحسيني -والذي سبق وان عاد بصورة سرية إلى فلسطين قادماً من مصر بعد صدور قرار تقسيم فلسطين-^(٣)، لم يلتحق به سوى بضعة آلاف من المقاتلين من العرب الفلسطينيين، وهي اعداد ضئيلة جداً مقارنة بالقوات الصهيونية المنظمة، الأمر الذي عدته اللجنة العربية العليا خلافاً لوجهة نظر قضية فلسطين بـ "الخيانة العظمى"، ذلك ان الكثير من عرب فلسطين في مناطق وقرى طولكرم واللد والنقب ويافا وغيرها رفضوا قتال اليهود وعقدوا معهم اتفاقيات رفضوا خلالها على نحو متكرر نداءات اللجنة العربية العليا بالقتال إلى جانب القوات العربية، فعلى سبيل المثال رفضت أسرة أبوش الغوش وهي إحدى العائلات الموالية لأسرة الناشيبي القتال في قرائهم المنتشرة في طبريا ضد اليهود^(٤).

رأت الجيوش العربية بأم العين تلك الممارسات، الأمر الذي جعلها مصدراً لاتهام عرب فلسطين بالوقوف مع اليهود أو عدم تقبلهم فكرة قتالهم، ولم يكن باستطاعتهم وسط حالة التشرد السياسي التي

(١) زعتير، المصدر السابق، ص ٢١٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢١٨.

(٣) حسني جرار، نكبة فلسطين عام ١٩٤٧ - ١٩٤٨ مؤامرات وتضحيات، دار المأمون للنشر والتوزيع، ط ١، (عمان، ١٩٩٤)، ص ٤٩.

(٤) هليل كوهين، جيش الظل: المتعاونون الفلسطينيون مع الصهيونية ١٩١٧ - ١٩٤٨، ترجمة: هالة العوري، بيسان للنشر والتوزيع، ط ١، (بيروت، ٢٠١٥)، ص ٣١٢-٣١٣؛ ناجي علوش، الحركة الوطنية الفلسطينية أمام اليهود والصهيونية ١٨٨٢ - ١٩٤٨، منظمة التحرير الفلسطينية- مركز الأبحاث، (بيروت، ١٩٧٤)، ص ١١٧.

استفحلت رجالها بين عوائل عرب فلسطين، خاصة بين أسرتي الحسيني والنشاشيبي منذ الأيام الأولى لثورة عام ١٩٣٦، وحالة الصراع الداخلي الذي نشبت بينهم آنذاك، ان تؤثر مجدداً وبشكل كبير على حالة تحرير فلسطين خلال حرب عام ١٩٤٨، خاصة وانهم جاءوا من بلدان عربية مختلفة لهدف انقاذ فلسطين والقتال مع عرب فلسطين من اجل تحريرها، بينما هؤلاء ظلوا يعقدون تحالفات ويحافظ على ارتباطاته العائلية والاجتماعية في التعاون مع اليهود، ويسعى بعضهم للتفاهم معهم من اجل التوصل إلى عقد اتفاق سلام كما هو الحال بالنسبة لأسرة النشاشيبي ومؤيدوها في المدن والقرى الفلسطينية الذي فضلوا قرار تقسيم فلسطين على مسألة اندلاع الحرب^(١).

شكلت تلك الانتصارات صدمة بالنسبة لليهود والمتعاونين معهم في فصائل النشاشيبي التي أخذت تصعد من عملياتها بالتجسس لصالح اليهود، إلى درجة ان الجيش المصري في الجنوب والقوات العراقية في منطقة السامرة كانت تخشى من المتعاونين ونتائج افعالهم التي انتشرت بين أفراد العائلات الاقطاعية المتحالفة مع أسرة النشاشيبي، خاصة أسرة الغوش والدجاني^(٢)، الأمر الذي أشغل القوات العربية في تكريس قدر ملحوظ من الجهد والوقت لسحق تلك الظاهرة الأمر الذي شكل أيضاً مصدراً مكن اليهود من اعادة تنظيم صفوفهم بالضد من القوات العربية، وهو ما أضر كثيراً بتقدم القوات العربية في جبهات القتال، إلى درجة أن قدم ضباط الاستخبارات في جيش الانقاذ العربي في مدينة حيفا محمد يوسف الكافي تقريراً وافياً عرض خلاله الموقف من وجهة نظر القوات العربية المقاتلة جاء فيه: "جند اليهود أناساً أكثر في جهاز الاستخبارات وهم ينتشرون في كل أنحاء فلسطين... ولسوء الحظ ان وجود عرب مقززين كهؤلاء يتعاونون مع اليهود يمدونهم بالمعلومات والمواد التموينية، وهذا معروف ومؤكد لدينا من خلال نشاطاتنا، نحن نواجه باستمرار تياراً من الجواسيس اليهود والعرب، ولدى العدو في حيفا شبكة واسعة للمعلومات الاستخبارية ولأنها مدينة مختلطة فمن السهل الاتصال باليهود... ان جهاز استخبارات جيش الإنقاذ يواجه طابوراً خامساً..."^(٣).

كان قرار تجنب القتال والتعاون مع القوات الصهيونية عد في بعض الأحيان مسألة شخصية خضعت لاعتبارات عائلية سعيّاً وراء تحقيق هدف سياسي بين العائلات او بسبب صلة القرابة او النسب، لكن

(١) كوهين، المصدر السابق، ص ٣١٢-٣١٣.

(٢) أحمد حامد سليمان خضير، دور عملاء إسرائيل والمتعاونين معها من الفلسطينيين في تمزيق النسيج السياسي للشعب الفلسطيني، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح، ٢٠١٤، ص ٥٠.

(٣) جرار، نكبة فلسطين...، ص ٦٥؛ كوهين، المصدر السابق، ص ٣٣٨.

القرار الذي يتخذ في احيان اخرى من قبل زعماء العائلات كان ايضا للمنافسة الحادة التي تجسدت بين اللجنة العربية العليا بقيادة أسرة الحسيني وبين قوى المعارضة النشاشيبية التي بدت واضحة خلال حرب عام ١٩٤٨، وأدت دوراً رئيساً في تلك الظاهرة على المستوى الشعبي، فقد خاضت قوى المعارضة المشكلة من حزب الدفاع الوطني بزعامة أسرة النشاشيبي وحلفائهم، ناهيك عن فصائل السلام صراعاً مريراً طوال سنوات الانتداب مع أسرة الحسيني وحلفائهم، -وقد ذكرنا سابقاً-، كيف حرص الصهاينة اليهود على تعميق حالة التنافس والتشرذم السياسي بين الأسرتين، وبالتالي استغلال روابط تلك الأسرتين على نحو حاسم مع تصاعد حالة الاغتيالات التي طالت اكثر زعامات المعارضة النشاشيبية والتشجيع على قتلهم قبيل قيام الحرب على يد أسرة الحسيني إلى استخلاص نتيجة مفادها انه في نجاح محمد امين الحسيني في إقامة دولة مستقلة في فلسطين فسوف يخسرون قوتهم السياسية وربما حياتهم ايضا^(١).

وتبعاً لذلك خشيت زعامات المعارضة النشاشيبية في حالة انتصار الجيوش العربية في فلسطين وتسلم منافسيهم من أسرة الحسيني زمام السلطة في فلسطين بعد تحريرها بوصفهم زعماء اللجنة العربية العليا، خطراً حقيقياً وجودياً عليهم يهددهم بالتصفية بحجة الخيانة على يد منافسيهم الحسينيون، وهو ما دفع زعيم وحدات السلام النشاشيبية في منطقة جنين فريد أرشيد ان ينسق مع ضباط اليهودي عمليات التنسيق العسكري واللوجستي، كما أشار الأخير إلى روابط الوكالة اليهودية خلال الحرب مع حلفاء أسرة النشاشيبي، خاصة مع سليمان طوقان في نابلس وكامل حسين في وادي الحولة، وأسرة الفاهوم في الناصرة التي وجدت في الحرب فرصة لإنزال الهزيمة بخصومهم آل الحسيني على حساب قضية بلادهم، وعشيرة فخري عبدالهادي في عرابة، والزنااتية في وادي بيسان، وعادل النشاشيبي في القدس، وعبدالله بشير في الخليل، واخذت الوكالة اليهودية بأرسال مبالغ مالية إلى جميع هؤلاء حتى يتمكنوا من تجنيد الرجال وشراء الاسلحة، الذين وافقوا على القتال المشترك في صفوف فصائل السلام ضد اللجنة العربية العليا بزعامة محمد امين الحسيني وهو ما أضر كبيراً على مجرى العمليات العسكرية التي كانت تخوضها القوات العربية، والاستفادة منه مكن اليهود من إعادة تنظيم صفوفهم والذي تزامن مع طلبهم من الولايات المتحدة الأمريكية التدخل سريعاً، والضغط على مجلس الأمن الدولي لوقف القتال^(٢).

(١) كوهين، المصدر السابق، ص ص ٣١٤-٣١٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢١٨.

وتبعاً لذلك أصدر مجلس الأمن قراراً بوقف القتال، وافق العرب تحت الضغط والتهديد من قبل بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية بتاريخ ٢ حزيران ١٩٤٨، ووافقت اسرائيل عليه، وعلى الرغم من تهديدات مجلس الأمن والدول الكبرى بحظر الأسلحة والمتطوعين إلى أي طرف خلال مدة الهدنة، إلا ان اليهود اغتتموا تلك الفرصة لتقوية مركزهم للتهيئة لمرحلة جديدة يكون فيها أكثر قوة وعتاداً، بدأت العصابات الصهيونية العالمية بجلب المتطوعين وإدخال الأسلحة الثقيلة والخفيفة والطائرات^(١).

ولم تكاد مدة الهدنة تنتهي حتى استطاع الصهاينة من إعادة تنظيم قواتهم وتسليحها وسط التعاون الذي حققته مع حلفاء أسرة النشاشيبي والذي مكن اليهود من استيعاب صدمة هجوم الجيوش العربية وبالتالي اخذت بتعويقه وإطالة أمد الحرب^(٢)، أدى إلى إرسال هيئة الأمم المتحدة إلى فلسطين فريقاً من المراقبين، وهم ضباط من دول بلجيكا وفرنسا والسويد برئاسة الكونت فولك برنادوت Count Folke Bernadotte^(٣)، لتنفيذ قرار الهدنة^(٤)، والتي تقرر ان تستمر لمدة أربع اسابيع^(٥)، على ان تبدأ الهدنة من يوم ١١/حزيران حتى يوم ٩/تموز ١٩٤٨، وسميت الهدنة الأولى^(٦)، واقترح برنادوت تقسيماً جديداً لفلسطين ان تعطي الضفة الغربية للأردن ويرسخ لاتحاد اقتصادي بين الاردن واسرائيل، وإعادة الجليل لإسرائيل والنقب للعرب، وتبقى القدس عربية وتصبح حيفا ميناء حراً، غير ان الدول العربية رفضت ذلك

(١) خيرية قاسمية، القضية الفلسطينية والقادة الهاشميون: الحسين، عبدالله، فيصل، غازي ١٩١٥-١٩٥١، منشورات لجنة تاريخ الأردن، سلسلة البحوث والدراسات المتخصصة، (الأردن، ١٩٩٦)، ص ص ١٠٣-١٠٥.

(٢) قاسمية، المصدر السابق، ص ١٤.

(٣) الكونت فونت برنادوت (١٨٩٥-١٩٤٨): سياسي سويدي ودبلوماسي دولي، وهو رئيس الصليب الأحمر السويدي الذي نقل عرض الاستسلام الألماني إلى الحلفاء عام ١٩٤٥، عين في ٢٠ ايار ١٩٤٨ بعد انتهاء الانتداب البريطاني على فلسطين وسيطاً للأمم المتحدة خلال الحرب بين العرب والصهاينة، تم اغتاله من قبل العصابات الارهابية الصهيونية في العام ذاته، في القطاع المحتل من مدينة القدس لأنه عارض ضم بعض الأراضي الفلسطينية إلى الدولة اليهودية المقترحة في قرار التقسيم الصادر عام ١٩٤٧. عبدالوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، ج ١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دار الهدى، (بيروت، ١٩٧٩)، ص ص ٥٢٤-٥٢٥.

(٤) بسام العسلي، "الحرب العربية الاسرائيلية الأولى قراءة جديدة"، مجلة شؤون عربية، العدد (٥٥)، السنة ١٩٨٨، ص ١٣٧.

(٥) (د. ك. و)، القضية الفلسطينية في اللجنة السياسية لهيئة الأمم المتحدة ١٩٤٨، رقم الملف (٣١١/٤١٦٤)، رقم الوثيقة (٣).

(٦) قاسمية، المصدر السابق، ص ١٠٦.

الاقتراح، كذلك رفضته إسرائيل^(١)، وجاء رفض اليهود، لأن ذلك الاقتراح نص على ضم النقب والقدس للعرب، بينما رفضه العرب لأنه يقوم على أساس فكرة قرار التقسيم لعام ١٩٤٧^(٢)، وفيما بعد أدرك العرب الخطأ الكبير الذي ارتكبوه بقبولهم الهدنة، الأمر الذي دفعهم إلى استئناف القتال في ٩/تموز ١٩٤٨^(٣)، وفي ١٥ تموز ١٩٤٨، اجتمع مجلس الأمن وأصدر قراراً بوقف القتال، لأن الوضع في فلسطين مهدداً للسلم العالمي وفرض هدنة لأجل غير مسمى^(٤)، سميت بالهدنة الثانية^(٥)، ومن نيويورك أصدر الكونت برنادوت في يوم السبت ١٧ تموز موعداً لوقف القتال في القدس، وفي ١٩ تموز موعداً لوقف القتال في جميع انحاء فلسطين، ونفذ قرار مجلس الأمن مبدئياً من قبل الطرفين، إلا ان القوات الصهيونية قامت بخرق الهدنة لأكثر من مرة في النقب والقدس بمساعدة المتعاونين معهم من الجواسيس وعناصر الفصائل النشاشيبية التي كانت منتشرة في تلك المناطق^(٦)، وبدأ الوسيط برنادوت اتصالاته باليهود والعرب بحثاً عن تسوية سياسية للصراع العربي- الاسرائيلي في حرب ١٩٤٨، من جهتها أكدت وجهة النظر العربية، للوسيط برنادوت من ان العرب بشكل عام وشعب فلسطين بشكل خاص لا يتحملون بعد اليوم المخاطر المحدقة بهم وبوجودهم من الصهيونية، لكنهم باستطاعتهم ان يتحملوا تلك المخاطر بدل الإذعان لإنشاء دولة يهودية في أي جزء من فلسطين^(٧)، ثم قدم في ايلول من العام ذاته، مشروع سلام، تضمن نقاط عدة منها:

١. الانتقال من مرحلة وقف القتال إلى تحقيق هدنة دائمة وسلام بين العرب واليهود.
٢. وضع القدس تحت رقابة الأمم المتحدة.
٣. تتولى لجنة منبثقة من الأمم المتحدة رسم الحدود بين العرب واليهود.

(١) "هيئة التحرير في ذكرى النكبة ١٩٤٨: حرب الأيام العشرة ونهاية المعارك"، مجلة المقطف المصري التاريخية، العدد ٣، السنة الأولى، ٢٠١٥، ص ٢١٠.

(٢) British Foreign Office Documents, (B. F. O. D), "Telegram from Washington to the British Foreign Office (Lord Inver Chapel) Relating to The Decision to Partition Palestine", Document No. 7920, Julie 12, 1947, p. 57.

(٣) قاسمية، المصدر السابق، ص ١٠٩.

(٤) فرسخ، المصدر السابق، ص ٩٧٧.

(٥) يوسف هيكل، "فلسطين قبل وبعد، ط ١، دار العلم، (بيروت، ١٩٧١)، ص ١٤٢، ص ٥٥.

(٦) كوهين، المصدر السابق، ص ٣١٨؛

US State Department Documents (U.S.D.D), New York Telegram to the Delegation of the United Kingdom of Great Britain to the United Nations - Relating to the Partition Resolution of Palestine", Document No.10262, Washington Archives (Palestine), 12 June 1948.

(٧) زعتير، المصدر السابق، ص ٢٣١-٢٣٢.

٤. إشراف لجنة دولية على حل مشكلة اللاجئين، ثم يختار اللاجئين بين العودة إلى منازلهم أو تعويضهم قيمة ما فقدوه، وبذلك الصدد أوضح الكونت برنادوت قائلاً: "ان حرمان اللاجئين من العودة إلى ديارهم يعد خرقاً لمبادئ العدالة خصوصاً في الوقت الذي يتدفق فيه اليهود على فلسطين".
٥. دعوة الأمم المتحدة إلى تشكيل لجنة متابعة ومصالحة دولية للتوصل إلى تسوية سلمية للوضع في فلسطين^(١).

وفي اثناء ذلك اغتيل الكونت برنادوت على يد عصابة شتيرن الصهيونية في القدس في ١٧ أيلول ١٩٤٨^(٢)، الذي مكنهم من مواصلة القتال لإنزال اكبر الهزائم العسكرية بالجيوش العربية، فكلما كانت الحرب تتواصل، أصبح تفوق القوات الصهيونية واضحاً، وأخذت بالمقابل تضعف إرادة عرب فلسطين في حمل السلاح بشكل تدريجي حتى نهاية الحرب، إذ شعر البعض منهم مبكراً، ثم لحق بهم آخرون بعد بضعة أشهر من اندلاع المعارك^(٣).

كما أوضح تقرير لمنظمة الهاغاناه الصهيونية في شباط ١٩٤٨، ان تردد عرب فلسطين في القتال بدأ واضحاً في منطقة النقب التي تواجدت فيها قوات من الجيش المصري، كما اشار تقرير استخباري للمنظمة ذاتها من ان اهالي سبخ بالقرب من طبرية بان عليهم عدم النية في التدخل في الشؤون السياسية لأنهم اقلية وسط اكثرية يهودية في المنطقة، أما القرى العربية المنتشرة غرب مدينة القدس، خاصة في قري: (شتاف، خربة اللوز، سوياء، أم الميس)، فأخذوا يسعون إلى التفاوض المباشر مع الهاغاناه، عقب تمكن الأخير من فرض سيطرتها على قرية بيت مخشير القريبة منهم، من المؤكد ان النجاحات التي حققتها الجيوش العربية بمساندة المقاتلين من عرب فلسطين الذي شكلتهم اللجنة العربية العليا في بداية الحرب، ساعدت أسرة الحسيني في شهر اذار ١٩٤٨، على تجنيد المزيد من المقاتلين، لكن الوضع انقلب في الشهور التالية، ففي شهر نيسان من العام ذاته، سقط عبدالقادر الحسيني خلال المعارك قتيلاً في قرية القسطل، والتي كانت أول منطقة احتلها القوات الصهيونية بعد أن تمكنت من محاصرته وقتله، وهو ما فاقمه ان لا تواجه القوات الصهيونية خاصة بعد انتشار المتعاونين من الجواسيس في انحاء فلسطين من

(١) كوهين، المصدر السابق، ص ٢٩.

(٢) أنور جمعة حرب أبو مور، "التطور التاريخي لمشروع الدولة الفلسطينية (١٩٦٤ - ١٩٩٩م)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الداب، الجامعة الإسلامية - غزة، ٢٠١٤، ص ٢٤؛ الهور والموسى، المصدر السابق، ص ٢٧.

(٣) منير الهور وطارق الموسى، مشاريع التسوية للقضية الفلسطينية ١٩٤٧ - ١٩٨٢، ط ١، دار الجليل للنشر، (عمان، ١٩٨٣)، ص ٢٧.

حلفاء أسرة النشاشيبي المتعاونين مع اليهود، في عملياتها اللاحقة بعد ذلك العام في مناطق النقب والجليل أية مقاومة تذكر من قبل عرب فلسطين^(١)، ومن الجدير بالذكر إنه على أثر انتهاء الهدنة الثانية واغتيال الكونت برنادوت، قرر مجلس الجامعة العربية تأسيس إدارة مدنية لفلسطين، ولكن معارضة الحكومة الأردنية تدعمها شخصيات من حلفاء أسرة النشاشيبي وعلى رأسهم سليمان التاجي الفاروقي حالت دون ذلك لأنها ستمكن محمد أمين الحسيني من فرض نفسه كشخصية قيادية لتلك الإدارة المدنية، وهو ما دفع الأخير من الوصول إلى مدينة غزة وإعلانه عن عقد مؤتمر وطني فلسطيني في الأول من تشرين الأول ١٩٤٨^(٢)، وقد أقر المؤتمر عن إقرار دستوراً لفلسطين حددت فيه السلطات كما يلي:

١. مجلس وطني يتكون من ممثلي شعب فلسطين.
 ٢. مجلس أعلى يتكون من رئيس المجلس الوطني ورئيس المحكمة العليا ورئيس الحكومة، ويكون رئيس المجلس الوطني رئيساً لها، ويقوم هذا المجلس بوظيفة رئيس الجمهورية أو الملك، مع حق المجلس ذاته في تشكيل الوزارة.
 ٣. مجلس الدفاع، ويتكون من رئيس المجلس الوطني رئيساً ورئيس الحكومة ووزير الدفاع^(٣).
- ووفقاً لذلك اختير محمد أمين الحسيني رئيس الهيئة العربية العليا رئيساً للمجلس الوطني، وأحمد حلمي عبد الباقي رئيساً للحكومة، وبعض وجوه الحركة الوطنية التابعة للحسينيون ومنهم جمال الحسيني وعوني عبد الهادي وحسين الخالدي وزراء، وقد ابلغ أحمد حلمي عبد الباقي الحكومات العربية وجامعة الدول العربية بخبر تأسيس حكومة عموم فلسطين، مع اصدار المجلس الوطني قراراً اعلن فيه استقلال فلسطين استقلالاً تاماً وإقامة دولة حرة ديمقراطية^(٤).

قابلت خطوة إقدام محمد أمين الحسيني عن تأسيس المجلس الوطني وقيام حكومة عموم فلسطين، عقد مؤتمر في عمان خلال اليوم ذاته، في الأول من تشرين الأول ١٩٤٨، برئاسة سليمان التاجي الفاروقي وعجاج نويهض وهما من شخصيات المعارضة النشاشيبيية، استنكروا فيه مؤتمر غزة مع

(١) كوهين، المصدر السابق، ص ٣١٨.

(٢) علوش، المقاومة العربية...، ص ص ١١٤-١١٥.

(٣) أديب صالح عبد اللهبي، "حكومة عموم فلسطين دراسة في ظروف النشأة وآلية الانهيار"، مجلة جامعة كركوك، مج

٨، العدد ٢٩، كلية التربية، ٢٠١٢، ص ٣٦.

(٤) علوش، المقاومة العربية...، ص ١١٥.

مبايعتهم للأمير عبدالله ملكاً على ما تبقى من فلسطين بضمه إلى شرق الأردن^(١)، وتبعاً لذلك شعر المتعاونون وخصوم الحسينيون، من أسرة النشاشيبي بالتقاؤل لقاء الهزائم السياسية التي اخذت تلحق بمحمد امين الحسيني من جهة، ونجاح القوات الصهيونية بالحرب من جهة أخرى، قبل ان تتضح حجم الهزيمة وأبعاد الكارثة على فلسطين برمتها، الذي أطاح في نهاية الأمر كل مغنم سياسي كانوا ينتظرون تحقيقه على حساب أسرة الحسيني^(٢).

وكحصيلة لذلك الأمر، اخذت القوات الصهيونية بالهجوم على الجبهة المصرية في منطقة النقب في القسم الجنوبي من فلسطين خلال المدة ما بين ١٥ - ٢٢ تشرين الاول^(٣)، وأدى ذلك إلى السيطرة على منطقة النقب بأكملها^(٤)، وانتهى الهجوم بقبول الطرفين وقف إطلاق النار، ثم ما لبثت القوات الصهيونية ان هاجمت جيش الإنقاذ العربي خلال المدة ما بين ٢٨ - ٣١/تشرين الأول ١٩٤٨، واستفردت اسرائيل بقوات الجيش الأردني في جنوب النقب ومعابر العقبة من جهة فلسطين في ٣٠/تشرين الثاني ١٩٤٨، فاضطر شرق الأردن إلى سحب قواته من المنطقة، وبدأت مفاوضات مع شرق الأردن لهدنة كان من نتيجتها ان انسحب القوات العراقية دون تفاوض مع إسرائيل من منطقة المثلث الواقعة بين نابلس وجنين وطولكرم^(٥).

وفي خضم تلك التطورات ومن اجل الحفاظ على ما تبقى ما اراضي لعرب فلسطين عقد مؤتمر أريحا في الأول من كانون الاول ١٩٤٨، والذي تم فيه مبايعة الملك عبدالله ملكاً على الأردن وفلسطين من خلال اعلان الوحدة بين بقايا فلسطين وشرق الأردن تحت قيادته^(٦)، ليشكل هذا الأمر إيذاناً بنهاية كل دور سياسي تنافست عليه أسرتي الحسيني والنشاشيبي في فلسطين طيلة فترة الاحتلال والانتداب البريطاني.

(١) الأحمّد، المصدر السابق، ص ٥٣٨؛ علوش، المقاومة العربية...، ص ١١٥.

(٢) كوهين، المصدر السابق، ص ٣١٨.

(٣) صامرلي، المصدر السابق، ص ٥٨.

(٤) (د. ك. و)، عنوان الوثيقة/القضية الفلسطينية، السنة ١٩٤٨ - ١٩٤٩، رقم الملف (٣١١/٤٨٥٥)، رقم الوثيقة (٧٤).

(٥) صامرلي، المصدر السابق، ص ٥٨.

(٦) "قرارات مؤتمر أريحا بمبايعة الملك عبدالله ملكاً على الأردن وفلسطين أول ديسمبر سنة ١٩٤٨"، وثائق فلسطين:

مائتان وثيقة مختارة ١٨٣٩ - ١٩٨٧، "دائرة الثقافة، منظمة التحرير الفلسطينية، دار القدس، (فلسطين، ١٩٨٧)، ص ١٩٩.

وتبعاً لذلك أصدر مجلس الأمن قراراً قضى بانسحاب القوات العربية والقوات الصهيونية إلى المراكز التي تحتلها قبل ١٤ كانون الأول ١٩٤٨، كما تضمن القرار ثلاث نقاط^(١)، هي:

١. تشكيل لجنة توفيق من ثلاث أعضاء مهمتها ان تقوم بالأعمال التي اعطيت للوسيط، أو أية أعمال أخرى، إذ يطلب مجلس الأمن أو هيئة الامم المتحدة منها القيام بها، مع تنمية الصلات الحسنة بين إسرائيل وعرب فلسطين والدول العربية.

٢. توضع القدس حسب قرار التقسيم تحت إشراف هيئة الأمم المتحدة.

٣. يسمح لمن يرغب من اللاجئين العودة إلى ديارهم والعيش بسلام مع جيرانهم، وممن لا يرغبون بالعودة تدفع لهم تعويضات وفق القوانين الدولية، وكذلك تدفع تعويضات إلى كل من أصابهم الضرر في ممتلكاتهم^(٢).

أفضى القرار الأممي إلى وقف إطلاق النار وانسحاب القوات العربية التي بدأ قسم منها بالتوقيع على الهدنة مع الكيان الإسرائيلي، وهو ما أوجد عملياً قيام (دولة إسرائيل) وباعتراف الدول الكبرى بها، وهكذا الحقت هزيمة نكبة عام ١٩٤٨ هزيمة كبيرة بعرب فلسطين وبقيادتها العائلية التقليدية خاصة أسرتي الحسيني والنشاشيبي، افضت إلى القضاء عن كل مستقبل سياسي لكل الأسرتين واضمحلال دورهما السياسي بشكل نهائي في فلسطين، خاصة بعد ان انهارت المؤسسات الفلسطينية العربية واقتلع مئات آلاف العرب من دورهم وتحولت مئات القرى العربية إلى خراب، مع اجهاض دولة فلسطين العربية التي اقترتها خطة التقسيم وتحول القسم الأكبر من فلسطين إلى دولة يهودية استولت على مناطق فاقت بكثير المساحة التي حددتها الأمم المتحدة لها في قرار التقسيم، إلى درجة أن المتعاونين في أسرة النشاشيبي لم يكن باستطاعتهم التنبؤ بنتيجة كهذه التي ساهموا بها على نحو ملحوظ في الهزيمة الساحقة التي لحقت بالقوات العربية لقاء تجسسهم وتعاونهم مع اليهود^(٣)، والتي جعلت عرب فلسطين والأطراف العربية يتقاذفون الاتهامات فيما بينهم بالخيانة بشكل مباشر على كل من شارك في الحرب بوجهيها السياسي والعسكري.

فمن جانبها اتهمت اللجنة العربية العليا بزعامة محمد امين الحسيني جامعة الدول العربية، وخاصة ملك الأردن عبدالله الأول والمتعاونين من عرب فلسطين وخاصة من رجال فصائل السلام النشاشيبي

(١) صامرلي، المصدر السابق، ص ٥٨.

(٢) الهور والموسى، المصدر السابق، ص ٢٨؛ الأحمد، المصدر السابق، ص ٥٤٤.

(٣) كوهين، المصدر السابق، ص ٣٠٩-٣١٠.

بوقوع الهزيمة، في حين اشار عبدالقادر الحسيني اصابع الاتهام الى اللجنة العربية العسكرية المسؤولة عن توجيه الجيوش العربية بالخيانة، في الوقت الذي وجهت فيه البلدان العربية والجيوش العربية وقوع الهزيمة كنتيجة طبيعية على حالة التشردم والتنافس السياسي العائلي بين ممثلي عرب فلسطين من أسرة الحسيني والنشاشيبي بوقوع هزيمة العرب في فلسطين ووقوع النكبة، وقالوا لو لم يبيع الفلسطينيون أراضيهم إلى اليهود وتعاونوا معهم لما تمكن الصهاينة من ايجاد موطن قدم لهم في الشرق الاوسط، مع إشارتهم إلى المستوى المتدني للتعبئة المحلية التي قامت بها اللجنة العربية العليا ممثلة بمحمد امين الحسيني، مع تأكيدهم على ان كثيراً من عرب فلسطين أمدوا القوات الصهيونية بالمعلومات^(١)، وعلى أثر فشل أسرة الحسيني بزعامة محمد امين الحسيني وأسرة النشاشيبي بزعامة راغب النشاشيبي في التلاقي تجاه أدهى محنة حلت بالبلاد ضد الصهيونية خلال حرب عام ١٩٤٨، فضل راغب النشاشيبي على ترك فلسطين في عام النكبة وتوجه إلى مصر، ثم مكث في الأردن^(٢)، اما بخصوص محمد امين الحسيني فعلى أثر النكبة وعقد اتفاقيات الهدنة بين الدول العربية واسرائيل، وضم الضفة الغربية إلى المملكة الأردنية الهاشمية ووضع قطاع غزة تحت الإدارة المصرية، تضاعف دوره والهيئة العربية العليا التي ترأسها، وانحسر نفوذه، ثم ترك فلسطين وأقام في مصر، ثم لبنان^(٣)، وتبعاً لذلك طويت صفحة التنافس الحسيني-النشاشيبي في عهد الاحتلال والانتداب البريطاني، ولم يعد له أية أهمية تذكر بعد ان اصبحت فلسطين مسلوقة محتلة من قبل الصهاينة.

خاتمة

١. تسببت حالة التنافس والصراع السياسي الذي استغل ما بين أسرتي الحسيني والنشاشيبي ومنذ عام ١٩١٧، في تشجيع بريطانيا في أكثر من مناسبة على تقديم مشاريع هدفت كلها إلى تقسيم فلسطين من جهة، وفي هزيمة العرب في اثناء الحرب العربية - الصهيونية ١٩٤٨ من جهة أخرى، على الرغم من مشاركة العديد من الجيوش العربية.

(١) المصدر نفسه، ص ٣٠٩-٣١٠.

(٢) "سيرة راغب النشاشيبي"، الموسوعة التفاعلية للقضية الفلسطينية، متاح على الموقع الالكتروني:

<https://www.palquest.org/ar/biography>

(٣) كريم مطر حمزة الزبيدي، المفتي محمد أمين الحسيني وأثره في السياسة العراقية، دار العلوم العربية للطباعة والنشر،

(القاهرة، ١٩٩٤)، ص ١٨٢-١٨٣؛ "سيرة محمد أمين الحسيني"، الموسوعة التفاعلية للقضية الفلسطينية، متاح على

الموقع الالكتروني: <https://www.palquest.org/ar/biography/>

٢. استقادت سلطات الاحتلال البريطاني والصهيونية من حالة التنافس بين أسرتي الحسيني - النشاشيبي خلال حرب عام ١٩٤٨، في شق وحدة صف عرب فلسطين في مواجهة المخططات والمشاريع الصهيونية، خاصة مع تمكن اليهود الصهاينة من تأسيس شبكات استخباراتية - تجسسية عززت حالة تعميق الخلافات في المجتمع العربي وقاداته في تلك الأسرتين، وفي بناء قوتهم العسكرية وإقامة المستوطنات، بينما كان المجتمع الفلسطيني غارقاً في نزاعات سياسية عائلية بين أسرة آل الحسيني وآل النشاشيبي شردمت قوته وأبقته عاجزاً عن التعبئة والوحدة خلف قيادة سياسية موحدة.

٣. اصطفاك الكثير من شخصيات المعارضة النشاشيبيية إلى جانب القوات الصهيونية ومدّها بالكثير من المعلومات عبر عمليات التجسس التابعة لمواقع الجيوش العربية والقوات الفلسطينية بقيادة آل الحسيني.

٤. توافقت التوجهات السياسية لأسرة آل النشاشيبي نكابة بخصومهم السياسيين من أسرة آل الحسيني، مع توجهات الملك عبدالله بن الحسين ملك الأردن عبر مؤتمر أريحا، والذي تم من خلال قيام الأخير بضم الضفة الغربية إلى حكمه، ومبايعته ملكاً على الأردن وفلسطين.

٥. شكلت أبرز تداعيات حرب عام ١٩٤٨ السلبية في ارتهان الوقع السياسي الفلسطيني بالأردن عبر ملكها عبدالله بن الحسين، وهو ما شكل إيذاناً بنهاية كل دور سياسي تنافست عليه أسرتي آل الحسيني وآل النشاشيبي في فلسطين طيلة فترة الاحتلال والانتداب البريطاني.

قائمة المصادر

أولاً: الوثائق العربية غير المنشورة:

- وثائق البلاط الملكي العراقي (دار الكتب والوثائق - المكتبة الوطنية ببغداد):
- ١. (د.ك.و)، القضية الفلسطينية في اللجنة السياسية لهيئة الأمم المتحدة ١٩٤٨، رقم الملف (٣١١/٤١٦٤)، رقم الوثيقة (٣).
- ٢. (د.ك.و)، القضية الفلسطينية ١٩٤٨ - ١٩٤٩، رقم الملف (٣١١/٤٨٥٥)، رقم الوثيقة (٤٨).
- ٣. (د.ك.و)، عنوان الوثيقة/القضية الفلسطينية، رقم الملف (٣١١/٤٨٥٥)، رقم الوثيقة (٧٤)، السنة ١٩٤٨ - ١٩٤٩.

ثانياً: الوثائق الأجنبية غير المنشورة:

(أ). وثائق وزارة الخارجية البريطانية - سجلات الانتداب البريطاني على فلسطين ١٩٤٧:

1. British Foreign Office Documents, (B. F. O. D), "Telegram from Washington to the British Foreign Office (Lord Inver Chapel) Relating to The Decision to Partition Palestine: The repercussions of the decision to partition Palestine in the 1948 war", Document No. 7920, Julie 12, 1947.
2. (B. F. O. D), "Telegram from Washington to the British Foreign Office (Lord Inver Chapel) Relating to The Decision to Partition Palestine", Document No. 7920, Julie 12, 1947.

(ب). وثائق وزارة الخارجية الأمريكية غير المنشورة (دار الكتب والوثائق - المكتبة الوطنية ببغداد):

- US State Department Documents (U.S.D.D), New York Telegram to the Delegation of the United Kingdom of Great Britain to the United Nations - Relating to the Partition Resolution of Palestine", Document No.10262, Washington Archives (Palestine), 12 June 1948.

ثالثاً: الوثائق الفلسطينية:

- وثائق فلسطين: مائتان وثيقة مختارة ١٨٣٩ - ١٩٨٧، "دائرة الثقافة، منظمة التحرير الفلسطينية، دار القدس، قرارات مؤتمر أريحا بمبايعة الملك عبدالله ملكاً على الأردن وفلسطين أول ديسمبر سنة ١٩٤٨"، (فلسطين، ١٩٨٧).

رابعاً: الرسائل والأطاريح الجامعية:

١. أبو جعفر، أحمد محمد، دراسة نقدية في قراري الجمعية العامة للأمم المتحدة ١٨١ و ١٩٤ المتعلقة بالقضية الفلسطينية، رسالة ماجستير، (غير منشورة)، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، ٢٠٠٨.
٢. السمين، ابراهيم يونس سمين صالح، المعارضة السلمية للشعب العربي الفلسطيني من التحديات الصهيونية ١٩٢٢-١٩٤٨، رسالة ماجستير (غير منشورة) جامعة الموصل، كلية التربية للعلوم الإنسانية، ٢٠١٧.
٣. صامرلي، خولة، الصراع العربي الاسرائيلي حرب ١٩٤٨ أنموذجاً، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة محمد خضير، بسكرة، ٢٠١٣.
٤. شافية، سبع، تطور الانتداب البريطاني على فلسطين ١٩٢٠ - ١٩٤٨، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة محمد خضير - قطب شتمة، ٢٠١٥.
٥. دوار وجازية، حبيبة وسارة بن، العامل السياسي الفلسطيني ١٩١٩ - ١٩٤٨، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة الجيلالي بوتمامه - خميس مليانة، الجزائر، ٢٠١٦.
٦. خضير، أحمد حامد سليمان، دور عملاء إسرائيل والمتعاونين معها من الفلسطينيين في تمزيق النسيج السياسي للشعب الفلسطيني، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح، ٢٠١٤.
٧. أبو مور، أنور جمعة حرب أبو مور، "التطور التاريخي لمشروع الدولة الفلسطينية (١٩٦٤ - ١٩٩٩م)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الداب، الجامعة الإسلامية - غزة، ٢٠١٤.

خامساً: الكتب:

(أ). الكتب العربية والمعرية:

١. الأحمد، نجيب، فلسطين تاريخاً ونضالاً، دار الجليل للنشر، ط١، (عمان، ١٩٨٥).
٢. جرار، حسني، نكبة فلسطين عام ١٩٤٧ - ١٩٤٨ مؤامرات وتضحيات، دار المأمون للنشر والتوزيع، ط١، (عمان، ١٩٩٤).
٣. جريس، صبري، دافيد بن غوريون: يوميات الحرب ١٩٤٧ - ١٩٤٩، ترجمة: سمير جبور، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، (بيروت، ١٩٩٣).
٤. الحوت، بيان نويهض، القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين ١٩١٧ - ١٩٤٨، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، (بيروت، ١٩٨٦).
٥. الزبيدي، كريم مطر حمزة، المفتي محمد أمين الحسيني وأثره في السياسة العراقية، دار العلوم العربية للطباعة والنشر، (القاهرة، ١٩٩٤).
٦. زعتير، أكرم، القضية الفلسطينية، دار المعارف، (مصر، ١٩٥٥).

٧. سلمان، حسن أحمد، بريطانيا والشرق الأوسط من أقدم العصور حتى عام ١٩٥٢، مطبعة الرابطة، (بغداد، ١٩٥٦).
٨. شاش، ظاهر، مفاوضات التسوية النهائية والدولة الفلسطينية الآمال والتحديات، دار الشروق، (القاهرة، ١٩٩١).
٩. علوش، ناجي، الحركة الوطنية الفلسطينية أمام اليهود والصهيونية ١٨٨٢ - ١٩٤٨، منظمة التحرير الفلسطينية - مركز الأبحاث، (بيروت، ١٩٧٤).
١٠. فرسخ، عوني، التحدي والاستجابة في الصراع العربي الاسرائيلي: جذور الصراع وقوانينه الضابطة ١٧٩٩ - ١٩٤٩، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، (بيروت، ٢٠٠٨).
١١. قاسمية، خيرية، القضية الفلسطينية والقادة الهاشميون: الحسين، عبدالله، فيصل، غازي ١٩١٥ - ١٩٥١، منشورات لجنة تاريخ الأردن، سلسلة البحوث والدراسات المتخصصة، (الأردن، ١٩٩٦).
١٢. كوهين، هليل، جيش الظل: المتعاونون الفلسطينيون مع الصهيونية ١٩١٧ - ١٩٤٨، ترجمة: هالة العوري، بيسان للنشر والتوزيع، ط١، (بيروت، ٢٠١٥).
١٣. منير الهور وطارق الموسى، مشاريع التسوية للقضية الفلسطينية ١٩٤٧ - ١٩٨٢، ط١، دار الجليل للنشر، (عمان، ١٩٨٣).
١٤. هيكل، يوسف، "فلسطين قبل وبعد، ط١، دار العلم، (بيروت، ١٩٧١).

(ب). الكتب الأجنبية:

1. Eugene L. Rogan and Avi Shlaim, The War for Palestine Rewriting the History of 1948, University of Oxford, Second Edition, (UK, 2007).
2. Eric Engel Tuten, Between Capital and Land: The Jewish National Fund's finances and land-purchase priorities in Palestine, 1939-45, First published, by Routledge Curzon, (New York, 2005).

سادساً: البحوث والدراسات العلمية:

١. حنه شاهين، "المواجهة الإسرائيلية العربية الأولى ١٩٤٨ وأثرها على وضع الشعب الفلسطيني"، مجلة شؤون فلسطينية، العدد ١٠٩، مركز الأبحاث - منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، كانون الأول ١٩٨٠.
٢. سنية الحسيني، "تشكل الكيانية الفلسطينية"، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد ١٣١، منشورات مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ٢٠٢٢.
٣. العسلي، بسام، "الحرب العربية الاسرائيلية الأولى قراءة جديدة"، مجلة شؤون عربية، العدد (٥٥)، السنة ١٩٨٨.
٤. العمر، سلوى، "قراءاتي في مراسلات تدويل القضية الفلسطينية وتعريبها (١٩٤٥ - ١٩٤٩)"، مجلة شؤون فلسطينية، العدد ١٢٩ - ١٣٠ - ١٣١، منظمة التحرير الفلسطينية - مركز الأبحاث، بيروت، ١٩٨٢.
٥. عيدان، يوسف محمد، "الصراع العربي الإسرائيلي ١٩٤٨ - ١٩٧٣ شهادات اسرائيلية"، مجلة جامعة الانبار للعلوم الانسانية، العدد ٥٠، ٢٠٢٠، ص ٢١٨.
٦. اللهبي، أديب صالح عبد، "حكومة عموم فلسطين دراسة في ظروف النشأة وآلية الانهيار"، مجلة جامعة كركوك، مج ٨، العدد ٢٩، كلية التربية، ٢٠١٢.
٧. مصطفى، جمال محمد، "الأمم المتحدة وتطورات القضية الفلسطينية (مشروع التقسيم في ضوء الوثائق والسجلات)"، د.ع، كلية الآداب، الجامعة العربية الأمريكية، جنين، د.ت، ص ١٦.
٨. هيئة التحرير في ذكرى النكبة ١٩٤٨: حرب الأيام العشرة ونهاية المعارك"، مجلة المقتطف المصري التاريخية، العدد ٣، السنة الأولى، ٢٠١٥.

سابعاً: الموسوعات والقواميس:

١. أفرايم وتلمي، مناحيم، معجم المصطلحات الصهيونية، ترجمة: احمد بركات العجرمي، ط١، دار الجليل للنشر، (عمان، ١٩٨٨).
٢. الكيالي، عبدالوهاب، موسوعة السياسة، ج ١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دار الهدى، (بيروت، ١٩٧٩).

ثامناً: شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت):

١. سيرة راجب النشاشيبي"، الموسوعة التفاعلية للقضية الفلسطينية، متاح على الموقع الالكتروني:
<https://www.palquest.org/ar/biography/>
٢. سيرة محمد أمين الحسيني"، الموسوعة التفاعلية للقضية الفلسطينية، متاح على الموقع الالكتروني:
https://www.palquest.org/ar/biography

دور المملكة العربية السعودية في الحفاظ على أمن الخليج العربي أثناء الحرب العراقية الإيرانية
(١٩٨٠-١٩٨٢) "دراسة وثائقية"

**The Role of the Kingdom of Saudi Arabia in Maintaining the Security
of the Arabian Gulf During the Iran-Iraq War (1980-1982)
"Documentary Study"**

د. مترك بن تركي بن درع السبيعي

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المشارك بجامعة الطائف

Dr. Mtraq bin Turki bin Diraa Al-Subaie

Associate Professor of Modern and Contemporary History, Taif University

abotm2008@gmail.com

ملخص

تتحدث الدراسة عن دور المملكة العربية السعودية في الحفاظ على أمن الخليج العربي أثناء الحرب العراقية الإيرانية ١٩٨٠-١٩٨٢م "دراسة وثائقية"، حيث أن عهد الملك خالد بن عبدالعزيز -رحمه الله- الذي امتد من ٢٥ مارس ١٩٧٥ حتى ١٣ يونيو ١٩٨٢م؛ شهد في نهايته اندلاع المرحلة الأولى من الحرب العراقية الإيرانية منذ سبتمبر ١٩٨٠، وذلك مما كنف التوجهات الأمنية للسياسة الخارجية السعودية، وكذلك الداخلية -التي أظهرتها الدراسة- وذلك من خلال الجهود الكبيرة التي بذلتها حكومة المملكة العربية السعودية في الحفاظ على أمن العراق، ومساعدته خشية انهياره أمام الأطماع الإيرانية التي أظهرها ذلك النظام في الخليج العربي.

كما تبرز الدراسة التدابير السعودية العديدة التي اتخذتها لحفظ أمنها الداخلي من خلال استيراد أحدث أنواع الأسلحة للقوات المسلحة السعودية، والتباحث حول المسائل الأمنية مع القوى العظمى، وكان كذلك من أبرز تلك التدابير حصول سلاح الجو السعودي على طائرات الأوكس الرادارية لتأمين الأجواء السعودية من أية أخطار أو تهديدات ناتجة عن هذه الحرب.

أيضا تحدثت الدراسة عن الجهود السعودية لحفظ أمن دول الخليج العربي مجتمعة، حيث دفعت الأعمال العدائية بين العراق وإيران إلى إسراع الحكومة السعودية في محاولة تأمين أشقائها في الخليج العربي، وعقد عدد من الاتفاقات الأمنية الثنائية، وظهر ذروة ذلك النشاط بإنشاء مجلس التعاون الخليجي؛ الذي ضم الدول الخليجية الست، والذي كان علامة فارقة في تاريخ المنطقة وتاريخ تضامن شعوبها الأخوي.

كلمات مفتاحية:

المملكة العربية السعودية، الملك خالد بن عبدالعزيز، الحرب العراقية الإيرانية ١٩٨٠-١٩٨٢، الأمن السعودي.

Abstract

The study discusses the role of the Kingdom of Saudi Arabia in maintaining the security of the Arabian Gulf during the Iran-Iraq War 1980-1982 AD "Documentary Study", as the reign of King Khalid bin Abdulaziz - may God have mercy on him - which extended from March 25, 1975 to June 13, 1982 AD; witnessed at its end the outbreak of the first phase of the Iran-Iraq War since September 1980, which intensified the security orientations of Saudi foreign policy, as well as the internal policy - which the study showed - through the great efforts made by the government of the Kingdom of Saudi Arabia to maintain the security of Iraq, and to help it for fear of its collapse in the face of the Iranian ambitions that that regime showed in the Arabian Gulf.

The study also highlights the many Saudi measures it took to maintain its internal security by importing the latest types of weapons for the Saudi armed forces, and discussing security issues with the great powers, and one of the most prominent of these measures was the Saudi Air Force obtaining AWACS radar aircraft to secure Saudi airspace from any dangers or threats resulting from this war.

The study also talked about Saudi efforts to preserve the security of the Arab Gulf states as a whole, as the hostilities between Iraq and Iran prompted the Saudi government to hasten its attempt to secure its brothers in the Arab Gulf, and to conclude a number of bilateral security agreements. The peak of this activity appeared in the establishment of the Gulf Cooperation Council, which included the six Gulf states, and which was a turning point in the history of the region and the history of the brotherly solidarity of its peoples.

Keywords:

The Kingdom of Saudi Arabia, King Khalid bin Abdulaziz, the Iran-Iraq War 1980-1988, Saudi security.

جاءت تلك الدراسة بعنوان: دور المملكة العربية السعودية في الحفاظ على أمن الخليج العربي أثناء الحرب العراقية الإيرانية (١٩٨٠ - ١٩٨٢) "دراسة وثائقية"، في مقدمة وثلاثة عناصر وخاتمة وملحق لهوامش البحث، وهي كالتالي:

أولاً: اندلاع الحرب العراقية الإيرانية، والجهود السعودية لحماية أمن العراق.

ثانياً: تدابير المملكة العربية السعودية لحفظ أمنها الداخلي في خضم الحرب العراقية الإيرانية.

ثالثاً: جهود المملكة العربية السعودية لحماية دول الخليج العربي من مخاطر الحرب العراقية الإيرانية.

وقد اعتمدت الدراسة على عدد كبير ومهم من وثائق وزارة الخارجية البريطانية، ووثائق الخارجية الأمريكية ووثائق وكالة الاستخبارات الأمريكية، والمنشورات الرسمية لمجلس التعاون الخليجي، وغيرها من

المنشورات ذات الصلة، والتصريحات الرسمية الصادرة في الصحف السعودية والعالمية، وعدد من المراجع العربية والأجنبية ذات الشأن؛ والتي ساهمت في وصول الدراسة لصورتها الحالية.

مقدمة

على إثر استشهاد الملك فيصل بن عبدالعزيز -رحمه الله- في ١٣ ربيع الأول ١٣٩٥هـ/ الموافق ٢٥ من مارس ١٩٧٥م بايع كافة الشعب السعودي جلالة الملك خالد بن عبدالعزيز -رحمه الله-^(١)، ملكاً على المملكة العربية السعودية، والذي اندلعت في عهده شرارة الحرب العراقية الإيرانية ١٩٨٠ - ١٩٨٨م، كما بويع صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبدالعزيز -رحمه الله-^(٢) آنذاك ولياً للعهد ونائباً أول لرئيس مجلس الوزراء، واختير صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز -رحمه الله- نائباً ثانياً لرئيس مجلس الوزراء^(٣).

(١) جلالة الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود -رحمه الله- حكم من (١٩٧٥ إلى ١٩٨٢) [الحاكم التاسع عشر في أسرة آل سعود، المولود عام ١٩١٢، كان الملك خالد ثالث أبناء الملك عبد العزيز الذين خلفوا الوالد المؤسس في العرش كملك للمملكة العربية السعودية، وعمل نائباً لأخيه الأكبر الملك فيصل، وتم تعيينه نائباً أول لرئيس الوزراء عام ١٩٦٤ وولي للعهد عام ١٩٦٥، واعتلى الملك خالد العرش بعد وفاة الملك فيصل عام ١٩٧٥، وتولى في الوقت نفسه منصب رئيس الوزراء، وخلفه في الحكم أخيه جلالة الملك فهد بن عبدالعزيز عند وفاته في عام ١٩٨٢ -رحمهم الله جميعاً-،

_ J. E. Peterson; Historical Dictionary of Saudi Arabia, Second Edition, The Scarecrow Press, Inc., Oxford, 2003, P.82

(٢) تولى الملك فهد بن عبد العزيز الحكم في ١٣ يونيو ١٩٨٢، وهو الابن السادس للملك عبد العزيز بن سعود مؤسس الأسرة السعودية، وكان قد تولى ولاية العهد منذ عام ١٩٧٥، وكان قد أسس وزارة التعليم عام ١٩٥٥، وأصبح وزيراً للداخلية عام ١٩٦٢، وعين نائباً ثانياً لرئيس الوزراء عام ١٩٦٤ في عهد الملك فيصل بن عبدالعزيز، كما اكتسب خبرة في الإدارة، فتولى رئاسة المجالس العليا للنقط، ومهام لها علاقة بالجامعات والأمن القومي والحج، وتولى مهام خارجية أخرى مهمة، وفي عام ١٩٧٤ وقع معاهدة تعاون اقتصادية وعسكرية كبرى مع الولايات المتحدة، وقام بزيارات متكررة إلى الخارج إبان ولايته للعهد، بما في ذلك ألمانيا الغربية ١٩٧٩، ومصر وسوريا والعراق والأردن ١٩٧٨، والولايات المتحدة ١٩٧٧، وبريطانيا وفرنسا وإيران ١٩٧٥،

_ The Times of India; Jun 14, 1982, p. 9, New Saudi king, Fahd, a moderate

(٣) هيئة التحرير (مؤلف): خالد بن عبدالعزيز الملك الإنسان ١٣٣٣ - ١٤٠٢ هـ / ١٩١٤ - ١٩٨٢، مجلة الدارة، دارة الملك عبدالعزيز، مجلد ٨، عدد ١، يوليو ١٩٨٢، ص ٢

وكان للتعاون المتبادل بين المملكة العربية السعودية ونظام الشاه الإيراني محمد رضا بهلوي دوره المهم في استقرار أمن الخليج العربي؛ في أعقاب الانسحاب البريطاني منه في أوائل السبعينيات، كما حد من التدخل الخارجي في شؤون الخليج، ومنع التعدي الشيوعي على المنطقة، في وقت كان العراق _آنذاك_ معزولاً سياسياً من كل دول الخليج العربي لسياسته التحريضية، حتى بذل منذ توقيعه على اتفاق الجزائر مع إيران عام ١٩٧٥، جهوداً منسقة لتغيير وجهة النظر تلك وللحد من عزلته، وعلى الرغم من استمرار انعدام الثقة فقد تم الترحيب بالجهود العراقية الرامية إلى تعزيز التضامن العربي؛ ونظرت المملكة العربية السعودية إلى ذلك كفرصة لإبعاد بغداد عن النفوذ السوفييتي^(١).

شهدت تلك الفترة تغيرات إقليمية كبيرة شكلت بدورها عناصر مهمة في معادلة الأمن التي حرصت عليها الدبلوماسية السعودية ما دفعها لتكثيف علاقات التنسيق السياسي مع العراق نظراً لدوره في وقف التأثيرات السلبية والهدامة للثورة الإيرانية ١٩٧٩، ولاعتباره كذلك بمثابة خط الدفاع الأول في حماية استقرار الأوضاع في منطقة الخليج العربية^(٢)، فمع اندلاع الثورة الإيرانية وجدت دول الخليج العربي نفسها أمام خطر استراتيجي واضح، إذ تحول النظام الإيراني من نظام متعاون إلى نظام يسعى بكل جهده ليكون بؤرة لتصدير عدم الاستقرار والتخريب في المنطقة، مما دفع المملكة خاصة ودول الخليج العربي عامة في التفكير في إمكانية التكتل لمواجهة ذلك الخطر^(٣).

ولا شك أن المملكة العربية السعودية سعت مخلصاً لحماية أمن واستقرار المنطقة ودولها وخاصة دول الخليج العربي الأخرى، الإمارات والكويت والبحرين وقطر وعمان، واعتبرت تلك الدول جزء من الجسد السعودي، واستشعاراً للأخطار التي تزايدت بشكل ملحوظ بعد الثورة الإيرانية؛ كانت رؤية المملكة العربية السعودية حول استعجال التعاون الأمني خطوة في الطريق الصحيح، وبالفعل كانت سنة ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م بدايةً لتوقيع العديد من الاتفاقيات الأمنية بين بعض دول الخليج بشكل ثنائي،

(١) CIA-RDP06T00412R000200020001-6, Tilting Toward Baghdad; Gulf States' Aid to Iraq, An Intelligence Assessment, of 24 January 1981.

(٢) أبو طالب، حسن: المملكة السعودية وظلال القدس، سينا للنشر، ١٩٩١م ص ٢٢٧

(٣) الرميحي، محمد: آثار الحرب العراقية - الإيرانية على الأوضاع في الخليج، مجلة شؤون عربية، جامعة الدول العربية - الأمانة العامة، عدد ٣٨، يونيو ١٩٨٤، ص ٥٧

وتبع ذلك اجتماع وزراء دفاع بعض دول الخليج باستثناء عمان في خميس مشيط في يونيو ١٩٧٩م؛ للتباحث حول مسألة المشاكل الدفاعية بالنسبة لجيوش تلك الدول، وفي سبتمبر ١٩٧٩م تم التشاور بين وزراء خارجية دول الخليج العربي الست والاتفاق على عقد اجتماعات طارئة لمناقشة الأمن بالنسبة لدولهم، وقد تم بالفعل عقد اجتماع بين الوزراء في مدينة الطائف، وتم بحث السبل المثلى للتدريبات الأمنية التي يجب اتخاذها لمواجهة الموقف المتأزم في المنطقة، وفي بداية سنة ١٩٨٠م بدأت الأمور تزداد سوء بسبب التهديدات المتبادلة بين العراق وإيران، وأصبح الهاجس الأمني الركيزة الأساسية للمشاورات المتواصلة بين قادة دول الخليج العربي؛ خاصة بعد أن ألغى النظام العراقي اتفاق الجزائر الموقع بينه وبين إيران في مارس ١٩٧٥م حول تقسيم شط العرب^(١).

كما كانت العلاقات السعودية الإيرانية قد وصلت لأدنى مستوى لها جراء الدعاوى التخريبية الإيرانية خلال سنة ١٩٨٠، ففي أبريل ١٩٨٠ جاء في نشرة ورقية تحت اسم (صوت الثورة الإسلامية في شبه الجزيرة العربية، العدد الثاني، جمادى الآخرة، ١٤٠٠هـ) التابعة للحكومة الإيرانية مقالاً تخريبياً ضد المملكة، هاجمت فيه الاستقرار السعودي، كما دعت النظام العراقي بالنظام العميل^(٢).

والحال كذلك، لم تكن المملكة العربية السعودية معجبة بالرغبة الإيرانية في الإطاحة بالرئيس العراقي بداية عام ١٩٨٠، تطبيقاً والتزاماً بالقاعدة الدولية الرئيسية في "رفض تدخل الدول في الشؤون الداخلية للدول الأخرى"^(٣)، وقبيل بدء الحرب، وبناء على دعوة الملك خالد بن عبدالعزيز؛ زار الرئيس العراقي صدام حسين المملكة، والتقى بقادتها يومي ٥ و ٦ أغسطس ١٩٨٠، وأجرى مباحثات مع جلالة

(١) خياط، نوال محمد عبدالغني: الملك خالد بن عبدالعزيز آل سعود دراسة تاريخية وحضارية (١٣٣١ - ١٤٠٢) - (١٣١٩ - ١٩٨٢)، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ٢٠٠٣ م، ص ٧٤٤ - ٧٤٥

(٢) "Foreign And Commonwealth Office" FCO 8/ 3445, The Islamic Revolution, The Voice of the Oppressed People, The Voice of the Islamic Revolution in the Arabian Peninsula, No.2, Jumada II, 1400 AH, The Path of Revolution- The Nature of the Struggle

(٣) FCO 8/4286, Letter from H. B. Walker to FCO, Jun. 17, 1980, IRAN / IRAQ: UAE ROLE

الملك خالد بن عبد العزيز، وجاء في البيان المشترك الرغبة في ترسيخ مفهوم التضامن العربي، والعمل الدؤوب وتوحيد صفوفهم ونبذ خلافاتهم لتجنب الأمة العربية المخاطر^(١).

أولاً: اندلاع الحرب العراقية الإيرانية، والجهود السعودية لحماية أمن العراق:

في هذا الجو العام قامت الحرب لحرص قادة كلاً من الدولتين -إيران والعراق- لتتصيب نفسه كحارس على منطقة الخليج^(٢)، حيث اندلعت شرارة الأزمة بمناوشات حدودية منذ ٤ سبتمبر ١٩٨٠ وتبادلت قوات الطرفين قصف المخافر والقصبات النائية والسواثر الترابية، إلا أن هذه المناوشات ما لبثت أن تحولت في ٢٢ سبتمبر ١٩٨٠ إلى حرب ضروس حيث وجهت القوة الجوية العراقية ضربة شاملة لإيران التي ردت بقوة^(٣).

وقد أعلنت المملكة في الأسبوع الأول من الحرب أنه ليس من مصلحة أي دولة في المنطقة تفكيك إيران أو حتى هزيمة العراق، كما شعرت الحكومة السعودية بقلق أكبر من أن تمتد الحرب إلى الدول العربية الأخرى على ساحل الخليج، وقد أكد الأمير سعود الفيصل وزير خارجية المملكة خشيته أن تتحول الحرب إلى صراع دولي أوسع نطاقاً وتأثيراً، وأعرب عن إمكانية تسوية الحرب من خلال حل دبلوماسي للخلافات بين البلدين، لكنه قال ما أظهر ميوله العربية في الوقت نفسه: "لا يوجد تهديد من الدور الذي يلعبه العراق في المنطقة"^(٤).

(١) FCO 8/ 3709, text of the press release issued on 6th august 1980 upon the conclusion of the state visit paid by h.e. president Saddam Hussein to Saudi Arabia.

(٢) السعدون، عبدالرازق بن خالد: العلاقات السعودية الإيرانية من التوتر إلى التقارب (١٩٨٣ - ٢٠٠٠)، مجلة بحوث دبلوماسية، وزارة الخارجية - معهد الدراسات الدبلوماسية، عدد ١١، ٢٠٠٢، ص ٢٦١

(٣) الحجاج، خليل إبراهيم: دور الحرب العراقية - الإيرانية: في تأزيم العلاقة بين العراق ودول الخليج العربية، مجلة المنارة للبحوث والدراسات، جامعة آل البيت - عمادة البحث العلمي، مجلد ١٣، عدد ٧، ٢٠٠٧، ص ٢٨٨

(٤) Wall Street Journal; Sep 30, 1980, p. 2, U.S. Is Cautioned Against Overreacting In Persian Gulf by Saudis' Top Diplomat, By Walter S. Mossberg And Karen Elliott House

واتضح أن التأييد السياسي للعراق ناتج لما رآته المملكة بأن المعركة هي معركة عربية قومية، وأنها دفاعاً عن الحدود الشرقية للوطن العربي^(١)، حتى لو كان النظام العراقي مصدراً للقلق بالنسبة لجيرانه العرب^(٢)، واتخذت معظم دول الخليج العربي موقفاً داعماً للعراق في الحرب ضد عدو مشترك يمكنه أن يهدد مصالحهم وتجانس مجتمعاتهم، خاصة وأن إيران تسيطر على المضيق الذي يمثل متنفساً مهماً لهم على مختلف المستويات، وأهمها المستوى الاقتصادي حيث تعبر ناقلات النفط^(٣).

وبحثت الوثائق البريطانية حول احتمالية أن تكون المملكة العربية السعودية قد أبلغت مسبقاً بالحرب، إلا أن الخارجية الأمريكية رأت أن تلك الاحتمالية أمراً غير منطقي، وأكد الأمير سعود الفيصل وزير خارجية المملكة بأن الحكومة السعودية لم تتلق أي إشارة من العراقيين قبل شن هجومهم^(٤)، وفي الوقت نفسه استمر موقف المملكة المناوئ للنظام الإيراني خلال الحرب، إذ شعرت بعدم الارتياح والقلق من ذلك النظام، وأملت أن تضعفه الحرب، وبالتالي تقلل من إمكاناته التخريبية ضد دول الخليج العربي، لكنها كانت قلقة على نقل النفط عبر الخليج العربي؛ ما جعلها تحرص منذ بدء الحرب على بذل جهودها لإنهاءها بالطرق السلمية حفاظاً على أمن الخليج العربي^(٥).

لكن سريعاً تحدد توجه المملكة العربية السعودية من الحرب بتأييدها الموقف العراقي؛ وذلك من خلال اتصال جلالة الملك خالد بن عبدالعزيز -رحمه الله- هاتفياً بالرئيس العراقي في ٢٥ سبتمبر ١٩٨٠؛ معبراً عن دعم المملكة للشعب العراقي، كما عرضت المملكة استعدادها لاستخدام مطاراتها

(١) العمر، صفاء صالح: الحرب العراقية - الإيرانية والموقف الدولي، مجلة الخليج العربي، جامعة البصرة - مركز دراسات البصرة والخليج العربي، مجلد ١٤، عدد ٢، ١٩٨٢، ص ٣٣

(٢) May Darwich: Threats and Alliances in the Middle East: Saudi and Syrian Policies in a Turbulent Region, Cambridge University Press, 2019, P.54

(٣) الحجاج، خليل إبراهيم: دور الحرب العراقية - الإيرانية: في تأزيم العلاقة بين العراق ودول الخليج العربية، مجلة المنارة للبحوث والدراسات، جامعة آل البيت - عمادة البحث العلمي، مجلد ١٣، عدد ٧، ٢٠٠٧، ص ٢٨٩

(٤) FCO 8/ 3748, Letter from British Embassy in Washington, to FCO London, 10 November 1980, Iran/Iraq War: Did The Saudis Know In Advance?

(٥) الكواز، محمد سالم: العلاقات السعودية الإيرانية ١٩٧٩ - ٢٠١١ دراسة تاريخية سياسية، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٣، ص ٢٩

كملاجئ للطائرات العراقية^(١)؛ ما جعل الحكومة البريطانية تستفسر في الأول من أكتوبر ١٩٨٠ عن مدى صدق الشائعات بأن هناك اثنتي عشرة طائرة عراقية أو نحو ذلك هبطت في داخل المملكة^(٢)، وقد عبر الملك خالد عن ذلك الموقف بحزم شديد بقوله: (قامت المملكة بمساعدة العراق على إيران للحفاظ على بقاء العراق)^(٣)، وعقدت العزم منذ بداية الحرب على مساعدة العراق ماليًا، وعدم تركه فريسة أمام آلة الحرب الإيرانية^(٤).

وقد توقعت الدوائر الإعلامية الدولية أن تكون إحدى نتائج حرب الخليج تأكيد الأهمية المطلقة للمملكة كقوة إقليمية لا غبار على وجودها، حتى مع دعمها الصريح للشعب العراقي الذي وجد فيها المأوى الأمين لهم ولطائراتهم؛ مما أكد أن المملكة أصبحت اللاعب الأهم في معادلة الأمن الإقليمية في المنطقة^(٥).

وقد فهمت القوى العظمى ما ألقته تلك التطورات من عبء على كاهل المملكة لحفظ أمن المنطقة، وطالبت بريطانيا المملكة العربية السعودية بضبط النفس محذرة من أن النظام الإيراني في حال يأس في المعركة فقد تكون ضرباته الانتقامية شديدة الخطورة تجاه دول الخليج العربي، وعليه رأت أنه من الضروري مواصلة الحوار بين المملكة العربية السعودية والولايات المتحدة وبريطانيا، على أن يتم طرح تلك المخاوف مع الأمير سعود الفيصل وزير الخارجية السعودي في اجتماع الأمم المتحدة في نيويورك

(١) الشمري، عمار ظاهر مصلح: العلاقات السعودية الإيرانية ١٩٧٩ - ١٩٩١ م، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية،

جامعة الموصل - كلية التربية الأساسية، مجلد ٩، عدد ٣، حزيران ٢٠١٠، ص ٤٧٧

_ الشرع، عباس جبار: مواقف تجاه الحرب العراقية - الإيرانية في الدوريات العربية والاجنبية، مجلة الخليج العربي، جامعة

البصرة - مركز دراسات البصرة والخليج العربي، مجلد ١٣، عدد ٤، ١٩٨١، ص ١٨٣

(٢) FCO 8/ 3748, Telegram No. 714, from Jedda to FCO. London, Oct. 1, 1980, Iran/ Iraq

(٣) هاشم عبيد: الدور السعودي في الخليج، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة بالرياض، ١٤١٤هـ، ص ٦١

(٤) FCO 8/ 3445, call on minister of state by shaikh Khalid bin saor al rasest qasimi deputy ruler of ras al khaimah, on Thursday 6 November at the FCO, Nov. 6, 1980

(٥) Chicago Tribune; Nov 19, 1980, p. C2, Saudi Arabia may be a big winner in war in Middle East, By. Stokes, John

في أكتوبر ١٩٨٠^(١)، للوقوف على تطورات الموقف السعودي^(٢)، وقد كان هنالك تنسيقاً ومشاورات على أعلى مستوى بين الأمير فهد بين عبدالعزيز ولي العهد، والأمير سلطان بن عبدالعزيز وزير الدفاع السعودي من جهة وبين الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا من جهة أخرى لضرورة إبقاء الخليج العربي وخاصة مضيق هرمز مفتوحاً دون أن يتأثر بالحرب^(٣).

وإبان اجتماع الأمم المتحدة في نيويورك في أكتوبر ١٩٨٠ أكد الأمير سعود الفيصل أن المملكة عبرت عن قلقها للولايات المتحدة بشأن الخطة الأمنية الأمريكية بالتدخل في الحرب، والمعارضة السعودية لها، ورأى (أن الإفراط في التعامل مع تهديدات لم تحدث هو خطر يجب تجنبه)، وأشار إلى أن المملكة تدرك أن النظام الأمريكي لديه (مسؤولية خاصة في الحفاظ على السلام في العالم)، لكنه طلب منها عوضاً عن ذلك (تخفيف التوتر) في حرب الخليج^(٤)، فقد كان جل اهتمام المملكة منصب في إبعاد أي تدخل خارجي سواء من الدول الكبرى أو غيرها، وهو ما أكدته الأمير سعود الفيصل في كلمته أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في ٣ أكتوبر ١٩٨٠ - حيث أوضح أن المملكة شعرت بعميق الأسى والألم لاندلاع تلك الحرب، داعياً المولى عز وجل لإنهاءها، وحقق الدماء، وإعادة الأمن والسلام لهذين البلدين، وكذلك رحب باستجابة الحكومة العراقية لقرار وقف إطلاق النار وإعلانها من طرف واحد الالتزام به، واعتبر أن ذلك شكل خطوة وبادرة طيبة للمساعدة في تحسين الأجواء، وداعياً الحكومة الإيرانية لاستجابة مماثلة لوقف إطلاق النار، ودعم جهود لجنة المساع الحميدة التي شكلها المؤتمر الإسلامي^(٥)، وقال: (إننا ندعو الله تعالى أن تنسق جهود منظمة المؤتمر الإسلامي والأمم المتحدة لإنهاء أسباب هذا

(١) FCO 8/ 3742, Telegram No. 560, from FCO. London to Jedda, Sep. 30, 1980, Iran/Iraq.

(٢) FCO 8/ 3742, Telegram No. 801, from FCO London to New York, Oct. 2, 1980, Iran/Iraq.

(٣) FCO 8/ 3748, Telegram No. 759, from Jedda to FCO, Oct. 16, 1980, Iraq/ Iran

(٤) **The Washington Post**; Sep 28, 1980, p. A16, Saudis Reject Calls for Joint Naval Force in Gulf, By David F. Ottaway

(٥) **الأمم المتحدة، الجمعية العامة: الدورة الخامسة والثلاثون، محضر حرفي مؤقت للجلسة الثالثة والعشرون المعقودة بنيويورك يوم الجمعة ٣ أكتوبر ١٩٨٠، كلمة الأمير سعود الفيصل (المملكة العربية السعودية) فقرة ١٠٢.**

الخلاف، وحقن الدماء وإعادة الأمن والسلام لهذين البلدين، كما نشير بالتقدير بالدور الذي قام به الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي، ونعتبر أن تلك المبادرة خطوة أولى، نأمل معها الاستمرار إلى أن يتم إنهاء الخلاف بين البلدين^(١).

وفي ٦ أكتوبر ١٩٨٠ صرح الأمير سعود الفيصل بأن استمرار الحرب مع حساسية المنطقة والتطورات الهائلة التي تمر بها أمراً خطيراً، وشدد على ضرورة ألا يتسع نطاق الحرب بتدخل أجنبي، وأشار صراحة إلى أن العراق دولة عربية، وعضو في الجامعة العربية، وأن هناك تأييد من جانب المملكة لأي دولة عربية في أي نزاع، لكن المسألة ليست تأييدها لأجل هزيمة إيران، لأن هذه مشكلة بين دولتين إسلاميتين، وهي حرب أشقاء وليست حرب أعداء؛ ولهذا فإن المملكة عملت كل ما في وسعها من أجل إنهاء الحرب، وأشار إلى أن الملك خالد بن عبدالعزيز أرسل برقية للرئيس العراقي أوضحت موقف المملكة؛ لكنه في الوقت نفسه انتقد التصريحات الإيرانية بأنها سوف تهاجم أي دولة تساعد العراق، باعتبارها تصريحات عدائية تضر بمساعي وقف الحرب، ملوحاً أنه في حال حدوث هجوم إيراني على دول الخليج فإن هناك مسؤوليات عربية مشتركة وفق ميثاق الجامعة العربية والدفاع المشترك بين دول الخليج؛ تعمل بموجبها هذه الدول^(٢)، حيث كانت إيران قد أعلنت استعدادها لفتح جبهة ضد دول الخليج لمساندتهم للعراق^(٣)، فكان على المملكة أن تتخذ إجراءات احترازية للحفاظ على أمن الخليج العربي^(٤).

وفي تصريح أدلى به الأمير سعود الفيصل؛ جاء فيه: (كان هناك أمل كبير في إنهاء الحرب العراقية - الإيرانية حيث أن إطالة الحرب في أي بلد غير مقبولة من الناحية الإنسانية، فكيف يكون ذلك إذا كانت الحرب يشارك فيها بلد عربي تجمعنا به أقوى الروابط)، كما أن الأمير فهد بن عبدالعزيز

(١) اليوم: عدد ٢٩٩٤، ٥ أكتوبر ١٩٨٠، ص ١، الحرب العراقية الإيرانية وأزمة الشرق الأوسط، محور مناقشات الأمم المتحدة، خطاب شامل لوزير الخارجية في المنظمة الدولية.

(٢) Arab News; Oct. 7, 1980, Saudi Arabia, P.1, Saud promises Arab states defense if Iranians attack.

(٣) السعودون، عبدالرازق بن خالد: العلاقات السعودية الإيرانية من التوتر إلى التقارب (١٩٨٣ - ٢٠٠٠)، مجلة بحوث دبلوماسية، وزارة الخارجية - معهد الدراسات الدبلوماسية، عدد ١١، ٢٠٠٢، ص ٢٤٦.

(٤) المسعود، أشرف بن ثامر بن نزال: سياسة المملكة العربية السعودية تجاه القضايا العربية المعاصرة في المشرق العربي ١٩٨١ - ١٩٩١م، رسالة دكتوراه، جامعة مؤتة، ٢٠١٧، ص ١٧٦.

ولي العهد -آنذاك- قال: (إننا لسنا طرفاً في الحرب ولكننا طرف عربي متكامل)، وأضافت وزارة الدفاع السعودية: (لو استمرت الحرب بين العراق وإيران فإن دول الخليج العربية لن ترى مناصاً من اتخاذ موقف واضح إزاء هذا الخطر)^(١).

ومع استمرار العمليات القتالية توقفت صادرات النفط من العراق، وانخفضت الصادرات الإيرانية إلى ٢٠٠ ألف برميل يومياً أو أقل^(٢)، وطمأنت المملكة العربية السعودية الدول المستهلكة لنفط دولتي النزاع في أكتوبر ١٩٨٠ أنها ستزيد إنتاجها لمواجهة العجز الناتج عن الحرب^(٣)، فقد أجبر الانقطاع المفاجئ لـ ٣.٥ مليون برميل من النفط يومياً المملكة لذلك التحرك لسد العجز ولتأمين الموقف العراقي، بزيادة إنتاجها بمقدار مليون برميل يومياً^(٤)، ووعدت بتعويض النقص في إمدادات العملاء الرئيسيين للخام العراقي^(٥)، حيث ساهم استمرار القتال بتوسيع إنتاج المملكة من النفط^(٦) بمقدار ١ مليون برميل يومياً^(٧)، لاسيما وأنها كانت أكبر مصدري منظمة أوبك^(٨)، ولا يمكن النظر لتلك الزيادة دون التأكيد أن المملكة قدمت في الناحية الأخرى دعماً مالياً وعسكرياً للعراق بلغ حوالي ٢٥ مليار دولار أمريكي آنذاك^(٩).

(١) محمد سالم الكواز: مرجع سابق، ص ٢٩، ٣٠

(٢) FCO 8/ 3709, Weekly Energy Report – 22 October 1980, Opec

(٣) Ramon Knauerhase: Saudi Arabia's foreign and domestic policy, Current History, Jan. 1981, Vol. 80, Issue. 462, p.21

(٤) New York Times; Oct 16, 1980, p. D1, Iran-Iraq War a Setback To Saudi Role in OPEC: News Analysis Impetus, By Youssef M. Ibrahim

(٥) The Times of India; Oct 11, 1980, P.9, Saudi Arabia to supply crude to Iraq's clients

(٦) S. Fred Singer: Saudi Arabia's Oil Crisis Policy Review; Summer. 1982, Issue 21, p. 88

(٧) Los Angeles Times; Oct 22, 1980, p. F2, To Meet Iran-Iraq Shortfall.

(٨) New York Times, Oct 16, 1980, P. D.1, Analysis; Iran-Iraq War A Setback TO SAUDI ROLE IN OPEC, By. Ibrahim, Youssef M.

(٩) May Darwich: Threats and Alliances in the Middle East: Saudi and Syrian Policies in a Turbulent Region, Cambridge University Press, 2019, P.59

كما أعاد الأمير **فهد بن عبدالعزيز**-ولي العهد- التأكيد على ضرورة الاستمرار في محاولة التوصل إلى حل سلمي حتى لو كان ذلك يبدو احتمالاً صعب المنال؛ خاصة وأن إيران بدت غير متجاوبة مع جهود لجنة النوايا الحسنة التي شكلها المؤتمر الإسلامي، ولقد أظهر **الأمير فهد** تعاطفاً مع موقف العراق، وكان غاضباً من الطبيعة الفوضوية للنظام الإيراني^(١)، وفي الوقت نفسه أعرب عن تصوره الشخصي بأن الرئيس العراقي قد أبدى من المرونة الشيء الكثير الذي يعبر عن قناعة تامة بأنه يريد أن يضع الأمور في نصابها الصحيح، وأن تأخذ كل دولة حقوقها المشروعة^(٢).

وفي ٢٨ ديسمبر ١٩٨٠ أعلنت المملكة إنها ستطلب من زعماء المؤتمر الإسلامي التوسط لإنهاء الحرب أثناء اجتماعهم في ١٤ يناير ١٩٨١ في مكة والطائف، وأعلن وزير الإعلام السعودي **محمد عبده يمانى** أن ذلك الاجتماع سيبحث قرارات عادلة تحفظ حقوق الطرفين داخل أراضيهم، وأن جميع الدول الإسلامية بما في ذلك إيران والعراق، قبلت الدعوات لحضور المؤتمر، وذكرت تقارير دولية أن المملكة سترعى قراراً لوقف إطلاق النار في المؤتمر، وستسعى إلى إحياء لجنة النوايا الحسنة؛ خشية أن تؤدي إطالة الحرب إلى مواجهة بين القوتين العظميين^(٣)، وهو ما جاء في بيانات منفصلة قبيل عقد القمة الإسلامية، وذكرت تقارير سعودية وكويتية أن البلدين سيرعيان قراراً لوقف إطلاق النار في القمة^(٤).

اجتمع وزراء خارجية المؤتمر الإسلامي في مكة والطائف في ١٧ يناير ١٩٨١ للتحضير لمؤتمر القمة في ٢٥ يناير الذي تقرر أن يتناول قضية الحرب للبحث عن طريقة لإنهائها، وقد أعلنت إيران أنها ستقاطع الاجتماع إذا حضره الرئيس العراقي^(٥)، وبالفعل تمسكت بعدم الحضور^(٦)، وعلى ذلك النحو ترأس

(١) FCO 8/ 3748, Telegram No. 774. from Jedda to FCO. London, Oct. 30, Iran/ Iraq

(٢) الجزيرة: ٣٠ نوفمبر ١٩٨٠، الفهد في حديث صحفي، المملكة طرف عربي متكامل في الحرب العراقية الإيرانية، نقلاً عن، <https://kkb.kkf.org.sa/>

(٣) **New York Times**; Dec 29, 1980, p. A11, Arab summit talks may act in Iraq war

(٤) **Chicago Tribune**; Dec 29, 1980, p. E6, Islamic summit, Kuwait urge mediation in gulf war

(٥) **New York Times**; Jan 17, 1981, p. 2, Islamic Conference Is Preparing Summit Meeting in Saudi Arabia

(٦) **New York Times**; Jan 24, 1981, p. 8, Iran Holds to Refusal to Attend Islamic Meeting in Saudi Arabia, By. Pranay B. Gupte

الملك خالد بن عبدالعزيز -رحمه الله- القمة الإسلامية الثالثة في مكة والطائف، وتضرع إلى الله أن يجمع كلمة المسلمين على الحق وأن يسدد خطاهم^(١)، كما حذر جلالة الملك أبناء دينه من الانغماس تحت مظلة قوة عظمى، ودعا اخوانه القادة إلى نبذ خلافاتهم وحلها^(٢)، وفي ذلك الاجتماع تأكد للجميع أن المملكة العربية السعودية هي أكثر الدول التي حملت على عاتقها مصالح العرب والمسلمين، وفي إطار العمل على إيجاد حل لوحدة المسلمين في مواجهة الانقسامات المريعة^(٣).

وتتويجا للجهود السعودية جاء قرار اجتماع القمة في ٢٨ يناير؛ حيث وجه النداء لكل من إيران والعراق بتسهيل مهمة لجنة المساعي الحميدة التي شكلت من الدول الإسلامية وشملت الأمين العام للمنظمة مع ممثلين من السنغال وجامبيا وباكستان وبنجلادش وتركيا وغينيا ومنظمة التحرير الفلسطينية، ودعوة الطرفين إلى الوقف الفوري لإطلاق النار، والموافقة على تشكيل قوة إسلامية للرقابة يعهد إليها مراقبة وقف إطلاق النار عند الضرورة بناء على توصية لجنة المساعي الحميدة^(٤)، وتقرر ذلك في حضور الرئيس العراقي مع غياب كامل الوفد الإيراني^(٥).

وفي ظل عدم ذلك التجاوب الإيراني؛ أفادت تقارير دولية أن المملكة العربية السعودية ودول الخليج العربي الأخرى تعاونت خلال شهر يناير ١٩٨١ في شحن الأسلحة-بما في ذلك الدبابات- إلى العراق لاستخدامها في الدفاع عن نفسها ضد العدوان الإيراني، وأن حوالي ١٠٠ دبابة سوفيتية الصنع من طراز T-54 و T-55، مشحونة من دول أوروبا الشرقية، تم تفريغها في الموانئ السعودية على البحر

(١) هيئة التحرير (مؤلف): خالد بن عبدالعزيز الملك الإنسان ١٣٣٣ - ١٤٠٢ هـ / ١٩١٤ - ١٩٨٢، مرجع سابق، ص ٥

(٢) Los Angeles Times; Jan 26, 1981, p. B4, 'Cleanse Jerusalem,' Saudi King Urges: But Rituals Overshadow Rhetoric as Islamic Summit Begins, By. Schanche, Don A

(٣) New York Times; Feb 1, 1981, p. 11, Saudis gain credit at Islamic meeting: diplomats say they brought, by. Pranay b. Gupte

(٤) الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامي: القرارات السياسية التي وافق عليها مؤتمر القمة الإسلامي الثالث (دورة فلسطين والقدس الشريف)، مكة المكرمة ١٩ - ٢٢ ربيع الأول ١٤٠١ هـ الموافق ٢٥ - ٢٨ يناير ١٩٨١م، ص ٣١ قرار رقم ٦ / ٣ ق أ بشأن النزاع العراقي الإيراني.

(٥) Wall Street Journal; Jan 26, 1981, p. 25, Saudi Arabia Calls On Islamic Summit To Shun Big Powers, By. David Ignatius

الأحمر ليتم نقلها بالشاحنات لمسافة ٩٠٠ ميل إلى الحدود العراقية، وحتى إن كان ذلك العدد من الدبابات السوفيتية لم يعتبر كافياً لترجيح كفة الميزان في الحرب للجانب العراقي ولكن تلك البادرة أظهرت استعداد المملكة المستمر لتقديم الدعم للشعب العراقي^(١).

مع ذلك بذلت المملكة العربية السعودية جهوداً كبيرة للحفاظ على مسافة متقاربة بين القوتين المتحاربتين طوال عام ١٩٨١ فاستقبلت في الفترة من ١٦ إلى ٢٠ فبراير ١٩٨١ نائب رئيس البرلمان الإيراني، وبعدها في ٦ مارس استقبلت نائب رئيس الوزراء العراقي^(٢)، وفي ٢٧ مارس ١٩٨١ استقبل الملك خالد بن عبدالعزيز رئيس لجنة المساعي الحميدة الإسلامية بين إيران والعراق الرئيس الغيني أحمد سيكوتوري^(٣)؛ ما أكد حرص الملك خالد على نجاح مهمة هذه اللجنة؛ حيث أصر -رحمه الله- على الاجتماع مع لجنة المساعي الحميدة، ومتابعة تقدم وساطتها لحظة بلحظة^(٤)، مع ملاحظة أن المملكة فضلت الوساطة الإسلامية عن وساطة حركة عدم الانحياز، وهو ما أكدّه الأمير سعود الفيصل في ١٩ أبريل ١٩٨١ حيث كان لدى المملكة تحفظات قوية حول الدور الكوبي في حركة عدم الانحياز كون كوبا منحازة للاتحاد السوفيتي، ورأى الأمير سعود الفيصل أن حل الصراع لن يأتي غالباً إلا من خلال الدول الإسلامية للروابط الدينية مع طرفي الحرب^(٥).

(١) New York Times; Feb 4, 1981, p. A4, Iraqis Reported to Get About 100 Soviet-Made Tanks

(٢) FCO 8/4771, calendar of events 1981

(٣) كان الرئيس أحمد سيكوتوري مناضلاً أفريقيًا وقاد غينيا للحصول على الاستقلال عن فرنسا عام ١٩٥٨، وتولى رئاسة الحكومة فيها واستمر في الحكم حتى توفي في مارس ١٩٨٤، وفي عام ١٩٧٨، أنهت فرنسا وغينيا ٢٠ عامًا من العداء عندما سافر الرئيس فاليري جيسكار ديستان إلى العاصمة الغينية كوناكري واحتضن السيد سيكو توري، حتى أعيد انتخابه عام ١٩٨٢ لولاية أخرى مدتها سبع سنوات في الانتخابات الرئاسية التي كان المرشح الوحيد فيها، نقلًا عن،

New York Times; Mar.27, 1984, P. 28, Ahmed Sekou Toure, Guinean President, 62, Dies Conakry Guinea.

(٤) اليوم: عدد ٣١٣٧، ٢٨ مارس ١٩٨١، ص ١، كلمة اليوم، حرص المملكة على إنهاء النزاع العراقي الإيراني.

(٥) PREM 19/ 757, Record Of A Meeting Between The Minister Of State And The Saudi Foreign Minister In Riyadh At 1530 On 19 April 1981

وفي ٢٥ أبريل ١٩٨١ بدأت المملكة تستكشف مدى قابلية بريطانيا لدعم الدول العربية في حال حدوث أي تطور للموقف الإيراني المتهور^(١)، كما زادت المملكة من مساعداتها للعراق والتي بلغت في أبريل ١٩٨١ حوالي ٦ مليار دولار، وكذلك طلبت الحكومة السعودية من عمال شركة أرامكو الذهاب إلى العراق لإصلاح المنشآت النفطية التي تعرضت للقصف الإيراني، فضلاً عن مساعدات أخرى شملت إرسال مواد غذائية وأدوية للعراق^(٢)، والتي كان لها أهميتها كون إيران بدأت منذ يونيو ١٩٨١ في استعادة بعض المواقع الإيرانية المحتلة؛ بل ودخول الأراضي العراقية واحتلال بعض الأماكن المهمة ومنها جزيرة (الفاو العراقية)^(٣).

وفي ٢ سبتمبر ١٩٨١ أعرب الأمير سعود الفيصل عن أمله في أن يسود الاستقرار المنطقة لأن هناك مصالح مشتركة، واهتمامات بين الدول العربية وإيران^(٤)، كما بدأ العراق من جهته يفكر في استثمار المساعدات السعودية، وبدأ يخطط في إنشاء خط أنابيب عبر المملكة وبعيداً عن منطقة الخليج العربي المعرضة للخطر في قرار بدى أنه يحمل أهمية استراتيجية كبرى بالنسبة للغرب، وقد وافقت المملكة على السماح للعراق ببناء خط الأنابيب هذا عبر أراضيها -دون التفكير في مصلحتها الخاصة أو أن ذلك الخط سيساعد أحد أكبر منافسيها في السوق النفطي، فقد ترفعت المملكة كعادتها عن تلك الطريقة في التفكير - لنقل النفط العراقي إلى البحر الأحمر بعيداً مضيق هرمز المعرض للخطر، وقد أعلن وزير النفط السعودي الشيخ أحمد زكي يمانى قرار السماح للعراق ببناء خط الأنابيب هذا بناء على طلب خاص من الرئيس العراقي -آنذاك- إلى جلالة الملك خالد بن عبد العزيز -رحمه الله-^(٥).

(١) FCO 8/ 3819, Letter from Foreign and Commonwealth Office, London, 10 March. 1981, Prime Minister's Visit To Saudi Arabia And The Gulf: 19 – 25 April.

(٢) محمد سالم الكواز: مرجع سابق، ص ٣١

(٣) أشرف بن ثامر بن نزال المسعود: مرجع سابق، ص ١٥٩

(٤) الجزيرة: عدد ٣٢٩٥، ٣ سبتمبر ١٩٨١، ص ١١، بعد اختتام اجتماعات الدورة الأولى لمجلس التعاون لدول الخليج العربية، سعود الفيصل يعرض نتائج الاجتماعات في مؤتمر صحفي

(٥) Wall Street Journal; Sep 18, 1981, p. 2, Iraq Plans Pipeline Across Saudi Arabia And Away From Vulnerable Persian Gulf, By. Youssef M. Ibrahim

كما أكد الأمير سعود الفيصل في خطابه في اجتماع الجمعية العامة للأمم المتحدة في ٥ أكتوبر ١٩٨١ أن استمرار الحرب قد أثار القلق العميق في منطقة الشرق الأوسط، والاهتمام بإيجاد نهاية لتلك الحرب، واستتكر العدوان الذي كانت الكويت قد تعرضت له من إيران والذي استهدف بعض المنشآت الاقتصادية لما مثله من زعزعة أمن واستقرار المنطقة، وهدد بأن مثل تلك الاعتداءات سيدفع بدول الجامعة العربية إلى تطبيق ميثاق الدفاع العربي المشترك^(١)، وناشدت المملكة العراق وإيران في نوفمبر ١٩٨١ إيقاف الحرب والعودة إلى التفاوض بما يضمن الحقوق المشروعة، كما ناشدت قادة إيران الاستجابة لمساعي السلام الإسلامية، وحركة عدم الانحياز والأمم المتحدة الهادفة إلى إقرار السلام، مع رفض استفزازاتها لجيرانها^(٢).

ودعا وزير داخلية المملكة الأمير نايف بن عبد العزيز في ٢٧ ديسمبر ١٩٨١ الدول العربية إلى دعم العراق في حربه ضد إيران، وذلك أثناء وجود الأمير نايف في العراق لبحث أمن الخليج بعد توقيع اتفاقية حدودية مع العراق، ونُقل عن الأمير نايف قوله إن العراق يشن حرباً ضد إيران (ليس دفاعاً عن أرضه وسيادته فحسب، بل أيضاً "دفاعاً" عن الأمة العربية بأكملها، وتقف المملكة العربية السعودية إلى جانب العراق في نفس الموقف... في مواجهة المخاطر التي تواجه العرب، وقد سعت العراق بإخلاص إلى إقامة علاقات أخوية مع إيران؛ لكن إيران أغلقت كل الأبواب وسلكت طريقاً يضر بأمن العراق مما اضطره للدفاع عن نفسه)، وأكد الأمير نايف تطلع المملكة العربية السعودية إلى مزيد من التعاون مع العراق بما يخدم مصلحة البلدين والشعبين العربي والإسلامي^(٣)، وبعد ذلك استقبل الرئيس العراقي للأمير نايف الذي سلمه رسالة من الملك خالد بن عبدالعزيز، وبحسب وكالة الأنباء العراقية ألقى خطابين من الجانب السعودي والعراقي وكان محور الخطابات حول الاعتداءات الإيرانية^(٤).

(١) الأمم المتحدة، الجمعية العامة: الدورة السادسة والثلاثون، الجلسة ٢٥، الاثنين ٥ أكتوبر ١٩٨١، نيويورك، خطاب الأمير سعود الفيصل (المملكة العربية السعودية)، فقرة ١٧٩.

(٢) أم القرى: عدد ٢٨٩١، ١٣ نوفمبر ١٩٨١، ص ١، الرئيس اليمني علي عبدالله صالح يقوم بزيارة رسمية للمملكة

(٣) The Guardian; Dec 28, 1981, p. 7, Saudis call Arabs to aid of Baghdad

(٤) New York Times; Dec 28, 1981, p. A9, Saudis and Iraq Sign Pact Ending Border Dispute: Provisions Not Made Public

وأمام الدعم السعودي لأمن العراق واستقراره، نشرت صحيفة "اطلاعات" اليومية الإيرانية الناطقة بلسان الحكومة في ٤ مارس ١٩٨٢ كلمة لوزير الخارجية الإيراني علي أكبر ولايتي - كان يبدو أنها للاستهلاك المحلي وتغيب وعي الشعب الإيراني - حيث تهجم على المملكة، وادعى أنها تقود اقتصاد الدول الإسلامية إلى الإفلاس، وتهجم كذلك على سوريا ومصر والأردن والسودان، معتبراً أن إيران تقود الجبهة الإسلامية الموحدة ضد جبهة الكفر العالمية لأجل تصدير ثقافة الثورة الإيرانية!!، وأن إيران كانت الدولة الأكثر تأثيراً في الأمم المتحدة^(١).

إلا أن العراق كان قد بدأ يخسر مواجهاته مع إيران في ذلك الوقت، فكانت الانتكاسة العسكرية التي مُني بها العراق خلال مارس ١٩٨٢ سبباً في تعميق انزعاج دول الخليج العربي من الصراع، وقد شدد وزير الداخلية السعودي الأمير نايف بن عبدالعزيز في بيان له على أن المخطط الإيراني لا يقتصر على الانتصار في الحرب، بل شمل أيضاً السيطرة على الدول العربية في المنطقة، وجاء بيان الأمير قبل يومين من إعلان الرئيس العراقي صدام حسين أنه أمر قواته بالانسحاب من مواقعها الأمامية في منطقة دزفول في خوزستان، ورغم أن صدام حسين وصف هذا التراجع بأنه تكتيكي^(٢).

وقد أثار التقدم الإيراني في حرب الخليج مخاوف جديدة في المنطقة، وبدى ذلك في حدوث زيارة رسمية سعودية للعراق في ٣ أبريل ١٩٨٢ قام بها وزير الدفاع السعودي الأمير سلطان بن عبدالعزيز، وأعربت المملكة عن قلقها علناً من أن النصر الإيراني على العراق في الحرب سيجعل المنطقة عرضة لهذا النوع من التخريب الإيراني، وفي لقاء صدام حسين بالأمير سلطان بن عبدالعزيز تلقت العراق رسالة دعم واضحة من الملك خالد بن عبدالعزيز والأمير فهد بن عبدالعزيز، كما زودت المملكة العراق بحوالي ٢٠ مليون دولار لمواصلة المجهود الحربي حتى أبريل ١٩٨٢^(٣).

(١) FCO 8/ 4608, Ettelalat: Foreign Minister strongly criticizes Moslem Brotherhood's current activities in Syria, March. 4, 1982

(٢) **New York Times**; Apr 1, 1982, p. A7, setback for Iraq upsets gulf Arabs, by henry tanner

(٣) **New York Times**; Apr 4, 1982, p. 1, Iranian progress in gulf war raises new fears in area, by. John keener

وفي أواخر مايو ١٩٨٢ استمرت المملكة في إظهار رغبتها للتوسط لإنهاء الحرب، وإبقاء جسورها مفتوحة مع إيران لحثها على التوصل إلى اتفاق سلام مع العراق، كما قام وزير الخارجية السعودي الأمير سعود الفيصل بجولة شملت الأردن وسوريا والجزائر حث فيها هذه الدول على الضغط على طهران للتفاوض على إنهاء القتال، وقد أوجدت التحركات السعودية تطوراً مهماً حيث أشارت سوريا إلى أنها ستسحب دعمها لإيران إذا غزت القوات الإيرانية الأراضي العراقية^(١)، كما أكد معالي الدكتور محمد عبده يمانى وزير الإعلام السعودي على ضرورة إنهاء الحرب، وقال: (إن على الجميع في هذا الوقت التحرك بجدية لوقف هذه الحرب، وأن العراق قد أعلنت مرارا عن استعدادها لإقرار السلام)^(٢).

وقد أوضح الأمير سعود الفيصل في ١١ يونيو ١٩٨٢ أن إيران سعت لتحويل الدين إلى ساحة للصراع^(٣)، وفي المقابل أكد النظام الإيراني الرغبة في تراجع دور المملكة العربية السعودية في الخليج العربي وطالب المملكة بإيقاف صداقة الولايات المتحدة، ما دفع الإدارة الأمريكية إلى التأكيد على أنها لن تتخلى عن صداقتها للمملكة، ما أدخل المنطقة في حالة من الاستقطاب الدولي الصارخ صناعه تهور السلطة الإيرانية ونياتها السيئة^(٤).

وفي ذلك الجو المشحون توفى جلالة الملك خالد بن عبدالعزيز -رحمه الله- في ١٣ يونيو ١٩٨٢ إثر إصابته بأزمة قلبية بعد أن رسخ وأكد على مكانة وطنه الإقليمية والدولية^(٥)، ولم يتوان في

(١) Wall Street Journal; Jun 2, 1982, p. 29, Saudis Seek Negotiated End To Gulf War: Moderate Arabs Encouraged, By Tewfik Mishlawi

(٢) اليوم: عدد ٣٤٨٥، ٢٠ مايو ١٠٨٢، ص ١، معالي وزير الإعلام: الحرب العراقية الإيرانية تعرض المنطقة بأسرها للخطر ويجب إيقافها

(٣) FCO 8/ 4775, Telegram from FCO to Jedda, No 160, Jun 11, 1982, Saudi Foreign Minister: Lebanon

_ FCO 8/ 4775, record of a meeting between the prime minister and the foreign minister of Saudi Arabia, prince Saud, on 11 June 1982 at 10 Downing street at 1430 hours.

(٤) The Washington Post; May 28, 1982, p. A30, Is It Saudi Arabia's Turn?

(٥) Wall Street Journal; Jun 14, 1982, p. 5, King Khalid's Death Leaves Saudi Arabia In Hands of Its Day-to-Day Power, Fahd

لحظة من اللحظات عن أداء مسؤولياته التاريخية كزعيم ورئيس لمؤتمر القمة الإسلامي، وظل -رحمه الله- يتابع جهود لجنة السلام الإسلامية المبذولة لإيقاف الحرب العراقية الإيرانية^(١).

وليس أدل على ما فعله جلالة الملك خالد -رحمه الله- لحفظ أمن العراق مما قاله الرئيس العراقي صدام حسين آنذاك: (رغم معاونة اشقائنا أثناء الحرب التي كانت سخية بحق لدعم المجهود الحربي؛ إلا أن السعودية احتلت في هذا مكان الصدارة)^(٢)، وتلك حقيقة لا يمكن إنكارها، فقد بلغت المساعدات التي قدمتها المملكة للعراق ضعف ما قدمته بقية دول الخليج الأخرى^(٣).

ثانياً: تدابير المملكة العربية السعودية لحفظ أمنها الداخلي في خضم الحرب العراقية الإيرانية:

ظهرت بعض العلامات على زيادة النشاط العسكري والأمني للمملكة العربية السعودية، حتى وإن أبدى المراقبين السعوديين والأجانب اعتقادهم بأن المملكة قد تتجذب إلى الصراع بشكل أو بآخر، وفي الوقت نفسه كان القادة العسكريين، وقوات الدفاع السعودية في حالة تأهب قصوى، وكان التحرك داخل وحول المنشآت العسكرية يخضع لرقابة مشددة أكثر بكثير مما كان قبل اندلاع القتال، كما تم رصد يقظة متزايدة من قبل قوات الأمن السعودية^(٤).

ومنذ اليوم الأول من اندلاع الأعمال القتالية كان الموقف السعودي واضحاً برفض تدخل أي قوى خارجية، وبشكل خاص تدخل القوى العظمى في الحرب، كما أبلغت المملكة في ٢٧ سبتمبر

(١) عكاظ: عدد ٥٨٥٩، ١٥ يونيو ١٩٨٢، ص ٦، آخر نشاطات الفقيد الغالي محلياً وعربياً وإسلامياً ودولياً. آخر بيان وجهه إلى الأمة الإسلامية

(٢) العكدي، مجول محمد محمود جاسم: موقف الدبلوماسية الخليجية تجاه الصراع العراقي - الإيراني ١٩٨٠ - ١٩٨٨: دراسة تاريخية، مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية، جامعة نواكشوط - كلية الآداب والعلوم الإنسانية، عدد ٣٦، ٢٠١٩، ص ٧٣

(٣) معهد الدراسات الدبلوماسية: السياسة الخارجية للمملكة العربية السعودية في مائة عام ١٣١٩هـ - ١٤١٩هـ، مؤسسة الاصطفاء للطباعة، ١٤١٩هـ، ص ١٤٧

(٤) FCO 8/ 3748, Telegram No. 716, from Jedda to FCO. London, Oct. 2, 1980, Iraq/Iran: Saudi Reactions

١٩٨٠ الولايات المتحدة الأمريكية بأن إعلان واشنطن إرسال قوة مهام بحرية دولية إلى الخليج العربي هو "عملية تصعيدية"، ولن تساعد في تخفيف التوترات الناجمة عن الحرب^(١).

وفي الوقت نفسه أظهرت المملكة رغبتها لمساعدة عسكرية أمريكية فورية خشية اتساع الأعمال العدائية؛ على أن تبقى تلك المساعدة تحت السيطرة السعودية، وأن لا تكون في صورة تدخل أمريكي، وبناء على ذلك أعلن في ٢٩ سبتمبر إرسال أربع طائرات إنذار رادارية إلى المملكة العربية السعودية، وتم النظر أيضًا في إرسال طائرات مقاتلة متطورة من طراز F-14 و F-15^(٢).

يتضح لنا هنا الإصرار السعودي على تقوية منظومتهم الدفاعية من الطائرات والدبابات، حيث بدت المملكة متمسكة بالحصول على طائرات F-15^S الأمريكية، كما أكدت الصحافة السعودية أن المملكة ستنتظر حتى تنتهي الانتخابات الرئاسية الأمريكية لمعرفة الموقف النهائي لواشنطن بشأن مسألة التسليح هذه، وبعد ذلك؛ إذا كان الرد غير مرضٍ للمملكة فيمكنها أن تطرق جميع الأبواب من أجل الحصول على وسائل الدفاع اللازمة لها، و أكد ولي العهد الأمير فهد بن عبدالعزيز بغير تردد بحسب وثيقة بريطانية- بأن المملكة العربية السعودية ستذهب لمساعدة أي دولة خليجية تتعرض لهجوم خارجي، وأنه لم يكن لدى المملكة كثير من الخيارات لذلك الأمر نظرًا لمسئوليتها في حماية أشقائها؛ حتى لو كانت المملكة لا تزال تتمسك برغبتها في البقاء خارج الحرب^(٣)، كما أرادت مواجهة تهديدات إيران المتزايدة للكويت وبقية شعوب الجزيرة العربية، وحتى لو لم تكن المملكة قد قدمت أي طلب بمساعدة عسكرية

(1) **The Washington Post**; Sep 28, 1980, p. A16, Saudis Reject Calls for Joint Naval Force in Gulf, By David F. Ottaway

(2) **New York Times**; Oct 12, 1980, p.1, Role of the U.S. In Persian Gulf: How it Evolved

(3) FCO 8/ 3748, Telegram No. 776. from Jedda to FCO. London, Oct. 30, 1980, Iran/Iraq: Talk With Prince Fahd

مباشرة من الحليف الأمريكي إلا أنها أبقت إمكانية إجراء تدريبات عسكرية مشتركة (سعودية - أمريكية) كحق مشروع للدفاع عن النفس إذا رأت أن ذلك ضروريًا^(١).

واستمراراً لجهود مواجهة التهديد الإيراني حصلت المملكة العربية السعودية بعد قرابة الأسبوع من اندلاع الحرب على أربع طائرات أمريكية رادارية للإنذار المبكر من طراز الأواكس AWACS^(٢)، واقلعت من أوكلاهوما متوجهة إلى المملكة محملة بالرادار في نهاية سبتمبر ١٩٨٠، وأعلن البنتاغون إن تلك الخطوة جاءت بناءً على طلب من الحكومة السعودية التي شعرت أن تلك الطائرات ضرورية لتعزيز قدرتها على اكتشاف طائرات العدو التي تحلق على ارتفاع منخفض، والتي قد تحاول قصف أهداف سعودية، وأكد الإعلان إن تلك الصفقة "لأغراض دفاعية بحتة"^(٣).

واحتراراً وأخذاً بالأسباب، ولكون المملكة العربية السعودية هي صاحبة القرار الأول والأخير في موضوع متطلباتها الدفاعية مهما كان نوعها؛ أعلنت وزارة الدفاع السعودية أن سبب طلب تلك الطائرات يعود لما طرأ مع الحرب العراقية الإيرانية من التهديدات التي تعرضت لها المنطقة من أكثر من جهة،

(١) FCO 8/4286, Telegram From Washington to FCO London, Jul.15, 1982, Telegram Number 2443, Iran/Iraq

(٢) وطائرات الأواكس كما وصفتها صحيفة المدينة: (هي عبارة عن طائرة بوينج ٧٠٧ معدلة وبلغت تكاليفها ١٢٠ مليون دولارا عدا الأجهزة العلمية التي بداخلها، ومدة طيرانها يمكن أن تصل إلى ٢٤ ساعة متواصلة، ويمكنها أن ترتفع إلى أكثر من ٤٥ ألف قدم في الجو؛ إذ أن تزويدها بالوقود يمكن أن يتم من الجو بمثل السهولة التي يتم بها في الأرض، وقد صممت للتمكن من رؤية التحركات الأرضية والبحرية والجوية، وتسير بسرعة ٢٥٠ عقدة جوية، ويمكنها الرؤية من الصفر حتى الارتفاعات العليا، ولهذا أطلق عليها الجندي السعودي اسم زرقاء اليمامة! لأنها يمكنها أن ترى من سماء الرياض كل ما يدور بمنطقة الخليج، ومن مميزاتها أنها في الوقت الذي ترسل فيه إلى القيادة تحركات القوات المعادية أو ما يناط بها القيام به تقوم في الوقت نفسه بتسجيل ذلك بالفيديو، وكذلك أنه يمكن استخدامها عند اللزوم غرفة عمليات متكاملة يتم من خلالها إدارة كافة العمليات القتالية من الجو، بالإضافة إلى أنها في الوقت نفسه تضطلع بالمهام الاستكشافية)، للمزيد راجع:

_ المدينة: ٢٧ ديسمبر ١٩٨٠، حقائق حول عمل طائرات الإنذار المبكر (أواكس) بالمملكة: الرادار السعودي يحيط بالمملكة، ٣ مواقع لكشف الطيران المنخفض، انظر، [/https://kkb.kkf.org.sa](https://kkb.kkf.org.sa)

(٣) **The Washington Post**; Oct 1, 1980, P. A14, U.S. Sends Four Radar Planes to Aid Saudis in Air Defense, By Michael Getler

فقبل ذلك لم يشعر المسؤولون في وزارة الدفاع والطيران السعودي بأية حاجة إلى الخدمات التي تقدمها تقنية (أواكس) لمراقبة التحركات البرية والجوية والبحرية على امتداد المنطقة، هذا بالإضافة إلى أن تشغيل هذا النوع من الطائرات تطلب خبرة وتدريباً مسبقاً؛ ولم تأت تلك الطائرات إلى المملكة إلا بعد جهود كبيرة ومفاوضات حثيئة، حيث طلبت المملكة تزويدها بها بإصرار، إلا أنها فضلت أن يتم تزويدها بها عن طريق الإعارة، وعندما احتاجت المملكة بحكم الوضع الطارئ في منطقة الخليج إلى هذا النوع من المراقبة الجوية لم يكن شبابها المبتعثين على هذا النوع من الطائرات وأجهزتها قد استكملوا بعد تدريباتهم، لهذه الاعتبارات وغيرها تم تزويد المملكة بهذا النوع من الطائرات عن طريق الإعارة للقيام بأعمالها لصالح الأجواء السعودية، ولتدريب الشباب السعودي عليها عملياً، وإن كان بيد الشباب السعودي الأمر الأخير بخصوص طيران طائرات أواكس لأداء مهامها الاستكشافية، وكانوا هم الذين بيدهم اتخاذ أي قرار فيما تعلق بالمهام المنوطة بهم^(١)، حتى لو كانت الحرب قد جعلت المملكة أكثر استعداداً للتعاون مع الغرب^(٢).

وعلى جانب مغاير حذر وزير النفط السعودي الشيخ أحمد زكي يمانى في ١٠ نوفمبر ١٩٨٠ الولايات المتحدة من أن تتوقع إنتاجاً مرتفعاً كمكافأة لإرسال طائرات الرادار إلى المملكة العربية السعودية، وإنه إذا كانت من مصلحة المملكة مواجهة تهديد لها؛ فإن الولايات المتحدة أيضاً من مصلحتها أن لا تتوسع دائرة الحرب وتهدد مصالحها في المنطقة، وأضاف بحزم: (أنتم لا تحمون المملكة العربية السعودية؛ أنتم تحمون مصالحكم هن)^(٣)، فكان بيع معدات الدفاع الجوي إلى المملكة أمراً مساعداً في فرض الاستقرار على المنطقة وبالتالي تقليل الضغوط التي دفعت جميع دول المنطقة إلى تجميع الأسلحة بشكل تنافسي، وعلى هذه الخلفية فإن الأهمية الاستراتيجية للمملكة العربية السعودية بالنسبة للولايات

(١) المدينة: ٢٧ ديسمبر ١٩٨٠، حقائق حول عمل طائرات الإنذار المبكر (أواكس) بالمملكة: الرادار السعودي يحيط بالمملكة، ٣ مواقع لكشف الطيران المنخفض، انظر، [/https://kkb.kkf.org.sa](https://kkb.kkf.org.sa)

(٢) FCO 8/ 4773, Draft Letter to Sir James Craig, How Should We Deal With Saudi Arabia?, 1981

(٣) Wall Street Journal; Nov 11, 1980, p. 3, Saudi Oil Official Warns of Price Boosts If Firms Don't Start Tapping, By Karen Elliott House

المتحدة لم تكن محل شك وتمثلت مصلحة واشنطن في مساعدة المملكة في الدفاع عن نفسها واستعادة وحماية استقرار المنطقة^(١).

واستقبل الأمير سلطان بن عبد العزيز وزير الدفاع السعودي في ١٣ نوفمبر ١٩٨٠ مراسل صحيفة Wall Street Journal الأمريكية، وقد شعر المراسل الأجنبي أن هناك مزاج عام جيد بين شعب المملكة لشعورهم بأهمية دولتهم، كما أظهرت الحرب حاجة المملكة إلى المزيد من الأسلحة الحديثة، وخططت المملكة للحصول على المزيد من الأسلحة الدفاعية حتى لو ووجهت بمعارضة الإدارة الأمريكية، فكان ذلك الأمر أشبه بوضع المملكة للحكومة الأمريكية في اختبار جاد بشأن صداقتهم وتعاونهم المشترك، وأكد الأمير سلطان بن عبدالعزيز إن المملكة أرادت صنوفاً من القنابل وخزانات وقود إضافية وطائرات تزود بالوقود من طراز KC135 وطائرات F15، وهذا ليس كل شيء؛ إذ رغب وزير الدفاع السعودي في شراء -وليس تأجير- ما لا يقل عن أربع طائرات من طراز أواكس، فطائرات الأوأكس التي أرسلتها الولايات المتحدة إلى المنطقة كانت لا تزال تحت الملكية الأمريكية، وكان وجودها في منطقة الخليج العربي بشكل مؤقت فقط مما أزعج الأمير سلطان بن عبدالعزيز، وقد رأت المملكة أن على الولايات المتحدة أن لا تستمر في تسليح إيران حتى تبتعد العراق عن السوفييت، حيث رأت المملكة أن (العراق أصبح في معسكر المعتدلين)، في إشارة إلى ارتباط العراق بالمملكة العربية السعودية، والأهم من ذلك هو أن المسؤولين السعوديين بدوا مقتنعين حقاً بأن الحرب قد أكدت أخيراً للولايات المتحدة الأمريكية أن مصالحها تقع على عاتق العرب وليس إسرائيل، كما قال هشام ناظر وزير التخطيط السعودي موجهاً حديثه للحكومة الأمريكية: (ذا كانت لدينا مصالح مشتركة، ونحن كذلك، فيجب علينا أن نأخذ هذه المصالح بعين الاعتبار عندما نتخذ القرارات. ونحن نفعل ذلك. والآن حان دوركم)^(٢).

وحول احتمالية أن يكون هنالك دوراً غربياً في حالة ظهور حالة طوارئ خطيرة؛ أوضح ولي العهد الأمير فهد بن عبدالعزيز أن المملكة لا تستبعد إقدام النظام الإيراني على إغلاق مضيق هرمز، وإذا كان

(^١)CIA-RDP83M00914R002100110035-3, August 18, 1981, Air Defense Enhancement Package for Saudi Arabia

(^٢)Wall Street Journal; Nov 14, 1980; p.1, Assertive Arabia Iran-Iraq War and Win By Reagan Lead Saudis To Eye New U.S. Arms, By Kari'n Elliott House.

الأمر كذلك فإن السعوديين وضعوا احتمال التعاون مع حلفائهم لإبقاء خطوط الشحن مفتوحة، وتعجب من الأصوات التي قالت أن تعاون دول الخليج العربي مع الغرب سيفتح الأبواب أمام التدخل السوفييتي، حيث تساءل الأمير فهد بن عبدالعزيز: (هل تستطيع إحدى دول الخليج -خلاف المملكة العربية السعودية- ضمان حرية الملاحة وحدها؟ بشرط أن تكون هناك مشاورات مسبقة)، وأكد الأمير فهد أنه كان هناك بالفعل تنسيق وتشاور بين دول الخليج العربي؛ وإن لم يكن بالمستوى الضروري والمرغوب فيه من المملكة، كما أكدت الحكومة البريطانية للأمير فهد بن عبدالعزيز بأنها تشارك دول الخليج الاهتمام بحرية الملاحة في الخليج العربي ومحاولة الابتعاد عن جر المنطقة لمواجهة القوى العظمى، وفيما يتعلق بأمن الخليج فإن بريطانيا ربطت مواقفها بموافقة دول الخليج العربي وبناءً على دعوتهم -وهو أمر كان مستبعد حدوثه من المملكة العربية السعودية آنذاك حتى لو تمنته بريطانيا-، وأكد السفير البريطاني للأمير فهد أن بريطانيا ناقشت التخطيط للطوارئ مع الحلفاء في أمريكا وفرنسا، ولكن لم يتم اتخاذ أي قرار، كما زودت وزارة الخارجية السعودية بالمعلومات والتحليلات حول مسار الحرب، وعرضت أيضًا إرسال فريق صغير إلى الإمارات العربية المتحدة لمناقشة المساعدة العسكرية المحتملة^(١).

واستفسر الأمير فهد بن عبدالعزيز عن أحدث أنواع الطائرات العسكرية لدى بريطانيا والتي تتوافق مع الطائرات الأمريكية؟ وألمح إلى طائرة جاكوار **Jaguar plane**، إلا أن السفير البريطاني في المملكة "جيمس كريج **James Craig**" أشار أن لدى بريطانيا أيضًا طائرات هارير (**Harrier**) النفاثة العسكرية، فطلب الأمير فهد إذا كان بإمكان السفير تزويده بتفاصيل ذلك النوع، وسأل أيضًا ما هي الدبابات التي زودت بها بريطانيا إيران وبعض دول المنطقة في السابق، وقد طمأنه السفير البريطاني أن هناك مسئول عسكري بريطاني رفيع المستوى سيزور المملكة وسيزوده بكل المعلومات والتفاصيل المطلوبة، فقد بدى أن الأمير فهد يفكر في كل الخيارات التي تعزز موقف المملكة الشرعي في الدفاع عن حقوقها ومنطقتها، وحول الموقف السعودي إذا هاجمت إيران دولة خليجية أخرى -خاصة إذا أقدمت على ضرب الكويت-^(٢)، وأكد الأمير بدون تردد أن المملكة ستذهب لمساعدتها على الفور بدون تردد،

(١) FCO 8/ 3748, Telegram No. 774. from Jedda to FCO. London, Oct. 30, Iran/ Iraq

(٢) CIA-RDP81B00401R000500030004-3, National Intelligence Officers, The Director Of Central Intelligence, Washington, D. C., November. 14, 1980 , Alert Memorandum, Iran-Iraq: Danger of a Wider War

لكنه أكد في الوقت نفسه أنه بغض النظر عن مثل هذه الظروف، فإن السياسة السعودية ظلت تهدف إلى تجنب التدخل^(١).

وزيادة في حفظ أمنها؛ توجهت المملكة العربية السعودية إلى شراء مزيد من الأسلحة المتطورة من فرنسا، وتم الاتفاق على تدريب عدة مئات من أفراد البحرية في فرنسا، وبيع فرنسا لأربع فرقاقات حمولة ٢٠٠٠ طن مزودة بصواريخ، وناقلتين للتزود بالوقود وزن ١٧ ألف طن، ومروحيات مزودة بصواريخ مضادة للسفن الحربية، ودبابات AMX-30 الفرنسية التي تحتوي على نسخة متطورة من صواريخ كروتال **Crotale** المصممة خصيصًا لحروب الصحراء^(٢).

وفي أبريل ١٩٨١ قال الأمير نايف بن عبدالعزيز وزير الداخلية رداً حول سؤال لصحيفة "اليوم" عن تأثير الحرب على الوضع الأمني في المنطقة: (إن الأمن والله الحمد مستتب بالمملكة وأرجو أن يكون كذلك في دول الخليج العربي، ولا شك أن الحرب وبقائها أو استمرارها شيء سيء ولا يسر أي مواطن إسلامي أو عربي ونرجو إن شاء الله أن تنتهي قريباً)، وعن الحملات الإعلامية المغرضة التي تعرضت لها المملكة بشأن تزويدها بطائرات متطورة ومعدات إضافية لها؛ أكد الأمير نايف أن هذه الحملات معروف من هم وراءها، والمملكة سائرة قدماً في طريقها للحصول على الأسلحة لتقوية قواتها المسلحة، وأن في تصريحات سمو ولي العهد وسمو وزير الدفاع والطيران ما كان يكفي بأن يقال بأن المملكة قادرة على أن تحصل على ما يقوي دفاعها بكل الأسلحة^(٣).

وأمام الضغط السعودي أعلنت الحكومة الأمريكية في ٢١ أبريل ١٩٨١ عزمها على المضي قدماً في بيع خمس طائرات أواكس ومعدات أولية للمملكة، خلافاً لطائرات من طراز F15، وما يصل إلى سبع طائرات نقل أخرى، وقد واجهت الصفقة العسكرية معارضة كبيرة من مؤيدي إسرائيل في واشنطن، ومعارضة إسرائيلية خاصة فيما يتعلق بطائرات الأواكس، كما أن قرابة نصف أعضاء مجلس الشيوخ

(١) FCO 8/ 3748, Telegram No. 774. from Jedda to FCO. London, Oct. 30, Iran/ Iraq

(٢) **The Times of India**; Oct 30, 1980, p. 9, French arms for Saudis

(٣) **اليوم**: عدد ٣١٦٢، ٢٦ أبريل ١٩٨١، ص ١، الأمير نايف: على العراق وإيران الاستجابة للجهود الإسلامية لإيقاف القتال، المملكة سائرة في طريقها للحصول على السلاح لتقوية جيشها

الأمريكي عارض بيع طائرات الأواكس^(١)، واعتبر البعض أن نشر طائرات الأواكس في المملكة حمل في طياته خطر جر واشنطن للنزاع الذي أعلنت أنها تقف تجاهه على الحياد^(٢).

وقد دار الجدل في الكونغرس الأمريكي خشية أن تكون الولايات المتحدة بموافقتها على بيع طائرات الأواكس للمملكة العربية السعودية قد أضرت بالتفوق النوعي العسكري لإسرائيل في مواجهة الدول العربية، لكن تم التأكيد على أن الحكومة الأمريكية قطعت الوعد ببيع تلك الطائرات للملكة ولا يمكنها التراجع عن ذلك، وإن كانت هذه ليست الصفقة الوحيدة للأسلحة الأمريكية الحديثة التي اشترتها المملكة؛ فهناك أيضًا الطائرات المقاتلة من طراز F-15. وصواريخ Harpoon و Sidewinder^(٣).

وفي حديث أدلى به الأمير فهد بن عبدالعزيز ولي العهد لوكالة الأنباء السعودية في أغسطس ١٩٨١ قال: (إننا مندهشون للضجة التي ترافق صفقة الأواكس، وإن شراء المملكة للأسلحة يدخل ضمن قانون السيادة الوطنية وإذا لم يوافق الكونغرس على الصفقة فليس ذلك نهاية المطاف أمامنا)، وتحدث عن الحرب فأكد التزام المملكة القومي بالحفاظ على قوة العراق ومنعته، وأنه لا غنى للأمة العربية عن طاقات العراق الهائلة في المواجهة مع العدو، واستهجن إقدام إسرائيل على الاعتداء على المفاعل العراقي^(٤)؛ معتبرًا أن ذلك ما هو إلا دليل على خشية إسرائيل من قدرات الدول العربية^(٥)، لكن بحلول

(١) Los Angeles Times; Apr 22, 1981, p. B1, Reagan Firm on Saudi Plane Sales: Pushing Ahead With Radar Craft Despite Congress Opposition, By. Johnston, Oswald, and Hume, Ellen

(٢) New York Times; Oct 1, 1980, p. A1, Aid for Saudis: A Risk for U.S.: Move to Deploy Planes Enlarges, By. Drew Middleton

(٣) FCO 8/ 4772, Commentary, DECEMBER 1981, Appeasement & the AWACS, By. Robert W. Tucker.

(٤) أعلنت المملكة في ١٦ يوليو ١٩٨١ إنها ستدفع كامل تكلفة إعادة بناء المفاعل النووي العراقي الذي دمرته طائرات إسرائيلية اعتدت عليه في ٧ يونيو ١٩٨١، وجاء القرار السعودي بعد محادثات بين جلالة الملك خالد ووزير النفط العراقي طابع عبد الكريم الذي كان في زيارة للمملكة، لمواجهة العدو الإسرائيلي وداعميه الذين وضعوا العقبات في طريق العرب الباحثين عن التكنولوجيا الحديثة، وهو محطة نووية بنتها فرنسا للاستخدامات السلمية، كما أن الملك خالد أبلغ الرئيس الفرنسي فرانسيس ميتران بنواياه عندما التقيا في باريس في يونيو ١٩٨١، لإعادة بناء المفاعل للأغراض السلمية، للمزيد راجع،

نهاية سبتمبر ١٩٨١ كانت المملكة قد نجحت في اتمام الصفقة^(١)، وحصلت أيضًا مع طائرات الأواكس على فرقة من الفنيين العسكريين الأمريكيين^(٢).

ولكن يبدو أن تلك التجهيزات الدفاعية أغضبت بعض الناقمين على نجاحات المملكة وتأمينها لمصالحها ومصالح أشقائها، حيث دعا رئيس الوزراء الإيراني محمد علي رجائي^(٣) في ١٨ أكتوبر ١٩٨٠ الولايات المتحدة لإخراج طائرات الأواكس الأربع من المملكة العربية السعودية، كونها كانت تراقب الرحلات الجوية الإيرانية للتحذير من أي اعتداء على حقول النفط "خارج منطقة القتال"^(٤).

وفي السياق ذاته أفاد بيان إذاعي ليبي أن ليبيا تزود إيران بكميات كبيرة من الأسلحة والذخائر^(٥)، وطالب العقيد الليبي معمر القذافي صراحة جلالة الملك خالد بن عبدالعزيز بطرد طائرات الأواكس من المملكة، وندد بالطائرات!، كما اتهم صدام حسين بأنه واقع تحت سيطرة الغرب و المسيحية!، وأعلن

_ **New York Times**; Jul 17, 1981, p. A3, Saudis Will Pay for Repairs on Iraq's Reactor

_ **The Washington Post**; Jul 17, 1981, p. A1, Saudis Offer Financing for Iraqi Reactor, By. David B. Ottaway

(٥) **أم القرى**: عدد ٢٨٨١، ١٤ أغسطس ١٩٨١، ص ١، كبار الشخصيات العالمية ووسائل الإعلام تبدي اهتمامها وترحيبها بالحديث السياسي الهام الذي أدلى به صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبدالعزيز لوكالة الأنباء السعودية.

(١) FCO 8/4772, Letter from British Embassy in Washington to Middle East Department FCO London, 24 February 1982, The Us Commitment To Saudi Arabia

(٢) **WallStreetJournal**; Oct 15, 1980, p. 1, Engulfing Gulf: U.S. Role in Defense Of Saudi Oil Fields Revises, By Karen Elliott House And David Ignatius

(٣) أصبح الرئيس الإيراني محمد علي رجائي رئيسًا لبلاده في الفترة من ٢ أغسطس ١٩٨١ حتى قتل في انفجار قنبلة في مكتب رئيس الوزراء في طهران في ٣٠ أغسطس ١٩٨١، وكان رئيسًا للوزراء في وقت سابق، وصف الولايات المتحدة بأنها «الشيطان الأكبر» وأن الاتحاد السوفيتي واحد من «الشياطين الصغار»، نقلًا عن:

_ **New York Times**; Sep.1, 1981: P. 6, Mohammad Ali Rajai, Iran's President

(٤) **New York Times**; Oct 19, 1980, p. 1, New Hostage Terms Appear To Be Added By Iranian Premier: He Predicts, By Bernard D. Nossiter

(٥) **Los Angeles Times**; Oct 10, 1980, p. B1, First Arab Ally: Libya Sides With Iran Tells Saudis To Return U.S. Planes

دعمه لإيران وطالب المملكة العربية السعودية والدول العربية "مساعدة الفرس في حربهم ضد العراق"^(١)، ولا يبدو ذلك الموقف غريباً عن العقيد الليبي إذ عرف عنه التطرف في سياسته الخارجية والتدخل المكروه في شؤون الدول الأخرى، وجاء ذلك الموقف كحلقة من مساعي العقيد للتفرقة بين الشعوب العربية والاضرار بمصالحها ودعم أعدائها، فقطعت المملكة العربية السعودية علاقاتها الدبلوماسية مع نظامه المتطرف في ٢٨ أكتوبر ١٩٨٠، وأعلنت الحكومة السعودية إنها لم تعد قادرة على التعامل مع ذلك النظام بعد أن دعا مسلمي العالم إلى شن حرب مقدسة على مكة أقدس مدينة في الإسلام، ما جعل صبر قادة المملكة ينفد، وقد صدر بيان سعودي يتهم سياسة العقيد المتطرفة بأنها تسعى إلى "بث الفرقة بين المسلمين"^(٢).

وأعلنت وزارة الخارجية السعودية أن الخطابات التي ألقاها العقيد، والتي طلب فيها إلغاء فريضة الحج لتلك السنة!، "تجاوزت العلاقات الثنائية إلى الإساءة إلى الإسلام"، وهو أمر لم يكن من الممكن التغاضي عنه، بعد الانحياز الفاضح من العقيد للعدو الإيراني الذي سعى للتوسع على حساب العرب، ولمهاجمته امتلاك المملكة للأواكس لمراقبة الحرب وتأمين نفسها وحدودها وشعبها من أي عدوان خارجي، كما وجه جلالة الملك خالد بن عبدالعزيز توبيخاً قوياً للعقيد، متهماً إياه بأنه "رأس الحربة ضد الإسلام"، وقال جلالته: (من المؤسف أن نراكم تنضمون إلى إسرائيل، عدوة الإسلام والمسلمين، في معارضة طلباتنا، لقد أثبتتم أنكم أصبحتم رأس حربة ضد الإسلام والمقدسات الإسلامية)^(٣)، ولا يمكن فهم موقف العقيد من التسلح السعودي لحماية حدود المملكة وشعبها إلا إذا تم النظر إلى تلك المزاجية التي

(^١) **New York Times**; Oct 11, 1980, p. 1, Libyans Back Iran; Ask Saudis To Expel U.S. Radar Aircraft: Iraqis, By Henry Tanner.

(^٢) **Los Angeles Times**; Oct 29, 1980, p. 1, Saudis Cut Ties With Libya After Kadafi's Call for War, by. McMANUS, DOYLE

(^٣) **New York Times**; Oct 29, 1980, p. A14, Saudis Break Libya Ties Over Attacks by Qaddafi, By. JOHN KIFNER

تحكمت بالسياسة الخارجية الليبية متمثلة بوضع العقيد النفسي، كما اعتبر العقيد المملكة والعراق -حسب تهيأته وحده- أكبر منافسين له على الزعامة العربية، فكان من الطبيعي رفض صفقة طائرات الأوكس^(١).

ولكن انطلاقاً من سياسة التسامح السعودي والرغبة في الوحدة العربية، ومحاربة الفرقة والتغاضي عن الصغائر للتعامل بشكل أكثر فعالية ضد أعداء العرب^(٢)؛ أعلنت المملكة العربية السعودية وليبيا في ٣١ ديسمبر ١٩٨١ أنهما ستستأنفان العلاقات الدبلوماسية بينهما "لتوحيد العمل العربي ضد العدو المشترك"^(٣)، لكن العقيد الليبي بحلول ٢٣ مايو ١٩٨٢ عاد لتحريضه ضد استقرار المملكة^(٤)، أكدت السفارة البريطانية في طرابلس استمرار سياسة العقيد الليبي العدائية ضد المملكة، وزعامتها الإسلامية، وخدمتها لحجيج بيت الله الحرام^(٥)، وقد تكفلت الصحافة السعودية أواخر شهر مايو ١٩٨٢ بالرد على العقيد، وأوضحت أن إسرائيل وإيران وليبيا قد شكلوا -ما سمته صحيفة عكاظ- تحالف الشيطان، من أجل زعزعة استقرار العالم العربي بشكل عام، والخليج العربي بشكل خاص^(٦).

ونحن نجد أن ربط صفقات التسليح بقيادة المملكة، وخدمتها للمسلمين في العالم لم تكن فكرة ليبية بحتة، فقد نبعت من الأساس من فكر النظام الإيراني الذي أراد أيضاً من جهته تحويل فريضة الحج كأداة للتخريب في المنطقة عن طريق استخدام حجاجها في ذلك الأمر، بل وانتقدت إيران بشدة المسؤولين السعوديين لمنعهم الحجاج من التظاهر في مكة المكرمة، حيث أرادت إيران أن تتحول الشعار الدينية

(١) محمد، سلمى عدنان ، عبد الحسن، كوثر غضبان ، المبارك، صفاء عبد الوهاب: موقف الدول العربية من الحرب العراقية - الإيرانية ١٩٨٠ - ١٩٨٨، مجلة آداب ذي قار، مجلد ١، عدد ٣، جامعة ذي قار - كلية الآداب، ٢٠١١، ص ١٨٦

(٢) **The Washington Post**; Jan 1, 1982, p. A16, Libya and Saudis Resume Ties in Arab Unity Effort, By David B. Ottaway

(٣) **The Guardian**; Jan 2, 1982, p. 7, Libyans and Saudis restore links, By. Ottaway, David

(٤) FCO 8/ 4774, JANA, 23 MAY 1982 Qadhafi Calls for Liberation of Mecca and Jerusalem, 29 May 1982, Jamahiriya News Agency

(٥) FCO 8/ 4774, British Embassy Tripoli 25 May 1982, Libya/Saudi Arabia

(٦) FCO 8/ 4775, Telegram from Jedda No 95, 31 May 1982, Steadfastness Front/Iran/Israel: Saudi Press Comment

إلى حملات سياسية ضد من تعاديهم الثورة الإيرانية، وقال وزير الإرشاد الإسلامي (الإعلام) الإيراني، في رسالة من المملكة العربية السعودية بمناسبة موسم الحج إن على المسلمين تكثيف نضالهم ضد القوى العظمى خلال مراسم الحج، وقد جاء بيانه بعد وقت قصير من إعلان وزارة الداخلية السعودية أن مجموعة من الحجاج الإيرانيين "الجامحين" حاولوا التظاهر في مكة لكن الشرطة السعودية منعتهم، ونقلت إذاعة طهران في ٦ أكتوبر ١٩٨١ عن وزير الإعلام الإيراني قوله: (من المؤسف أن زعماء بعض الدول الإسلامية يعتبرون الشعارات المناهضة لأمريكا وإسرائيل مخالفة لمراسم الحج ويمنعون نشر رسالة الإمام الخميني)، وقال إن الحج لا ينفصل عن السياسة، وجاء في البيان السعودي بشأن الحادثة: (ولسوء الحظ، لم يكن هدف هذه الأعداد الصغيرة من الحجاج الإيرانيين أداء فريضة الحج، بل محاولة بكل الطرق نشر شعارات ودعاية تتعارض مع معنى الحج)، كما هاجمت الحكومة الإيرانية شراء طائرات الأواكس^(١)، وجدير بالملاحظة هنا أن الموقف الإيراني الذي ظهر في موسم حج ذلك العام أكثر ما يكون حقًا إيرانيا على زعامة المملكة للعالم الإسلامي بوصفها حامية وحارسة وأمانة على الأماكن المقدسة؛ مقصد الشعوب الإسلامية الأول^(٢).

وفي نفس الأمر كذلك، حذر الأمير سلطان بن عبدالعزيز وزير الدفاع والطيران السعودي في ١٤ مايو ١٩٨٢ من أن تصبح منطقة الخليج مسرح مواجهة بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة نتيجة لتلك الحرب، واعتبر أن ما كان يحدث آنذاك هو لمصلحة السوفييت بنسبة ٩٩٪، وأن وقوع مثل هذا التدخل سينتج عنه وقوع تدخل أجنبي من نوع آخر يعطي الحرب بعدًا أكثر خطورة واتساعًا، وأن الولايات المتحدة من جهتها قد لا تترك الساحة لانفراد الاتحاد السوفيتي بها مما سيحول الحرب لمواجهة بين القوى العظمى، وحول الاتفاقات العسكرية الموقعة بين المملكة والولايات المتحدة وخاصة فيما يتعلق بطائرات الأواكس؛ أكد الأمير سلطان أن كل شيء كان يسير وفق خطة التنسيق التي اتفق عليها البلدان،

(^١)The Guardian; Oct 7, 1981, p. 7, Iran's pilgrim army rebuked by Saudis

(^٢)Wall Street Journal; Dec 24, 1981, p. 10, Some Arab States Openly Criticize Iran; Saudis Lead Outcry, and Iraq Benefits, By Tewfik Mishlawi



ونفى الأمير سلطان تمامًا ما أشيع عن وجود إدارة مشتركة تشرف على تشغيل طائرات الأوكسوتتدخل في اتخاذ القرارات وأكد أنه لا صحة لذلك على الإطلاق^(١).

ثالثاً: جهود المملكة العربية السعودية لحماية دول الخليج العربية من مخاطر الحرب العراقية الإيرانية:

سعى جلالة الملك خالد بن عبدالعزيز -رحمه الله- بكل جهده في سبيل وحدة الصف العربي نظراً لأهمية ذلك التضامن لمواجهة الأخطار الخارجية، وعمل على تكثيف جهوده الدبلوماسية لوقف الحرب العراقية الإيرانية خلال عام ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م، وطرحت المملكة في هذه الفترة مشروع يهدف إلى تحقيق "الأمن الجماعي" لدول الخليج العربية^(٢)، حيث أن نشوب الحرب العراقية الإيرانية في سبتمبر ١٩٨٠، وانعكاساتها الأمنية الخطيرة في الخليج العربي قد أظهرت الحاجة إلى قيام "اتحاد تكاملي بين دول الخليج العربية" يهدف إلى توحيد القرار في السياسة الخارجية والتعاون الدفاعي بين دوله، ومن ثم إبراز شخصية خليجية مستقلة على الساحة الدولية، فقد أوضحت الحرب اشتداد الحاجة إلى قيام دول الخليج العربية بمهام أمنها القومي لمواجهة التحديات الإقليمية من ناحية، والبعد عن تدخل القوى الأجنبية وإبعاد المنطقة عن الصراع العالمي من ناحية أخرى، ولهذا نشطت المملكة في الدعوة إلى قيام تعاون أمني للدول الخليجية؛ حيث قام صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز وزير داخلية المملكة بجولة في كل من الكويت ودولة الإمارات العربية المتحدة وقطر وعمان والبحرين في نوفمبر ١٩٨٠م لبحث التعاون في دعم الأمن الخليجي^(٣).

وتم خلال تلك الجولة مناقشة الأفكار السعودية حول أمن الخليج، وصرح الأمير نايف خلال زيارته للكويت بأنه تم الاتفاق على عقد اتفاقات أمنية مشتركة بين السعودية والكويت، تتبعها اتفاقات مماثلة مع دول الخليج الأخرى، وتحدثت الأوساط الصحفية السعودية عن اتجاه النية إلى إبرام ميثاق أمني ينص على الضمان الجماعي بين دول الخليج، خصوصاً في أعقاب الاعتداء الإيراني على منطقة العبدلي بالكويت، كما شدد الأمير نايف على فكرة الاستراتيجية الأمنية الخليجية لمواجهة الأخطار التي

(١) المدينة: عدد ٥٥٣٧، ١٦ مايو ١٩٨٢، ص ١، الأمير سلطان يدعو لممارسة أقصى الضغوط لوقف الحرب العراقية - الإيرانية.

(٢) خياط، نوال محمد عبدالغني: مرجع سابق، ص ٨٢٤.

(٣) عبده، هاشم: مرجع سابق، ص ٥٢. ٥٣.

تتربص بالخليج^(١)، وقدم كذلك مشروع أسماه **(تحقيق الأمن الجماعي في الخليج)** أثناء زيارته للكويت، حيث أظهر هذا المشروع تصورًا للتعاون المشترك لتحقيق الأمن الداخلي في دول المجلس إلى جانب التنسيق الأمني بين هذه الدول^(٢)، وكان لهذه الزيارة أثرها حيث اجتمع وزراء الداخلية العرب في مؤتمر عربي بالطائف^(٣).

لقد أوجدت استمرارية الحرب الضرورة الملحة إلى **"اتفاق أمني"** تحت قيادة المملكة بين دول الخليج العربي الذين أصبحوا في حاجة ماسة لحماية سعودية ضد أي اعتداء خارجي، وبناء على ذلك تم الدعوة لعقد اجتماع قمة في المملكة العربية السعودية بين تلك الدول في ديسمبر ١٩٨٠، حيث رأت المملكة أن استمرار الصراع سيحمل في طياته خطر انتشاره في منطقة الخليج والإضرار بالمنشآت النفطية وجبر أطراف أخرى للحرب^(٤)، فتلك الحرب عززت إدراك المملكة بالخطر في الخليج العربي، وأصبحت المملكة أكثر ميلاً لفكرة تشكيل قوة تحالف خليجية -لم تستبعد الحكومة الأمريكية المشاركة فيها وإن كانت قد فهمت أنها لن تقودها بل ستكون قيادتها سعودية خالصة-^(٥).

وخلال **مؤتمر الرياض** المنعقد في ٤ فبراير ١٩٨١م؛ بين وزراء الخارجية للدول الخليجية الست؛ وبعد مناقشات عديدة بين تلك الدول استقر الرأي على مشروع جاء في غالبيته متوافقاً مع المشروع السعودي وأقره الوزراء في ختام أعمال هذا المؤتمر بالاتفاق على وثيقة إعلان إنشاء **(مجلس التعاون الخليجي)**^(٦)، وقد اعتبر الرأي العام العالمي أن المملكة العربية السعودية أسست مجلس التعاون الخليجي

(١) الأشعل، عبدالله: الإطار القانوني والسياسي لمجلس التعاون الخليجي، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة بالرياض،

١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص ٢٠.

(٢) عبده، هاشم: مرجع سابق، ص ٥٣

(٣) خياط، نوال محمد عبدالغني: مرجع سابق، ص ٧٤٦

(٤) **The Observer**; Nov 30, 1980, p. 9, Carrington is helping Saudis make Gulf pact, Seale, Patrick

(٥) FCO 8/ 4772, Subject: (Prospects For U.S) Saudi Security Cooperation On Eve Of Secretary Weinberg's Visit, Jidda 748.

(٦) أوضح إعلان مؤتمر الرياض في ٤ فبراير ١٩٨١ أن إنشاء مجلس التعاون الخليجي جاء تماشيًا مع أهداف الوحدة العربية، وفي نطاق ميثاق جامعة الدول العربية، واتخذ المجلس الجديد الرياض مقرًا له، وفي ٢٤ - ٢٥ فبراير ١٩٨١م

في فبراير ١٩٨١ انطلقا من دورها القيادي الملهم في منظمة الدول الإسلامية، وأنها بذلك أكدت قيادتها للخليج العربي بعد خلو المنطقة من أي منافس آخر بانهيار إيران والعراق نتيجة حربهم، خاصة وأن المملكة أصرت على إبعاد القوى الأجنبية عن المنطقة؛ على أساس أن السلام والاستقرار في الخليج العربي لا تقع مسؤوليتهم إلا على عاتق دول المنطقة^(١).

بدأ العالم ينظر إلى المملكة العربية السعودية باعتبارها القوة المهيمنة في منطقة الخليج العربي، وبدأ النظر لها على أنها الدرع الوحيد الذي يحمي الدول العربية الواقعة على أطراف شبه الجزيرة العربية من تهديد التخريب - سواء من الاتحاد السوفيتي، أو النظام الإيراني، أو حلفائهم وأتباعهم في المنطقة^(٢).

لقد كانت هذه الحرب أهم العوامل الحاسمة والقومية في إنشاء مجلس التعاون الخليجي؛ إلا أن إيران لم تبقى متفرجة أمام هذه التطورات؛ حيث أعلنت عن احتجاجها على قيام مجلس التعاون الخليجي، واعتبرته أداة لتكريس النفوذ السعودي في المنطقة^(٣)، وفي المقابل كانت المملكة العربية السعودية مقتنعة بأن إيران وقفت وراء محاولة انقلاب فاشلة في ديسمبر ١٩٨١ في البحرين، واتهمت المملكة في ٢٠ ديسمبر ١٩٨١ إيران بأنها أصبحت بمثابة إرهابي الخليج العربي، وعرضت على الدول العربية المعتدلة المساعدة في مجال الأمن الداخلي، وقال وزير الداخلية السعودي الأمير نايف بن عبد العزيز: (أن المؤامرة الإيرانية في البحرين كانت تستهدف دول خليجية أخرى، وأن المملكة مستعدة لإرسال قوات أمنية إلى أي من شركائها الخمسة في مجلس التعاون الخليجي إذا لزم الأمر)، وردا منه على سؤال

وتنفيذًا لقرار وزراء الخارجية اجتمعت لجنة الخبراء بالرياض لوضع نظام متكامل لما اتفق عليه بشأن مجلس التعاون الخليجي، ومناقشة مشروع النظام الأساسي للمجلس، وبعد عدة اجتماعات تم التحضير لاجتماعات القمة الخليجية في أبوظبي يومي ٢٥ - ٢٦ مايو ١٩٨١م؛ حيث أعلن في الجلسة الافتتاحية التوقيع على النظام الأساسي لمجلس التعاون الخليجي، للمزيد انظر،

_ عبده، هاشم: مرجع سابق، ص ٥٤

(^١)The Washington Post; Feb 27, 1981, p. A25, Saudi Arabia and Its Arab Neighbors Plan Gulf Security Council, By David B. Ottaway

(^٢)The Christian Science Monitor: Feb 13, 1981, Saudi aim: become main US ally and No.1 in Gulf, By. Godsell, Geoffrey

(^٣)الشمري، عمار ظاهر مصلح: مرجع سابق، ص ٤٧٨

حول سبب عدم تحرك دول الخليج ضد الإدارة الإيرانية، قال كذلك: (أن إيران أصبحت مصدر خطر ولكن واجبنا هو الدفاع عن أنفسنا وليس مهاجمة الآخرين)^(١).

وسارعت المملكة بعد أيام فقط من الكشف عن المؤامرة لتوقيع اتفاقية أمنية مع البحرين، ومنذ تلك المؤامرة قامت المملكة أيضًا بإضفاء الطابع الرسمي على الترتيبات الأمنية مع قطر وعمان والإمارات العربية المتحدة، وقال وزير الأمن الكويتي الشيخ نواف الأحمد الصباح لوكالة الأنباء السعودية في أبريل ١٩٨٢ في هذا الشأن: (إن الاتفاق الأمني السعودي الكويتي كان أيضًا في طور الانتهاء)، وبالإضافة إلى ذلك، ضغطت المملكة من أجل تنسيق دفاعي أكبر في إطار مجلس التعاون الخليجي، وقالت مصادر دبلوماسية إن أعضاء مجلس التعاون: (يريدون تشكيل قوة عسكرية إقليمية للانتشار السريع، على أن تقودها المملكة)، وتكون مهمة القوة التعبئة السريعة لمواجهة أي محاولة غزو تؤثر على دولة عضو في المجلس، كما بدأ الحديث عن "استراتيجية دفاع جوي موحدة، وسياسة مشتركة لشراء الأسلحة، وربما تصنيع الأسلحة لتلبية احتياجات الدول العربية"، كما أشار الأمير نايف بن عبدالعزيز في أبريل ١٩٨٢ أن الصراع مع إيران ليس مجرد حرب بين إيران والعراق؛ بل أنه طموح إيران للسيطرة على الجانب العربي من الخليج؛ بدءاً بالبحرين وانتهاءً بكل المناطق الأخرى، ومحاولة تثبيت أنظمة خاضعة لإيران^(٢).

وفي يومي ٢٥ و٢٦ مايو ١٩٨١ التقى قادة دول مجلس التعاون الخليجي في أبوظبي، وأيدوا الجهود المبذولة لوقف الحرب العراقية الإيرانية باعتبارها من المشاكل التي تهدد أمن المنطقة وتزيد من احتمالات التدخل الأجنبي فيها^(٣)، وقد امتدحت الوثائق الأجنبية نكاء الإدارة السعودية في اختيار التوقيت الجيد لإنشاء مجلس التعاون مع توتر الخليج العربي برمته؛ وخاصة الكويت إزاء خطر الهجوم عليها من جانب إيران، وجعلها للمجلس أمانة عامة في الرياض، وفي مقابل تدفق التحريض والدعاية الإيرانية -الخبيثة- من إذاعة طهران؛ أكدت تلك الوثائق المحايدة أن عام ١٩٨١: (كان أفضل عام في

(^١)The Guardian; Dec 21, 1981, p. 6, Saudis call Iran the terrorists of Gulf

(^٢)Chicago Tribune; Apr 18, 1982, p. B4, Iran's muscle flexing puts Saudis on defensive, By. Atlas, Terry

(^٣)مجلس التعاون لدول الخليج العربية الذكرى الأولى، مجلس التعاون لدول الخليج، ١٩٨٢هـ، ص ٢٥

تاريخ المملكة العربية السعودية من حيث الاستقرار الداخلي ونجاح سياسة المملكة الخارجية، إذ كانت المملكة نشطة بشكل غير مسبوق، وكانت ناجحة بشكل عام، كما تم الحفاظ على التقدم الاقتصادي (المذهل)، كما أن جلالة الملك خالد -رحمه الله- ظل يحظى بأكبر قدر ممكن من دعم وتأييد أطراف شعبه السعودي والأسرة السعودية، ولم تتردد القيادة السعودية في قبول أعباء قيادة المنطقة والالتزام بها^(١).

بدأت المملكة العربية السعودية بحلول يناير ١٩٨٢ بسبب التهديدات المحتملة من إيران تجري مشاورات أمنية مع بعض جيرانها الأصغر قوة في الخليج، وخلافًا للرغبة الأمريكية في السيطرة على الخليج صدمهم السعوديين بالتصريح: (أن الهدف المرجو من تلك الخطوات هو الحد من اعتماد الخليج العربي على القوتين العظميين)^(٢)، وبدلاً من إجبار الدول العربية على اتباع سياستها، حاولت المملكة العربية السعودية تنبيه أعضاء مجلس التعاون إلى المخاطر التي يشكلها التدخل السوفيتي في المنطقة، والحرب المستمرة بين العراق وإيران، بعد أن قامت إيران بثلاث غارات جوية على أهداف كويتية خلال الحرب العراقية - الإيرانية^(٣).

اتفق -بعد ذلك- وزراء دفاع دول مجلس التعاون بشكل مبدئي -بدعم سعودي- في ٢٧ يناير ١٩٨٢، على إنشاء قوة عسكرية مشتركة للدفاع عن المنطقة ضد التهديدات الخارجية مستمدة من القوات المسلحة للدول الأعضاء، ونظر الوزراء أيضاً في خطة لصناعة أسلحة حديثة، وصرح الأمير سلطان بن عبد العزيز وزير الدفاع السعودي خلال مؤتمر صحفي في الرياض بأن الخطة تم تحويلها إلى فريق من

(١) FCO 8/4771, Letter from British Embassy in Jedda to FCO London, 17 January 1982, Saudi Arabia: Annual Review For 1981

(٢) أوضحت وثيقة أمريكية بتاريخ مايو ١٩٨٢ أن الثقة السعودية في السياسة الأمريكية قد بدأت في التراجع بسبب ما اعتبرته الرياض تراخي واشنطن عن مواجهة التهديد الإيراني أو كبح جماح إسرائيل، مع شراء الولايات المتحدة للنفط الإيراني، خاصة مع ما تم معرفته من الدعم الإسرائيلي لإيران، وعدم رغبة الولايات المتحدة في تزويد العراق بالأسلحة لمساعدته على تجنب الهزيمة، انظر،

CIA-RDP06T00412R000200760001-5, North Yemen: Chronic Instability at Riyadh's Back Door, May. 1982.

(٣) Wall Street Journal; Jan 14, 1982, p. 34, Saudis Work for Gulf Security Pact, By. TEWFIK MISHLAWI

الخبراء لمزيد من الدراسة، وأعلن في الرياض أن وزراء الدفاع الستة وافقوا على التوصيات التي قدمها لهم رؤساء أركان قواتهم المسلحة بشأن نظام دفاع جماعي للمنطقة، وقال الأمير سلطان: **(إن القرارات ستبقى سرية لأنها تتعلق بالمصالح العليا للدول المعنية)**، مع التأكيد على انشاء نظام دفاع جوي جماعي مزود بمظلة جوية، وتكون للقيادة العسكرية المشتركة فيه صياغة سياسة مشتركة لشراء الأسلحة، وإنشاء صناعة لتصنيعها لتلبية احتياجات الدول الأعضاء من أنواع معينة من الأسلحة^(١).

وجاء في **"البيان الصحفي للدورة الاستثنائية الأولى للمجلس الوزاري"**، المنعقد بالمانامة في ٦ - ٧ فبراير ١٩٨٢ م؛ أن المجلس استعرض الحرب العراقية - الإيرانية، ولاحظ استعداد العراق المستمر لإيجاد حل عادل لها، وأعلن عن تأييده لكافة المساعي المبذولة لوقف هذه الحرب بالطرق السلمية، ودعا إيران إلى التجاوب مع المساعي المبذولة من المؤتمر الإسلامي، ودول عدم الانحياز، والأمم المتحدة لإيجاد حل سلمي يؤمن الحقوق المشروعة للأطراف المتنازعة، وأيد المجلس طلب العراق بحث هذا الموضوع في مؤتمر القمة العربي من أجل اتخاذ موقف عربي موحد^(٢).

ومع تراجع الموقف العراقي في الحرب قبيل وفاة الملك خالد بن عبدالعزيز -رحمه الله-؛ رأى البعض أن احتمالية حدوث غزو إيراني للعراق سيؤثر على تماسك مجلس التعاون الخليجي، لأن ذلك الغزو سيضع دول الخليج الأخرى في مواجهة مباشرة مع النظام الإيراني، وعلى ذلك من الطبيعي أن تبذل دول الخليج كل ما في وسعها للحفاظ على نظام عراقي صديق وغير ضعيف^(٣)، وقد جاهدت دول مجلس التعاون وعلى رأسها المملكة العربية السعودية **"لتعريب الصراع العراقي الإيراني"** -حسب ما جاء في وثيقة بريطانية- واصطفاف العالم العربي لمواجهة الخطر الإيراني^(٤)، كما استضافت المملكة اجتماع

(١) **Wall Street Journal**; Jan 28, 1982, p. 31, Six Arab States Agree to Form Defense Force, By TEWFIK MISHLAWI

(٢) **البيانات الصحفية لدورات المجلس الوزاري من الدورة الأولى إلى الدورة الرابعة والأربعين**، مجلس التعاون لدول الخليج العربي - الأمانة العامة، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م، ص ١٤، ١٥

(٣) **CIA-RDP85T00176R001100130001-6**, Implications of Iran's Victory Over Iraq, Special National Intelligence Estimate, 8 June 1982.

(٤) FCO 8/ 4774, Letter from Jedda 20 May 1982, Arab Peace Plan

استثنائي لوزراء خارجية دول مجلس التعاون في ٢٠ أبريل ١٩٨٢، وأكد الاجتماع السعي لإنهاء الحرب حقنا للدماء الإسلامية وحماية لأمن واستقرار المنطقة^(١).

والأمر كذلك، دعا الأمير سلطان بن عبدالعزيز إبان عقد اجتماع طارئ لوزراء خارجية دول مجلس التعاون الخليجي بالكويت في ١٤ مايو ١٩٨٢؛ إلى ضرورة ممارسة أقصى الضغوط العربية والإسلامية والدولية للتوصل إلى وقف الحرب، وأن استمرارها شكل أخطارًا كثيرة على المنطقة بأسرها، وأوضح أن الحل يعتمد على وقف إطلاق النار فوراً، والجلوس إلى مائدة المفاوضات بين العراق وإيران، والاحتكام إلى لجان لتحديد مسؤولية، وفي ذات الشأن أكد الأمير سلطان أن التحرك الخليجي يجب أن ينتهي إلى رد فاعل للمساعدة في إيجاد حل لهذه الحرب^(٢).

في ذلك الوقت كانت القوات الإيرانية قد أصبحت على بعد ٢٠ كم من البصرة، ثاني أكبر المدن العراقية، وظهر القلق في أن يؤدي الغزو الإيراني المحتمل إلى اندلاع حرب عربية فارسية أوسع نطاقاً، وتوقعت الاستخبارات الأمريكية أن تفعل المملكة العربية السعودية ودول الخليج الأخرى كل ما في وسعهم لكبح جماح إيران^(٣).

وفي السياق ذاته أظهرت وثيقة لـ "وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية CIA" بتاريخ ٢٢ مايو ١٩٨٢ قلق المملكة العربية السعودية العميق إزاء احتمالات النصر الإيراني على العراق، وإن أكدت اجتماعات مجلس التعاون التصميم على ردع العدوان الإيراني ومواجهة إيران وحلفائها من العرب

(١) الجزيرة: عدد ٣٥١٧، ٢١ أبريل ١٩٨٢، ص ١، اختتام الاجتماع الاستثنائي لوزراء خارجية مجلس التعاون، تقدير لمبادرة جلالة الملك.. ومساندة لجهود لإنهاء الحرب العراقية الإيرانية

(٢) المدينة: عدد ٥٥٣٧، ١٦ مايو ١٩٨٢، ص ١، الأمير سلطان يدعو لممارسة أقصى الضغوط لوقف الحرب العراقية – الإيرانية.

(٣) CIA: Memorandum For: The Honorable Frank C. Carlucci Deputy Secretary of Defense Room 3E944, Pentagon, 18 May 1982, Possible Outcomes, and Implications of the Iran-Iraq War.

المتطرفين -ليبيا وسوريا^(١) واليمن الجنوبي^(٢)، ولا شك أن أهمية المملكة بالنسبة للعالم الصناعي حيث القوى العظمى قد سهلت مهمة المملكة في حشد مواقف دولية وقفت بجانب الدول الخليجية في صيانة وحماية أمنها الإقليمي، ودفعت وبشكل كبير المنظومة الدولية لإصدار قرارات تطالب بوضع حد للحرب العراقية الإيرانية.

خاتمة

اتضح من الدراسة عدد من النتائج الهامة؛ نذكر منها:

- لم يتردد الملك خالد بن عبدالعزيز -رحمه الله- في دعم أشقائه العرب في لمواجهة الأخطار الخارجية؛ والتي كان أبرزها ما ظهر في الدعم السعودي للشعب العراقي إبان اندلاع الحرب العراقية الإيرانية في شهورها الأولى قبيل وفاة جلالته في ١٣ يونيو ١٩٨٢.
- ساهمت الحرب العراقية الإيرانية في استيراد المملكة العربية السعودية لعدد مهم وكبير من أحدث الطائرات الحربية، والمعدات العسكرية؛ تعزيزاً لأمنها واستقرارها في مواجهة أي تهديد محتمل، حتى وإن لم تكن المملكة طرفاً في تلك الحرب.
- أظهرت الدراسة تمسك المملكة العربية السعودية بأمن أشقائها في الخليج العربي، وشعورها بالمسؤولية تجاههم، وهو الأمر الذي ظهر في قيادة المملكة لدول الخليج العربي في إنشاء مجلس التعاون الخليجي، وإسراعها في نجدة كل دولة عربية خليجية تتعرض للتهديد الإيراني آنذاك.
- بينت الدراسة أن اهتمام القيادة السعودية بأمن المملكة، وتقوية قواتها المسلحة فاقت أي اهتمام آخر في التاريخ الوطني المعاصر.

(١) وفي ٧ أكتوبر ١٩٨٠، أصبحت سوريا أول دولة عربية تتحاز رسمياً إلى إيران. وانتقدت سوريا العراق لمهاجمته حليفاً محتملاً للعرب، خاصة في صراعه مع إسرائيل. إلى جانب هذا الدعم الشفهي، زودت دمشق القوات المسلحة الإيرانية بالعتاد الحربي وجعلت مطاراتها متاحة للضربات الإيرانية في غرب العراق، انظر،

_ **May Darwich:** Threats and Alliances in the Middle East: Saudi and Syrian Policies in a Turbulent Region, Cambridge University Press, 2019, P.59

(٢) CIA-RDP83B00232R000100140005-3, Persian Gulf Security: The Iranian Threat, May. 22, 1982.

- أظهرت الدراسة - بما لا يدع مجالاً للشك - أن المملكة العربية السعودية كانت وستظل هي أكثر دول المنطقة التي تضع لها القوى العظمى الحسابات، ولا تستطيع أن تخسر علاقاتها الطيبة معها لما لدى المملكة من قوة سياسية ودبلوماسية وعسكرية واقتصادية.

المصادر والمراجع

أولاً: وثائق وزارة الخارجية البريطانية **Foreign And Commonwealth Office** :

- 1) "Foreign And Commonwealth Office" FCO 8/ 3445, The Islamic Revolution, The Voice of the Oppressed People, The Voice of the Islamic Revolution in the Arabian Peninsula, No.2, Jumada II, 1400 AH, The Path of Revolution- The Nature of the Struggle
- 2) FCO 8/ 4775, record of a meeting between the prime minister and the foreign minister of Saudi Arabia, prince Saud, on 11 June 1982 at 10 Downing street at 1430 hours.
- 3) FCO 8/ 3445, call on minister of state by shaikh Khalid bin saor al rasest qasimi deputy ruler of ras al khaimah, on Thursday 6 November at the FCO, Nov. 6, 1980
- 4) FCO 8/ 3709, text of the press release issued on 6th august 1980 upon the conclusion of the state visit paid by h.e. president Saddam Hussein to Saudi Arabia.
- 5) FCO 8/ 3709, weekly energy report – 22 October 1980, Opec
- 6) FCO 8/ 3742, Telegram No. 560, from FCO. London to Jedda, Sep. 30, 1980, Iran/ Iraq.
- 7) FCO 8/ 3742, Telegram No. 801, from FCO London to New York, Oct. 2, 1980, Iran/ Iraq.
- 8) FCO 8/ 3748, Letter from British embassy in Washington, to fco London, 10 November 1980, Iran/Iraq war: did the Saudis know in advance?
- 9) FCO 8/ 3748, Telegram No. 714, from Jedda to FCO. London, Oct. 1, 1980, Iran/ Iraq
- 10) FCO 8/ 3748, Telegram No. 716, from Jedda to FCO. London, Oct. 2, 1980, Iraq/Iran: Saudi reactions
- 11) FCO 8/ 3748, Telegram No. 759, from Jedda to FCO, Oct. 16, 1980, Iraq/ Iran
- 12) FCO 8/ 3748, Telegram No. 774. from Jedda to FCO. London, Oct. 30, Iran/ Iraq
- 13) FCO 8/ 3748, Telegram No. 774. from Jedda to FCO. London, Oct. 30, Iran/ Iraq
- 14) FCO 8/ 3748, Telegram No. 774. from Jedda to FCO. London, Oct. 30, Iran/ Iraq
- 15) FCO 8/ 3748, Telegram No. 776. from Jedda to FCO. London, Oct. 30, 1980, IRAN/IRAQ: talk with prince Fahd
- 16) FCO 8/ 3819, Letter from Foreign and Commonwealth Office, London, 10 March. 1981, prime minister's visit to Saudi Arabia and the gulf: 19 - 25 APRIL.
- 17) FCO 8/ 4608, Ettelalat: Foreign Minister strongly criticizes Moslem Brotherhood's current activities in Syria, March. 4, 1982
- 18) FCO 8/ 4772, Commentary, December 1981, Appeasement & the AWACS, By. Robert W. Tucker.

- 19) FCO 8/ 4772, subject: (prospects for U.S) Saudi security cooperation on eve of secretary Weinberg's visit, Jidda 748.
- 20) FCO 8/ 4773, Draft Letter to Sir James Craig, how should we deal with Saudi Arabia?, 1981
- 21) FCO 8/ 4774, British embassy Tripoli 25 May 1982, LIBYA/SAUDI ARABIA
- 22) FCO 8/ 4774, JANA, 23 MAY 1982 Qadhafi calls for liberation of mecca and Jerusalem, 29 may 1982, Jamahiriya news agency
- 23) FCO 8/ 4774, Letter from British Embassy in Jedda to FCO, April 5, 1982, Saudi/Iraqi relations.
- 24) FCO 8/ 4774, Letter from Jedda 20 May 1982, Arab peace plan
- 25) FCO 8/ 4775, Telegram from FCO to Jedda, No 160, Jun 11, 1982, Saudi foreign minister: Lebanon
- 26) FCO 8/ 4775, Telegram from Jedda No 95, 31 May 1982, Steadfastness Front/Iran/Israel: Saudi Press Comment
- 27) FCO 8/4286, Letter from H. B. Walker to FCO, Jun. 17, 1980, Iran / Iraq: UAE Role
- 28) FCO 8/4286, Telegram From Washington to FCO London, JUL.15, 1982, Telegram Number 2443, Iran/I Raq
- 29) FCO 8/4771, Calendar Of Events 1981
- 30) FCO 8/4771, Letter from British Embassy in Jedda to FCO London, 17 January 1982, Saudi Arabia: Annual Review For 1981
- 31) FCO 8/4772, Letter from British Embassy in Washington to Middle East Department FCO London, 24 February 1982, The US Commitment To Saudi Arabia.

ثانيًا: وثائق وكالة الاستخبارات الأمريكية CIA:

- 32) CIA-RDP06T00412R000200760001-5, North Yemen: Chronic Instability at Riyadh's Back Door, May. 1982.
- 33) CIA: MEMORANDUM FOR: The Honorable Frank C. Carlucci Deputy Secretary of Defense Room 3E944, Pentagon, 18 May 1982, Possible Outcomes, and Implications of the Iran-Iraq War.
- 34) CIA-RDP06T00412R000200020001-6, Tilting Toward Baghdad: Gulf States' Aid to Iraq, An Intelligence Assessment, of 24 January 1981.
- 35) CIA-RDP81B00401R000500030004-3, National Intelligence Officers, THE DIRECTOR OF CENTRAL INTELLIGENCE, WASHINGTON, D. C., November. 14, 1980 , ALERT MEMORANDUM, IRAN-IRAQ: Danger of a Wider War
- 36) CIA-RDP83B00232R000100140005-3, Persian Gulf Security: The Iranian Threat, May. 22, 1982.
- 37) CIA-RDP83M00914R002100110035-3, August 18, 1981, Air Defense Enhancement Package for Saudi Arabia
- 38) CIA-RDP85T00176R001100130001-6, Implications of Iran's Victory Over Iraq, Special National Intelligence Estimate, 8 June 1982.

ثالثًا: وثائق مجلس الوزراء البريطاني PREM :

39) PREM 19/ 757, RECORD OF A MEETING BETWEEN THE MINISTER OF STATE AND THE SAUDI FOREIGN MINISTER IN RIYADH AT 1530 ON 19 APRIL 1981

رابعاً: المصادر العربية Primary Arabic sources

٤٠) الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامي: القرارات السياسية التي وافق عليها مؤتمر القمة الإسلامي الثالث (دورة فلسطين والقدس الشريف)، مكة المكرمة ١٩ - ٢٢ ربيع الأول ١٤٠١ هـ الموافق ٢٥ - ٢٨ يناير ١٩٨١ م، ص ٣١ قرار رقم ٦/٣ س (ق أ) بشأن النزاع العراقي الإيراني.

٤١) الأمم المتحدة، الجمعية العامة: الدورة الخامسة والثلاثون، محضر حرفي مؤقت للجلسة الثالثة والعشرون المعقودة بنيويورك يوم الجمعة ٣ أكتوبر ١٩٨٠، كلمة الأمير سعود الفيصل (المملكة العربية السعودية) فقرة ١٠٢.

٤٢) الأمم المتحدة، الجمعية العامة، الدورة السادسة والثلاثون، الجلسة ٢٥، الاثنين ٥ أكتوبر ١٩٨١، نيويورك، خطاب الأمير سعود الفيصل (المملكة العربية السعودية)، فقرة ١٧٩.

٤٣) البيانات الصحفية لدورات المجلس الوزاري من الدورة الأولى إلى الدورة الرابعة والأربعين، مجلس التعاون لدول الخليج العربي - الأمانة العامة، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م

- General Secretariat of the Organization of the Islamic Conference: Political resolutions approved by the Third Islamic Summit Conference (Palestine and Holy Jerusalem Session), Mecca Al-Mukarramah 19-22 Rabi' al-Awwal 1401 AH corresponding to January 25-28 1981 AD, p. 31, Resolution No. 6/3 Q (Q.A) Regarding the Iraqi-Iranian conflict.
- United Nations, General Assembly: Thirty-fifth Session, provisional verbatim record of the twenty-third session held in New York on Friday, October 3, 1980, speech by Prince Saud Al-Faisal (Kingdom of Saudi Arabia), paragraph 102.
- United Nations, General Assembly, Thirty-sixth Session, 25th Session, Monday, October 5, 1981, New York, speech by Prince Saud Al-Faisal (Saudi Arabia), paragraph 179.
- Press releases for the Ministerial Council sessions from the first session to the forty-fourth session, Cooperation Council for the Arab Gulf States - General Secretariat, 1413 AH / 1992 AD

خامساً: المراجع العربية Arabic references

- ٤٤) الشرع، عباس جبار: مواقف تجاه الحرب العراقية - الإيرانية في الدوريات العربية والاجنبية، مجلة الخليج العربي، جامعة البصرة - مركز دراسات البصرة والخليج العربي، مجلد ١٣، عدد ٤، ١٩٨١
- ٤٥) أبو طالب، حسن: المملكة السعودية وظلال القدس، سينا للنشر، ١٩٩١ م
- ٤٦) الأشعل، عبدالله: الإطار القانوني والسياسي لمجلس التعاون الخليجي، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة بالرياض، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م

- (٤٧) مجلس التعاون لدول الخليج العربية الذكرى الأولى، مجلس التعاون لدول الخليج، ١٩٨٢ هـ
- (٤٨) الكواز، محمد سالم: العلاقات السعودية الإيرانية ١٩٧٩ - ٢٠١١ دراسة تاريخية سياسية، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٣
- (٤٩) عبده، هاشم: الدور السعودي في الخليج، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة بالرياض، ١٤١٤ هـ
- (٥٠) معهد الدراسات الدبلوماسية: السياسة الخارجية للمملكة العربية السعودية في مائة عام ١٣١٩ هـ - ١٤١٩ هـ، مؤسسة الاصفاء للطباعة، ١٤١٩ هـ

- Abbas Jabbar Al-Sharaa: Attitudes towards the Iraqi-Iranian war in Arab and foreign periodicals, Al-Khaleej Al-Arabi Magazine, University of Basra - Center for Basra and Arabian Gulf Studies, Volume 13, Issue 4, 1981
- Hassan Abu Talib: The Kingdom of Saudi Arabia and the Shadows of Jerusalem, Sina Publishing, 1991 AD
- Abdullah Al-Ashaal: The Legal and Political Framework of the Gulf Cooperation Council, King Abdulaziz Public Library in Riyadh, 1403 AH/1983 AD.
- The Cooperation Council for the Arab States of the Gulf, First Anniversary, The Cooperation Council for the Arab States of the Gulf, 1982 AH
- Muhammad Salem Al-Kawaz: Saudi-Iranian relations 1979-2011, a historical and political study, Dar Ghaida for Publishing and Distribution, Amman, 2013.
- Hashem Abdo: The Saudi role in the Gulf, King Abdulaziz Public Library in Riyadh, 1414 AH.
- Institute of Diplomatic Studies: The Foreign Policy of the Kingdom of Saudi Arabia in the One Hundred Years 1319 AH - 1419 AH, Al-Istifaa Printing Establishment, 1419 AH

سادسًا: المراجع الأجنبية Foreign references

- 51) J. E. Peterson: Historical Dictionary of Saudi Arabia, Second Edition, The Scarecrow Press, Inc, Oxford, 2003
- 52) May Darwich: Threats and Alliances in the Middle East: Saudi and Syrian Policies in a Turbulent Region, Cambridge University Press, 2019

سابعًا: المقالات العربية Arabic articles

- (٥٣) الحجاج، خليل إبراهيم: دور الحرب العراقية - الإيرانية: في تأزيم العلاقة بين العراق ودول الخليج العربية، مجلة المنارة للبحوث والدراسات، جامعة آل البيت - عمادة البحث العلمي، مجلد ١٣ ، عدد ٧، ٢٠٠٧
- (٥٤) محمد، سلمى عدنان ، كوثر غضبان عبد الحسن، صفاء عبد الوهاب المبارك: موقف الدول العربية من الحرب العراقية - الإيرانية ١٩٨٠ - ١٩٨٨، مجلة آداب ذي قار ، مجلد ١، عدد ٣، جامعة ذي قار - كلية الآداب، ٢٠١١
- (٥٥) صالح العمر، صفاء: الحرب العراقية - الإيرانية والموقف الدولي، مجلة الخليج العربي، جامعة البصرة - مركز دراسات البصرة والخليج العربي، مجلد ١٤ ، عدد ٢، ١٩٨٢

٥٦) السعدون، عبدالرازق بن خالد: العلاقات السعودية الإيرانية من التوتر إلى التقارب (١٩٨٣ - ٢٠٠٠)، مجلة بحوث دبلوماسية، وزارة الخارجية - معهد الدراسات الدبلوماسية، عدد ١١، ٢٠٠٢

٥٧) السعدون، عبدالرازق بن خالد: العلاقات السعودية الإيرانية من التوتر إلى التقارب (١٩٨٣ - ٢٠٠٠)، مجلة بحوث دبلوماسية، وزارة الخارجية - معهد الدراسات الدبلوماسية، عدد ١١، ٢٠٠٢

٥٨) الشمري، عمار ظاهر مصلح: العلاقات السعودية الإيرانية ١٩٧٩ - ١٩٩١ م، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، جامعة الموصل - كلية التربية الأساسية، مجلد ٩، عدد ٣، حزيران ٢٠١٠

٥٩) العكدي، مجول محمد محمود جاسم: موقف الدبلوماسية الخليجية تجاه الصراع العراقي - الإيراني ١٩٨٠ - ١٩٨٨: دراسة تاريخية، مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية، جامعة نواكشوط - كلية الآداب والعلوم الإنسانية، عدد ٣٦، ٢٠١٩

٦٠) الرميحي، محمد: آثار الحرب العراقية - الإيرانية على الأوضاع في الخليج، مجلة شؤون عربية، جامعة الدول العربية - الأمانة العامة، عدد ٣٨، يونيو ١٩٨٤

٦١) هيئة التحرير (مؤلف): خالد بن عبدالعزيز الملك الإنسان ١٣٣٣ - ١٤٠٢ هـ / ١٩١٤ - ١٩٨٢، مجلة الدارة، دارة الملك عبدالعزيز، مجلد ٨، عدد ١، يوليو ١٩٨٢

- Khalil Ibrahim Al-Hajjaj: The role of the Iraqi-Iranian war: in worsening the relationship between Iraq and the Arab Gulf states, Al-Manara Journal for Research and Studies, Al-Bayt University - Deanship of Scientific Research, Volume 13, Issue 7, 2007
- Salma Adnan Muhammad, Kawthar Ghadhbhan Abdul Hassan, Safaa Abdul Wahab Al-Mubarak: The position of the Arab countries on the Iraqi-Iranian war 1980-1988, Dhi Qar Journal of Arts, Volume 1, Number 3, Dhi Qar University - College of Arts, 2011
- Safaa Saleh Al-Omar: The Iraqi-Iranian War and the International Position, Al-Khaleej Al-Arabi Magazine, University of Basra - Center for Basra and Arabian Gulf Studies, Volume 14, Issue 2, 1982
- Abdul Razzaq bin Khalid Al-Saadoun: Saudi-Iranian relations from tension to rapprochement (1983 - 2000), Diplomatic Research Journal, Ministry of Foreign Affairs - Institute of Diplomatic Studies, No. 11, 2002
- Abdul Razzaq bin Khalid Al-Saadoun: Saudi-Iranian relations from tension to rapprochement (1983 - 2000), Diplomatic Research Journal, Ministry of Foreign Affairs - Institute of Diplomatic Studies, No. 11, 2002
- Ammar Zahir Musleh Al-Shammari: Saudi-Iranian relations 1979 - 1991 AD, Research Journal of the College of Basic Education, University of Mosul - College of Basic Education, Volume 9, Issue 3, June 2010
- Majoul Muhammad Mahmoud Jassim Al-Aqidi: The position of Gulf diplomacy towards the Iraqi-Iranian conflict 1980 - 1988: a historical study, Journal of Historical and Social Studies, University of Nouakchott - Faculty of Arts and Human Sciences, No. 36, 2019
- Muhammad Al-Rumaihi: The effects of the Iraqi-Iranian war on the situation in the Gulf, Arab Affairs Magazine, League of Arab States - General Secretariat, No. 38, June 1984

- Editorial board (author): Khalid bin Abdulaziz, King Al-Insan 1333 - 1402 AH / 1914 - 1982, Al-Dara Magazine, King Abdul-Aziz House, Volume 8, Issue 1, July 1982

ثامناً: المقالات الأجنبية Foreign articles:

- 62) S. Fred Singer: Saudi Arabia's Oil Crisis Policy Review; Summer. 1982, Issue 21
 63) Ramon Knauerhase: Saudi Arabia's foreign and domestic policy, Current History, Jan. 1981, Vol. 80, Issue. 462

تاسعاً: الرسائل العلمية العربية Arabic scientific theses

٦٤) المسعود، أشرف بن ثامر بن نزال: سياسة المملكة العربية السعودية تجاه القضايا العربية المعاصرة في المشرق العربي ١٩٨١ - ١٩٩١م، رسالة دكتوراه، جامعة مؤتة، ٢٠١٧

٦٥) خياط، نوال محمد عبدالغني: الملك خالد بن عبدالعزيز آل سعود دراسة تاريخية وحضارية (١٣٣١ - ١٤٠٢) - (١٣١٩ - ١٩٨٢)، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ٢٠٠٣ م

- Ashraf bin Thamer bin Nazzal Al Masoud: The policy of the Kingdom of Saudi Arabia towards contemporary Arab issues in the Arab Levant 1981-1991 AD, PhD thesis, Mutah University, 2017
- Nawal Muhammad Abdul-Ghani Khayyat: King Khalid bin Abdulaziz Al Saud, a historical and cultural study (1331-1402) - (1319-1982), Master's thesis, Umm Al-Qura University, College of Sharia and Islamic Studies, 2003 AD.

عاشراً: الصحف العربية Arab newspapers

٦٦) أم القرى: عدد ٢٨٨١، ١٤ أغسطس ١٩٨١.

٦٧) أم القرى: عدد ٢٨٩١، ١٣ نوفمبر ١٩٨١

٦٨) الجزيرة: ٣٠ نوفمبر ١٩٨٠، الفهد في حديث صحفي، المملكة طرف عربي متكامل في الحرب العراقية الإيرانية، نقلاً عن، <https://kkb.kkf.org.sa/>

٦٩) الجزيرة: عدد ٣٢٩٥، ٣ سبتمبر ١٩٨١

٧٠) الجزيرة: عدد ٣٥١٧، ٢١ أبريل ١٩٨٢

٧١) عكاظ، عدد ٥٨٥٩، ١٥ يونيو ١٩٨٢

٧٢) المدينة: ٢٧ ديسمبر ١٩٨٠، حقائق حول عمل طائرات الإنذار المبكر (أواكس) بالمملكة: الرادار السعودي يحيط بالمملكة، ٣ مواقع لكشف الطيران المنخفض، انظر، <https://kkb.kkf.org.sa/>

٧٣) المدينة: عدد ٥٥٣٧، ١٦ مايو ١٩٨٢

٧٤) اليوم: عدد ٣١٣٧، ٢٨ مارس ١٩٨١

٧٥) اليوم، عدد ٢٩٩٤، ٥ أكتوبر ١٩٨٠

٧٦) اليوم، عدد ٣١٦٢، ٢٦ أبريل ١٩٨١

(٧٧) اليوم، عدد ٣٤٨٥، ٢٠ مايو ١٩٨٢

- Umm Al-Qura: Issue 2881, August 14, 1981.
- Umm Al-Qura: Issue 2891, November 13, 1981
- Al Jazeera: November 30, 1980, Al-Fahd in a press interview, the Kingdom is an integrated Arab party in the Iran-Iraq war, quoted from, <https://kkb.kkf.org.sa/>
- Al Jazeera: Issue 3295, September 3, 1981
- Al Jazeera: Issue 3517, April 21, 1982
- Okaz, No. 5859, June 15, 1982
- City: December 27, 1980, facts about the work of early warning aircraft (AWACS) in the Kingdom: Saudi radar surrounds the Kingdom, 3 sites for detecting low-flying aircraft, see, <https://kkb.kkf.org.sa/>
- Elmadinah: Issue 5537, May 16, 1982
- AlYoun: Issue 3137, March 28, 1981
- AlYoun, No. 2994, October 5, 1980
- AlYoun, No. 3162, April 26, 1981
- AlYoun, No. 3485, May 20, 1982

حادي عشر: الصحف الأجنبية Foreign newspapers

- 78) New York Times; Jul 17, 1981
- 79) The Times of India; Jun 14, 1982
- 80) The Washington Post; Jul 17, 1981
- 81) Arab News; Oct. 7, 1980, Saudi Arabia
- 82) Chicago Tribune; Apr 18, 1982
- 83) Chicago Tribune; Dec 29, 1980
- 84) Chicago Tribune; Nov 19, 1980
- 85) Los Angeles Times; Apr 22, 1981
- 86) Los Angeles Times; Jan 26, 1981
- 87) Los Angeles Times; Oct 10, 1980
- 88) Los Angeles Times; Oct 22, 1980
- 89) Los Angeles Times; Oct 29, 1980
- 90) New York Times ; Oct 19, 1980
- 91) New York Times, Oct 16, 1980
- 92) New York Times; Apr 1, 1982
- 93) New York Times; Apr 4, 1982
- 94) New York Times; Dec 28, 1981
- 95) New York Times; Dec 29, 1980
- 96) New York Times; Feb 1, 1981
- 97) New York Times; Feb 4, 1981
- 98) New York Times; Jan 17, 1981
- 99) New York Times; Jan 24, 1981
- 100) New York Times; Sep.1, 1981.

- 101) New York Times; Oct 1, 1980
- 102) New York Times; Oct 11, 1980
- 103) New York Times; Oct 12, 1980
- 104) New York Times; Oct 16, 1980
- 105) New York Times; Oct 29, 1980
- 106) The Christian Science Monitor: Feb 13, 1981
- 107) The Guardian; Oct 7, 1981
- 108) The Guardian; Dec 21, 1981
- 109) The Guardian; Dec 28, 1981
- 110) The Guardian; Jan 2, 1982
- 111) The Observer; Nov 30, 1980
- 112) The Times of India; Oct 11, 1980
- 113) The Times of India; Oct 30, 1980
- 114) The Washington Post; Feb 27, 1981
- 115) The Washington Post; Jan 1, 1982
- 116) The Washington Post; May 28, 1982
- 117) The Washington Post; Oct 1, 1980
- 118) The Washington Post; Sep 28, 1980
- 119) The Washington Post; Sep 28, 1980
- 120) Wall Street Journal; Dec 24, 1981
- 121) Wall Street Journal; Jan 14, 1982
- 122) Wall Street Journal; Jan 26, 1981
- 123) Wall Street Journal; Jan 28, 1982
- 124) Wall Street Journal; Jun 14, 1982
- 125) Wall Street Journal; Jun 2, 1982
- 126) Wall Street Journal; Nov 11, 1980
- 127) Wall Street Journal; Nov 14, 1980
- 128) Wall Street Journal; Oct 15, 1980
- 129) Wall Street Journal; Sep 18, 1981
- 130) Wall Street Journal; Sep 30, 1980

القيمة التاريخية لكتب الرحلات رحلة ابن جبير أنموذجا

The historical value of travel books

Ibn Jubayr's journey as a model

م.د. وجدان جعفر غالب

جامعة البصرة، العراق

مركز دراسات البصرة والخليج العربي

قسم الدراسات التاريخية

Dr. Wijdan Jafar Ghaleb

University of Basra/Center for Basra and Arabian Gulf Studies

Department of Historical Studies

wijdanalmusawi9@gmail.com

ملخص

إن الدراسات التاريخية ميدان واسع يتطلب العديد من العلوم والمساعدة والتي من شأنها أن تزود الباحث بوصول الكثير ومن هذا الاطار تعد الرحلة مصدرا هامة لا يمكن الاستغناء عنه في الدراسات التاريخية، ويعتبر أدب الرحلة فنا متميزا حيث يتطلب قدرة التعبير ودقة في التصوير تسجيل يصف المواقع والمواقف وما يمر به لما يستحق التسجيل بوضوح في الإيجاز حتى يجعل كالمحسوس المدرك بالإشارة لإشارة الخطوط العريضة التي تتركز في ملاحظة اليد التي تقرب الشعوب ارتفعت عن الشعوب وأقواما الة قوام تفصل تفاصيل الدورة على أن ثمار الرحلة لا تتوقف عن التعرف أو كشف طباع عن ذلك، إلا أنها تجود بمكاسب علمية أدبية ، لأن دوافع السفر من إنسان لآخر تعود عليه لفوائد النافعة على الفرد والمجتمع. وقد تعددت الرحلات بتباين أهدافها فقد ارتحل بعضهم بقصد الميل إلى الاستطلاع واكتشاف المجهول أو الرغبة في ارتياد العلم ومن هذا المنطلق جاءت كتابتنا للبحث لتركز على القيمة التاريخية لكتب الرحلات ودورها في إثراء المعرفة التاريخية وكان أهم الرحلات التي كان لها أثر بالغ في دعم وإثراء الدراسات التاريخية في العصر الوسيط والحديث وأهمها كرحلة بن جبير أنموذجا.

كلمات مفتاحية:

قيمة تاريخية، رحالة، ابن جبير، رحلة.

Absterc:

Travel literature is considered a distinct art as it requires the ability to change and accuracy in photography because it describes the sites and situations and what passes to him for what deserves to be clearly recorded in the phrase in order to make it like the sensible perceived by the sign, not the significance of the journey that lies in being the hand that extends to bring people closer to peoples and standing. A machine of people separated by a sailor and a glove that the fruits of the journey do not stop getting acquainted with or revealing the character of peoples, but they are provided with scientific and literary gains, and despite the different motives of travel from one person to another, the journey is a behavior that differentiates its beneficial fruits on the individual and on society, as trips have multiplied with varying goals Some of them traveled with the intention of exploring and discovering the unknown or the desire to pursue scienc.

Keywords: Historical value, traveler, Ibn Jubayr, journey.

مقدمة

تشكل كتابات الرحلة مصدرا هاما في الدراسات التاريخية من دراسة تاريخ المدن والبلدان لمختلف نواحي سياسية واقتصادية واجتماعية، نظرا لما تنطوي عليه فوائد متعددة فأدب الرحلات قدما للثام وكشف جوانب مهمه من تاريخ الشعوب سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية ومن هذا المنطلق استقطبت كتابات الرحلة اهتمام الباحثين والمؤرخين الذين كرسوا جهودهم لدراساتهم وتحقيقها والاستفادة من القيمة العلمية والتاريخية التي تضمنها هذه الكتابات، لذا تعد كتب الرحلات من مصادر التاريخ والآثار والمجتمع التي تضيف الكثير من المعلومات والاحداث وتقدم وصف للاماكن والشخصيات وهي انطباعات شخصية ورافعه عن الجوانب الاجتماعية والحضارية للمناطق التي تشملها.

فقد عرف الإنسان الرحلة أو الترحال بفطرته التي حيل عليها منذ بدء الخليقة ومنذ هبوط آدم وحواء على وجه الأرض حيث أن أدب الرحلة نوع أدبي يصور فيه الكاتب ما جرى له من أحداث أو صادفه في أثناء رحلته وتعد رحلة بن جبير من أهم الرحلات في تراث العربي في ترسيخ الثقافة العربية الإسلامية وذات ثروة معرفية كبيرة ومادة اجتماعية وحضارية مشوقة حيث أثرت المنهج التاريخي في البداية كأداة لعرض هذا العنصر من خلال العصور التي مر بها أدب الرحلات باعتبار الرحلة متصلة بتاريخ الإنسان وحب الاستطلاع في الآخرين، حيث يغلب على أساليب الرحلات ومصوغاتها أن يكون مبناها عرض خط السير من منطلق صاحبها إلى منتهاه وتسجيل معالم الطريق وأحداث المسير وما جرى لصاحبها من أحداث تسر أو تحزن وتضحك أو تبكي وأقل ما تشتمل على مجالس أدبية أو مباحث علمية ومن أشهر

الرحلات رحلة ابن جبير وهو رحل من المغرب إلى الحجاز ومنها إلى العراق وعاد إلى بلده محملاً بالمجالات العلمية.

تعد رحلة ابن جبير من أهم الرحلات في تراثنا العربي وفي ترسيخ الثقافة العربية والإسلامية. إذ تشكل ثروة معرفية كبيرة، ومادة اجتماعية وحضارية مشوقة، مما يعطي رحلته السمة الأدبية والقيمة الفنية.

المبحث الأول: تعريف الرحلة عند العرب

أولاً: تعريف الرحلة:

في البدء لابد من تعريف كلمة الرحلة، حيث تحمل كلمة الرحلة معاني متعددة ففي اللغة مأخوذة من الارتحال يقال ارتحل البعير أي سار ومضى وارتحل القوم عن المكان أي انتقلوا والارتحال بالضم يطلق على السفرة الواحدة^(١)، أما المفهوم الاصطلاحي فهو لا يختلف كثيراً عن التعريف اللغوي فهما تعريفان يؤديان إلى نفس المعنى وهو الحركة والانتقال من مكان لآخر إذ ذكر ابن خلدون (إن الرحلة لابد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بقاء المشايخ)^(٢)، وجاء في وصف أحد الفرنسيين في القرن الثامن عشر (بأن الرحلات تشكل أكثر المدارس تثقيفاً للإنسان كونها تقوم على الاحتكاك ومخالطة الشعوب الآخر من خلال التعرف على أخلاقهم وأطباعهم)^(٣).

حيث ترتبط الرحلة بتحقيق غاية وهدف وهو ما يجعل الرحالة يتحمل المشاق والمصاعب فتغدوا بذلك الدافع والحوافز التي شجعت على ممارسه هذا النشاط فاختلف من فرد لآخر^(٤)، وبجعل كتب الرحلات بمعارف متنوعة وهو ما أكسبها أهمية كبيرة فهي تعد سجل حقيقية جسد فيه مظاهر الاجتماعية وقد كانت سند وعون للمؤرخ والأديب والعالم وبما أن الرحالة قد تباينت أهدافهم وتعاونت توصياتهم الشخصية فقد انتج لنا ذلك رصيذا معرفيا متنوعا^(٥)، فقد كان للرحلة قيمتين أدبية وعلمية فالأدبية تتجلى في ما تزرع به هذه المدونات من عناصر أدبية، والعملية تتمثل في أهمية ما ورد الرحلة من معلومات تاريخية

^١ الفيروز ابادي، القاموس المحيط، ص ٦٢٦

^٢ انساعد سميرة، الرحلة الى المشرق، رسالة دكتوراه، ص ١٤

^٣ حسين محمد، أدب الرحلات، ص ١٨

^٤ تقو سليمان ادب الرحلة نحو العصر العباسي، ص ٦

^٥ الجوهرة بنت عبد الرحمن، الرحلات العربية مصدر من مصادر التاريخ، ص ٣١

وجغرافية وثقافية ساهمت في إمطة اللثام عن تاريخ المجتمعات والتي عكست المظاهر الحضارية للإنسان^(١).

بما أن الرحلة تدرج ضمن مظاهر الثقافة العربية فقد اهتم العرب منذ القدم بها فكثر التأليف فيها وشهدت تطورا كبيرا إذ تنوعت الرحلات بتعدد أهدافها وأغراضها المختلفة ولعل من أبرز الرحلات ذات القيمة العلمية نجد رحلة بن جبير في العصر الوسيط لتركيز على نشأة وتطور ادب الرحلات عند العرب مع إبراز القيمة التاريخية لكتابة رحلة ودورها في دعم الدراسات التاريخية وذلك لما تحمله هذه الرحلة من معطيات تاريخية غاية الأهمية، لذلك فإن ما مارس المسلمون والعرب الاوائل الرحلات في شبه الجزيرة العربية والبلدان المجاورة لها والبعيدة عنها وقد دون هؤلاء الرحالة رحلاتهم واستمدوا معانيهم وموضوعاتهم من تلك المشاهدات وصاغوها بشكل فني خاص حيث لعبت تلك الرحلات دورها المهم والفعال في تطوير المعارف الانسانية لمختلفة على جميع الأصعدة والتخصصات على مر السنين ..

حيث تكمن أهمية الرحلة من كونها اليد التي تمتد لتقرب شعوبا شاءت عن شعوب وأقواما إلى اقوام تقضل بينها البحار والفضاء على أن ثمار الرحلة لا تتوقف عن التعارف أو صقل الشخصية أو كشف طباع الشعوب لكنها تجود يمكن علمية وأدبية يتعذر حصرها ورغم اختلاف دوافع السفر من إنسان لآخر فإن الرحلة عبارة عن ملوك يؤتى ثماره النافعة على الفرد وعلى الجماعة فليس الشخص بعد الرحلة هو نفس قبلها وليست الجماعة بعد الرحلة هي ليس كما كانت عليه قبلها^(٢).

لذلك تعددت انواع الرحلات تباين اهدافها فقد ارتحل بعضهم بقصد الميل إلى الاستطلاع واكتشاف المجهول أو الرغبة في ارتياد العلم، منها رحلات القرن الثالث الهجري جاءت بعضها سفارية كرحلة الغزال ١٥٦-٢٥٠ من قبل أمير الأندلس لدى ملك النورمان (الذي كان جنوده قد شنوا حربا على الأندلس وبسبب اندحارهم أمام القوة الأندلسية فكر هذا الملك بعقد محالفة ود وصداقة مع الأمير عبد الرحمن الأوسط ارتأى الأمير توجيه سفارته يحيى بن الحكم الغزال)^(٣).

^١ حسين محمود، أدب الرحلات عند العرب، ص ٦-٨

^٢ ينظر فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، ط ٢، ٢٠٠٢م

^٣ الحميري، جذوة المقتبس، ص ٧

فأما رحلة في القرن الخامس الهجري: من خلال الرحلات المهمة في هذا القرن رحلة مخطوطة بعنوان ترسيخ الأخبار وتتويج الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك لأحمد بن عمر وقد ورد له إسم آخر عند ياقوت الحموي هو نظام المرجان في المسالك والممالك^(١). فقد تنوعت الرحلة باعتبار دوافعها وأغراضها فنجد الرحلة الحجازية التي يكون هدف صاحبها ملتقى عن أداء فريضة الحج وزيارة معبد رسول الله ومنها رحلة العله ذات الفرق العلمي والمتجلي في لقاء الشيوخ والعلماء والأخذ منهم والتلمذة عليهم، فلذلك يكن الرحالة ناقلا للأخبار واصفا للمشاهد والآثار فحسب بل كان ناقدا بعيد بالأمور خبيراً بعلمها طبع محبيه ان ينقد الى ضباب الاخبار وخفاياها فتاتي تعليقاته دقيقة وتصحيحاته مضبوط مع الحديث الذي ينقل إليك خبره حيث أنه يدرك بالنظرة القصيرة ما يتعذر على المتأمل^(٢).

فأدب الرحلة عند ناصر الموفي أنها وثيقة حية ونتائج معاينة وفوق ذلك يمكن القول إنها وثيقة نفسية رائعة في استنباط الحقائق عن النفس البشرية التي تمثل الرجال أحدها ذهب البارزة والنماذج الرفيعة من هذه الوثائق تكتب صفة المقصود من ترتفع عن كونها ذات طابع فردي خاص المنهج وذات طابع إنساني^(٣)، فقد تبين الرحلات الأندلسية ودورها في ربط الصلات الثقافية بين شمال إفريقيا والمشرق وايضا في وصف الطريق جغرافيا وتاريخيا وحضاريا يضعف عن أهمية هذه المعلومات ان معظمها مما اهمله تاريخ المناطق التي تصفها الرحلات^(٤) ومن الذين عنوا بالرحلات التاريخية محمد المنوني وعبد السلام الهراس ومحمد بن شريف وغيرهم كثير.

ثانياً: أهمية الرحلة:

أولى الباحثون ادب الرحلات اهتماما كبير واسهموا الحديث عن مكانته وعلى ما تحتويه من معارف مختلفة حيث عرف البعض (على أنه لون أدبي له خصائص أهدافه يعني بتسجيل ورصد كل المشاهد والانطباعات التي صادفها الرحالة أثناء رحلته بأسلوب يعتمد بالدرجة الأولى على التشويق القصص علاوة على الدقة في الوصف فالرحلة في نظر الباحثين هي أقرب إلى المذكرات التي يصف

^١ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٤٦٠

^٢ محمد الفاسي، دراسات مغربية، ص٦٨

^٣ الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع هـ، نص ٥١

^٤ محمد المنوني، الرحلات الحجازية، مجلة المناهل، مج٥٦، ص١٦

فيها صاحبها الأحداث التي شاهدها أو سمع عنها جراء اتصاله المباشر بالأقوام وبطبيعة الحال فإن حدة المدونات تحمل تعارف جغرافية وتاريخية تعكس لنا جوانب مهمة عن دافع الكثير من الشعوب^(١).

والمتبع لنشأة هذه النوع من الدراسات يجد أن العرب قد عرفوا منذ القدم فقد اشتهروا برحلة الشتاء والصيف كما حث القرآن الكريم بكثير من آياته عن أهمية الرحلة منها قوله تعالى (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ)^(٢) وقوله (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا)^(٣)، وهذه دعوة صريحة للسير والتنقل^(٤)، فبعد حركة الفتوحات واتساع رقعت الدولة الإسلامية نشطت الرحلة بشكل ملحوظ وبالأخص في القرنين ثالث ورابع هجري حيث ارتبط ذلك بحاجه الدول في معرفة المسالك ولممالك المجاورة^(٥).

فلرحلة أهمية كبيرة في حياة العرب، فهم يميلون الى السفر والترحال بالفطرة^(٦)، وكانت لهم رحلات من أجل الكسب والرزق في عصر ما قبل الاسلام^(٧)، وبعد ظهور الاسلام زادت أهمية الرحلة، ولم تقتصر على الكسب المادي فقط، بل كانت لها أهميتها الدينية، وأصبحت إحدى الطرق التي وصل بها الاسلام الى مناطق بعيدة وعديدة^(٨).

وعلى هذا الاساس يكون أدب الرحلات هو الأدب الذي يقال على أهدافه المعلنة وفي إقامة المحددة أو يكشف لها شيء والغامض يرصد الثانوي ويسأل إلى الوضع؛ فالرحالة لا يبصر التفاصيل والمشاهدات أبصار إليه ولا يراها رؤية الألفة والعادة إنما يعتمد العين الثالثة التي تبصر وتنقب ما وراءها وتكشف الغامض ولعل هذا ما رافق ابن جببر إلى حد كبير خلال وبقي لرحلاته على اختلاف دوافعها ومساراتها.

^١ ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي للغرب الإسلامي، ص ٨٥

^٢ سورة الأنعام، الآية ١١

^٣ سورة الملك، الآية ١٥.

^٤ ابراهيم كرد، أدب الرحلات في المغرب والأندلس، ص ٣٤

^٥ عواطف محمد، الرحلة المغاربة للأندلس، ص ١٢٦

^٦ ابن فضلان، احمد بن العباس بن راشد بن حماد (ت بحدود القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي)، رسالة ابن

فضلان، تح: سامي الدهان، (دمشق: ١٩٥٩م)، ص ١٣.

^٧ علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط ١، (بغداد: ١٩٩٣م)، ج ٧، ص ٢٨٥

^٨ الشامي، صلاح الدين علي و عبد المقصود، زين الدين، جغرافية العالم الاسلامي، ط ٢، الاسكندرية: ١٩٨٧م)

، ص ٥١.

ثالثا: أسباب الرحلة:

تعود أسباب الرحلات إلى عوامل كثير منها حب الاطلاع والمعرفة ونقل المظاهر الحضارية، وأداء فريضة الحج والعمرة في الأماكن المقدسة مثل رحلة بن جبير كما أن بعضها كان الغرض منه كسب الرزق الحلال وخدمة الحكام مثل ابن حوقل^(١)، كذلك تقديم وصف مقارن بين بلد وآخر في معرفة معلومة جغرافية ومناخية وحضارة مثل أبي بكرى القرطبي^(٢)، كذلك الكشف عن ظواهر الطبيعة والمخلوقات وأحوالها المجتمعات والتطور الحاصل فيها كما ورد عند الجغرافي في الأندلس الزهري الذي كتب عن أرمينية فضلا عن مدن الأندلس وعجائبها^(٣).

تبين من خلال ذلك أن الرحلات الأندلسية ودورها في ربط الصلات الثقافية بين شمال إفريقيا والمشرق وأيضا في وصف الطريق جغرافيا وتاريخيا وحضاريا يضاعف من أهمية هذه المعلومات مما أصبح تاريخ المذاهب التي تصف الرحلات^(٤) حيث اغترف الرحالة الاندلسيون من معنى الحياة الواسع مادة لأقلامهم والخلق أدب ينمي المعارف على اختلاف أنواعها فقد نقل العبري بعض آراء بن جبير وكذلك البلوي من الجغرافيات إذا خبر أن يستفيد رحالة بما وصل إليه آخر ولا أرى انتقاصا في ذلك لهذه الرحلة ويرجع ذلك إلى المعاناة والظروف النفسية والحوادث التي لها تأثير كبير في انعكاسها ذلك على شخصية المؤلف؛ فهي ترجمه نفسية وذاتية وأخلاقية للرحلة فالشخصية والمعاناة النفسية تظهر في كل صورة من صور الرحلة في وصف الرحالة^(٥).

لذا تعددت الدوافع والأسباب للرحلة والانتقال من مكان إلى مكان، ومن بلد إلى بلد، ولكنها تختلف من شخص إلى آخر، ومن زمن لزمان، فمنها ما يكون بدافع ديني كرحلات الحج، أو علمي كرحلات المحدثين والفقهاء، أو سياسي كرحلات الوفود، أو اقتصادي كرحلات التجارة، وغير ذلك.

^١ رحلة ابن جبير، ص ٤٥٠

^٢ المصدر نفسه، ص ٢٨٨

^٣ المصدر نفسه، ص ٢٢٥

^٤ المصدر نفسه، ص ٢١٧

^٥ ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص ٧٤

وعليه فإن التنوع الذي اكتست به رحلة بن جبير جعله أنموذجاً استند عليه معظم الرحالة الذين جاءوا بعده نظراً للقيمة التاريخية التي احتوتها، كما أضحت مرجعاً أساسياً للمؤرخين الذين جاؤوا بعده فهذه الرحلة كانت مرآة عاكسة لأوضاع البلاد الإسلامية، فكتشفت جوانب مهمة من تاريخ العربي الإسلامي.

المبحث الثاني: التطور التاريخي لرحلة بن جبير وبيان قيمتها التاريخية:

التعريف بصاحب الرحلة: هو أبو الحسن بن محمد بن جبير الكنانى ولد في شبلييه حوالي ٥٤٤هـ تلقى على يد العديد من العلماء في الأندلس والمغرب^(١)، اشتهر بثقافة الواسعة في العلوم الشرعية والثقافية وبالأخص الأدب الذي برع فيه إذ يذكر المؤرخون (أنه كان أديباً وشاعراً ومجيداً أو نظراً لشهرته الكبيرة استدعاه أمير غرناطة وعينه كاتباً في ديوانه لمدة سنتين)^(٢) بعدها قام ابن جبير بعدة رحلات إلى المشرق غير أن رحلة الأول نالت شهرة كبيرة لأنه دون تفاصيلها وزار العديد من المناطق في فترة تزامنت مع الحروب الصليبية وقد انصت اهتمام المؤرخين على دراستها بالنظر لما احتوته من معلومات دقيقة.

إن المتأمل في تاريخ الرحلات العربية في العصر الوسيط يجد أنها لم تقتصر على الرحالة المشاركة بل كانت للمغارب والأندلس بالأخص الفضل الكبير في بروز هذه النوع من المعرفة وتطور حيث كان المشرق الإسلامي أكثر المناطق التي استقطبت الرحالة المغاربة والأندلس فأداء لمناسك الحج وزيارة الأماكن المقدسة والنهل من منابع العلم شكلاً بروز دافع التي انفردت بطابع خاص واختلفت خصائص عن رحلة والمشاركة^(٣).

لذلك تتدرج رحلة بن جبير من رحلات الأندلس التي تركت أثراً قوياً ساهم في تطور أدب الرحلة فالغرض الأول في المشرق الإسلامي وأداء مناسك الحج^(٤)، وبالتالي فقد ارتبطت شهرة ابن جبير بكتابه الذي دون تفاصيل مهمة؛ إذ يذكر أحد الباحثين (أن الرحلة تحمل اسم مؤلفها أي رحلة الكنانى وهناك من أرجع تسميتها في اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك وعلى ما يدل أن هذه التسمية تعود

^١ ابي حسين محمد، رحلة بن جبير، ص ٥

^٢ ناصر الدين سعيدوني، من تراث تاريخي والجغرافي، ص ٨٢

^٣ حسين نصار، ادب الرحلة، ص ٧-٨

^٤ حسين محمود حسين، ادب الرحلة عند العرب، ص ١٤-١٥

لكتابات آخرين. فليس لابن جبير غير الرحلة وفي الغالب أن الرحلة قد حملت عنوان تذكرة الأخبار عن اتفاقات الأسفار^(١).

إن التنوع الذي شهد كتابات الرحالة العرب في العصر الوسيط إن دل على شيء إنما يدل على تفوقهم في هذا المجال، هذا التفوق الذي سرعان ما سوف يختفي مع بداية العصر الحديث جراء التحولات الكبرى التي شهدتها أوروبا وبالتالي فقد اقتصررت على الرحلات القليلة فقط، وبالمقابل نشطت حركة التأليف لدى الغرب الذين تمكنوا من دراسة تراث الشرق وترجمته والاستفادة منه^(٢).

ويمكن القول إن ما يميز رحلته أنها مكتوبة على شكل مذكرات يومية مع وصف كل مشهد وكل بلدة مر بها باليوم والشهر ولم تكن في شكل كتاب بل كانت أوراقا منفصلة جمعها أحد التلاميذ ونشرها ثم أطلق عليها رحلة بن جبير، لذا صار كتاب رحلة ابن جبير من أهم المصادر الرئيسية في كل من كتب التاريخ الجغرافية والأدب وأن رحلة بن جبير أشبه ما تكون لمذكرات شخصية ويوميات سفر صيغته بأسلوب تاريخ، استخدم فيها ابن جبير التاريخ الهجري والميلادي كما حرص على وصف البلاد الإسلامية وصفا دقيقا وخاصة الأحوال الاقتصادية والاجتماعية بتجذير يركز على المدن ومعاملها الدينية. والملاحظ أن رحلة بن جبير قد تجنب في الرحلة التطرق إلى العجائب والغرائب واتسمت رحلته بالصبغة الأدبية التي جسدت في جمالية الأسلوب وهذا ما لم يرد في الرحلات التي سبقت عهده ما أكسب الرحلة أهمية بالغة لدى المستشرقين الذين قاموا بترجمتها إلى العديد من اللغات^(٣).

حيث تزامنت رحلة بن جبير مع فترة مهمة من تاريخ العالم الإسلامي وهي فترة الحروب الصليبية مما أكسب هذه الرحلة أهمية بالغة فقد اشتملت على معلومات دقيقة غطت هذه الفترة فابن جبير قام برصد الأحوال السياسية والاقتصادية والنظم الاجتماعية للمشرق في القرن السادس هو معتمد في ذلك على الملاحظ الدقيقة فاتسمت رحلته بدقة الوصف وصدق الرواية ما جعلها مصدرا أساسيا لا ينبغي عنه المؤرخ^(٤).

^١ عبد اللطيف مومن رحلات الاندلس نحو المشرق، ص ٢٧٤

^٢ إن الدافع الذي كان وراء رحلة بن جبير محاولته التفكير عن ذنب اقترقه عندما كان كاتباً للأمير الموحيدي.. انظر محمد بن جبير، ص ٥-٦

^٣ فؤاد قنديل ، الرحلة في التراث العربي ص ١٩-٢٠

^٤ الجوهرة بنت عبد الرحمن، الرحلات العربية من مصادر تاريخ، ص ٢٦-٢٧

لذا تعد الأمكنة التاريخية في رحلة ابن جبير حلقة رئيسة في تشكيل جماليات المكان (ويكاد يكون التاريخ منظومة من الأحداث والتمثيلات لواقع قائم متجه نحو الماضي)^(١) وابن جبير استطاع أن يوظف تلك الأمكنة ويكسبها صفة زمانية مرتبطة ارتباطا مباشرا بالتاريخ الإسلامي، لأن المكان (يستحضر تاريخيا لارتباطه بعهد مضى أو لكونه علامة في سياق حاضر)^(٢).

ومن الشواهد على حضارة الإسلام الأماكن التاريخية في رحلة ابن جبير ومنها الوصف لجزيرة صقلية حينما نزل فيها، وأخذ يتفقد آثار المسلمين الباقية فيها، متحسرا على مجدهم الضائع، متمنيا أن تعود مرة أخرى، وأن يستردها المسلمون من الصليبيين، فيقول (وخصب هذه الجزيرة أكثر من أن يوصف، وكفى بأنها ابنة الأندلس في سعة العمارة، وكثرة الخصب والرفاهة، مشحونة بالأرزاق على اختلافها، مملوءة بأنواع الفواكه وأصنافها، لكنها معمورة بعبدة الصليبان، يمشون في مناكبها، ويرتعون في أكنافها، والمسلمون معهم على أملاكهم وضياعهم... وضربوا عليهم إتاوة في فصلين من العام يؤدونها، وحالوا بينهم وبين سعة في الأرض كانوا يجدونها، والله عز وجل يصلح أحوالهم، ويجعل العقبي الجميلة مآلهم)^(٣).

لقد تجلت القيمة التاريخية لرحلة بن جبير في ما احتوته من تصوير الجوانب مهمة من تاريخ المجتمع الاسلامي فكانت عنايته فائقة بوصف المدن التي مر بها فأصل ما يتعلق بالمرافق والمعالم الأثرية والدينية والمدارس وذكر علمائها وأوليائها بأسلوب أدبي راق^(٤).

ففي العودة إلى الروايات التي تناولت الكوفة عن البلدانين والمؤرخين والرحالة تبين لنا أن هناك توافق في بعض الروايات التي ذكرها ابن جبير مع ما ذكره الباقيين، من ذلك ما ذكره المقدسي عنها بقوله: "وهو بلد مختل قد خرب اطرافه وقد كانت نظير بغداد"، وهذا يعني أن الخراب قد لحق بالكوفة منذ زمن بفعل الاحداث والعصور. فقد تعرضت وتعرض أهلها إلى ألوان الملاحقة والإهمال خلال العصر الأموي والعباسي بفعل تشيعها وولائها لآل علي (عليه السلام) وكثرة

^١ هل لدينا رؤية تاريخية ، عبد الفتاح الحميري، ص ١٦١

^٢ حركة الإبداع، خالدة سعيد ص ٣٠

^٣ رحلة ابن جبير ص ٢٥٤

^٤ فؤاد قنديل، الرحلة في تراث العربي، ص ٢٩

ثوراتها بوجه الحكام من الأمويين والعباسيين وقد شهدت من الأحداث ما هو غني عن الذكر ابتداء من استشهاد الإمام علي (عليه السلام) سنة (٤٠هـ/٦٦٠م) وطيلة الحكم الأموي^(١).

أما أقرب الروايات إلى رواية ابن جبير ، حول بناء المدينة بشكل طبقات فهي رواية المسعودي، رغم أن الفارق الزمني بينهما يقارب الثلاثة قرون، فقد ذكر " أن بناءها طبقات وتحتها قناطر وعليها دور المدينة، ووضعت المخاريق والتفتيسات للضياء والهواء. " ^(٢)

ومن جماليات الأمكنة التاريخية وقوفه على مشاهد أهل البيت(عليهم السلام)، ومشاهد التابعين والأئمة العلماء والزهاد والأولياء المشهورين بالكرامات ومن هذه المشاهد (مشهد الإمام الشافعي وهو من المشاهد العظيمة احتقالا واتساعا، وبني بإزائه مدرسة لم يعمر بهذه البلاد مثلها، لا أوسع مساحة ولا أحفل بناء ، و يخيل لمن يطوف عليها أنها بلد مستقل بذاته) ^(٣).

كما ذكر ابن جبير، أن الإمام علي بن الحسين بن علي (عليهم السلام) مدفون بالقرفة، وكذلك ابني الإمام جعفر الصادق (عليه السلام)، ولم يذكر أسماءهما، وذكر أيضا انه القاسم بن محمد بن جعفر الصادق (عليهم السلام)، وابنيه الحسن والحسين، وابنه عبد الله بن القاسم، ويحيى بن القاسم، وعلي بن عبد الله بن القاسم، وأخيه عيسى بن عبد الله، وكذلك يحيى بن الحسن بن زيد بن الحسن، ومحمد بن عبد الله بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي ، وجعفر بن محمد من ذرية علي بن الحسين.

والحقيقة أن ما ذكره ابن جبير، عن هذه المدافن الشريفة، لا يخلو من الخطأ، ولا يمكن الجزم بصحة جميع ما ذكره عن هذه المشاهد الشريفة، فبعض ما ذكره كان صحيحا، والبعض الآخر كان غير دقيقا ويخلو من الصحة.

^١ الجاحظ ، رسائل الجاحظ ، (ليدن : طبعة فان فلوتن ، ١٩٠٣م) ، ص ٩ .

^٢ مروج الذهب ، ج ١ ، ص ٢٤٨ .

^٣ رحلة ابن جبير، ص ٣٠

فعلى سبيل المثال، أن الـإمام علي بن الحسين بن علي (عليه السلام) (ت ٩٢هـ/ ٧١٠م)، وقيل (٩٤هـ/ ٧١٢م) ، وقيل (٩٥هـ/ ٧١٣م) دفن بعد وفاته بمقبرة البقيع، في قبر عمه الحسن بن علي (عليهم السلام)، في القبة التي فيها قبر العباس عم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ^(١). كما أبرزت رحلة ابن جبیر عددا من الشخصيات الدينية والسياسية والاجتماعية، التي كان لها مآثر ومعالـم متجلية في المكان، فالإنسان يحرك المكان ويشكله. ويمنحه طابعا من خصوصياته، (فالشخصيات موصوفة من خلال حركتها في المكان ومن انعكاس ما يجري على قسماتها، والوصف دائما مسخر لتقديم ملامح المكان ومن يعيشون فيه) ^(٢).

وما ذكره ابن جبیر، عن الخدمات الاجتماعية في الاسكندرية كان مقتصرًا على ما أنجزه السلطان صلاح الدين الأيوبي فقط، لم يتطرق إلى ما أنجزه سواه من الخلفاء والسلطين .

والظاهر، أن اهتمام هذا الرحالة ، بأعمال السلطان صلاح الدين وهو كما نعلم أول سلاطين بني أيوب في مصر، وقد امتد حكمه فيها (٥٦٩-٥٨٩هـ/ ١١٧٣-١١٩ م)، لأن رحلته تمت في عهد هذا السلطان، وكذلك كانت زيارته للبلاد المصرية معاصرة لحكم هذا السلطان .

ونجد ابن جبیر يستشهد بآيات قرآنية وأحاديث نبوية كذلك على المدح والذم للحكام ^(٣)، فكان صلاح الدين الأيوبي من بين الذين أثنى عليهم ابن جبیر في رحلته نظرا لمواقفه واهتمامه بعابري السبيل ومنهم المغاربة فبين لنا صفاته وأهم مآثره وأعماله الجليلة ^(٤).

ولم يكن ابن جبیر، منفردا في حديثه عن الانجازات العمرانية لهذا السلطان، فقد تحدث عنها الكثير من الأدباء والمؤرخين والرحالة. كما أشاد بعلمه وثقافته الكثيرون، وقيل إن مصر شهدت في عهده نهضة فكرية كبيرة، وأصبحت مركزا لجذب الكثير من الدارسين في شتى العلوم والمعارف ^(٥) .

^١ ابن سعد ، مصدر سابق ، ج ٧ ، ص ٢٠٩—٢١٩ ؛ البلاذري ، أنساب الاشراف ، ج ٣ ، ص ٣٦٢ ؛ اليعقوبي ، تاريخ ، ج ٢ ، ص ٢١٢ ؛ ابن خلكان ، مصدر سابق ، مج ٣ ، ص ٢٦٦ — ٢٦٩ ؛ ابن العماد ، مصدر سابق ، مج ١ ، ص ١٩٤ .

^٢ الرواية الجديدة في مصر، د . محمد بدوي، ص ١٣٤

^٣ عواطف محمد النواب، الرحلات المغربية والانـدلسية، مكتبة ملك فهد الوطنية، ص ١٠٦

^٤ حسين نصار، أدب الرحلة، ص ٧-٨

^٥ ابن جبیر: تذكرة الاخبار ص ٢٩٩-٢٣٠

وأشادت بعض المصادر الأدبية بفتوحاته العسكرية، ولم يقتصر ذلك على المصادر التاريخية^(١). كما تحدثت إحدى الروايات عن عدله، وأنه " كان يجلس للعدل في كل يوم اثنين وخميس في مجلس عام يحضره الفقهاء والقضاة ويفتح الباب للمتحاكمين حتى يصل إليه الفقير والكبير والعجوز الهرم والشيخ الكبير " (٢).

فذكر ابن جبير، أن قلعة القاهرة هو حصن يتصل بها وهو حصين المنعة، يريد السلطان ان يتخذ موضع سكناه، ويمد سور حتى ينتظم بالمدينتين مصر والقاهرة، وذكر أيضا أن المسخرون في هذا البناء والمتولون لجميع امتهاناته ومؤناته العظيمة كنشر الرخام ونحت الصخور العظام وحفر الخندق المحقق بسور الحصن المذكور وهو خندق ينقر بالمعاول نقرأ في الصخر عجباً من العجائب الباقية الآثار، العلوج الأسارى من الروم، وعددهم لا يحصى كثرة، ولا سبيل أن يمتن في ذلك البنيان أحد سواهم. وهذه الرواية التي ذكرها الرحالة ابن جبير عن سور وقلعة القاهرة، ذكرتها المصادر التاريخية الأخرى، وأشارت إلى أن صلاح الدين الأيوبي كلف قراقوش (ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م) بناء سور القاهرة ومصر سنة (٥٧٢هـ/ ١١٧٦م). وكان يهدف من ذلك جمع المدينتين في سور واحد، وحمايتهما من هجمات الإفرنج المحتملة، وأنفق فيه أموالاً كثيرة (٣).

أما جامع ابن طولون، الذي ذكره ابن جبير، فهو الجامع الموجود بالقرفة، وهناك جامع أخبر بناه ابن طولون ولم يتطرق ابن جبير إلى ذكره، بل ذكر هذا

^١ الأيوبي، الملك المنصور محمد بن عمر (ت ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م)، أخبار الملوك ونزهة المالك والمملوك في طبقات الشعراء، تح: د. ناظم رشيد، (بغداد: ٢٠٠١م)، المقدمة ص ٥٦٧

^٢ ابن الأثير، ضياء الدين نصر الله بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم

(ت ٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م)، المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر، تح: كامل محمد عويضة، (د.ط.)، (بيروت:

١٩٩٨م)، مج ٢، ص ١٢٠-١٢٦.

^٣ ابن شداد، السيرة اليوسفية، ص ١٣.

^٤ الذهبي، دول الاسلام، ج ٢، ص ٦٣؛ السبكي، تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي

(ت ٧٧١هـ/ ١٣٦٩م)، طبقات الشافعية الكبرى، تح: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، (د.ط.)، (

القاهرة: لا.ت)، مج ٧، ص ٣٤٢؛ المقريزي، السلوك، ج ١، ص ١١١-١١٢.

الجامع فقط، والذي بني ليسكنه المتعبدون وجمل من أهل الخير والعفاف. ولا يوجد خلاف بين ما ذكره ابن جبير، وما ذكرته بقية المصادر سوى ان ابن جبير، انفرد بقوله، إن مشاكل هؤلاء المتعبدون تحل فيما بينهم، وليس هناك من يتحكم بهم^(١).

كما وصف مدينة حلب أنها بعده قدرها خطير وذكرها في كل زمان يطير خطابها من الملوك كثير ومحلا في التقديس اثر اما دمشق فوصفها (بانها دمشق حية المشرق ومطلع حسنه المؤنق المشرق وهي خاتمة البلاد التي استقريناها وعروس المدن التي اجليناها قد شملت بأزاهير الرياحين وتجلت في حلل سندسية من البساتين)^(٢).

وقد أظهرت أيضا من خلال رحلة ابن جبير عادات أهل دمشق في تشييع جنازتهم، حيث يتقدم الجنازة قراء يقرؤون القرآن بصوت مرتفع يبعث على الشجي والبكاء، فإذا وصلوا إلى باب المسجد الأموي قطعوا القراءة . وبعد الانتهاء من إجراءات الدفن يجتمع أهل المتوفى بالبلاط العربي، ويشير ابن جبير في هذا السياق إلى ما يسمى ب: نقباء الجنائز ووظيفتهم رفع أصواتهم لكل واصل إلى العزاء^(٣). وعليه فإن هذا النوع استمرت به رحلة بن جبير جعل منها أنموذجا استند إليه معظم الرحالة الذين جاؤوا بعده نظر للقيمة العلمية والأدبية التي احتوتها.

وهكذا نلاحظ رحلة ابن جبير ودورها في إنماء القيمة التاريخية والحضارية للبلدان ومن ضمنها العراق من خلال حديثه عندما مر في العراق وتكلم عن بعض مدنها، فاللاحق أن رحلته كانت محمله بالكثير من الثقافة والقيمة العلمية، وإذ شكلت رحلة ابن جبير المنطلق التي استندت الدراسات التاريخية في العصر الوسيط من العصر الحديث قد شهد نموذجا آخر من الرحلات الغربية التي اتحدت صبغة أخرى جراء التحولات التي شهدتها الحركة الثقافية في القرن التاسع عشر وهي من المؤثرات التي ساهمت في تغيير طابع الرحلة هو احتكاك العرب بالغرب بالإضافة إلى عوامل أخرى برزت مظاهر الحضارة الأوروبية مما ساهم في تغيير وجهة الرحالة العرب من المشرق إلى أوروبا التي أصبحت مقصد العديد منهم وتكتسي

^١ ناصر خسرو، سفر نامه ، ترجمة وتعليق : د. يحيى الخشاب ، (القاهرة : ١٩٤٥ م) ، ص ٨ ؛ الادريسي، مصدر

سابق، مج ١، ص ٣٢٤ ؛

^٢ جمال الدين، الرحلات والرحالة في التاريخ الاسلامي، ص ٤٠

رحلاتهم هذه أهمية كبيرة عكست جوانب اجتماعية وسياسية واقتصادية الامر الذي أدى إلى إثراء الدراسات التاريخية.

فقد اهتم ابن جبير بالمشهد الدينية من خلال تركيز على قوافل الحج حيث لم يقفل في رحلة إلى التطرق على الواقع الاقتصادي فقام بتصوير العلاقات التجارية بين المسلمين والمسيحي إبان الحروب الصليبية كما سلط الضوء على الضرائب والسلع والصناعات في تلك الفترة^(١).

وتناولت روايات أخرى لابن جبير ذكر الحجر الأسود وكسوة الكعبة الشريفة، والزيادات التي حصلت على البيت الحرام، ومن بين هذه الروايات "أن الحجر الأسود على الركن الشرقي عند الباب على لسان الزاوية ينحني إليه من قبله يسيراً .. " ^(٢) بحيث إذا وقف رجلٌ طويل القامة يكون مقابلاً ل صدره وقدر طولُه بـ (الشبر وأربعة أصابع)، وعرضه ثمانية أصابع، وهو مستدير الشكل^(٣). وهناك من ذكر أن الحجر الأسود ياقوتة من يواقيت الجنة وأنه يبعث يوم القيامة وله عينان ولسان يشهد لمن استلمه بحق وصدق^(٤). أما عن تاريخ وضعه فقد ذكره الفاسي بالتفصيل^(٥).

وبغض النظر عن هذا فقد رصدت رحلة ابن جبير كثيرا من القضايا السياسية والادارية والتاريخية كما وصف لنا الواقع الاجتماعي والاقتصادي والعقائدي، فقد اتخذت شكل مذكرات مسافر شامله مدونه وافيه دون فيها تاريخ المدن والبلدان التي مر بها واسماء البارزين من العلماء والحكام واصل البعض المصطلحات في عدة مما أكسبه منهجية أدبية واضحة وسمة جانبية مريرة.

وكان الرحالة ابن جبير كلما مر بمدينة أو مكان دعا لهما بأن يشرفها الله تعالى أو يحرسها أو يحملها أو يعمره، وإذا كانت تلك المدينة التي مر بها من المدن التي تحت سيطرة الفرنجة، أو من المدن التي خرجت من يد المسلمين دعا عليها بمقولة (فتحها الله، أو أعادها الله تعالى) وكل هذه الأدعية كانت تتم عن عاطفة دينية قوية تصدر من أديب أحس بإسلامه وعرويته اتجاه مدنه العربية والاسلامية.

^١ ابراهيم كرد، أدب الرحلات في المغرب والاندلس، ص ٣٣

^٢ الاصطخري، مصدر سابق، ص ١٦؛ المقدسي، مصدر سابق، ص ٨٣.

^٣ ناصر خسرو، مصدر سابق، ص ٨١.

^٤ القزويني، آثار البلاد، ص ١١٧.

^٥ للاطلاع على تفاصيل الرواية انظر: العقد الثمين، ج ١، ص ٢٤٠.

خاتمة

تعتبر الرحلة الأندلسية وثيقة حضارية وثقافية وأدبية كان لها دور التقريب بين المشرق والمغرب عن طريق شكلها الفني الجذاب حيث لعبت الرحلة دورها في تراجم الأعلام شاهد خلالها ظروف حياتهم. لذا تعتبر رحلة ابن جبير من أهم المصادر التي تؤرخ للعالم الإسلامي في القرن السادس هجري من الناحية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية فقد صاغ أسلوبها بلغة سهلة مشوقة نقسم بحسن السرد ودقة الوصف ورشاقة العبارة.

وصف في مجمل رحلاته كل ما مر به من مدن، وما شاهد من عجائب البلدان، وغرائب المشاهد وبدائع المصانع والصنائع، والاحوال السياسية والاجتماعية والاخلاقية، وصور ما قابله من ألوان العدل والظلم.

حيث زار ابن جبير لعراق وخاصة مدينة الموصل وذلك عند رحلته الأولى إلى المشرق والعرب لأداء فريضة الحج ومر بالعديد من المدن ومنها الموصل فتكلم عن حضارتها ، فوصف ابن جبير مجمل رحلاته ما مر به من مدن وما شاهد من عجائب البلدان وغرائب المشاهد وبدائع المصانع والصنائع فقد ظهرت لنا رحلة ابن جبير افكار وحقائق عن التواصل الحضاري من خلال عزمه وتصميمه في طلب العلم وكشف الحقائق والوصول الى الاماكن بعيدة من أجل الحضارة إلى الناس، لذا تعد رحلة ابن جبير من أهم المصادر التي ساهمت في دعم وإثراء الدراسات التاريخية فرحلة ابن جبير خطت فترة مهمة من تاريخ العالم والاسلام وهي الفترة التي تزامنت مع الحروب الصليبية فاشتملت الرحلة على وصف الملامح الحياة السياسية وعلاقات المسلمين بالمجتمع بإضافته التي رصدت الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية وهذه الجوانب لم تزودنا بها المصادر الأخرى. إلا أننا لا يمكن أن نغفل ما تضمنته من معطيات تاريخية متنوعة وعليه فان كتب الرحلات شكل مصدر مهملا لا يمكن الاستغناء عنه في الدراسات التاريخية وهو ما يبرز أهميتها في الدراسة التاريخية.

المصادر والمراجع :

القران الكريم

• ابن جبير

رحلة ابن جبير تذكرة الأخبار عن اتفاقات الاسفار، دار صادر بيروت 1959.

• ابن قتيبة

الشعر والشعراء دار المعارف ١٩٦٩

- مؤنس حسين
- تاريخ الجغرافيا في الأندلس دار الفكر الاسلامي ١٩٧٦
- ابن منظور
- لسان العرب دار صادر بيروت
- الحميري ،
- جذوة المقتبس تحقيق ابراهيم الايباري دار الكتب العربية بيروت ١٩٨٢
- العبدري
- الرحلة المغربية تحقيق محمد الفاسي وزارة الدول لمكتبة الشؤون الرباط ١٩٨٥م
- المغربي
- نفح الطيب تحقيق اسامه عباس دار صادر بيروت ١٩٨٦
- الرحمن حميدة
- الاعلام الجغرافي للعرب
- محمد الفاسي
- دراسات مغربية
- الاستاذين لاسوف ومابيه
- منهج البحث في اللغة والادب
- رمضان احمد
- الرحلة والرحالة ،دار البيان العربية
- عباس احسان
- تاريخ الادب الاندلسي دار الثقافة بيروت ١٩٨٥م
- محمد المنوي
- الرحلات المغربية الحجازي مقال في مجلة المناهل مج ٥٦، ١٩٩٤
- انساعد سميرة،
- لرحلة الى الشرق والادب الجزائري ،رسالة دكتوراه،الجزائر ٢٠٠٧م
- سليمان ذياب تقوى
- ادب الرحلة في العصر العباسي في القرن رابع والخامس ماجستير ٢٠٠٦
- نصار حسين
- ادب الرحلة ط١ الشركة المصرية لبنان ١٩٦٦م
- كردي ابراهيم
- ادب الرحلة في المغرب والاندلس السورية للكتاب ٢٠٠٣

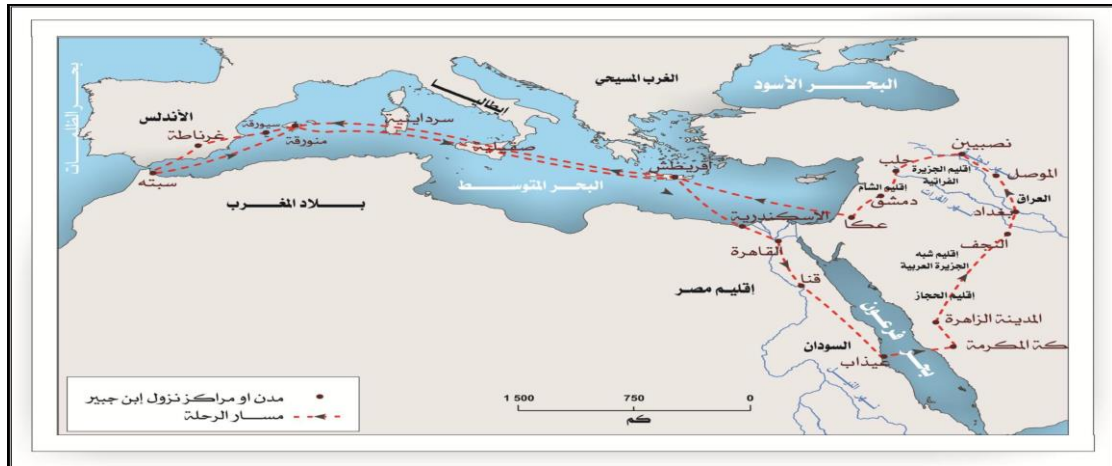
- الفيروز ابادي
- القاموس المحيط دار الحديث ٢٠٠٨م
- ابو الحسين محمد
- رحلة بن جبير ، ١٣٨٤، دار الطباعة للنشر
- حسين حسني محمود
- ادب الرحلة عند العرب دار الاندلس ١٩٨٢
- فيهم حسين محمد
- ادب الرحلات عالم المغرفة ١٩٨٩
- سعيد ولي ناصر الدين
- من التراث التاريخي والجغرافي دار العرب بيروت ١٩٩٩م
- عبد الرحمن منيع
- الرحلات العربية مصدر من مصادر تاريخ المملكة الرياض ٢٠٠١
- حليفي عبد القادر
- الرحلات بين المغرب والمشرق وقيمتها التاريخية مجلة الدراسات والبحوث العدد ٤ ٢٠٠٩م
- د ناصر الوافي
- الرحلة في الادب العربي من نهاية القرن الرابع هجري
- فؤاد قنديل
- ادب الرحلة في التراث العربي مكتبة الدار العربي الكتاب ط ٢ ٢٠٠٢
- حسين محمد
- ادب الرحلات عند العرب ط ٢ دار الاندلس لبنان ١٩٨٣
- هيثم سرحان
- رحلة ابن جبير والطريق الى بيت الله الحرام مقاله ٢٠٠٧
- الجوهرة بنت الرحمن
- الرحلات العربية مصدر من مصادر تاريخ المملكة السعودية ٢٠١٠
- الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد الحسن المكي (ت ٨٣٢هـ/ ١٤٢٨م).
- العقد الثمين في تاريخ البلد الامين، تح : محمد عبد القادر احمد عطا، (بيروت : دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م)

- القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٣هـ/١٢٨٤م) .
- اثار البلاد واخبار العباد، (بيروت : ١٩٩٠م).
- الاضطري، ابو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي (ت ٣٤٨هـ/٩٥٩م) .
- مسالك الممالك، (د٠ ط)، (لندن : ١٩٢٧م)
- المقدسي ، شمس الدين ابي عبد الله محمد بن احمد (ت ٣٨٠هـ/٩٩٠م) .
- احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، علق عليه ووضع حواشيه : محمد امين ضناوي ، ط١، (بيروت : ٢٠٠٣م).
- ناصر خسرو ، ابو معين القبادناتي المروزي (ت ٤٥٣هـ/١٠٦١م) .
- سفر نامه ، ترجمة وتعليق : د. يحيى الخشاب ، (القاهرة : ١٩٤٥م) .
- الرواية الجديدة في مصر ، دراسة في التشكيل والايديولوجيا ، د محمد بدوي المؤسسة الجامعية للدراسات والتوزيع ،

بيروت ، ١٩٩٣

- حركة الإبداع ، خالدة سعيد، دار العودة ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٧٩

الملاحق



خريطة لمسار العام لرحلة ابن الجبير

المصدر: من رسالة ماجستير (بلاد الشام وصقلية في عصر الحروب الصليبية ق ١٢/١٣م

من خلال كتب الرحلات رحلة ابن جبير أنموذجا)، ص ١٠٠

الإجراءات العلاجية لمواجهة الأزمات الاقتصادية والمجاعات في مصر والشام وانعكاساتها على المقاومة الإسلامية الصليبية

Remedial measures to confront economic crises and famines in Egypt and the Levant and their repercussions on the Crusader Islamic resistance

أ.د. عائشة مرشود حميد الحربي

أستاذ التاريخ الوسيط بقسم العلوم الاجتماعية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة طيبة

المملكة العربية السعودية

Prof. Dr. Aisha Marshoud Hamid Al-Harbi

Professor of Medieval History, Department of Social Sciences, College of Arts and Human Sciences, Taibah University, Kingdom of Saudi Arabia

ay.1430@hotmail.com

ملخص

ركزت هذه الدراسة على محورين أساسيين هما: أشهر النوازل والأزمات الاقتصادية التي ظهرت في مصر والشام إبان الحروب الصليبية. أما المحور الثاني فهو عن أهم الإجراءات والتدابير العلاجية لتلك الأزمات من قبل السلطة الحاكمة، حيث سعت إلى إدارتها ؛ لكي لا تتفاقم أضرارها فيطول أمدها، وتهدف إلى الحد من سريان تأثيرها السلبي على أفراد المجتمع.

ولقد توالى حلول الأزمات على الناس عبر العصور التاريخية المختلفة كالقحط والمجاعات والفيضانات والزلازل والأعاصير والغلاء والصقيع والجراد والوباء وغير ذلك، وحوى التاريخ الكثير من أحداث الأزمات التي حاقت بالمسلمين ومدى امتداد آثارها على المسلمين، وسير المقاومة الإسلامية للصليبيين في الوقت نفسه، ولعل المجاعات من أهم الأزمات الاقتصادية التي ظهرت بشكل كبير في مصر والشام، وفني على إثرها ألوف من سكانها.

ورصد المؤرخون المعاصرون لها مثل ابن القلانسي والبغدادي والمقريزي وابن تغري بردي وابن إياس صوراً متنوعة عن المجاعات وعواقبها وانعكاسها على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية من جهة وجهود الحكام والسلطين في إدارتها والتصدي لها والتخفيف من أضرارها قدر المستطاع من جهة أخرى. ويستعرض البحث نماذج من هذه الأحداث والحلول.

كلمات مفتاحية: الأزمات الاقتصادية ، مصر، الشام، المقاومة الإسلامية الصليبية، الإجراءات العلاجية.

Abstract

This study focused on two main axes: the most famous economic catastrophes and crises that appeared in Egypt and the Levant during the Crusades. The second axis is about the most important procedures and remedial measures for those crises by the ruling authority, as it sought to manage them; In order for its harms not to become more severe or prolonged, it aims to limit its negative impact on members of society.

Crises have repeatedly befallen people throughout different historical eras, such as drought, famine, floods, earthquakes, hurricanes, high prices, frost, locusts, epidemics, and so on. History contains many crisis events that befell Muslims and the extent of their effects on Muslims, and the course of the Islamic resistance to the Crusaders at the same time. Perhaps famines are among the most important crises. Economic development that emerged greatly in Egypt and the Levant, as a result of which thousands of its residents died.

Contemporary historians ‘such as Ibn al-Qalanisi ‘al-Baghdadi ‘al-Maqrizi ‘Ibn Taghri Bardi ‘ and Ibn Iyas ‘monitored various images of it.

Famines ‘their consequences ‘and their impact on the economic ‘social ‘and political conditions on the one hand ‘and the efforts of rulers and sultans to manage them ‘confront them ‘and mitigate their damage as much as possible ‘on the other hand. The research reviews examples of these events and solutions.

Keywords: Economic crises, Egypt, the Levant, Crusader Islamic resistance, remedial measures.

مقدمة

رصد السجل التاريخي للدول في العصور الوسطى وقوع العديد من الأزمات والكوارث المتنوعة والتي سعى حكامها لإدارة تلك الأزمة للحد من أخطارها وتمادي آثارها، وتأتي المجاعات في مقدمة الأزمات الاقتصادية في مصر والشام زمن الحروب الصليبية، والتي حدثت كمحصلة للعديد من العوامل الطبيعية كالحقن والفيضانات أو الزلازل والأعاصير والآفات الزراعية كالجراد والفئران، أو البشرية كالحروب. وسوف يتم الوقوف على أشهر مسببات المجاعات والكوارث المترتبة عليها بشيء من التفصيل.

أهمية البحث:

- عرض نماذج متنوعة للمجاعات والنوازل المترتبة عليها في مصر والشام.
- الإسهام في بيان الطرق التي اتبعتها السلطات في معالجة الأزمات والكوارث، والإفادة من ذلك في الواقع المعاصر.

- بيان توجيهات السلاطين للأمراء والميسورين أثناء تعرضهم للأزمات الاقتصادية، وكيف لعبت هذا التوجيهات دورا في التخفيف من آثار الأزمات .

أهداف البحث:

- توضيح أسباب ونتائج المجاعات.
- بيان أثر الأزمات والكوارث على الغزو الصليبي، ومدى انعكاسها على المقاومة الإسلامية الصليبية.
- منهج البحث:** اعتمد على المنهج التاريخي القائم على رصد وتتبع الأحداث التاريخية، وذلك من خلال جمع المادة العلمية من مظانها الأصلية والفرعية، ومن ثم إخضاعها للفحص والتحليل والاستنتاج، مع مراعاة الالتزام التام بالموضوعية؛ من أجل تحقيق الأهداف المنشودة من الدراسة.
- خطة البحث:** اقتضت طبيعة هذا البحث أن يكون في مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة.
- شملت المقدمة الموضوع وأهميته وأهدافه ومنهج البحث وتقسيماته.

المبحث الأول : نماذج من المجاعات في مصر والشام وإجراءات السلاطين العلاجية لها.

المبحث الثاني : انعكاس المجاعات ومسبباتها على المقاومة الإسلامية الصليبية.

المبحث الثالث : نماذج من المعاهدات الإسلامية الصليبية في ظل المجاعات والكوارث الطبيعية.

الخاتمة :ذكر فيها أهم ما توصل إليه البحث من نتائج وتوصيات، تلاها قائمة بالمصادر والمراجع.

المبحث الأول : نماذج من المجاعات في مصر والشام وإجراءات السلاطين العلاجية لها:

تحدث المقرئ عن المجاعات في كتيبه إغاثة الأمة بكشف الغمة، لكن مادته العلمية مختصرة؛ لذا تم جمع الشذرات من بقية المصادر؛ حتى تستكمل الصورة لأثر المجاعات على الناس وعلى سير المقاومة الإسلامية الصليبية وأبرز الجهود التي بذلها السلاطين لمعالجتها.

كان للمياه الدور الأساسي في مجاعات مصر؛ بسبب اعتماد مصر على مياه النيل في الزراعة دون غيرها، وتعرضت مصر لكثير من المجاعات؛ بسبب النقص في مياه النيل، وبالتالي سيعم القحط والغلاء مما سيؤدي حتما إلى حدوث المجاعات، كما أدت شدة فيضان النيل وزيادة مائه إلى غرق الأراضي مع

تعذر زراعتها^١، وقد وصف المقدسي الأحوال في مصر وقت الرخاء بأنه تكثر الخيرات وتتنخفض الأسعار، واستعاذ من مواسم القحط

والجذب؛ فالقحط سيستمر لسبع سنوات، وسيأكل الناس الكلاب^٢، وحقيقة الأمر أن الأضرار المتنوعة مترتبة على بعضها. حيث تتدر الأوقات وتحل المجاعات، ثم ينتشر الوباء بكثرة؛ بسبب ندرة الماء وجذب الأراضي، فيكون الضرر شاملاً لكل البلد حتى البهائم^٣.

ولذا اهتمت السلطة في مصر بقياس النيل؛ نظراً لأنه حياة المصريين^٤، فنصبوا المقاييس على شواطئه؛ بغرض السيطرة على الآثار السيئة المترتبة على نقصان مياه النيل أو زيادتها بشكل كبير، مع التخفيف قدر المستطاع والحد من أضرارها، وقيل إن يوسف عليه السلام أول من بنى مقياساً للنيل^٥.

حدثت مجاعة في عام ٤٩١هـ / ١٠٩٧م؛ وزادت شدتها نتيجة لهبوب الرياح السوداء الشديدة على مدن مصر، واستمر هبوبها حوالي سبع ساعات^٦، ويستدل من وصفها بالسوداء على أنها محملة بالأتربة؛ وبالتالي أدت إلى إتلاف المحاصيل الزراعية؛ ومن ثم المجاعة.

وفي عام ٤٩٣هـ / ١٠٩٩م غمر النيل الماء القديم بمقدار ستة أذرع واثنين وعشرين إصبعا، وبلغ مقدار الزيادة نحو ستة عشر ذراعا وأربع عشرة إصبعا^٧، فذكر المؤرخون أنه في عام ٤٩٣هـ / ١٠٩٩م قدم إلى مصر عدد كبير من بلاد الشام؛ هروباً من الصليبيين والغلاء؛ ولذا عم جميع البلاد الوباء، و مات خلق

^١البغدادي: الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر، مطبعة وادي النيل، ١٢٨٦هـ، ص ١٥٢.

^٢المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار صادر، بيروت، ص ٢٠٢.

^٣المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد عبد الحميد، بيروت، ١٩٨٧م، ج ١، ص ٣٤٢؛ وابن ظهيرة: الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة، تحقيق مصطفى السقا وكامل المهندس، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٦٩م، ص ١٦٠.

^٤ابن مماتي: قوانين الدواوين، تحقيق عزيز عطية، القاهرة، ١٩٩١م، ص ٧٥.

^٥المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م، ج ١، ص ١٠٨-١١١.

^٦المقريزي: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق محمد حملي أحمد، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٦م، ج ٣، ص ٢٢.

^٧ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب، القاهرة، ج ٥، ص ١٦٣-١٦٤.

كثير من أهل مصر^١، ولم يذكر سبب تلك الوفيات الكثيرة، وبالرجوع إلى ابن القلانسي نجده يقف على ما جرى في بلاد الشام وخاصة في أعمال الشمال حيث ذكر بأن الآبار فيها قد غارت، وكذلك المنابع؛ ولذا تقلصت فيها الأسعار^٢.

بجانب ما سبق تعرضت البلاد إلى العديد من المجاعات وخاصة في العصر الأيوبي، وكان أولها في عام ٥٧٥هـ/١١٧٩م حيث كثر الموت في القاهرة وكافة أعمال مصر، ولذلك تغيرت رائحة الهواء^٣؛ لأنه أصبح ملوثاً فارتفع معدل الوفيات، إذ توفي بالقاهرة ومصر في غضون أيام بسيطة نحو سبعة عشر ألف شخص^٤.

وفاض النيل بدرجة كبيرة في سنة ٥٧٩هـ / ١١٨٢م، إذ بلغ قياس مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وأحد عشر إصبعا، مما أدى إلى غرق الأراضي وتعطل الطرق^٥، بجانب تلف المحاصيل الزراعية، مما ترتب عليه حدوث مجاعة عانى الناس منها، ثم انتشر الوباء. وفي السنة التالية ٥٨٠هـ / ١١٨٤م بلغ قياس النيل ستة عشر ذراعاً ومبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعاً وثلاثة عشر أصبعا^٦، وفي عام ٥٨٧هـ / ١١٩١م كان مبلغ زيادة النيل بسيطاً، ثم تقلصت الزيادة، فوقع الغلاء، وندر الطعام، وارتفعت أعداد الوفيات واستمرت معاناة الناس من هذه المجاعة ثلاث سنوات متوالية^٧.

وفي عام ٥٩٠هـ/١١٩٣م وذلك في عهد الملك العزيز عثمان (٥٩٠-٥٩٥ هـ / ١١٩٣-١١٩٨م) تعرضت مصر لوباء امتد أثره على كل سكان الأقاليم المصرية، مثل ظهور الطاعون البقري والجمال والحمير، الذي أهلك الكثير من هذه الحيوانات^٨، وفي نفس العام وقعت كارثة على الشعب المصري

١ المقريزي: انعاظ الحنفاء، ج٣، ص ٢٥؛ ابن ميسر: المنتقى من أخبار مصر، تحقيق أيمن فؤاد سيد، المعهد العلمي الفرنسي، القاهرة، ص ٦٨.

٢ ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، مكتبة المتنبى، القاهرة، ص ١٣٨.

٣ المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م، ج١، ص ١٨١.

٤ المقريزي: السلوك، ج١، ص ١٨١.

٥ ابن أبيك: كنز الدرر وجامع الغرر: الدر المطلوب في أخبار ملوك بني أيوب، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة، ١٩٧٢م، ج٧، ص ٧٥.

٦ ابن أبيك: الدر المطلوب، ج٧، ص ٧٨.

٧ ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، مطبعة الحلبي، القاهرة، ١٣٣٨ هـ، ج١، ص ٩١.

٨ المقريزي: السلوك، ج١، ص ١٢٥.

وشملت مدينة الإسكندرية؛ وذلك نظرًا لنقص منسوب النيل، وبالتالي أدى إلى ارتفاع في الأسعار، إذ بلغت قيمة سعر أردب القمح دينار، وأخذ السعر في التنامي، حتى تعذر وجود الخبز، فهاج الناس، وانتشرت المنكرات^١.

بالإضافة إلى ما سبق فقد أدى تلوث ماء خليج الإسكندرية والذي تفرع من النيل إلى زيادة في سرعة انتشار وباء الطاعون، بسبب رمي الناس لحيواناتهم المصابة بالطاعون وكذلك الميتة بالنيل للتخلص منها، وتزامن ذلك مع حدوث نقص في مياه النيل؛ فأصبحت جثث الحيوانات متراكمة في النيل، وكانت تتبع من جنوب مصر، ونتيجة لريها بماء الخليج، فإن الأرض الزراعية تلوثت بالوباء، وبالتالي مات خلق كثير^٢.

وفي عام ٥٩٥هـ / ١١٩٨م بلغ قياس مياه النيل ثلاث عشرة ذراعاً فقط، مما أدى إلى وقوع موجات من الغلاء بمصر؛ بسبب ندرة المحصولات والغلل، ولذا اضطربت أحوال الناس في مصر^٣.

وحدثت عدة مجاعات في عهد السلطان العادل الأيوبي (٥٩٦-٦١٥هـ / ١٢٠٠-١٢١٨م) وذلك في عام ٥٩٦هـ / ١٢٠٠م حيث بلغ زيادة النيل أربعة عشر ذراعاً، لذا سقى مساحة محدودة جداً من الأراضي، ولأجل ذلك قلت الأقوات والغلات، وعم الغلاء المفرط، وحل القحط وعمت المجاعة في مصر، وتضرر الناس^٤.

حيث بدأت تظهر في ماء النيل خضرة سلقية في بداية عام ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م^٥، ثم تكاثرت وظهرت رائحة كريهة، مع تعفن بالطحالب، مثل عصارة السلق^٦، وهذه المجاعة لم يسمع أحد بمثلها عبر التاريخ، حيث

١ المقريزي: السلوك، ج ١، ص ١٢٥.

٢ ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج ١، ص ٢٠.

٣ ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج ١، ص ٩١.

٤ ابن واصل: مفرج الكروب في أخبار ملوك بني أيوب، تحقيق جمال الدين الشيال، ج ٣، ص ١١٥؛ ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، تحقيق حسن الشماخ، البصرة، ١٩٦٧م، م ٤، ج ٢، ص ١٨٢.

٥ الياضي: مرآة الزمان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م، ج ٣، ص ٤٨٤؛ سبط بن الجوزي: مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، تحقيق مسفر الغامدي، مطبعة جامعة أم القرى، مكة، ١٩٥١م، ج ٨، ص ٤٧١.

٦ البغدادي: الإفادة والاعتبار، ص ٧٩؛ المقريزي: إغاثة الأمة بكشف الغمة، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٨م، ص ٣٤.

٧ البغدادي: الإفادة والاعتبار، ص ٧٩.

وصلت بشاعتها درجة أن يأكل القوي الضعيف، ويعمد فيها الأب إلى أكل ابنه دون أن يشعر بالندم، وأرجعت بعض المصادر السبب الرئيسي لتلك المجاعة إلى نقص فيضان النيل^١، حيث قلت الزيادة عن اثني عشر ذراعاً وواحد وعشرين إصبعا، مما ترتب عليه قلة في المحاصيل والمزروعات^٢، وبقي النيل على ذلك المستوى لمدة ثلاثة أعوام متعاقبة، حيث بلغت زيادته عشرة أذرع ثم أخذ في التراجع و الانخفاض، وعم القحط بلاد مصر^٣، وعمت الأقوات والغلات، واشتدت موجات الغلاء في كافة أنحاء مصر، إذ وصلت قيمة الإردب من القمح إلى ثمانية دنانير^٤، وورد الخبر عن تاجر مأمون أنه لما زار الإسكندرية فإن أعرب ما شاهده هو خمسة رؤوس صغيرة تطفى في قدر مع إضافة التوابل الجيدة^٥، وهكذا ولكل ما سبق ندرك أنه نتيجة لاحتكار التجار الغلال، ورفعهم للأسعار، انعدمت الأقوات في القرى؛ فانتقلوا إلى المدن الكبرى كالإسكندرية والقاهرة؛ ولذا زاحموا أهلها وقاسموهم في المسكن والمأكل، وازدحمت الشوارع، فساد الجوع وتفشى الوباء نتيجة لكثرة الموت في طرقات المدينة^٦.

وفي الحقيقة لقد اتخذ السلطان العادل العديد من الخطوات في هذه السنة؛ لإدارة هذه الأزمة والتخفيف من حدة الآثار الناجمة عنها، ومن ذلك نذكر: وزع بعضاً من الغلال على الفقراء، وجعل أصحاب الأموال يتكفلون بنفقات الفقراء، كما سمح لاثني عشر ألف فقير بالإقامة لديه في مستودع الغلال، وأنعم عليهم بالمؤن، وسار على نهجه واقتدى به كل الأمراء وذوي الثراء والسعة، ومن ذلك نذكر أن حسام الدين لؤلؤا- من القادة البارزين أيام صلاح الدين الأيوبي وبداية عهد العادل- كان كثير الصدقات بشكل يومي، وعندما نزل الغلاء بمصر تصدق بعدد كبير من الخبز وقيل أن عددها اثني عشر ألف رغيف^٧، وقد بلغ حد تضرر الفقراء من المجاعة أن الواحد منهم إذا أكل فشبع بعد طول ملازمة الجوع له فإنه يخر

١ البغدادي: الإفادة والاعتبار ، ص٧٩؛ أبو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين، ج٥، ص ٣١؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٦، ص ١٥٩.

٢ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة، ج٦، ص ١٥٩.

٣ ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور ، ج١، ص٩٣؛ المقرئ: إغاثة الأمة بكشف الغمة، ص ٣٥

٤ المقرئ: إغاثة الأمة بكشف الغمة، ص٣٥.

٥ البغدادي: الإفادة والاعتبار ، ص ٩١.

٦ البغدادي: الإفادة والاعتبار ، ص ٨٥.

٧ المقرئ: إغاثة الأمة بكشف الغمة ، ص ٣٥؛ ابن كثير: البداية والنهاية، تحقيق أحمد أبو ملح وأخريين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م، ج ١٣، ص ٣٠.

صريعاً على الأرض، ولذا ترتفع أعداد الوفيات بشكل يومي^١، لدرجة أنه وصلت أعداد من كفنهم السلطان العادل الأيوبي من ماله في غضون شهر واحد من تلك السنة من الفقراء والأغنياء نحو مائتين وعشرين ألف نفس ويشملون جميع الفئات العمرية من الشيوخ والرجال، بجانب النساء والأطفال^٢. كما ورد أنه بلغت أعداد من كفنهم السلطان العادل نحو ثلاثمائة ألف نفس^٣، وتعطي أعداد الوفيات الكبيرة مؤشراً عالياً على شدة تأثر أهل مصر بالمجاعات على الرغم من جهود السلاطين في إدارتها، ونتيجة لذلك أجبرت الأوضاع المتردية أهل مصر على تركها بأعداد كبيرة؛ هروباً من المجاعة والموت المحقق بهم، فهاجروا إلى مناطق أخرى كاليمن و الشام والحجاز والمغرب، وأضحت مسالك المغرب والحجاز والشام مليئة برفات الناس الموتى، وبلغ عدد من كفنهم السلطان خلال عشرة أيام مائة وعشرين ألف، وقد صلى إمام وخطيب جامع مدينة الإسكندرية على سبعمائة جنازة من أعيان الناس في يوم واحد^٤، واستغل صليبيو الشام تلك المجاعة لإيذاء كل من يقع في قبضتهم، وذلك عندما خرج الناس من مصر خشية الموت، وتفرقوا في الأمصار الأخرى، وكانت المراكب الصليبية واقفة على ساحل البحر؛ حتى تسترقهم نظير منحهم لقمة العيش^٥.

لقد اتسمت المجاعات التي حاقت بالناس في مصر بشدة ضررها عليهم؛ حتى لجأ الأهالي بسبب جوعهم الشديد إلى أكل لحم الميتة، ثم تجاوزوا ذلك فأكلوا الوحوش والقطط والطيور حتى نفدت، وفي نهاية المطاف اضطروا إلى أكل لحوم بعضهم بعضاً، فصار القوي من الناس يذبح ويأكل كل من يقع في متناول يده سواء كان ابنه أو جاره أو صاحبه دون أن يوجه له أي لوم أو استنكار؛ بسبب شدة المجاعة وهذا متاح أمامه^٦، وفي هذه السنة ٥٩٧هـ/١٢٠١م وقع غلاء شديد بمصر، كما تعذرت الأقوات حتى أكل الناس بعضهم بعضاً كان الرجل يذبح ابنه الصغير، وتقوم أمه بمساعدته في طبخه ثم يأكلونه، ولما علم السلطان العادل بذلك ألقى القبض على مجموعة من الناس ثبت عليهم هذا الفعل، ثم أمر أن يحرقوا

^١ المقريزي: إغاثة الأمة بكشف الغمة، ص ٣٦؛ محمود محمد الحويري: العادل الأيوبي: صفحة من تاريخ الدولة

الأيوبية، دار حراء، القاهرة، ١٩٧٩م، ص ١١١

^٢ ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج ١، ص ٣٢؛ المقريزي: السلوك، ج ١، ص ٢٦٩.

^٣ العيني: السيف المهند في سيرة الملك المؤيد، تحقيق فهد شلتوت، القاهرة، ١٩٦٧م، ص ١٩٩

^٤ أبو شامة: الذيل على الروضتين، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٤م، ص ١٩؛ ابن أبيك: الدر المطلوب، ج ٧، ص ١٤٩.

^٥ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٦، ص ١٧٤.

^٦ ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج ١، ص ٩٤.

على مرأى من جميع الناس^١، ولكن هذا الإجراء لم يكن رادعا لهم، حيث استمروا في أكل لحوم البشر، وابتدعوا من أجل ذلك أنواعا شتى من الحيل ومن ذلك استدعاء أصحاب الصنائع إلى المنازل ثم قتلهم وأكلهم، وكان الأطباء كثيرا ما يتم استدعاؤهم للمنازل للنظر إلى مريض ومن ثم يفتك بهم^٢، ونتيجة لهذا التصرف تم فقد الكثير من الأطباء في تلك السنة^٣.

هذا بجانب قيامهم بخطف صغار الأطفال والصبيان من الشوارع والحارات^٤، وارتفعت الوفيات في مصر من جراء هذه المجاعة، حتى أصبحت الجثث متناثرة في العراء في أنحاء الأزقة والطرقات، وعجز الناس عن دفن تلك الجثث^٥، حتى أنها شوهدت في مياه النيل وشطوطه^٦، مما ترتب عليه حدوث تلوث للماء والهواء، فحدث فناء عظيم^٧، وهلك بعض أهالي القرى وأصبحت ديارا بورا، لا تُرى شواهد للحياة فيها سواء كان إنساناً أو طيراً أو حيواناً^٨، كما امتد أثر المجاعات إلى

المدن الكبرى، حيث كثرت بها الوفيات، مثل الإسكندرية والفيوم ودمياط^٩، وقيل: إنه مات من أهل مصر حوالي الثلاثين^{١٠}. وفي رواية أخرى: واحد وعشرون ألف فرد^{١١}.

^١ ابن أبيك: الدر المطلوب، ج٧، ص١٤٩؛ أبو شامة: الذيل على الروضتين، ص ١٩؛ ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٣، ص١٢٧.

^٢ ابن أبيك: الدر المطلوب، ج٧، ص١٤٩؛ أبو شامة: الذيل على الروضتين، ص ١٩؛ ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج١، ص٩٤.

^٣ ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج١، ص٩٤؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٣، ص٣٣؛ المقرئ: السلوك، ج١، ص٢٦٩.

^٤ ابن أبيك: الدر المطلوب، ج٧، ص١٤٩.

^٥ المقرئ: السلوك، ج١، ص٢٦٩؛ ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، م ٤، ج٢، ص٢٠٨؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٨م، ص٥٢٠.

^٦ البغدادي: الإفادة والاعتبار، ص١٦٩.

^٧ ابن واصل: مفرج الكروب، ج٣، ص١٢٧؛ المقرئ: السلوك، ج١، ص ٢٧٠؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٩٨٢م، ج١٢، ص١٧٠.

^٨ الياضي: مرآة الزمان، ج٣، ص٤٨٨؛ البغدادي: الإفادة والاعتبار، ص ١٦٦ - ١٦٨.

^٩ البغدادي: الإفادة والاعتبار، ص ١٧٨.

^{١٠} ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج ١، ص ٩٤.

^{١١} الذهبي: دول الإسلام، تحقيق فهد شلتوت، القاهرة، ١٩٧٤م، ج ٢، ص ١٠٦.

ولكل ما سبق نقول إنه بالرغم من المجهودات المبذولة من قبل السلطان العادل الأيوبي والأغنياء في دعم المتضررين من هذه المجاعة ومساعدتهم إلا أن الأثر كان محدودًا، فقد فنيت النفوس والأقوات^١، وقد أعادت هذه المجاعة والغلاء إلى أذهان الناس صورة السنين العجاف السبع التي حدثت في عهد سيدنا يوسف عليه السلام^٢ وظل الحال مستمرا على ذلك فترة ثم تحسنت الأحوال، وظهرت الغلات والمحاصيل وانخفض سعر القمح، وانخفضت أسعار بقية كل السلع، وبذلك انصلحت الأحوال^٣.

وفي عهد السلطان الكامل (٦١٥ - ٦٣٦ هـ / ١٢١٨ - ١٢٣٨ م) انخفض منسوب مياه النيل، حيث بلغت الزيادة ثلاثة عشر ذراعا وثلاثة عشر إصبعا لا غير في عام ٦٢٧ هـ / ١٢٢٩ م، وهو مما أدى إلى ارتفاع الأسعار^٤، واستمر انخفاض النيل إلى العام التالي ٦٢٨ هـ / ١٢٥٠ م، حيث بلغت الزيادة ستة عشر ذراعا وعشرة أصابع؛ ولذا ظهر الغلاء بالديار المصرية^٥، ومما لاشك فيه أن ظهور الغلاء تعقبه المجاعات مع انتشار الوباء بسبب كثرة الوفيات، وحدث غلاء آخر في مصر في عهد الظاهر بيبرس المملوكي (٦٥٦ - ٦٧٦ هـ / ١٢٥٨ - ١٢٧٧ م) في سنة ٦٦٢ هـ / ١٢٦٣ م بسبب نقص مياه النيل، فحدثت المجاعة، فعم الغلاء، وارتفعت الأسعار في مصر، حيث بلغ سعر الإردب من القمح نحو مائة درهم، فأمر السلطان الظاهر بيبرس بتحديد الأسعار، لكن الحال زاد سوءا حتى عدم الناس الخبز، وبلغ سعر القمح مائة درهم وخمسة دراهم للإردب، والشعير بلغ سعر الإردب سبعين درهما، والخبز الثلاثة أرطال بدرهم، واللحم كل رطل قيمته درهم وثلث، وبلغ في الإسكندرية سعر الإردب من القمح بثلاثمائة وعشرين درهما، ولم يقف الوضع عند هذا الحد بل زاد وضع الناس سوءا حتى أكلوا ورق الكرنب واللفت، وزيادة على ذلك خرجوا إلى الريف؛ ليأكلوا عروق الفول الأخضر^٦.

وإزاء ما سبق قام السلطان الظاهر باتخاذ العديد من التدابير والقرارات لإدارة أزمة المجاعة، ومن ذلك نذكر أنه نزل إلى دار العدل وكتب إلى مخازن الأغلال السلطانية ببيع خمسمائة إردب كل يوم للضعفاء،

^١المقريزي: إغاثة الأمة بكشف الغمة، ص ٣٦.

^٢المقريزي: إغاثة الأمة في وقائع الدهور، ص ٣٦.

^٣ ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج ١، ص ٩٤؛ ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، م ٤، ج ٢، ص ٢٠٩.

^٤ ابن أبيك: الدر المطلوب، ج ٧، ص ٢٩٩؛ النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق محمد حلمي وآخرون، دار

الكتب، القاهرة، ١٩٩٢م، ج ٢٩، ص ١٦١؛ المقريزي: السلوك، ج ١، ص ٣٦١.

^٥ ابن أبيك: الدر المطلوب، ج ٧، ص ٣٠٢؛ أبو شامة: الذيل على الروضتين، ص ١٥٩.

^٦ المقريزي: السلوك، ج ٢، ص ٥.

واستدعوا الفقراء؛ للحصر، فاجتمعوا تحت القلعة، ومن ثم نزل إليهم الحجاب فدونوا أسماءهم وقد بلغت ألوفًا، فقال السلطان: "والله لو كانت عندي غلة تكفي هذا العالم لفرقتها"^١.

إن عبارة السلطان السابقة تعكس لنا بلاء شدة حرصه على إطعام كل فقراء العالم، كما أمر بأن يعطى كل فقير من الذين تجمعوا في هذا اليوم نصف درهم؛ حتى يشتري به قوت يومه من الخبز إلى أن يظهر القرار في الغد، ثم أخذ ألوفًا من الفقراء، كما أمر أن يعطى كل فقير ما يكفيه من الطعام لمدة ثلاثة أشهر، وأمر كذلك أن يوزع من المخازن السلطانية ما يعادل مائة إردب من الخبز، كما وزع الفقراء على الأمراء بدءًا من ابنه الملك السعيد، والتجار والأغنياء كل واحد بقدر سعته، وقام الناس بفتح المخازن وتوزيع الصدقات^٢، وحدثت مجاعة في عهد السلطان زين الدين العادل كتبغا (٦٩٤-٦٩٦هـ/١٢٩٤-١٢٩٦م) في سنة ٦٩٦هـ/١٢٩٦م حيث طلع النيل ستة عشر ذراعًا ثم هبط ووقع الغلاء^٣ وتوقف سقوط الأمطار، مما تسبب في حدوث مجاعة كبيرة، وترتب عليها ارتفاع في أسعار الحبوب والغلات، بالإضافة إلى عملية الهجرة من برقة إلى مصر، وهذا أدى بدوره إلى تفاقم هذه الأزمة^٤، ويعود سبب هذه المجاعة إلى قصور النيل عن الزيادة، فقلق الناس كثيرا لدرجة اليأس، وأكل الناس لحوم الميتة والحيوانات، واشتد الغلاء وبيع إردب القمح بأكثر من ألف درهم، كما أصاب الجذب والقحط الوجه الغربي لبرقة وأعمالها وما يتأخمها من أقاليم؛ فلم يُصبها شيء من وابل الأمطار، وجفت الأعين؛ ولذا أضحت الأراضي قاحلة بدون زرع أو ثمر، فهلك الناس من الجوع والعطش، وترتب على هذه الأزمات والكوارث في مصر وشرق ليبيا، ولذا اضطر أهل برقة إلى النزوح إلى الديار المصرية، فخرج منها نحو من ثلاثين ألف نفس بعيالهم وأنعامهم^٥، فوصلت منهم إلى البحيرة والإسكندرية أعداد هائلة، وانتشروا في سائر أنحاء البلاد، حاملين معهم الأمراض، فكثر الوفيات بشكل كبير في بلدان مصر، كان يموت في القاهرة كل يوم ألوفًا، حتى أن الميت يظل ملقى في الأزقة لمدة يوم أو يومين، دون أن يجد من يدفنه؛ لانشغالهم

^١ المقريزي: السلوك، ج ٢، ص ٥-٦.

^٢ المقريزي: السلوك، ج ٢، ص ٦.

^٣ ابن أيبك: الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية، تحقيق أولرخ هارمان، القاهرة، ١٩٧١م، ج ٨، ص ٣٥٨؛ المقريزي: إغاثة الأمة بكشف الغمة، ص ٣٦.

^٤ المقريزي: السلوك، ج ٢، ص ٢٦١-٢٦٢.

^٥ المقريزي: إغاثة الأمة بكشف الغمة، ص ٣٧.

بالأمراض التي أصابتهم^١. ولقد حاول كتبغا إدارة هذه الأزمة وبمعاونة أمرائه وفي مقدمتهم الأمير بيبرس المنصوري وتدارك أضرارها، فقام بفتح الأهراء^٢ والشون والمخازن، ووزع الفقراء على الأمراء والأغنياء؛ حتى يقوموا برعايتهم وكفالتهم طوال فترة الأزمة، بجانب استيراد الغلال والحبوب من الخارج، وقد كان للأمير بيبرس المنصوري دورٌ في التقليل من هذه الكارثة في الإسكندرية، إذ تولى أمر توزيع الفقراء على ميسوري الحال والتجار وأرباب المعاش، كما أعطى لنفسه جماعة من الفقراء، وأجرى عليهم الأرزاق حتى انقضت المجاعة، ووصلت الغلال إلى الإسكندرية، والتي بلغت نيف على ثلاثمائة ألف إردب من القمح، وهذا المدد وصل من جزيرة صقلية والقسطنطينية^٣، ولكن كارثة المجاعة والأمراض ظلت مستمرة طوال عامي ٦٩٥ - ٦٩٦ هـ / ١٢٩٥ - ١٢٩٦ م تقضي على أرواح الناس، ولما عاد بيبرس المنصوري من الإسكندرية إلى القاهرة وجد حال أهلها قد آل إلى التلف الواضح بسبب الوباء، وسرعة الموت^٤، وهلك من الناس نحو من عشرين ألفاً^٥، وهذا يعكس عدم سيطرة كتبغا على هذه الأزمة على الرغم مما بذله من مجهودات؛ لذا كرهه الناس وتم خلعه وتولية المنصور لاجين^٦. وفي عهد السلطان الناصر محمد قلاوون ارتفعت الأسعار وعم الغلاء وحلت المجاعة في عام ٧٣٦ هـ / ١٣٣٥ م وعُدم القمح من الأسواق، واستغاث الناس بالسلطان، فجمع السلطان الأمراء وقال لهم: "يا أمراء شهر عليكم، وشهر علي، وشهر على الله"، ففتح الأمراء الشون، والسلطان حواصل الغلال، وفرح الناس، وخفض أسعار الطعام^٧، كما حدثت مجاعة في عام ٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ م بسبب قصور النيل، ووقع الغلاء وعزت الأقوات، فمات الكثير من الجوع حتى امتلأت الطرقات، وأعقب ذلك وباء مات فيه خلق كثير، فأمر السلطان الأشرف شعبان (٧٦٤ -

^١ بيبرس الدوادار: زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، تحقيق: زبيدة محمد عطا، دار عين، القاهرة، ٢٠٠١م، ص ٣٢٥ - ٣٢٦؛ ابن دقماق: النفحة المسكية في الدولة التركية، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٩م، ص ٩٧.

^٢ الأهراء السلطانية: هي الأماكن التي يتم فيها تخزين الغلال وهي مثل الشون، غير أنها توضع بها الغلال لمواجهة الأزمات الاقتصادية، أما الشون فيوضع فيها ما يستهلك. القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م، ج ٤، ص ٣٣.

^٣ الدوادار: زبدة الفكرة، ص ٣٢٦.

^٤ بيبرس الدوادار: التحفة الملوكية في الدول التركية: تاريخ دولة المماليك البحرية في الفترة من ٦٤٨ - ٧١١ هـ، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٨م، ص ١٤٩.

^٥ ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٣، ص ٣٦٠.

^٦ العيني: عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٨م، ج ٣، ص ٣١٢؛ ابن أبيك: الدرر الزكية، ج ٨، ص ٣٦٥.

^٧ المقرئ: إغاثة الأمة بكشف الغمة، ص ٤٢ - ٤٣.

٧٧٨هـ/١٣٦٣-١٣٧٧م) بجمع الفقراء وتوزيعهم على التجار والأغنياء، وانكشفت الغمة بعد عامين، إذ ارتفع منسوب المياه في النيل، وارتوت الأراضي وحصل الرخاء.^١

وفي حقيقة الأمر، يعود سبب كثرة المجاعات وما نتج عنها من تراكمات خاطئة إلى إخلاء مصر من رصيدها النقدي، لقد أخذ السلطان صلاح الدين أموالاً من خزانة مصر، كما أخذ من أموال الخليفة الفاطمي العاضد (٥٥٥-٥٦٧هـ/١١٦٠-١١٧١م)، وأرسلها إلى الأمير نور الدين محمود، ليتقوى بها خلال محاربته للصليبيين^٢، وبعث شاور رسالة إلى نور الدين محمود جاء في مجملها عرض بأن يحمل إليه مالا من مصر سنوياً؛ مُصانعة له حتى يصرف أسد الدين شيركوه عنه^٣، وفي الجانب الآخر فإن نور الدين محمود لم يقنع بالأموال التي أرسلها له صلاح الدين الأيوبي بل تطلع للمزيد؛ لأن مصر غنية بخيراتها^٤، وبقي الحال كما هو عليه حتى عام ٥٧٤هـ/١١٧٨م، حيث ورد إلى السلطان صلاح الدين الأيوبي مكتوب من نائبه في دمشق، ذكر فيه حقيقة توزيع أموال الصدقات المرسلة من قبله إلى بلاد الشام والتي تبلغ أحد عشر ألف دينار بأنها توزع دون عدل، حيث يستأثر بها الأغنياء دون الفقراء، فرأى صلاح الدين ألا يعطل العطاء ويمنع عمن له آمال فيه^٥.

أما المقرئ فقد عزا أسباب تلك المحن إلى ثلاثة أسباب رئيسية أولها فساد السلطة بتولي المناصب بالرشوة، وثانيها غلاء الأراضي الزراعية، وأخيراً رواج الفلوس^٦.

وحدثت في بلاد الشام العديد من المجاعات والتي كانت بسبب الزلازل أو قحط الأمطار أو غزارتها بجانب هجمات الجراد والفئران على المحاصيل الزراعية؛ مما يؤدي إلى تلفها ومن ثم تحدث المجاعات وينتشر الوباء فتكثر الوفيات. ومن ذلك نذكر في نهاية عام ٥٩٥ هـ / ١١٩٨م وبداية عام ٥٩٦ هـ / ١١٩٩م عندما فرض الملك الأفضل الحصار على دمشق؛ لوجود عمه العادل بها، فقطع عنها الأنهار والميرة، فحدثت المجاعة بسبب ارتفاع الأسعار وعم الغلاء لشدة الحصار حتى تمنى الناس الموت،

١ المقرئ: إغاثة الأمة بكشف الغمة، ص ٤٣.

٢ البنداري: سنا البرق الشامي، تحقيق فتحية عبد الفتاح النبراوي، مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٧٩م، ص ٦٤-٦٥؛ أبو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، دار الجبل، بيروت، ١٩٧٤م، ج ٢، ص ١٥٤.

٣ المقرئ: اتعاظ الحنفا، ج ٣، ص ٢٨٩.

٤ أبو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين، ج ٢، ص ١٥٤ - ١٥٥.

٥ أبو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين، ج ٣، ص ١١.

٦ المقرئ: إغاثة الأمة بكشف الغمة، ص ٤٥-٤٨.

وبحلول فصل الشتاء زادت الأمطار والأحوال مما ضاعف حدوث المجاعات والأمراض^١. ثم تغيرت الأحوال في سنة ٦١٣ هـ / ١٢١٦ م، حيث ارتفعت الأسعار؛ لأن الأمطار في هذه السنة قليلة الهطول^٢. وفي عام ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م تعرضت العراق وبلاد الشام لموجة غلاء شديدة؛ بسبب انتشار الجراد وقلة الأمطار، فمات ناس كثير من العراق والشام^٣، وفي سنة ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م قدم الملك الكامل وفرض الحصار على دمشق^٤، وقطع الأنهار، وضيق على أهلها، واشتد عطش الناس في دمشق، ونهبت المحاصيل، وبالتالي ارتفعت الأسعار^٥، وشهدت بلاد الشام ومصر في عام ٦٢٨ هـ / ١٢٣٠ م موجة غلاء شديدة؛ بسبب قلة مياه الأمطار والآبار^٦.

وفي سنة ٦٦٠ هـ / ١٢٦١ م حصل غلاء شديد في الشام على جميع أصناف الطعام، إذ بيع القمح بأربعمائة، والشعير بمائتين وخمسين، ورطل اللحم بستة أو سبعة، كما وقع زلزال عظيم في بلاد الشام^٧، وفي سنة ٦٣٥ هـ / ١٢٣٧ م حاصر الملك الكامل دمشق ونزل بمسجد القدم، وقام بقطع المياه عن المدينة، فتضايق أهلها وعلت الأسعار^٨. وفي سنة ٦٤٣ هـ / ١٢٤٥ م طوقت العسكر الخوارزمية دمشق بأمر من الملك الصالح نجم الدين أيوب (٦٣٧-٦٤٧ هـ / ١٢٤٠-١٢٤٩ م) وقطعت الأنهار، مما أدى إلى ارتفاع الأسعار وحلت المجاعة فهرب الناس إلى مصر^٩ حتى بيعت الأملاك بالدقيق، وأُكلت القطط والكلاب والميتة، وكثر موت الناس في الطرقات، حتى عجزوا عن التغسيل والتكفين، ولذا ألقوا موتاهم

^١ المقرئزي: السلوك، ج ١، ص ٢٦٠؛ ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٣، ص ٩٩-١٠٧؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٣، ص ٢٤.

^٢ أبو شامة: الذيل على الروضتين، ص ٩٣.

^٣ ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٣، ص ١١٤.

^٤ ابن العميد: أخبار الأيوبيين، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، ص ١٦.

^٥ ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٣، ص ١٣٣؛ المقرئزي: السلوك، ج ١، ص ٣٥٦.

^٦ ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٣، ص ١٣٨.

^٧ ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٣، ص ٢٤٧.

^٨ المقرئزي: السلوك، ج ١، ص ٣٧٩؛ ابن العميد: أخبار الأيوبيين، ص ٢١.

^٩ ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٣، ص ١٧٧؛ وليم الصوري: الحروب الصليبية، ترجمة حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٥ م، ج ٤، ص ٢٨٣.

بالآبار فنتنت المدينة^١، وفي سنة ٦٣٩هـ / ١٢٤١م حدث نقص في مياه الأمطار والآبار مما أثر سلباً على الزرع^٢.

وفي سنة ٧٠١هـ / ١٣٠١م قدم إلى الشام جراد عظيم وأكل الثمار والزرع، وأصبحت الأشجار عارية ومجردة كالعصي^٣، وهذا سيؤدي إلى الغلاء ومن ثم المجاعة.

المبحث الثاني : انعكاس المجاعات ومسبباتها على المقاومة الإسلامية الصليبية

لقد أثرت المجاعات على خط سير الصراع الإسلامي الصليبي في عدة مواقف، ومن ذلك نذكر في سنة ٤٩١هـ / ١٠٩٨م أثناء الحصار الصليبي لأنطاكية حيث حلت مجاعة حتى اضطر الناس لأكل أعواد الفول، وأكلوا أنواعاً من الأعشاب بدون ملح، وأكلوا الأشواك قبل أن يكتمل طهيها، وأكلوا الكلاب والجمال والخيول والبغال والفئران، وجلود الحيوانات وبذور الغلال، كما عانوا من سقوط الأمطار الغزيرة في بلاد الشام، حيث سببت تمزق الخيام الصليبية، فأصبحوا عراة والسماء هي لحافهم^٤.

وقد دعمت العديد من الكوارث الطبيعية والمجاعات والوباء والزلازل التي حدثت ببلاد الشام ومصر المسلمين في مقاومتهم للغزو الصليبي، ففي صفر سنة ٥٣٢هـ / ١١٣٧م حدثت عدة هزات أرضية في بلاد الشام، في الجزيرة وأعمال الموصل، أسفر عنها دمار العديد من المواقع، ووفاة أعداد كبيرة من الناس، ثم اشتدت الزلازل، وكان من أثرها هدم العديد من المنازل ومغادرة السكان للمدن والقرى، وخاصة من الصليبيين^٥. وكان لأسراب الجراد التي تعرضت لها بلاد الشام بعد العدوان الصليبي أثره في هجرة السكان من القرى، ففي سنة ٥٠٩هـ / ١١١٤م، اجتاحت أسراب من الجراد، قادمة من شبه الجزيرة العربية أراضي القدس في عهد الملك بلدوين الأول Baldwin I (٤٩٣-٥١١هـ / ١١٠٠-١١١٨م) خلال شهري

١ ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٣، ص ١٧٨.

٢ أبو شامة: الذيل على الروضتين، ص ١٧١.

٣ ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٢٠.

٤ فوشيه الشارترى: الاستيطان الصليبي في فلسطين: تاريخ الحملة إلى بيت المقدس ١٠٩٥-١١٢٧م، ترجمة ودراسة وتعليق قاسم عبده قاسم، ذات السلاسل، الكويت، ١٩٩٣م، ص ١٢٤.

٥ الشارترى: الاستيطان الصليبي، ص ١٢٥.

٦ ابن القلاسي: ذيل تاريخ دمشق، ص ٢٦٣؛ محمد مؤنس عوض، الزلازل في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية، دار عين، القاهرة، ١٩٩٦م، ص ٦٤-٦٥.

أبريل ومايو؛ ونتج عنها تدمير المحاصيل الزراعية تدميرًا كاملاً، مما أدى إلى هجرة الصليبيين منها، وبقاء أصحابها من المسلمين فيها^١.

وفي سنة ٥١٤هـ/١١٢٠م، هاجمت أسراب الجراد ممتلكات الصليبيين، وزاد عليها هجمات الفئران، واستمر ذلك أربعة أعوام؛ مما أدى إلى هلاك المحاصيل، فقلت الغلات، ونقص الخبز؛ الأمر الذي جعل وليم الصوري يذكر صراحة التهديد بخطر المجاعة التي كانت على وشك الوقوع، وحدثت فعلاً في القدس، لولا مساعدة فرسان الداوية لعامة الصليبيين من مخازنهم، ودفع الملك بلدوين الثاني Baldwin II (٥١٢-٥٢٦هـ/١١١٨-١١٣١م) إلى إعفاء سكان مملكة بيت المقدس من الضرائب المفروضة عليهم وأعلنها بلا ضرائب^٢.

وترددت هذه الكوارث القحط والمجاعة والوباء على الممتلكات الصليبية، ففي سنة ٥٧٤هـ/١١٧٨م توقف هطول الأمطار على بلاد الشام والجزيرة والبلاد العراقية؛ مما أدى إلى قلة المحاصيل الزراعية، بجانب قلة مياه الشرب؛ وبالتالي هاجر الفلاحون من قراهم حتى فرغت من سكانها، وعم الغلاء وارتفعت الأسعار^٣.

كما عانت بلاد الشام من العديد من الزلازل والهزات الأرضية، التي أودت بحياة العديد من الصليبيين ومنازلهم، حيث وقع ذلك في سنوات متتالية، منها على سبيل المثال: الزلزال المروع الذي حدث في ١٥ شعبان سنة ٥٥١هـ/١١٥٦م، حيث رجفت الأرض ثلاث أو أربع مرات، وامتدت توابعه مدة طويلة، وأصاب الناس الذعر الشديد، يقول ابن القلانسي: "ما عُرف مثل ذلك في السنين الماضية والأعصر الخالية"^٤. وتكرر حدوث الزلازل المروعة في شهر رمضان "أيقظت النيام وروعت القلوب انتصاف

^١ الشارترزي: الاستيطان الصليبي في فلسطين ، ص ٢٢٤.

^٢ الصوري: الحروب الصليبية، ترجمة حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢م، ج ٢، ص ٣٥٧-٣٥٨.

^٣ أبو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين، ج ٣، ص ١٨؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١١، ص ٤٥١.

^٤ ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص ٣٣٥.

الليل"¹، وفي شوال حدثت أربع زلازل "روعت الناس وأزعجتهم"، وانهدمت المساكن في حماة وحلب، وهرب أهل كفر طاب خوفاً على حياتهم².

المبحث الثالث : نماذج من المعاهدات الإسلامية الصليبية في ظل المجاعات والكوارث الطبيعية:

أ- المعاهدة بين السلطان صلاح الدين والملك بلدوين الرابع: أسبابها ونتائجها:

أرسل الملك بلدوين الرابع Baldwin IV (٥٦٩-٥٨١هـ/١١٧٤-١١٨٥م) سفارة إلى السلطان صلاح الدين الأيوبي في سنة (٥٧٦هـ/ ١١٨٠م)؛ بغرض عقد هدنة جديدة معه؛ بسبب الهزائم التي لحقت بقواته من قبل الجيش الإسلامي، فحظي عرض الملك بلدوين الرابع بالقبول الحسن من جانب السلطان صلاح الدين، وعقدت هدنة بين الجانبين في البر والبحر، و شملت المقيمين و الأجانب، وتم تأكيد هذه الهدنة بتبادل الأيمان بينهما، وتعطي شروط الاتفاق صورة واضحة عن شدة إهانة الصليبيين؛ لأنها كانت خالية من أي شروط من جانبهم؛ لأنهم كانوا يمثلون الجانب المهزوم في هذا الصلح³.

وقد جاءت موافقة صلاح الدين على الهدنة بسبب ما تعرضت له المنطقة المحيطة بدمشق على مدى سنوات متتالية من جذب فطيع وعدم سقوط المطر مما أدى إلى ندرة في الطعام، «إن المقام هاهنا يصعب لاسيما والحر قد تضرم، والزرع قد تضرم»⁴.

ب- المعاهدة بين صلاح الدين وريموند الثالث زمن الملك بلدوين الخامس:

قام الملك بلدوين الرابع بعزل صهره جي دي لوزجنيان Guyde Lusignan من الوصاية على العرش؛ وذلك لعدم كفاءته وتعيين ابن أخته بلدوين الخامس Baldwin V (٥٨١ - ٥٨٢هـ / ١١٨٥ - ١١٨٦م) وصياً على العرش في سنة ٥٨٢هـ / ١١٨٦م⁵.

¹ ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص ٣٣٥.

² ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص ٣٣٥-٣٣٦.

³ الصوري: الحروب الصليبية، ج٤، ص ٢٥٤ - ٢٥٥.

⁴ البنداري: سنا البرق الشامي، ص١٦٤؛ حسن عبد الوهاب حسين: «أثر العوامل الجغرافية على الحروب الصليبية منذ

الحملة الصليبية الأولى حتى معركة حطين»، مجلة الندوة الجغرافية، العدد ٣، مركز الملك فيصل، الرياض، ص ١٩.

⁵ روجر أوف ويندوفر: ورود التاريخ، ترجمة سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٠م، ج ١، ص ٤٤، ص ٣١٠؛ سعيد أحمد

برجايوي: الحروب الصليبية في المشرق، دار الآفاق، بيروت، ١٩٨٤م، ص ٣٨٠.

ولما توفي الملك بلدوين الرابع خلفه على العرش بلدوين الخامس (الطفل) بوصاية من ريموند الثالث Raymond III كونت طرابلس (٥٤٦-٥٨٣هـ/١١٥٢-١١٨٧م)، وهذا مما أدى إلى غضب وتمرد جي دي لوزجنان.

وأول شيء فكر فيه ريموند هو السياسة التي سيتبعها في التعامل مع السلطان صلاح الدين، فرأى أنه من المستحسن أن يعقد معه معاهدة صلح، فأوفد مبعوثيه إلى صلاح الدين؛ لطلب معاهدة الصلح لمدة أربع سنوات (٥٨١ - ٥٨٥ هـ / ١١٨٥ - ١١٨٩م) فوافق صلاح الدين على هذا العرض، وأقر الصلح معهم على وقف الحروب بين الطرفين خلال الأربع السنوات مع تأكيد حرية التجارة بين الطرفين^١.

وفي الحقيقة أن ريموند بادر لعقد تلك المعاهدة مضطراً؛ بسبب عدم استقرار الأوضاع الداخلية في مملكة بيت المقدس الصليبية، وبالذات بعد ثورة جي دي لوزجنان السابقة عندما تم عزله، فالصليبيون بحاجة ملحة إلى فترة سلام؛ للنظر في مشاكلهم، مع دعم موقفهم^٢.

بجانب العوامل الطبيعية التي أجبرته على ذلك حيث عمّ البلاد القحط والجذب، وهذا هو المؤشر الأول للمجاعات، مما يترتب عليه عدم الدخول في حروب طويلة المدى وبمؤن قليلة^٣.

ج- المعاهدة بين بوهيمند الثالث وصلاح الدين سنة ٥٨٤ هـ / ١١٨٨م:

لما حلت مجاعة عظيمة في أنطاكية، فكر صلاح الدين في اقتناص هذه الفرصة باستعادة أنطاكية. ولما علم أهل أنطاكية باتوا في حالة قلق واستياء، فطلب منهم بوهيمند Bohemond III (٥٥٨-٥٩٧هـ/١١٦٣-١٢٠١م): مهلة أسبوعين؛ فخرج لمقابلة صلاح الدين في خيمته ومفاوضته، ومعه خمسون فارساً، وأخبر صلاح الدين بأنه جاء إليه ملتجئاً، فطمأنه السلطان بأنه سيمنحه ما يريد، فقال الأمير: أسألك الصدقة لأهل أنطاكية، فرد عليه السلطان بالموافقة، وزيادة على ذلك سيأمر لأنطاكية

^١ ويندوفر: ورود التاريخ، ج ١، ص ٣١١؛ ستيفن رنسيان: تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة الباز العريني، ١٩٩٣م، ج ٢، ص ٧١٩.

^٢ محمد سهيل طقوش: تاريخ الأيوبيين في مصر وبلاد الشام وإقليم الجزيرة، دار النفائس، بيروت، ط ١، ١٩٩٩م، ص ١٣٩.

^٣ رينيه كروسيه: الحروب الصليبية صراع الشرق والغرب، ترجمة أحمد أبيش، دار قتيبة، بيروت، ٢٠٠٢م، ص ٧٢؛ سعيد عبد الفتاح عاشور: الناصر صلاح الدين، الدار المصرية للتأليف، القاهرة، ١٩٩٧م، ص ١٧٤؛ خير الله طلفاح: صلاح الدين والحروب الصليبية، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٨م، ج ١، ص ١٨٥؛ سيدة اسماعيل كاشف: صلاح الدين الأيوبي بطل وحدة الصف العربي الإسلامية، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٦م، ص ٧٩.

بمؤونة لمدة ثلاثة أشهر، وعاد الأمير إلى أنطاكية بعد هذه الاتفاقية وقد امتلأت بالأطعمة في سنة ٥٨٤هـ / ١١٨٨م^١.

وعندما سار صلاح الدين إلى أنطاكية، طلب بوهيمند للمرة الثانية الهدنة فوافق السلطان على ذلك؛ لأن جنده سئمو القتال الطويل، ووقعت الهدنة لمدة ثمانية أشهر في سنة ٥٨٤هـ / ١١٨٨م. واشترط عليه أن يطلق من عنده من أسرى المسلمين^٢. وهكذا كان للمجاعات دورها في عقد المعاهدات بين المسلمين والصليبيين^٣.

خاتمة

من خلال هذا البحث تم التوصل إلى جملة من النتائج والتوصيات:

• النتائج:

- أسهمت الحروب الصليبية والخلافات بين أبناء الأسر الحاكمة بمصر والشام في وقوع الكثير من المجاعات.
- كان للظواهر الطبيعية دورها في حدوث المجاعات كالجفاف والأعاصير والزلازل.
- بذل الحكام وكبار رجال الدولة مجهودات متنوعة لإدارة تلك الأزمة.
- لعبت المجاعات دورا كبيرا في كسر حدة الغزو الصليبي في مصر والشام.
- عقدت العديد من معاهدات السلام بين المسلمين والصليبيين تحت تأثير الكوارث والأزمات.

• التوصيات:

- الاستفادة من تجارب وخبرات الحكام السابقين في إدارة الأزمات.

^١ ابن شداد: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٩٩٤م، ص ٢٤٠.

^٢ ابن واصل: مفرج الكروب، ج٢، ص ٢٦٩ - ٢٧٠؛ سمباط الأرمني: التاريخ المعزو إلى القائد سمباط الأرمني، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٩م، ج ٣٥، ص ٢٩٩ - ٣٠٠.

^٣ سيدة إسماعيل كاشف: صلاح الدين الأيوبي، ص ٧٩.

- عمل دراسات متنوعة عن الأزمات والكوارث التي تعرض لها العالم مع الكشف عن امتداد آثارها على الجوانب الاقتصادية والاجتماعية.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

- ابن الأثير: علي بن محمد، ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م: الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٩٨٢م.
- ابن إياس: محمد بن أحمد، ت ٩٣٠هـ/١٢٤٥م: بدائع الزهور في وقائع الدهور، مطبعة الحلبي، القاهرة، ١٣٣٨ هـ.
- ابن أبيك: أبي بكر بن عبد الله، ت ٧٣٢هـ/١٣٣٣م: كنز الدرر وجامع الغرر الدر المطلوب في أخبار ملوك بني أيوب، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة، ١٩٧٢م.
-الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية، تحقيق أولخ هارمان، القاهرة، ١٩٧١م.
- البغدادى: عبد اللطيف بن يوسف، ت ٦٢٩هـ/١٢٣٢م: الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر، مطبعة وادي النيل، ١٢٨٦هـ.
- البنداري: الفتح بن علي، ت ٦٤٢هـ/١٢٤٥م: سنا البرق الشامي، تحقيق فتحية عبد الفتاح النبراوي، مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٧٩م.
- ابن تغري بردي: جمال الدين يوسف، ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب، القاهرة.
- ابن دقماق: ابراهيم بن محمد، ت ٨٠٩هـ/١٤٠٦م: النفحة المسكية في الدولة التركية، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٩م.
- الدودار: بيبس المنصوري، ت ٧٢٥هـ/١٣٢٥م: التحفة الملوكية في الدول التركية: تاريخ دولة المماليك البحرية في الفترة من ٦٤٨-٧١١ هـ، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٨م.
- زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، تحقيق: زبيدة محمد عطا، دار عين، القاهرة، ٢٠٠١م.
- الذهبي: محمد بن أحمد، ت ٦٧٣هـ/١٢٧٤م: دول الإسلام، تحقيق فهد محمد شلتوت، القاهرة، ١٩٧٤م.
- سبط ابن الجوزي: يوسف قزاد علي، ت ٦٥٤هـ/١٢٥٧م: مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، تحقيق مسفر الغامدي، مطبعة جامعة أم القرى، مكة، ١٩٥١م.
- سمباط الأرمني: التاريخ المعزو إلى القائد سمباط الأرمني، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، ج ٣٥، ١٩٩٩م.
- السيوطي: عبد الرحمن محمد، ت ٩١١هـ/١٥٠٥م: تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٨م.
- الشارتري، فوشيه: الاستيطان الصليبي في فلسطين: تاريخ الحملة إلى بيت المقدس ١٠٩٥-١١٢٧م، ترجمة ودراسة وتعليق قاسم عبده قاسم، ذات السلاسل، الكويت، ١٩٩٣م.
- أبو شامة: عبد الرحمن بن إسماعيل، ت ٦٥٥هـ/١٢٦٧هـ: الروضتين في أخبار الدولتين، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٤م.

- الذيل على الروضتين، دار الجبل، بيروت، ١٩٧٤م.
- ابن شداد: يوسف بن رافع، ت ٦٣٢هـ/ ١٢٣٤م: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، تحقيق جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٩٩٤م.
- الصوري، ولیم: الحروب الصليبية، ترجمة حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢م-١٩٩٥م
- ابن ظهيرة: أحمد بن محمد، ت ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م: الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة، تحقيق مصطفى السقا وكامل المهندس، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٦٩م.
- ابن العميد، المكين جرجس، ٦٧٢هـ/ ١٢٣٠م: أخبار الأيوبيين، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد.
- العيني: بدر الدين محمود، ت ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م: السيف المهند في سيرة الملك المؤيد، تحقيق فهم محمد شلتوت، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٦٧م.
- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٨م.
- ابن الفرات: محمد بن إبراهيم، ت ٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م: تاريخ ابن الفرات، تحقيق حسن الشماخ، البصرة، ١٩٦٧م.
- ابن القلانسي: أبو يعلى حمزة، ت ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م: ذيل تاريخ دمشق، مكتبة المتنبي، القاهرة.
- القلقشندي: أحمد بن علي، ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م.
- ابن كثير: عماد الدين إسماعيل، ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م: البداية والنهاية، تحقيق أحمد أبو ملح وأخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م.
- ابن ممتى: شرف الدين، ت ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م: قوانين الدواوين، تحقيق عزيز عطية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩١م.
- المسعودي: علي بن الحسن، ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٢م: مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد عبد الحميد، بيروت، ١٩٨٧م.
- م
- المقسي: أبو عبد الله محمد، ت ٣٧٥هـ/ ٩٨٥م: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار صادر، بيروت.
- المقريزي: أحمد بن علي، ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤٢م: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق محمد حلمي أحمد، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٦م.
- السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.
- إغاثة الأمة بكشف الغمة، قدم له وشرحه صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٨م.
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.
- ابن واصل: محمد بن سالم، ت ٦٩٧هـ/ ١٢٩٨م: مفرج الكروب في أخبار ملوك بني أيوب، تحقيق جمال الدين الشيال.
- ابن ميسر: محمد بن علي، ت ٦٧٧هـ/ ١٢٧٨م: المنتقى من أخبار مصر، تحقيق أيمن فؤاد سيد، المعهد العلمي الفرنسي، القاهرة.
- ويندوفر، روجر أوف: ورود التاريخ، ترجمة سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٠م.

-اليافعي: أسعد بن علي، ت ٧٦٨هـ/١٣٦٧م: مرآة الزمان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.

ثانياً: المراجع

- برجاوي، سعيد أحمد: الحروب الصليبية في المشرق، دار الآفاق، بيروت، ١٩٨٤م.
- الحويري، محمود محمد: العادل الأيوبي: صفحة من تاريخ الدولة الأيوبية، دار حراء، القاهرة، ١٩٧٩م.
- رنسيمن، ستيفن: تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة الباز العريني، ١٩٩٣م.
- طقوش، محمد سهيل: تاريخ الأيوبيين في مصر وبلاد الشام وإقليم الجزيرة، دار النفائس، بيروت، ط ١، ١٩٩٩م.
- طلفاح، خير الله: صلاح الدين والحروب الصليبية، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٨م.
- عاشور، سعيد عبد الفتاح: الناصر صلاح الدين، الدار المصرية للتأليف، القاهرة، ١٩٩٧م.
- عوض، محمد مؤنس: الزلازل في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية، دار عين، القاهرة، ١٩٩٦م.
- كاشف، سيدة إسماعيل: صلاح الدين الأيوبي بطل وحدة الصف العربي الإسلامية، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٦م.
- كروسيه، رينيه: الحروب الصليبية صراع الشرق والغرب، ترجمة أحمد أيبش، دار قتيبة، بيروت، ٢٠٠٢م.

الأطعمة والولائم والمآدب في صدر الإسلام

Foods, Banquets and Banquets in Early Islam

د. عايشة أحمد عثمان الرطب

أستاذ مساعد في قسم التاريخ، كلية الآداب

جامعة بنغازي - ليبيا

D. Aisha Ahmed Othman Al-Rutb

Assistant Professor, Department of History, Faculty of Arts

University of Benghazi- Libya

alrtbaysht@gmail.com

ملخص

تختص هذه الدراسة بإعطاء لمحة عن الأطعمة والولائم والمآدب في صدر الإسلام ومسمياتها المختلفة، حيث تستدعي أهمية الموضوع إعطاء صورة بارزة الملامح لطعام القوم وشرابهم في ذلك العصر، وذلك بالاستعانة بمصادر السنة النبوية ما أمكن ذلك، والتي أضافت قدراً كبيراً من الجدة والأصالة عند توظيفها في هذه الدراسة التي تطرقت بدايةً لموضوع الضيافة، حيث اشتهر العرب بالجود والكرم، وفي مثل هذه المناقب تنافس المتنافسون، ولمثلها عمل العاملون الذين لا يتسع المجال لذكرهم، وإن كان حاتم طيء أشهرهم، وقد ارتبط تقديم الطعام على أنواعه بالفعاليات الاجتماعية، ولأجل ذلك تعددت مسميات الموائد بتعدد المناسبات عند العرب. ومما يلاحظ على الأطعمة المقدمة في تلك المناسبات أن معظمها كان في غاية البساطة، فهي تتألف في غالبيتها من دقيق الحبوب والسمن أو اللبن أو الخبز أو التمر مع السمن أو السمن والتمر والأقط أحياناً. أما الأطعمة التي يكون اللحم عنصراً رئيساً فيها فهي قليلة مقارنة بغيرها، ولعل من أشهرها الثريد. كما تضمنت الدراسة بعض أنواع الأشرية، والآداب الاجتماعية المرافقة لتناول الطعام والشراب والتي تعتبر جديدة كل الجدة في معظم جوانبها على مجتمع عرب صدر الإسلام.

كلمات مفتاحية: الضيافة، الجود، صدر الإسلام، الولائم، المآدب، الأشرية، الأقط، الثريد.

Abstract:

This study is concerned with giving an overview of foods, banquets and banquets in early Islam and their various names, as the importance of the subject requires giving a prominent picture of the people's food and drink in that era, by using the sources of the

Prophet's Sunnah whenever possible, which added a great deal of novelty and originality when employed in this study, which initially addressed the subject of hospitality, as the Arabs were famous for their generosity and kindness, and in such virtues competitors competed, and for such workers worked whom there is no room to mention, although Hatim Tayy was the most famous of them, and serving food of all kinds was linked to social events, and for that reason the names of the tables varied with the variety of occasions among the Arabs. What is noticeable about the foods served on those occasions is that most of them were very simple, as they consisted mostly of grain flour and ghee or milk or bread or dates with ghee or ghee and dates and sometimes yogurt. Foods that have meat as a main ingredient are few compared to others, perhaps the most famous of which is Tharid. The study also included some types of drinks and social etiquette accompanying eating and drinking, which are considered completely new in most aspects to the Arab society of the early Islamic period.

Keywords: Hospitality, generosity, early Islam, banquets, banquets, drinks, cottage cheese, Tharid.

مقدمة :

كان طعام العرب قبل الإسلام قاصراً على الألبان وما يُستخرج منها كالسمن والزبد والجبن ، ومن التمر والحبوب واللحوم ، يأكلونها على أبسط ما يكون من أحوالها كما يفعل أهل البادية اليوم ، وأكثر ألبانهم ولحومهم من الإبل ، وقد يصنعون منها أطعمة تتركب على نسبة معينة كالثرید فإنه يُصنع من اللحم واللبن والخبز . ذلك هو طعام أهل اليسار منهم وأصحاب الضيافة، وأما الفقراء فقلما يأكلون لحم الإبل أو الضأن ، وإنما كانوا يقتاتون بلحم الضب أو بالجراد .

وفي صدر الإسلام، كان الصحابة يتحاشون التمتع اقتداءً بخلفائهم الراشدين مع غلبة البداوة على طباعهم. وكانوا يتجنبون الإكثار من أكل اللحوم ويعتقدون أضرارها، على نحو ما يعتقد النبايون اليوم .

ولما افتتح المسلمون العراق وفارس دهشوا لما شاهدوه عن حضارة الروم والفرس، ووقعوا على ألوان من الأطعمة لم يعرفوها، فرأى بعضهم الخبز الرقاق فظنه رقاعاً يُكتب عليها . ثم ما لبثوا أن أقاموا بين أولئك الأقوام حتى تعرفوا مآكلهم، ولا سيما الفرس، فأخذوها عنهم، وليس في الشرع الإسلامي ما يمنع تمتعهم بالطيبات

من الأطعمة إلا ما جاء النص بتحريمه(*) . ومن هنا تأتي أهمية الدراسة في كونها تلقي الضوء على طعام القوم وولائمهم ومآدبهم في صدر الإسلام، وما كان يتصف به من الغلظة واللين ، ومن حيث الندرة واليسر ، مع إبراز قواعد الضيافة بحيث لا يبخل الضيف حقه ولا يُضام المضيف .

أما الهدف من هذه الدراسة فيمكن في التعريف بالولائم والمآدب وآدابها في عصر الرسالة التي أصبح إطعام الطعام فيها جزءاً هاماً في التشريع الإسلامي، فقد جاء القرآن الكريم يحث على بذل الطعام لمستحقه وجعله من كفارات(*) بعض الذنوب .

* أشار القرآن الكريم إلى اللحوم المحرمة، والتي ربما كان البعض منها مستباحاً في الجاهلية ، فقال تعالى : "حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلِيَ لِلَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ" (المائدة : ٣) . ثم جاءت السنة النبوية لتضيف بعض الأنواع المحرمة من اللحوم ، ومن الأمثلة على ذلك : نهى الرسول صلى الله عليه وسلم يوم خيبر عن أكل الحمر الأهلية ، وكان الناس يحتاجوا إليها . وفي سنن النسائي والترمذي رواية أكثر تفصيلاً ، إذا أوردا "نهى رسول الله صل الله عليه وسلم يوم خيبر عن لحوم الحمر الإنسية نضيجاً ونياً" . كما أورد البخاري ومسلم ، أنه لما سُئِلَ صلى الله عليه وسلم عن الضب أحرام هو ؟ قال : "لا ولكنه لا يكون بأرض قومي فأجديني أعافه" . ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعيب طعاماً قط ، إن اشتهاه أكله وإن كرهه تركه . للمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع ، انظر :

- أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣ هـ) ، سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي ، تح : عبد الفتاح أبو غدة ، ج ٧ ، ط ٢ ، (دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، ١٩٨٩) ، ص ٢٠٣ .
- محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت ٢٧٩ هـ) ، سنن الترمذي ، تح : أحمد شاكر وآخرون ، ج ٤ ، ط ٢ ، (مطبعة الحلبي ، القاهرة ، ١٩٧٨) ، ص ٢٥٤ ، ٢٥٥ .
- محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري (ت ٢٥٦ هـ) ، صحيح البخاري ، تح : محمد محمد حجازي ، ج ٥ ، ط ٢ ، (مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠١٠) ، ٢٠٦٢ .
- مسلم بن الحجاج القشيري مسلم (ت ٢٦١ هـ) صحيح مسلم ، تح : محمد فؤاد عبد الباقي ، ج ٣ ، (دار الفكر ، بيروت ، ١٩٨٤) ، ١٥٤٤ .
- محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه (ت ٢٧٥ هـ) ، سنن ابن ماجه ، تح : محمد فؤاد عبد الباقي ، ج ٢ ، (المكتبة العلمية ، بيروت ، د.ت) ، ١٠٨٥ .
- محمد بن فارس الجميل ، "الأطعمة والأشربة في عصر الرسول صل الله عليه وسلم" ، حوليات كلية الآداب ، تصدر عن مجلس النشر العلمي ، جامعة الكويت ، العدد (١٧) ، ١٩٩٧ ، ص ٢٩ .

* قال تعالى : "... فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ " (المائدة : ٨٩) ، وقال تعالى : " فَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ فَاِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا " (المجادلة : ٤) ، وقال تعالى : " أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ * يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ " (البلد : ١٤)

ونظراً لندرة المصادر التي تتناول هذا الموضوع فقد تم الاعتماد بشكل كبير على مصادر السنة النبوية التي حفظت الكثير من أنشطة المجتمع وفعالياته في ذلك الوقت، بالإضافة إلى المصادر التاريخية والأدبية واللغوية .

سوف يتم الاعتماد في هذه الدراسة على **المنهج** السردى التاريخي والمنهج التحليلي من خلال سرد الأحداث والوقائع التاريخية ومن ثم تحليلها للوصول بها لنتائج هذه الدراسة .

الضيافة في الجاهلية :

كانت الضيافة وإعداد الولائم والمآدب فخراً للعرب ويتسابقون عليها ويغالون فيها . وكان العرب كرماء يجودون بطعامهم، ولا سيما أهل البوادي، وكانوا يوقدون النار ليلاً ليهتدي بها الضيفان الغرباء^(١) ؛ يدل على ذلك قول الشاعر حاتم الطائي يأمر غلامه بإيقاد نار ترشد الأضياف في الليالي الباردة^(٢) :

أوقد فإن الليل ليل قر *** والريح يا واقد ريح صر

، (١٥) ، وقال تعالى : " أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ " (المائدة : ٩٥) ، وقال تعالى : " وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا " (الإنسان : ٨) . ومما يلاحظ على هذه الآيات أنها في معظمها مدنية ، وكأنها جاءت كمعالجة لحالات الندرة الطارئة في الطعام ، وجعلت بذله لذوي الحاجة من كفارات الذنوب ، وجاء في بعض هذه الآيات الإشادة والتزكية الخلقية لمن يبدلون الطعام للمساكين واليتامى وذوي القربى والأسرى . وتمشياً من التوجيه القرآني الكريم بشأن بذل الطعام أورد البخاري أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يحث أصحابه ويشجع الموسرين منهم على بذله ، قال صلى الله عليه وسلم : "أطعموا الجائع ، وعودوا المريض ، وفكوا العاني" . وفي مناسبة أخرى ، أورد ابن ماجة أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال مخاطباً أصحابه : "أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وكونوا إخواناً" . للمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع ، انظر :

- البخاري ، المصدر السابق ، ٢٠٥٥/٥ .

- ابن ماجة ، المصدر السابق ، ١٨٠٣/٢ .

- محمد بن فارس الجميل ، المرجع السابق ، ص ٢٤ ، ٢٥ .

^١ حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ج ١ ، ط ١٣ ، (مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٩١ م) ، ص ٤٤١ .

^٢ السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ الدولة العربية .. تاريخ العرب منذ عصر الجاهلية حتى سقوط الدولة الأموية ، (دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧١) ، ص ٢٢ .

عل يرى من يمر *** إن جلبت ضيفاً فأنت حر

فقد أوقدوا النار بجانب منازلهم ليهتدي بها المارة ليلاً وأسموها نار (القِرَى) (*) ، وكان العرب يحثون على الكرم ويرغبون الناس فيه وبالغوا في احترام الكرماء ، ومن عادات الكرماء أنهم كانوا إذا اشتد البرد ، وهبت الرياح لم تشب النيران ، فرقوا الكلاب حوالى الحي وربطوها في العتمة إلى الأعمدة لتستوحش فتتج ، فتهدى الضلال ، وتأتي الأضياف على نباحها . وهذا دليل قاطع على حب العرب لتقديم الطعام ، واستضافة الضيف والمغالة في كرمه وإعداد الولائم ، خاصة للمسافرين ، لما يعانيه المسافر من تعب ، وأحياناً من نقص الزاد عليه^(١).

لقد كانت الضيافة من مظاهر الرياسة . وكانت موضع فخر (*) واعتزاز بين القبائل والأفراد على حد سواء . وقد أجاب قيس بن عامر لما سُئل كيف سودك

* قالوا : أول من سن القِرَى إبراهيم الخليل عليه السلام ، وأول من أطعم الثريد للحجاج بمكة هاشم بن عبد مناف ، وكان اسمه عمرو ، فما سمي هاشماً إلا لهشمه الخبز . وقيل لإبراهيم الخليل عليه السلام : بم أتخذك الله خليلاً ؟ قال : بثلاث ؛ ما خيرت بين شيئين ، إلا أخترت الذي لله على غيره ، ولا اهتممت بما تكفل لي به ، ولا تغديت ولا تعشيت إلا مع ضيف . للمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع ، انظر :

- شهاب الدين محمد بن أحمد الأبيشي (ت ٨٥٠ هـ) ، المستطرف في كل فن مستظرف ، تح : مصطفى محمد الذهبي ، (دار الحديث ، القاهرة ، ٢٠٠٣) ، ص ٢٤٧ .

- صفي الرحمن المباركفوري ، الرحيق المختوم ، (دار ابن الجوزي ، القاهرة ، ٢٠١٣) ، ص ٥٣ .

^١ جرجي زيدان ، تاريخ التمدن الإسلامي ، ج ٥ ، (دار الهلال ، د . م ، د . ت) ، ص ٦١ .

* كان أهل مكة يملؤون أحواضاً من ماء زمزم يحلون بها شيء من التمر والزبيب ، وهو ما يُعرف بالسقاية ، وقد كانت مهمة شاقة خصوصاً بعد ردم بئر زمزم التي ظلت مطمورة حتى أعاد حفرها عبد المطلب بن هاشم جد الرسول صلى الله عليه وسلم . وكانت السقاية عند ظهور الإسلام في يد العباس بن عبد المطلب وولده . أما الرفادة فهي خرج قرره قصي بن كلاب ، الذي جمع قبائل قریش من خزاعة وأنزلها مكة ، على أهل مكة ليصنعوا به طعاماً للحاج على سبيل الضيافة . لم تشترك جميع بطون قریش في الرفادة قبل قصي ، فلما جاء زمن الحج رأى قصي أن يكون لكل قرشي نصيب في إطعام الحاج لعلمه ما يكون لقرى الضيف في نفس مضيفه من أثر . وقام بالرفادة بعد قصي ابنه عبد مناف ، ثم ابنه هاشم ثم ابنه عبد المطلب ، ثم ابنه أبو طالب ، ثم أخوه العباس ، وجرى الأمر على ذلك في الجاهلية والإسلام . للمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع ، انظر :

قومك ؟ فقال : "ببذل الندي ، وكف الأذى ، ونصرة المولى ، وتعجيل القرى" (١) .
ومن أشهر من وُصف بالجود والكرم (حاتم الطائي ، وكعب بن إمامة الأيادي ،
وهرم بن سنان ، وخالد بن عبد الله) (**) وغيرهم ، وعندما جاء الإسلام أبقي على

- حسن إبراهيم حسن ، المرجع السابق ، ص ٤٣ ، ٤٤ .

- شهادة علي الناطور ، المرجع السابق ، ص ١١٦ .

١ سلامة نعيمات ، تاريخ الحضارة الإسلامية ، إشراف : محمد عبد القادر خريسات ، ط ١ ،
(مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع ، عمان ، ٢٠٠٠) ، ص ٤٥ .

** فيما يأتي نبذة مختصرة عن أولئك الذين انتهى إليهم الجود في الجاهلية :

- حاتم بن عبد الله الطائي .. كان من شعراء الجاهلية ، وكان جواداً يشبه جوده شعره ،
وكان إذا هلّ رجب ، الذي كانت تعظمه مضر في الجاهلية ، نحر كل يوم عشراً من الإبل
وأطعم الناس ، وكان يسير في قومه بالمربع (ربع الغنيمة) . وكان قد تزوج ماوية بنت
غفير ، وكانت تلومه على إتلاف المال ، فلا يلتفت لقولها ، ومن شعره في ذلك :

أماوي إن المال غادٍ ورائح ** ويبقى من المال الأحاديث والذكر

وقد علم الأقوام أن حاتماً ** أراد ثراء المال كان له وفر

وكان ولده عدي يعادي الرسول صلى الله عليه وسلم ، فبعث الرسول صلى الله عليه وسلم
عليّاً إلى طيء ، فهرب عدي بأهله ، وخلف أخته سفانة ، فأسرتها خيل رسول الله صلى الله
عليه وسلم . فلما أتي بها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم قالت : "...إن أبي كان سيد قومه
، يطعم الطعام ، ويفشي السلام ، وما أتاه أحد في حاجة فردّه خائباً ، أنا بنت حاتم الطائي" ،
فقال لها الرسول صلى الله عليه وسلم : "يا جارية هذه صفات المؤمنين حقاً ، لو كان أبوك
مسلماً لترحمنا عليه ، خلوا عنها ، فإن أباهما كان يحب مكارم الأخلاق . فلما أطلقها ، صلى
الله عليه وسلم ، رجعت إلى قومها فأتت أخاها عدياً وقالت له : "... ما رأيت أجود ولا أكرم
منه صلى الله عليه وسلم ، وإنني أرى أن تلحق به" . فقدم عدي إلى الرسول صل الله عليه
وسلم ، وأسلمت أخته سفانة ، وكانت من أجود نساء العرب ، وكان أبوها يعطيها الضريبة من
إبله فتبها وتعطيها الناس . فقال لها أبوها : يا بنية أن الكريمين إذا اجتمعا في المال أتلّفاه ،
فإما أن أعطي وتمسكي ، وإما أن أمسك وتعطي ؛ فإنه لا يبقى على هذا شيء ، فقالت له :
منك تعلمت مكارم الأخلاق .

- هرم بن سنان .. حمل الدّيات عن قتلى الحرب التي اندلعت بين قبيلتي عيس وذبيان ،
والتي اشتهرت باسم حرب داحس والغبراء .

- خالد بن عبد الله .. مما يُروى عنه أنه قد جاء إليه بعض الشعراء ورجله في الركاب يريد
الغزو ، فقال له : إني قلت فيك بيتين من الشعر . فقال : في مثل هذا الحال ؟ قال : نعم
. فأنشده يقول :

يا واحد العرب الذي ** ما في الأنام له نظير

لو كان مثلك آخره ** ما كان في الدنيا فقير

هذه السجية الحميدة وأثنى عليها ، وعندما كثرت(*) أموالهم من الغنائم والعطايا صاروا يجودون بالإبل والنقود والجواهر والرقيق^(١) .

الأطعمة(**) في صدر الإسلام :

كانت العرب لا تعرف ألوان الطعام ، إنما كان طعامهم اللحم يطبخ بالماء والملح ، حتى كان زمن معاوية بن أبي سفيان فاتخذ الألوان . ولم يكن البدو يهتمون كثيراً بالطعام ، بل كانوا يأكلون لحم ما يجدونه ، فكانوا يأكلون اللبن واللحم من منتوجات مواشيهم ، وكان بعض الأعراب يأكلون لحم الكلاب كقبيلة أسد ، وقبيلة هذيل أكلت لحم البشر ، وأكلت قبيلة طيء الجراد ، كما أكل بعض الأعراب الأفاعي والعقارب والجمالان والخنافس^(٢) . وإذا جاعوا أكلوا (العهن) ، وهو وبر

فقال : يا غلام أعطه عشرين ألف دينار ، فأخذها وانصرف . للمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع ، انظر :

- الأبيشي ، المصدر السابق ، ص ٢١٨ ، ٢٣٤ .

* كان العرب يراعون قواعد الصحة ، فلا يدخلون الطعام على الطعام ، ولا يسرفون في المأكول . أثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم قوله : "نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع" . كما كانوا يغسلون أيديهم قبل الطعام وبعده ، ويأكلون بأيديهم لعدم وجود الملاعق والشوك في ذلك الوقت ، ومع ذلك ذكر الإمام أحمد أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يستعمل السكين في قطع اللحم . كما أن العرب لم يتقللوا في أطعمتهم وملبوسهم فقراً ولا عجزاً عن أفضل لباس وأشهى مطعم ، ولكنهم كانوا يفعلون ذلك مواساة لفقراء رعيته ، وكسراً للنفس عن شهواتها ، ورياضة لها لتعتاد أفضل حالاتها . وإلا فكل واحد منهم كان صاحب ثروة ضخمة ونخل وحدائق وغير ذلك من الأسباب . ولكن أكثر خرجهم كان في وجوه البر والقرب . للمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع ، انظر :

- البخاري ، المصدر السابق ، ٢٠٦٥/٥ ، ٢٠٧٩ .

- حسن إبراهيم حسن ، المرجع السابق ، ص ٤٤١ .

^١ جرجي زيدان ، المرجع السابق ، ص ٦١ .

** الطَّعام : "البُرُّ" ، وهو ما يُؤْكَلُ ، جمع "أطعمة" . ورجل "طاعم" و"مطعم" : كثير الأضياف والقرى . والطعام كما جاء في تعريفه عند أهل اللغة اسم جامع لكل ما يؤكل وقد يقع على المشروب ، وقد غلب على البُر والخبز وما قرب منه أو صار في حده ، ثم سمي كل مأكول . للمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع ، انظر :

- الطاهر أحمد الزاوي ، مختار القاموس ، (الدار العربية للكتاب ، د.م ، ١٩٨١) ، ص ٣٨٣ ، ٣٨٤ .

- محمد بن فارس الجميل ، المرجع السابق ، ص ٣٣ .

^٢ شهادة علي الناطور ، تاريخ صدر الإسلام وفجره ، (دار الكندي للنشر والتوزيع ، عمان ٢٠٠١) ، ص ١٢٧ .

الإبل يمهونه بالحجارة في الدم فيطحنونه . وكان حال القرشيين قريباً من ذلك ، وربما أكلوا (القرامة) ونحاتة القرون والأظلاف والمناسب من برادتها ، أو (القرة) وهو الدقيق المختلط بالشعير . وكانوا إذا عطشوا ولم يجدوا ماء ، شربوا (الفظ) وهو عصارة الفرث أو (المجدوح) وهو مصل دم الإبل^(١) .

ومن أطعمة العرب (الثريد) ، وهو الخبز يفت ويبل بالمرق أو باللبن ويوضع فوقه اللحم ، ومنه (اللمزة) وهو الخبز يكسر على السمن و(الكوثان) وهو الأرز والسّمك ، و(الأطرية) وهو طعام كالخيوط من الدقيق ، و(الشعيرية) وهو طعام كالخيوط صغر فتها في حجم الشعير ، و(الربكة) وهي شيء يطبخ من بر وتمر ويعجن بسمن ، و(الجشيش) وهو دقيق مجروش يوضع في قدر ويلقى عليه لحم أو تمر ثم يطبخ ، و(العكة) وهو طعام يتخذ من دقيق يعجن بسمن ثم يشوى^(٢) . ومن الأطعمة ما يصنع من اللبن والدقيق فقط كالـ(رغيدة) و(الرهيذة)^(٣) ، و(الفخية) و(الحريقة)^(٤) . ومن ألوان الطعام (القديد) و(الصفيف) فإذا شَرَح اللحم وقدد فهو القديد ، وإذا شرح عراضاً فهو (الصفيف) ، و(البسيصة) وهي الدقيق أو السويق يلت بالسمن أو بالزبد ثم يؤكل ولا يطبخ ، و(الخزيرة) وهي الحساء من الدسم والدقيق . والخزيرة أيضاً أن تنصب القدر بلحم يقطع صغاراً على ماء كثير، فإذا نضج در عليه الدقيق ، فإن لم يكن فيها لحم فهي (عصيدة) ، ولا تكون الخزيرة إلا وفيها لحم^(٥) ، و(السكاج) أكلة فيها لحم ومرق من خل ويقال عنها سيد المرق ، وشيخ الأطعمة ، وزيت الموائد ، ويقال إذا طبخت اللحم بالخل فقد أُلقيت عن معدتك ثلث المؤنة ، ويقال للخبز (ابن حبة) ، قال بعضهم :

في حبة القلب مني *** زرعت حُبَّ ابن حبة^(٦) .

وفي المعارك التي خاضها المسلمون عند فتح العراق ، وفي موقعة أُلَيْس (١٢ هـ/٦٣٣ م) دخل المسلمون معسكر حلفاء المجوس من القبائل العربية ، فوجدوا الطعام على النَّبُط ، وجعل من لم يرَ الأرياف ولا يعرف (الرقاق) يقول : "ما هذه الرقاق البيض" ؟! فيجيب من قد عرفها مازحاً : "هل سمعتم برقيق العيش؟" ،

^١ جرجي زيدان ، المرجع السابق ، ص ٩١ .

^٢ حسن إبراهيم حسن ، المرجع السابق ، ص ٤٤٢ .

^٣ جرجي زيدان ، المرجع السابق ، ص ٩١ .

^٤ محمد بن فارس الجميل ، المرجع السابق ، ص ٣٦ .

^٥ حسن إبراهيم حسن ، المرجع السابق ، ص ٤٤٢ .

^٦ الأبشيهي ، المصدر السابق ، ص ٢٤٣ .

فيقولون : "نعم" ، فيقولون : "هو هذا" . ولذلك سمي الرِّقَّاق ، وقد كانت العرب تسميه قبل ذلك "القرى" (١) .

ويظهر أن الخضر (*) لم تكن مستعملة عند العرب في طعامهم كثيراً كما هي مستعملة في طعامنا اليوم ، لأن بلادهم ليست زراعية (٢) .

١ أحمد عادل كمال ، الطريق إلى المدائن ، ط ١ ، (دار النفائس ، بيروت ، ١٩٧٢) ، ص ٢٣٧ .

* جاء في الحديث أن أحب الطعام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الدباء (القرع) ، وشوهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي إحدى يديه رطبات وفي الأخرى قثاء (الخيار) ، وهو يأكل بعضاً من هذه وبعضاً من هذه . وجاء في صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين" ، والكمأة نبات ينقض الأرض فيخرج كما يخرج الفطر . وفي سنن أبي داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بخضروات من البقول فوجد لها ريحاً ، فسأل فأخبر بما فيها من البقول ، فقال : "قربوها" إلى بعض أصحابه وكان معه ، فلما رآه كره أكلها قال : "كل ، فإنني أناجي من لا تتاجي" ، وقالت أم أيوب امرأة أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنهما : صنعت للرسول صلى الله عليه وسلم طعاماً فيه بعض البقول ، فلم يأكل وذكر ابن ماجه في سننه ، أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : "إنني أكره أن أؤذي صاحبي" ، يعني جبريل عليه السلام . كما ذكر ابن ماجه أن امرأة من الأنصار صنعت للنبي صلى الله عليه وسلم سلقاً وشعيراً ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : "يا علي! من هذا فأصعب فإنه أنفع لك" . وفي غزوة الحديبية أهديت (الضغابيس) مع غيرها من ضروب الأطعمة لرسول الله صل الله عليه وسلم ، فجعل يأكل من الضغابيس وأعجبه . والضغبوس نبت ينبت في أصول الثمام يشبه الهليون ، يسلق بالخل والزيت ويؤكل . وأهدي (العتر) ، بقلّة صغيرة شاكة يستخدم علاجاً لبعض الأمراض ، مع غيره من الأطعمة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعجبه وأدخله على زوجته أم سلمة رضي الله عنها ، وجعل يعجب من تلك الهدية "ويُري صاحبها أنها طريفة" . وقيل هو المرزجوش (تعبير فارسي يعني ميت الأذن) . وليس فيما سبق من روايات ما يفيد أنها من الخضار ولا كيف تؤكل نضجاً أو نيئاً ولو أنه من المعروف في شبه جزيرة العرب أنها تؤكل مقلية أو مطبوخة مع غيرها من الطعام ، ولهذا جرى الحديث عنها من ضمن الخضروات . للمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع ، انظر :

- محمد بن فارس الجميل ، المرجع السابق ، ص ٩٠ - ١٠٢ .
- مسلم ، المصدر السابق ، ١٦١٩ .
- سليمان بن الأشعث أبو داود (ت ٢٧٥ هـ) ، سنن أبي داود ، تح : محمد محي الدين عبد الحميد ، ج ٣ ، (المكتبة الإسلامية ، إستانبول ، د.ت) ، ٣٦٠ .
- ابن ماجه ، المصدر السابق ، ١١١٦/٢ ، ١١٣٠ .
- مجد الدين المبارك بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت ٦٠٦ هـ) ، النهاية في غريب الحديث والأثر ، تح : طاهر أحمد الزاوي ، ومحمود الطناحي ، ج ٣ ، (دار الفكر ، بيروت ، د.ت) ، ١٧٨ .

الوليمة والمأدبة .. لغة واصطلاحاً :

قبيل الخوض في الحديث عن الولائم والمآدب والمناسبات ، نُعرج قليلاً على معاجم اللغة لتعريف معنى كلمتي (وليمة) و(مأدبة) ، حيث جاء هذا المصطلح في المعاجم والقواميس بمعنى :

الوليمة مشتقة من (الْوَلْم) : وهو الجمع ، يقال : (أَوَلَمَ) فلان ، إذا عمل وليمة ، أو صنع وليمة .

و(الوليمة) اصطلاحاً هو كل طعام يصنع في مناسبة الزواج (العُرس) فهي اسم لطعام العرس والإملاك^(١) .

أما (المأدبة) ، فيقال : أدبت أوْدب إيداباً . وأدبت أدباً . و(الأدب) : صاحب المأدبة . و(المأدبة) : كل طعام يصنع لدعوة^(٢) .

و(الدُّعْوَة) : الدعاء إلى الطعام ، بمعنى الطلب والدعاء إليه وطلب المشاركة في تناوله ، أي في ضيافة الشخص الذي قام بالدعاء^(٣) .

^٢ حسن إبراهيم حسن ، المرجع السابق ، ص ٤٤٢ .

^١ للمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع ، انظر :

- الخليل أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠ هـ) ، العين ، تح : عبد الحميد الهنداوي ، ج ٨ ، (دار الكتب العالمية ، بيروت ، ٢٠٠٢) ، ص ٣٤٤ .

- أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، (ت ٣٩٥ هـ) ، معجم مقاييس اللغة ، تح : عبد السلام محمد هارون ، ج ٦ ، (دار الجيل ، بيروت) ، ص ١٤٠ .

- محمد مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ) ، تاج العروس من جواهر القاموس ، تح : إبراهيم التريزي ، (دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د.ت) ، ص ٣١٦ .

- الطاهر أحمد الزاوي ، مختار القاموس ، (الدار العربية للكتاب ، د.م ، ١٩٨١) ن ص ٦٧٠ .

^٢ أبو عمر أحمد بن محمد ابن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٨ هـ) ، العقد الفريد ، تح : أحمد أمين وآخرون ، ج ٦ ، (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٤٩) ، ص ٢٩٢ .

^٣ أحمد بن محمد علي الفيومي المقرئ ، (ت ٧٧٠ هـ) ، المصباح المنير ، (دار الحديث ، القاهرة ، ٢٠٠٠) ، ص ١١٨ ، ١١٩ .

ومن هنا لم نجد اختلافاً في مفهوم الوليمة بين تلك التعاريف ، فكلها يدل على إعداد الطعام الذي يُدعى إليه في المناسبات ، سواء كان طعام صنع لمناسبة زواج (الوليمة) ، أو لسرور حادث ولجمع في المسرات (المأدبة) ، أو طعام صنع لدعوة وغيرها . وإن كان بعض الباحثين يرون أن الوليمة تقتصر على وليمة العرس .

أما إباحة(*) الطيب من الطعام فقد قال تعالى : "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ" (البقرة : ١٧٢) ، وقال تعالى : "يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلَّبِينَ" (المائدة : ٤) ، وقال تعالى : (قُلْ مَن حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ) (الأعراف : ٣٢) .

وفي إعداد هذه الولائم والمآدب يجب الاعتدال وعدم الإسراف(*) في إعداد الطعام وأنواعه والتبذير فيه ، فقد نهانا(**) ديننا الإسلامي عن التبذير والإسراف في قوله تعالى : (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) (الأعراف : ٣١) .

* قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "محرم الحلال ، كمحطل الحرام" ، وقال عليه الصلاة والسلام : "إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده في مأكله ومشربه" . وكان الحسن بن علي رضي الله عنه يقول : ليس في اتخاذ الطعام سرف . وسئل الفضل عن يترك الطيبات من اللحم والخبيص (نوع من الحلواء) للزهد . فقال : ما للزهد وأكل الخبيص ، ليتك تأكل وتتقي الله ، إن الله لا يكره أن تأكل الحلال ، إذا اتقيت الحرام . انظر كيف برك بوالديك ، وصلتك للرحم ؟ وكيف عطفك علي الجار ؟ وكيف رحمتك للمسلمين ؟ وكيف كظمك للغيط ؟ وكيف عفوك عن ظلمك ؟ وكيف إحسانك إلى من أساء إليك ؟ وكيف صبرك واحتمالك للأذى ؟ أنت إلى أحكام هذا أحوج من ترك الخبيص . وقالوا : أول من أفطر جيرانه على طعامه في الإسلام عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، وهو أول من وضع مواعده على الطريق ، وكان إذا خرج من بيته طعام لا يعود منه شيء ، فإن لم يجد من يأكله تركه على الطريق . للمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع ، انظر : - الأبيشي ، المصدر السابق ، ص ٢٤٢ - ٢٤٧ .

* قال بعض الحكماء : أصل المحاسن كلها الكرم ، وأصل الكرم نزاهة النفس عن الحرام ، وسخاؤها بما يملك على الخاص والعام . وجميع خصال الخير من فروعه . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "تجاوزوا عن ذنب السخي ، فإن الله أخذ بيده كلما عثر ، وفتح له كلما افتقر" . وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً قط فقال : لا ، وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : "السخي قريب من الله ، قريب من الناس ، قريب من الجنة ، بعيد عن النار ، والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس ، بعيد من الجنة ، قريب من النار ،

ومما يعكس أهمية الطعام وندرته ومدى الحاجة إليه في تلك الأيام أن الرسول صلى الله عليه وسلم ، كان يضمن نصوص المعاهدات بينه وبين الآخرين شرط ضيافة من يمر بهم

ولجأه لسخي أحب إلى الله من عابد بخيل". وقال بعض السلف : منع الموجد سوء ظن بالمعبود وتلا قوله تعالى : "وما أنفقتم من شيء ، فهو يخلفه وهو خير الرازقين" (سبأ : ٣٩) . وقال الفضل : ما كانوا يعدون القرض معروفاً . وقال أكرم بن صيفي : صاحب المعروف لا يقع ، وإن وقع وجد له متكاً . وقيل للحسن بن سهل : لا خير في السرف ، فقال : لا سرف في الخير فقلب اللفظ ، واستوفى المعنى . ووجد مكتوباً على حجر : انتهز الفرص عند إمكانها ، ولا تحمل نفسك هم ما لم يأتك ، وأعلم أن تقتيرك على نفسك توفير لخزانة غيرك ، فكم من جامع لبعول حليلته . وقال علي كرم الله وجهه : ما جمعت من المال فوق قوتك ، فإنما أنت خازن لغيرك . للمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع ، انظر :

- المصدر نفسه ، ص ٢١٨ ، ٢١٩ .

** روي عن حذيفة رضي الله عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم : "من قل طعامه ؛ صح بطنه وصفا قلبه . ومن كثر طعامه سقم بطنه وقسا قلبه" . وعنه صلى الله عليه وسلم : "لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب ؛ فإن القلب كالزراع إذا كثر عليه الماء مات" . وقال صلى الله عليه وسلم : "ما زين الله رجلاً بزينة أفضل من عفاف بطنه" . وقال عمرو بن عبيد : ما رأيت الحسن ضاحكاً إلا مرة واحدة ، قال رجل من جلسائه : ما أذاني طعام قط . فقال له آخر : أنت لو كانت في معدتك الحجارة لطحتنها . وقال علي كرم الله وجهه : البطننة (امتلاء البطن) تذهب الفطنة . وقال ابن المقفع : كانت ملوك الأعاجم إذا رأت الرجل نهماً شرهاً أخرجه من طبقة الجد إلى باب الهزل ، ومن باب التعظيم إلى باب الاحتقار . وتقول العرب : أقلل طعاماً تحمد مناماً . وكانت العرب تعير بعضها بكثرة الأكل . وأنشدوا : لست بأكلٍ كأكل العبد .. ولا بنوأم كنوم الفهد . وقالت عائشة رضي الله عنها : أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يشتري غلاماً ، فألقى بين يديه تمرأ يأكله ، فأكثر فقال صلى الله عليه وسلم : "إن كثرة الأكل شؤم" . وعن جابر رضي الله عنه قال : "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم الأدم الخل ، وكفى بالمرء سرفاً أن يستسخط ما قرب إليه" . وقال عمر رضي الله عنه : "ما اجتمع عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إيمان ، ألا أكل أحدهما ، وتصديق بالآخر" . وقالت عائشة رضي الله عنها : "ما كان يجتمع لوان في لقمة في فم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إن كان لحمأ لم يكن خبزأ ، وإن كان خبزأ لم يكن لحمأ . للمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع ، انظر :

- المصدر نفسه ، ص ٢٤٤ ، ٢٤٥ .

من المسلمين . فقد اشترط على أهل تَبَالَة(*) وَجُرَش(**) ضيافة من يمر بهم من المسلمين ، كما اشترط على صاحب أَيْلَة(***) قري المسلمين المارين ببلده . أما أهل نجران فقد اشترط عليهم في صلحهم أن يضيفوا رسله شهراً فما دون^(١) .

مناسبة الوليمة في السنة النبوية الشريفة :

أمر رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم بالوليمة ، حيث جاءت أحاديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم تدعو إليها .

عن أنس بن مالك ، رضي الله عنه ، قال : "أن عبد الرحمن بن عوف جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبه أثر صُفْرَةٍ فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره أنه تزوج امرأة من الأنصار فقال : "كم سقت إليها" قال : زنة نواة من ذهب . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أولم ولو بشاة"^(٢) .

* تَبَالَة .. موضع بالقرب من مدينة بيشة ، دخل أهلها في الإسلام في السنة العاشرة للهجرة تقريباً . للمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع ، انظر :

- شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ) ، معجم البلدان ، ج ٢ ، (دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٧) ، ص ٩ ، ١٠ .

** جُرَش .. بالضم ثم الفتح ، وشين معجمة ، من مخاليف اليمن من جهة مكة . فتحت جُرَش في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، في سنة عشر للهجرة صلحاً . وَجُرَش في مصدر آخر مدينة عظيمة كانت قائمة إلى القرن الرابع ، وفي عهد الرسول صلى الله عليه وسلم كانت تعتبر من المدن المتطورة عسكرياً . ثم اندثرت جُرَش وتوجد آثارها اليوم قرب خميس مشيط ، وهي معروفة هناك . للمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع ، انظر :

- المصدر نفسه ، ١٢٦/٢ ، ١٢٧ .

- محمد بن فارس الجميل ، المرجع السابق ، ص ٢٦ .

*** أَيْلَة .. بالفتح ، مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام ، وقيل : هي آخر الحجاز وأول الشام . للمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع ، انظر :

- ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، ٢٩٢/١ .

^١ أحمد بن يحيى بن جابر أبو الحسن البلاذري (ت ٢٧٩ هـ) ، فتوح البلدان ، تح : رضوان محمد رضوان ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٣) ، ص ٧٠ - ٧٦ .

^٢ البخاري ، المصدر السابق ، ص ٧٣٨ .

وطعام الوليمة لا يقتصر على إعداد الطعام باللحم(*)، كل حسب قدرته وظروفه المعيشية، أي حسب ظروف الدّاع. فقد أولم الرسول صلى الله عليه وسلم في زواجه من صفية بطعام ليس فيه لحم، "عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعتق صفية وتزوجها، وجعل عتقها صداقها، وأولم عليها بحيس"(**)(١). و"عن منصور بن صفية عن أمه صفية بنت شيبة قالت: أولم النبي صلى الله عليه وسلم على بعض نسائه بمدين من شعير"(٢). بينما في عرس زينب فقد صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم طعام فيه لحم، "عن أنس قال: ما أولم النبي صلى الله عليه وسلم على شيء من نسائه ما أولم على زينب، أولم بشاة"(٣).

* كان العرب في صدر الإسلام يكتفون بالقليل من الطعام الذي لم يجاوز لونا أو لونين. وكان خير أدمهم اللحم. وكان سكان المدن أقرب إلى العناية بالطعام والتقن فيه من سكان البوادي. وأخذ المجتمع العربي يستطيب لحم الطيور المتنوعة، بعد أن كان لحمه يكاد مقصوراً على لحم الإبل والأغنام والماعز. وعرفوا فضل لحم الصيد على باقي اللحوم لأنه بقلقه من الجوارح تنور حرارته الغريزية فتزيد في حرارة الإنسان. وأطيب اللحم الكتف. وروي أن نبياً من الأنبياء عليهم السلام شكا إلى الله الضعف، فأمره أن يطبخ اللحم باللبن، فإن القوة فيهما. وفي الحديث: "من داوم على اللحم أربعين يوماً قسا قلبه، ومن تركه أربعين يوماً ساء خلقه". وكان أحب الطعام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللحم. وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "سيد طعام أهل الدنيا وأهل الجنة اللحم". وكان صلى الله عليه وسلم يقول: "هو سيد الطعام في الدنيا والآخرة، وهو يزيد في السمع، ولو سألت ربي أن يطعمني كل يوم لفعل". للمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع، انظر:

- حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ص ٤٤١ - ٤٤٧.
- شحادة علي الناطور، المرجع السابق، ص ٣٤٢.
- الأبشيهي، المصدر السابق، ص ٢٤٢ - ٢٤٤.
- ** "الحَنِيْسُ": الخط، وقد حاسه يحيسه، وهو التمر البرني يخلط بسمن وأقِط فيعجن عجنأ شديداً حتى يندر منه نواه. للمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع، انظر:
- عبد الملك بن محمد أبو منصور الثعالبي، (ت ٤٢٩ هـ)، فقه اللغة وسر العربية، تح: فائز محمد، وإميل يعقوب، ط ١، (دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٩٣)، ص ٢٤٠.
- الطاهر أحمد الزاوي، المرجع السابق، ص ١٦٣.
- ١ البخاري، المصدر السابق، ص ٧٤٠.
- ٢ البخاري، المصدر نفسه، ص ٧٤٠.
- ٣ البخاري، المصدر نفسه، ص ٧٤٠.

ومن خلال ما سبق طرحه من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم تبين أن رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم دعا إلى إعداد الولائم ولو باليسير (***) منها وفي المناسبات المتعددة ، وإن كان المتعارف عليه أن الولائم تعد عامة في حفلات الزواج (العُرس) (*). والوليمة إذا قصد بها المباهاة والسمعة كانت مكروهة، وإذا كان فيها الإسراف والتبذير فهي محرمة .

وحرص الرسول صلى الله عليه وسلم على حث أصحابه إلى الاعتدال وعدم الإسراف في الولائم ، وعلى المضيف الكريم أن لا يتأخر عن أضيافه ، ولا يمنعه عن ذلك قلة ما بيده ، بل يقدم لهم ما وجد (**). كما حرص صلى الله عليه وسلم على حث المسلمين إلى تلبية الدعوة^(١) .

*** عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل بأهله قال : فصنعت أُمي أم سليم حيساً فجعلته في تور (إناء) ، فقالت : يا أنس : أذهب بهذا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقل : بعثت بهذا إليك أُمي ، وهي تقرئك السلام وتقول : إن هذا لك منا قليل يا رسول الله ، فقال : "ضعه" ، قم قال : "أذهب فادع لي فلاناً وفلاناً ، ومن لقيت" وسمى رجلاً ، قال : فدعوت من سمي ومن لقيت قال : قلت لأنس ، عدد كم كانوا ؟ قال : زهاء ثلاثمئة . وقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : "يا أنس : هات التور" قال : فدخلوا حتى امتلأت الصفة والحجرة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ليخلق عشرة عشرة ، وليأكل كل إنسان مما يليه" قال : فأكلوا حتى شبعوا ، قال : فخرجت طائفة ، ودخلت طائفة حتى أكلوا كلهم ، فقال لي : "يا أنس ، أرفع" قال : فرفعت فلم أدري حين وضعت كان أكثر أم حين رفعت . للمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع انظر :

- علي محمد الصلابي ، السيرة النبوية .. عرض وقائع وتحليل أحداث .. دراسة شاملة ، (مؤسسة اقرأ ، د . م

، ٢٠٠٠) ، ص ٢٤٤ .

* كان الزواج عند العرب يومان : يوم "الإملاك" وهو يوم العقد ، وفيه يجتمع ذوو الفتاة في ساحة دارهم ، ويقدم أقارب الفتى . وإذا ألتام جمعهم خطبهم ولي الفتى خطبة رقيقة ، ثم يرد عليه ولي الفتاة في خطبة قصيرة يضمنها الرضا . ثم تنحرج الجزر وتمد الموائد ويسمع الغناء من مجالس النساء . وتسمى وليمة ذلك اليوم (النقيعة) -والتي سيأتي على ذكرها لاحقاً . واليوم الثاني يوم "البناء" وفيه يتبارى العرب في الاحتفال ، فيلعب الفتيان بالرماح ويتسابقون على الخيل . ويبسطون الأنماط في الدار ويشدونها على الجدران ؛ ويجلس النساء على النمارق وتجلى الفتاة وتلبس الحلي . ثم تسير في حشد من أتريابها . ثم يغنيها النساء مشيدات بمآثر آبائهن ومحامد قومهن . وإذا انقضى ذلك الحفل أخذ النساء في الانصراف وودعن الفتاة بقولهن : باليمن والبركة وعلى خير طائر . للمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع ، انظر :

- حسن إبراهيم حسن . المرجع السابق ، ص ٤٤٦ .

** جاء عن أنس وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم أنهم كانوا يقدمون الكسرة اليابسة ، وحشف التمر ، ويقولون : ما ندري أيهما أعظم وزراً ، الذي يحتقر ما قدم إليه ، أو الذي يحتقر ما عنده أن يقدمه . وعن ابن عباس رضي الله عنهما

فعدم تلبية الدعوة فيه كسر لقلب الداعي وإشعاره بدنو قيمته ومكانته ، وينتج عنها العداوة والنفرة ، وعلى المدعو إجابة الدعوة إلا بعذر يمنع الاستجابة لها^(١) .

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إذا دُعي أحدكم إلى الوليمة فليأتها"^(٢) . وعنهما ، رضي الله عنهما ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أجيبوا هذه الدعوة إذا دعيتم لها" قال : وكان عبد الله يأتي الدعوة في العرس وغير العرس وهو صائم^(٣) . وفي ذلك حث على تلبية الدعوة .

نماذج من اللوائيم والمآدب

أطلق العرب أسماء مختلفة(*) على الأُطعمة والمآدب ، ومن الملاحظ أن جل أُطعمة العرب على وزن "الفعيلة"^(٤) ، ومن ضمن أُطعمة المناسبات المعروفة عند العرب ما يأتي :

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "أكرموا الخبز" . قالوا : وما كرامته يا رسول الله ؟ قال : "لا ينتظر به الأُدام ، إذا وجدتم الخبز فكلوه ، حتى توتوا بغيره" . وكانت سنة السلف رضي الله عنهم أن يقدموا جملة الألوان دفعة ، ليأكل كل شخص ما يشتهي . وعلى المضيف إذا قدم الطعام إلى أضيفه أن لا ينتظر من يحضر من عشيرته ، فقد قيل : ثلاثة تضني : سراج لا يضيء ، ورسول بطئ ، ومائدة ينتظر لها من يجيء . للمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع ، انظر :

-الأبشيهي ، المصدر السابق ، ص ٢٥٠ .

^١ آمال ياسين البنداري ، وليمة العرس وآدابها ، (منشورات كلية الدراسات الإسلامية العربية للبنات ، القاهرة ، د . ت) ، ص ٣٧ .

^١ المرجع نفسه ، ص ٣٧ .

^٢ البخاري ، المصدر السابق ، ص ٧٤٠ .

^٣ المصدر نفسه ، ص ٧٤١ .

* "السُّلْفَة" و"اللَّهْنَة" : طعام يُتعلل به قبل الغداء . و"العُجَالَة" طعام المستعجل قبل إدراك الغذاء . و"القُقْي" و"الرَّزْلَة" : الطعام الذي يُكرم به الرجل ، يقال منه : قفوته فأنا أقفوه قفواً . و"القَفَاوَة" : ما يرفع من المرق للإنسان ، قال الشاعر : ونُقْفِي وليدَ الحيِّ إن كان جائعاً .. ونُحْسِبُه إن كان ليس بجائع . للمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع ، انظر :

- ابن عبد ربّه ، المصدر السابق ، ص ٢٩٢ .

- الثعالبي ، المصدر السابق ، ص ٢٣٨ .

الوليمة : يقصد بها طعام العُرس ، وهي سنة(**) عن الرسول صلى الله عليه وسلم استناداً لقوله صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن عوف "أولم ولو بشاة" ، كما ذكر سابقاً . وهي مشروعة وثابتة وقد أخذ بها الصحابة(***) الكرام رضوان الله عليهم أجمعين . وتعد الولائم بمختلف أنواع الأطعمة(****) ، وليست مقصورة على اللحم .

٤ الثعالبي ، المصدر السابق ، ص ٢٣٨ .

** عن بيان قال : "سمعت أنساً يقول : بنى النبي صلى الله عليه وسلم بامرأة ، فأرسلني فدعوت رجلاً إلى الطعام" وعن أنسن بن مالك رضي الله عنه قال : "أبصر النبي صلى الله عليه وسلم نساءً وصبياناً مقبلين من عرس فقام ممتناً فقال : "اللهم أنتم من أحب الناس إليّ . للمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع ، انظر :

- البخاري ، المصدر السابق ، ص ٧٤٠ - ٧٤١ .

*** عن حسين بن علي عليهما السلام أخبره أن علياً قال : "كانت لي شارف من نصيبي من المغنم يوم بدر ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم أعطاني شارقاً من الخمس ، فلما أردت أن أبتني بفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم واعدت رجلاً صواغاً من بني قينقاع أن يرتحل معي فنأتي بإذخر أردت أن أبيع الصواغين وأستعين به في وليمة عرسى..." . للمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع ، انظر :

- البخاري ، المصدر نفسه ، ص ٤٢٧ .

**** كان صلى الله عليه وسلم يحب الدباء ويقول : "يا عائشة ، إذا طبختم قدرأ فأكثروا فيها من الدباء (القرع) ، فإنها تشد القلب الحزين ، وهي شجرة أخي يونس" . وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : "عليكم بالقرع ؛ فإنه يشد الفؤاد ويزيد في الدماغ ، وعليكم بالعُسد فإنه يرق القلب ، ويغزر الدمة" . وقال أبو صفوان : الأرز الأبيض بالسمن والسكر ليس من طعام أهل الدنيا . وسمع الحسن البصري رجلاً يعيب "الفالودج" (نوع من الحلوى يصنع من الدقيق والسكر والسمن) فقال : لباب البر بلعاب النحل ، بخالص السمن ، ما أظن عاقلاً يعيبه . وأتى أعرابي بالفالودج فأكل منه لقمة ف قيل له : هل تعرف هذا ؟ فقال : هذا وحياتك الصراط المستقيم . وقيل لأبي الحرث : ما تقول في الفالودجة ؟ قال : وددت لو أنها وملك الموت اعتلجا (اجتمعا وتصارعا) في صدري ، والله لو أن موسى لقي فرعون بالفالودجة لآمن ، ولكنه لقيه بعضاً . وقد اقتبس العرب هذا النوع من الحلوى عن الفرس ، كما اقتبس المحاشي عن البيزنطيين . للمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع ، انظر :

- الأبيشي ، المصدر السابق ، ص ٢٤٢ ، ٢٤٣ .

- شحادة علي الناطور ، المرجع السابق ، ص ٣٤٢ .

فلقد كان التمر من ضمن الأطعمة والأشربة(*) التي تقدم في وليمة العرس^(١). حيث أولم الرسول صلى الله عليه وسلم في زواجه من السيدة صفية بالتمر والأقط(**) والسمن^(٢)، حيث "فحصت الأرض أفاحيص وجيء بالأنطاع، فوضعت فيها، وجيء بالأقط والسمن فشبع الناس"^(٣). وطعام الوليمة هو ليلة

* عن سهل قال: "لما عرس أبو أسيد الساعدي دعا النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فما صنع لهم طعاماً ولا قربة إليهم إلا امرأته أم أسيد، بلّت تمرات في تور (وعاء من حجارة) من الليل، فلما فرغ النبي صلى الله عليه وسلم من الطعام أمأته له فسقته تتحفه بذلك. وهنا لابد من الإشارة إلى ما نهانا عنه الرسول صلى الله عليه وسلم من استعمال لبعض الأواني التي تقدم بها الأشربة. قالت عائشة رضي الله عنها: سمعت رسول الله صل الله عليه وسلم "ينهى عن شراب صنع في دباء (القرع) أو ختم (جرار مدهونة خضر) أو مزفت (مطلي بالقار)، لا يكون زيتاً أو خلاً". ويظهر أن علة المنع من استخدام تلك الأوعية في تحضير الأشربة يعود إلى كون الشراب يشد فيها حتى يكون خمراً لأنها من الأوعية التي لا مسام لها. ولذلك فقد كان ينبذ لرسول الله صلى الله عليه وسلم في سقاء (جلد السخلة)، فإن لم يجدوا سقاء ففي تور (إناء) من حجارة. ولكن حين شكا الناس لرسول الله صلى الله عليه وسلم عدم توافر الأوعية كالسقاء قائلين "إنه لا ظروف لنا" أجابهم قائلاً: "فاشربوا في أي وعاء شئتم ولا تشربوا مسكراً". للمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع، انظر:

- البخاري، المصدر السابق، ص ٧٤١.
- النسائي، المصدر السابق، ٣٠٢/٨، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣١١.
- أبو داود، المصدر السابق، ٣٣٢/٣.
- ^١ محمد بن فارس الجميل، المرجع السابق، ص ٤٠، ٤١.
- ** "أَقَطَ" الشيء: أي صنعه، والجمع "أَقْطَان"، والقطعة من "أَقْطَة". شيء يتخذ من اللبن المخيض، يطبخ ثم يترك حتى يوصل؛ أي يتقاطر ماؤه ويذهب، وفي مصدر آخر الأقط لبن مجفف يابس مستحجر يطبخ به. للمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع، انظر:
- ابن الأثير، المصدر السابق، ٥٧/١.
- الطاهر أحمد الزاوي، المرجع السابق، ص ٢٥.
- المباركفوري، المرجع السابق، ص ٤٢.
- ^٢ البخاري، المصدر السابق، ٢٠٥٩/٥.

^٣ أبو عبد الله أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ)، المسند، ج ٣، (مؤسسة قرطبة، القاهرة، د. ت)، ص ١١٠.

الدخول على الزوجة ، ويقام ليلة عقد القران (الإملاك) (***) طعام يسمى النقيعة^(١) ، كما تم استعراضه سابقاً .

الخُرس : هو الطعام الذي يصنع للرجال والنساء عند سلامة المرأة من الولادة والنفاس^(٢) .

العقيقة(*) : هي ما تقرب بذكاته وذبحه من حيوان النعم (الإبل أو البقر أو الغنم)^(٣) ، وهي التي تعد في اليوم السابع من الولادة ، ويتم فيها استقبال المولود بالسرور ودعوة الضيوف لمشاركتهم في هذه المناسبة لخلق المودة والتراحم بين الأهل والأقارب .

وتتجلى الحكمة من العقيقة في إشهار نسب المولود وذلك من خلال إعداد الوليمة ودعوة الضيوف إليها أو التصدق بها أحياناً ، كما يعمل توزيع لحم العقيقة على تعزيز التكافل

*** ذكر الثعالبي أن (الشندفة) طعام الإملاك ، وذكر ابن عبد ربه أن طعام الإملاك هو (النقيعة) ، وسيدكر ابن عبد ربه ، لاحقاً ، أن النقيعة طعام القادم من السفر . للمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع ، انظر :

- الثعالبي ، المصدر السابق ، ص ٢٣٨ .

- ابن عبد ربه ، المصدر السابق ، ص ٢٩٢ .

^١ عواطف أمين سلامة ، قريش قبل الإسلام ودورها السياسي والاقتصادي والديني ، (دار المريخ للنشر ، الرياض ، ١٩٩٤) ، ص ١٣٧ .

^٢ الثعالبي ، المصدر نفسه ، ص ٢٣٨ .

* عن محمد بن سيرين حدثنا سلمان بن عامر الضَّبِّي قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "مع الغلام عقيقة ، فأهريقوا عنه دماً ، وأميطوا عنه الأذى" ، والمشهور في مذهب المالكية أنها مستحبة ، وروي عن الإمام مالك القول بالسنية ، ودليل الاستحباب ما روي عن الإمام مالك من "أنه سئل عن العقيقة : واجبة هي ؟ قال : لا ، ولكن من أحب أن ينسك فلينسك" . وعن الحسن البصري القول بالوجوب ، وهو مذهب أهل الظاهر ، كما ذكره ابن القيم في (تحفة المودود بأحكام المولود) . هذا ، والصحيح أن الذكر والأنثى في ذلك سواء لما رواه أبو داود في سننه عن ابن عباس ، رضي الله عنهما "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عَقَّ عن الحسن والحسين كبشاً" ، أي عن كل واحد منهما ، لما روي عن فاطمة ، رضي الله عنها ، من أنها ذبحت عن الحسن والحسين كبشاً كبشاً . للمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع ، أنظر :

- البخاري ، المصدر السابق ، ص ٧٨٠ .

- ميلاد الجلاصي ، "من الفقه الإسلامي .. العقيقة في الإسلام" ، الهدي الإسلامي ، تصدر

عن الهيئة العامة للأوقاف ، العدد (٢) للسنة (١٧) ، (أبريل : ١٩٧٨) ، ص ١٥ .

^٣ ميلاد الجلاصي ، المرجع نفسه ، ص ١٥ .

الاجتماعي وخلق المحبة والود بين الناس ، وإظهار الفرح بقدوم المولود ، وهذا ما يدعو إليه الإسلام^(١) .

الإعذار : وهي الدعوة لطعام الختان ، ويقال لها العذيرة ، وجمعها (الإعذار) ، يقال : "صبي معذور وصبي معذر جميعاً"^(٢) ، والتي تصنع عند ختان المولود بعد مولده بفترة . وعن جابر ، رضي الله عنه ، "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم علق عن الحسن والحسين ، وختنهما لسبعة أيام" . وهذا النوع من المناسبات يخلق البهجة في حياة الأسر لذلك تعد فيها الولائم^(٣) .

وليمة التحفة : وهي طعام الزائر ، ووليمة القرى ، وهي ما يصنع للضيف . وإذا ما كانت الدعوة عامة تسمى (الجفلى) ، والتي تتم دعوة الجميع ، دون استثناء ، إلى طعامها ويسمى طعامها (الجفالة) . أما إذا كانت الدعوة خاصة فيقال عنها (النقري) ، حيث ينتقر(*) الداعي ، صاحب الوليمة ، أشخاصاً معينين لهذه الوليمة التي لم يحبذها البعض ، والتي قال الشاعر طرفة بن العبد فيها :

نحن في المشتاة ندعو الجفلى ** لا ترى الأدب فينا ينتقر

^١ محمد منصور الزالط ، عجائب المعارف وغرائب الفنون والطوائف ، ط ٢ ، (دار ومكتبة بن حمودة للنشر والتوزيع ، زليتن ، ٢٠٠٤) ، ص ٤٦٣ .

^٢ محمد بن فارس الجميل ، المرجع السابق ، ص ١١٠ .

^٣ ميلاد الجلاصي ، المرجع السابق ، ص ١٥ .

* عن أبي مسعود الأنصاري قال : "كان من الأنصار رجل يقال له أبو شعيب ، وكان له غلام لحام ، فقال : اصنع لي طعاماً أدعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم خامس خمسة ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم خامس خمسة ، ففتبعهم رجل ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إنك دعوتنا خامس خمسة ، وهذا رجل قد تبعنا ، فإن شئت أذنت له وإن شئت تركته ، قال : بل أذنت له" . للمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع ، انظر :

- البخاري ، المصدر السابق ، ص ٧٧٥ .

وهكذا ، ففي اشتراك الجميع في تناول وليمة الجفلى أثر وبصمات طيبة على نفوس المدعويين ، وفيها يتم التأكيد على كرم العرب والاعتزاز بالحضور دون تمييز طبقي . بينما في وليمة النقرى الخاصة تتم دعوة عليّة القوم من كبار القبائل وشيوخها^(١)

وليمة المسافر : أقام العرب الولائم للعائد من السفر (***) وسميت (النقيعة)^(٢) ، وهي اسم لما ينحر من الإبل والجزر من عرض المغنم . وهي الوليمة التي تقدم فيها الأطعمة عند القدوم من السفر . وسميت بالنقيعة لنقعه من غبار السفر ، الذي يعد قطعة من العذاب (***) نتيجة لما يعانيه المسافر من التعب ؛ فقد يتعرض المسافر للهلاك (***) جوعاً أو عطشاً ، وما يتعرض له من السلب والنهب .

^١ جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج ٥ ، ط ٢ ، (دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٨) ، ص ٧٢ ، ٧٣ .

*** عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما : أن رسول الله صل الله عليه وسلم لما قدم المدينة نحر جزوراً أو بقرة . زاد معاذ عن شعبة عن محارب سمع جابر بن عبد الله : اشترى مني النبي صلى الله عليه وسلم بغيراً بأوقيتين ودرهم أو درهمن . فلما قَدِمَ صِراراً أمر ببقرة فذبحت فأكلوا منها ، فلما قدم المدينة أمرني أن آتي المسجد فأصلي ركعتين ، ووزن لي ثمن البعير . للمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع ، انظر :

- البخاري ، المصدر السابق ، ص ٤٢٧ .

^٢ ابن عبد ربه ، المصدر السابق ، ٥/٨ .

*** عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "السفر قطعة من العذاب ، يمنع أحدكم نومه وطعامه ، فإذا قضى نهمته من وجهه ، فليعجل إلى أهله" . للمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع ، انظر :

- البخاري ، المصدر نفسه ، ص ٧٧٥ .

*** من الذين انتهى إليهم الجود في الجاهلية كعب بن أمية الأيادي والذي جاد بنفسه ، وأثر رفيقه بالماء في المفازة (الصحراء المقفرة) ومات عطشاً ، وليس له خبر مشهور . للمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع ، انظر :

- الأبيهي ، المصدر السابق ، ص ٢٣١ .

وقد كان العرب يسافرون جماعة في شكل قوافل ليشد بعضهم أزر بعض ، وعند عودتهم(*) من السفر تقام لهم الولائم ويستقبلهم الأهل بالفرح والتهنئة وذبح الأضاحي وتوزيع لحومها على الفقراء والأصدقاء والجيران ، ويألم الولائم للمهنيين^(١).

وليمة خداقة : تصنع لمن حفظ القرآن الكريم ، حيث تُقام الولائم ابتهاجاً بهذه المناسبة العظيمة المتمثلة بحفظ كتاب الله سبحانه وتعالى^(٢) .

وليمة الوكيرة : وهو طعام البناء ، فقد كان الرجل يطعم من يبني له^(٣) . وتصنع هذه الوليمة كذلك عند السكن في بيت جديد ، وقد عرفها العرب وأقاموا الولائم عند نزولهم في بيتهم الجديد ، وفيها تتم دعوة الأقارب والأصدقاء لمشاركتهم في سرورهم .

وليمة العتيرة(**) : وهي وليمة تصنع عند دخول شهر رجب^(٤) . وقد كانت الأشهر الحرم(***) رحمة وعوناً للعرب على حياتهم وحصول معاشهم . فقد كانوا يأمنون فيها تمام الأمن ؛ لشدة التزامهم(****) بحرمتها .

* قيل لبعض الكرماء : كيف اكتسبت مكارم الأخلاق ، والتأدب مع الأضياف ؟ فقال : كانت الأسفار تحوجني إلى أن أفد على الناس ، فما استحسنته من أخلاقهم اتبعته ، وما استقبحته اجتنبت . للمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع ، انظر :

- الأبيشي ، المصدر نفسه ، ص ٢٤٧ .

^١ جواد علي ، المرجع السابق ، ص ٧٩ .

^٢ محمد منصور الزلط ، المرجع السابق ، ص ٤٦٤ .

^٣ محمد بن فارس الجميل ، المرجع السابق ، ص ١١٠ .

** عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " لا فرع ولا عتيرة " . و"الفرع" أول النتاج كانوا يذبحونه لطواغيتهم . و"العتيرة" في رجب . للمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع ، أنظر :

- البخاري ، المصدر السابق ، ص ٧٨٠ .

^٤ عواطف أمين سلامة ، المرجع السابق ، ص ١٣٧ .

*** الأشهر الحرم هي : ذي القعدة ، ذي الحجة ، محرم ورجب .

**** يقول أبو رجاء العطاردي : إذا دخل شهر رجب قلنا : مُنْصِلُ الأَسِنَّةِ ، فلا ندع رمحاً فيه حديدة ولا سهماً فيه حديدة إلا نزعناه ، وألقيناه في شهر رجب . وكذلك في بقية الأشهر الحرم . للمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع ، انظر :

الوضيمة : وتسمى وليمة الحزن ، وهي إعداد الطعام في المآتم . وفي رواية لعائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "عليكم بالبغيض النافع" ، "التلبين"(*) يعني الحسو(**) ، قالت : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اشتكى أحد من أهله لم تزل البرمة على النار حتى يلقي أحد طرفيه ، يعني يبرأ أو يموت" . وأحياناً تكون التلبينة مرافقة للثريد وتقدم في العزاء .

وكانت عائشة رضي الله عنها إذا مات الميت من أهلها ، فاجتمع لذلك النساء ، ثم تفرقن إلا أهلها وخاصتها أمرت ببرمة من تلبينة فطبخت ، ثم صنع ثريد فصبت التلبينة عليها . ثم قالت : كلن منها فإنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "التلبينة مَجْمَةٌ لفؤاد المريض تذهب ببعض الحزن" (١) .

وهذه الوليمة غير مستحبة إذا قام بإعدادها أهل الميت ومن مال الميت ، الذي أصبح أموالاً للورثة ، وقد يكون فيهم قاصرون أو محتاجون لهذا المال أو عليه دين ، وخاصة إذا احتقت تلك الولائم والموائد بالإسراف والتبذير (٢) .

إنما يستحب صنع الطعام لأهل الميت لانشغالهم(*) بمصيبتهم استناداً لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : "اصنعوا لأهل جعفر طعاماً ، فإنه قد جاءهم ما يشغلهم" (٣) .

- المبار كفوري ، المرجع السابق ، ص ٤٨ .

* التلبينة .. حساء يعمل من دقيق أو من نخالة ويجعل فيها عسل . سميت "تلبينة" تشبيهاً لها باللبن لبياضتها ورقتها . للمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع ، انظر :

- الثعالبي ، المصدر السابق ، ص ٢٣٩ .

** يبدو أن من مرادفات التلبينة الحساء ، قالت عائشة رضي الله عنها : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أخذ أهله الوعك ، أمر بالحساء ، وكان يقول : "إنه ليرتو فؤاد الحزين ، ويسرو عن فؤاد السقيم ، كما تسرو إحداكن الوسخ عن وجهها بالماء" . وهذه الرواية لا تفصح لنا عن ماهية الحساء ولا مم يصنع ؟ وليس من المستبعد أن يكون الحساء اسماً جامعاً لما يحسوه المرء سواء كان ذلك تلبينة أو خلافها . للمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع ، انظر :

- ابن ماجه ، المصدر السابق ، ١١٤٠/٢ .

- محمد بن فارس الجليل ، المرجع السابق ، ص ٣٩ .

^١ المرجع نفسه ، ص ٣٩ - ٤١ .

^٢ خالد بن أحمد آل الضمني بابطين ، "استجابة الدعوة في المناسبات العامة والخاصة . . الضوابط والأحكام"

، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ع (٣٣) ، ج (٢) ،

فقد ندب الرسول صلى الله عليه وسلم الناس أن يصنعوا طعاماً لآل جعفر ، وهذا فيه مواساة لأهل المتوفي وتخفيف لمصابهم ، وفي الوقت نفسه تكافل بينهم ، وهذه السنة خالفتها الشعوب الإسلامية وأصبح أهل الميت يصنعون الطعام للقدامين ، وهذا أمر قبيح ينبغي أن يبتعد عنه المسلمون^(١) .

خاتمة

كان للولائم ولا يزال أهمية كبيرة عند العرب، ولها بصمات على نفوس المدعوين ، وقد وردت في القرآن الكريم ، والأحاديث النبوية الشريفة ، وكذلك في معاجم اللغة .

وقد حاولت هذه الدراسة الموجزة إلقاء الضوء على مفردات الموائد في صدر الإسلام، والمناسبات التي كانت تقدم فيها الأطعمة وتقام فيها الولائم ، حيث تتحر فيها الأبل والأغنام ويتم إعداد الولائم الكبيرة ، حيث يشارك أفراد القبيلة بالتبرع المادي ، والعمل والتقديم بصورة لائقة تؤكد على جود وكرم العرب والاعتزاز بحضور المدعوين بمشاركة الأغنياء والفقراء دون تمييز طبقي بناءً على عادات وتقاليد المجتمع العربي آنذاك ، وكانت الوليمة تقتصر على

* عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : "خير الناس للمساكين جعفر بن أبي طالب ، ينقلب بنا فيطعمنا ما كان في بيته ، حتى إن كان ليخرج إلينا العكة ليس فيها شيء ، فنشقتها ، فنلحق ما فيها" . وكان جعفر بن أبي طالب يقول لأبيه : يا أبت أني لأستحي أن أطمع طعاماً ، وجيراني لا يقدرون على مثله . فكان أبوه يقول : إنني لأرجو أن يكون فيك خلف من عبد المطلب . وفي غزوة مؤتة (٨ هـ / ٦٢٩ م) في مواجهة البيزنطيين والقبائل العربية الموالية لها ، استشهد جعفر رضي الله عنه بعد أن أخذ الراية من زيد بن حارثة ، والذي استشهد قبله . لقد أخذ جعفر اللواء بيده اليمنى فقطعت ، فأخذه بشماله فقطعت ، فأحتضنه بعضديه وانحنى عليه حتى استشهد ، رضي الله عنه وأرضاه ، واستشهد من بعده عبد الله بن رواحة . وعندما جاء خبر المعركة من السماء ، إذ نعى النبي صلى الله عليه وسلم استشهد الأبطال الثلاثة قبل أن يصل الخبر من أرض المعركة ، دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أسماء بنت عميس (زوج جعفر) ، وكانت تعد الطعام لأطفالها ، فقال لها : "انتيني ببني جعفر" فأنت بهم فشمهم وقبلهم وذرفت عيناه ، فقالت أسماء : أبلغك عن جعفر وأصحابه شيء ؟ قال : "نعم أصيبوا هذا اليوم" ، فجعلت تصيح وتولول ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : "لا تغفلوا عن آل جعفر أن تصنعوا لهم طعاماً ، فإنهم قد شغلوا بأمر صاحبهم" . للمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع ، انظر :

- البخاري ، المصدر السابق ، ص ٧٧٥ .
- الألبشهي ، المصدر السابق ، ص ١٩٤ .
- علي محمد الصلابي ، المرجع السابق ، ص ٣٤٤ - ٣٥١ .
- ^٢ ابن حنبل ، المصدر السابق ، ٣ / ٢٨٠ ، ١٧٥١ .
- ^١ علي محمد الصلابي ، المرجع السابق ، ص ٣٥١ .

اللحوم المطبوخة والخبز ، وهو ما يعرف بالثريد ، وأحياناً أخرى تقتصر على الحبوب والبقوليات على حسب القدرات المادية .

وكانت الولائم تعد عبر مراسم خاصة بها ، حيث يتم إعدادها من قبل الأثرياء ورؤساء القبائل مقدمة إلى عامة الناس في المناسبات المختلفة . كالمناسبات الدينية والاجتماعية ، كما تقام أيضاً في لقاءات الصلح بين القبائل المتناحرة ، وأحياناً أخرى تقام للتعايش والتقارب بين القبائل ، ويعتبر هذا نوع من التفاخر والتباهي فيما بينها .

كما توصلت هذه الدراسة إلى العديد من النتائج فيما يتعلق بأنواع الأطعمة في عصر الرسالة ، منها على سبيل المثال لا الحصر ما يأتي :

١- بدايةً ، جاءت هذه الدراسة التي تناولت الأطعمة والولائم والمآدب ومسمياتها المختلفة في عصر الرسالة مقصورة على مصادر محدودة تتناسب مع طبيعة الموضوع .

٢- إن القلة الملحوظة في أنواع الطعام الواردة في مصادر الحديث النبوي تؤكد حقيقة لا مجال لإنكارها وهي أن الحديث النبوي سجل تشريعي لما يجب على الأمة الإسلامية أن تعمل بمقتضاه وليس من المنتظر من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، والحال كذلك ، أن يكون حصراً شاملاً لكل ما كان معروفاً من أطعمة القوم في ذلك الحين .

٣- إن الحديث عن اللحوم في السنة النبوية جاء مقترناً ببعض الأحكام الفقهية ، وذلك فيما يتعلق بهدي أو أضحية أو ما يتعلق بحلال أو حرام أو كراهية . واللحوم بالرغم من ذلك ظلت في غالب الأحوال طعاماً عزيز المنال . لذلك فإن الأطعمة التي يكون اللحم عنصراً رئيساً فيها قليلة مقارنة بغيرها .

٤- أن معظم الأطعمة في عصر الرسالة هو ما يتوافر في شبه الجزيرة العربية ، وقد تمت الإشارة إلى فوائد بعضها العلاجية إضافة إلى الفوائد الغذائية .

٥- أن مجتمع المدينة في عصر الرسول ربما لم يكن في بحبوحة من العيش في بعض أيامه ، ربما لضيق اليد أو للزهد في معاش الدنيا ، ولكنه لم يكن بحال في مسغبة مميتة كما توحى به بعض الروايات .

المصادر والمراجع

المصادر :

أولاً : القرآن الكريم .

ثانياً : الكتب :

١. الأبشيهي ، شهاب الدين محمد بن أحمد (ت ٨٥٠ هـ) . المستطرف في كل فن مستظرف . تح : مصطفى محمد الذهبي ، (دار الحديث ، القاهرة ، ٢٠٠٣ م) .
٢. ابن الأثير ، مجد الدين المبارك بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري (ت ٦٠٦ هـ) . النهاية في غريب الحديث والأثر ، تح : الطاهر أحمد الزاوي ، ومحمود الطناحي ، (دار الفكر ، بيروت ، د.ت) .
٣. ابن حنبل ، أبو عبد الله أحمد (ت ٢٤١ هـ) ، المسند ، (مؤسسة قرطبة ، القاهرة ، د . ت) .
٤. ابن عبد ربه ، أبو عمر أحمد بن محمد الأندلسي (ت ٣٢٨ هـ) . العقد الفريد ، تح : أحمد أمين وآخرون ، (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٤٩) .
٥. ابن فارس ، أبو الحسين أحمد بن زكريا (ت ٣٩٥ هـ) . مقاييس اللغة ، تح : عبد السلام محمد هارون ، (دار الجيل ، بيروت ، د.ت) .
٦. ابن ماجه ، محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥ هـ) . سنن ابن ماجه ، تح : محمد فؤاد عبد الباقي ، (المكتبة العلمية ، بيروت ، د.ت) .
٧. أبو داود ، سليمان بن الأشعث (ت ٢٧٥ هـ) . سنن أبي داود ، تح : محمد محي الدين عبد الحميد ، (المكتبة الإسلامية ، إستانبول ، د.ت) .
٨. البخاري ، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله (ت ٢٥٦ هـ) . صحيح البخاري ، تح : محمد محمد حجازي ، ط ٢ ، (مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠١٠) .
٩. البلاذري ، أحمد بن يحيى بن جابر أبو الحسن (ت ٢٧٩ هـ) . فتوح البلدان ، تح : رضوان محمد رضوان ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٣) .

١٠. الترمذي ، محمد بن عيسى بن سورة (ت ٢٧٩ هـ) . سنن الترمذي ، تح : أحمد شاكر وآخرون ، ط ٢ ، (مطبعة الحلبي ، القاهرة ، ١٩٧٨) .
١١. الثعالبي ، أبو منصور عبد الملك بن محمد (ت ٤٢٩ هـ) . فقه اللغة وسر العربية ، تح : فائز محمد ، وإميل يعقوب ، ط ١ ، (دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٩٣) .
١٢. الزبيدي ، محمد مرتضى (ت ١٢٠٥ هـ) . تاج العروس من جواهر القاموس ، تح : إبراهيم الترزي ، ج ١ ، (دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د.ت) .
١٣. الفراهيدي ، الخليل بن أحمد (ت ١٧٠ هـ) . العين ، تح : عبد الحميد الهنداوي ، ج ٨ ، (دار الكتب العالمية ، بيروت ، ٢٠٠٢) .
١٤. مسلم ، مسلم بن الحجاج القشيري (ت ٢٦١ هـ) . صحيح مسلم ، تح : محمد فؤاد عبد الباقي ، (دار الفكر ، بيروت ، ١٩٨٤) .
١٥. المقري ، أحمد بن محمد علي الفيومي (ت ٧٧٠ هـ) . المصباح المنير ، (دار الحديث ، القاهرة ، ٢٠٠٠) .
١٦. النسائي ، أحمد بن شعيب (ت ٣٠٣ هـ) . سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي ، تح : عبد الفتاح أبو غدة ، ط ٢ ، (دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، ١٩٨٩) .
١٧. ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبي عبد الله (ت ٦٢٦ هـ) . معجم البلدان ، (دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٧) .

المراجع :

أولاً : الكتب :

١. البنداري ، آمال ياسين . وليمة العرس وآدابها ، (منشورات كلية الدراسات الإسلامية العربية للبنات ، القاهرة ، د.ت) .
٢. حسن ، حسن إبراهيم . تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ط ١٣ ، (مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٩١) .
٣. الزالط ، محمد منصور . عجائب المعارف وغرائب الفنون واللطائف ، ط ٢ ، (دار ومكتبة بن حمودة للنشر والتوزيع ، زليتن ، ٢٠٠٤) .
٤. الزاوي ، الطاهر أحمد . مختار القاموس ، (الدار العربية للكتاب ، د.م ، ١٩٨١) .
٥. زيدان ، جرجي . تاريخ التمدن الإسلامي ، ج ٥ ، (دار الهلال ، د.م ، د.ت) .
٦. سالم ، السيد عبد العزيز . تاريخ الدولة العربية .. تاريخ العرب منذ عصر الجاهلية حتى سقوط الدولة الأموية ، (دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧١) .

٧. سلامة ، عواطف أمين . قریش قبل الإسلام ودورها السياسي والاقتصادي والديني ، (دار المریخ للنشر ، الرياض ، ١٩٩٤) .
٨. الصلابي ، علي محمد . السيرة النبوية .. عرض وقائع وتحليل أحداث .. دراسة شاملة ، (مؤسسة اقرأ ، د . م ، ٢٠٠٠) .
٩. علي ، جواد . المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج ٥ ، ط ٢ ، (دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٨) .
١٠. كمال ، أحمد عادل . الطريق إلى المدائن ، ط ١ ، (دار النفائس ، بيروت ، ١٩٧٢) .
١١. المبار كفوري ، صفی الرحمن . الرحيق المختوم ، (دار ابن الجوزي ، القاهرة ، ٢٠١٣ م)
١٢. الناطور ، شحادة علي . تاريخ صدر الإسلام وفجره ، (دار الكندي للنشر والتوزيع ، عمان ، ٢٠٠١) .

ثانياً : الدوريات :

١. بابطين ، خالد بن أحمد آل الضمني . "استجابة الدعوة في المناسبات العامة والخاصة .. الضوابط والأحكام" ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ع (٣٣) ، ج (٢) .
٢. الجلاصي ، ميلاد . "من الفقه الإسلامي .. العقيدة في الإسلام" ، الهدى الإسلامي ، تصدر عن الهيئة العامة للأوقاف ، العدد (٢) للسنة (١٧) ، (أبريل : ١٩٧٨) ، ص ص ١٥ - ٢٠ .
٣. الجميل ، محمد بن فارس . "الأطعمة والأشربة في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم" ، حويلات كلية الآداب ، تصدر عن مجلس النشر العلمي ، جامعة الكويت ، العدد (١٧) ، ١٩٩٧ ، ص ص ١٣ - ١٣٨ .

العلاقات العثمانية الصفوية في عهد السلطان سليمان القانوني

(١٥٢٠-١٥٦٦م)

Ottoman-Safavid relations during the reign of Sultan Suleiman the Magnificent

(1520 – 1560 AD)

د. تهاني إدريس عبدالله العرفي

Dr. Tahani Idris Abdullah Al-Arafi

كلية الآداب والعلوم / سلوق / جامعة بنغازي

Faculty of Arts and Sciences / Saluq / University of Benghazi

tahini.adress@uob.edu.ly

ملخص

إنّ دراسة العلاقات بين الدولتين العثمانية والصفوية أمر شائك للغاية، لأنّ الدولتين بالأساس تؤلفان دائرتين سياسيتين تشكلتا نتيجة لتكوينات سياسية متعددة ومتنوعة من الناحيتين الجغرافية والاثنية، وعندما تماسّت حدودهما مع بعض نشب الصراع بينهما على المناطق الغنية بثرواتها الاقتصادية وخاصة الحرير أو على المناطق التي تعتبر نقاط عبور استراتيجية لتجارة الشرق والغرب، وقد استمر هذا الصراع قرابة قرنين وأربعة عقود تراكمت فيها الأحداث والوقائع بشكل متشابك ومعقد شبيهة ببانوراما هائلة من صور الحرب والسلام.

كلمات مفتاحية: سليمان القانوني - البلاط الصفوي - الشيخ البكتاشي - موقعة جالديران - ميرزا بن إسماعيل الأول - أرمينيا - الأناضول .

Abstract

The study of relations between the Ottoman and Safavid states is very thorny, because the two states basically form two political circles formed as a result of multiple and diverse political formations in terms of geography and ethnicity, and when their borders touched each other, the conflict erupted between them over areas rich in their economic wealth, especially silk, or over

areas that are considered strategic transit points for East and West trade, and this conflict lasted for nearly two centuries and four decades, in which events and facts accumulated in an interwind and complex manner similar to a huge panorama of war images. and peace.

Keywords: Suleiman the Magnificent -Safavid court - Bektashi sheikh -Battle of Chaldiran Mirza bin Ismail I - Armenia - Anatolia.

المقدمة:

لقد قيّض الله للدولة العثمانية أن تحمل لواء الجهاد الإسلامي في شرق أوروبا، والذي كان من الدعامات الأساسية التي قامت عليها هذه الدولة، ولم يكد القرن العاشر الميلادي أن ينتصف حتى دانت لها كل أقطار أوروبا الشرقية، وارتفع المد الإسلامي وبلغ حد لم يبلغه من قبل في أي حقبة من حقبة التاريخ الإسلامي، وحقق العثمانيون أمال الفتح التي استشهد في سبيل تحقيقها المسلمون الأوائل وعلى رأسهم أبو أيوب الأنصاري - رضي الله عنه-.

وكانت الغيرة على الإسلام حافزاً قوياً للسلطين العثمانيين على الاستبسال في فتح هذه البلاد الذي يعتبر جهاداً في سبيل الله، وهكذا اصطبغت الدولة العثمانية منذ نشأتها بالصبغة الإسلامية البحتة، إذ تلقب سلاطينها بلقب "الغازي"، وكانت الأندلس أن تعود إسلامية لولا أن أطلت الفتنة الفارسية برأسها لتقضي على حكم المسلمين في أوروبا ولم يبق لهم فيها إلا بقايا تذكارية في بلاد البلقان.

وقد بلغ الشعور الإسلامي القوي مداه عند السلطان سليم الأول (١٥١٢-١٥٢٠م) لدرجة أنه حاول أن يجعل لغة الإسلام وهي اللغة العربية لغة العثمانية الرسمية ولم يمنعه من تحقيق ذلك إلا المفتي.

ومن المعروف أن الإسلام الذي عاش العثمانيون من أجله هو الإسلام السني، وقد ازداد حرصهم عليه زيادة كبيرة بعد ظهور الشاه إسماعيل الصفوي (١٥٠١-١٥٢٤م)، وإرغامه السنة في إيران على الدخول في المذهب الشيعي، وقد قامت الدولة الصفوية في إيران على عقيدة دينية متطرفة، فلذلك بدأت

مرحلة صراع تاريخي طويل الأمد بين الدولتين العثمانية والصّفوية استنزفت إمكاناتها الكبرى، وشغل العراق وشرقي الأناضول وأرمينيا ساحته الجغرافية وميادينه الحربية^(١).

- أهمية الدراسة:

سأحاول في هذا العرض الموجز أن أكشف بعض جوانب هذه الفتنة وخاصة في عهد السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠ - ١٥٦٦م)، حيث بلغت الدولة العثمانية في عهده أوج قوتها، وأبين دور هذه الحروب في تعطيل مسيرة الفتوحات الإسلامية في أوروبا وكيف كانت سبباً في انحسار المد الإسلامي عنها، وخاصة أن الدولة الصّفوية قامت على أساس خلاف مذهبي ارتضته لنفسها، وخلقت عداءً مذهبياً بين المسلمين لم يكن نابعاً من إخلاص لهذا المذهب بقدر ما كان نابعاً من مصالح اقتصادية وأطماع سياسية ولم يكن العداء المذهبي سوى ستار تخفّت وراءه هذه الأطماع^(٢).

ولا بدّ لنا من إسقاط الماضي على الحاضر لأنّ فيه عبرة لمن يعتبر في المستقبل، فكم في التّاريخ، من دروس وعبر.

وكانت العداء سافرة بين العثمانيين والصّفويين؛ بسبب حماية البيت الصّفوي لعشرات الفارين والمنهزمين من البيت العثماني، والذين فرّوا من الظروف التي تعرّضوا لها في بداية حكم السلطان سليم الأول، هذا بالإضافة إلى شعور العثمانيين بقدرة الصّفويين في اكتساب الولاء في أصقاع الأناضول، فكان ذلك بمثابة عامل في تفجير الصّراع، بالإضافة إلى محاولة الشّاه إسماعيل الصّفوي بثّ مذهبه عنوة، كان لها أثارها الواضحة في إثارة الحفيظة الدّينية للعثمانيين الذين يعتبرون الخارج عن المذهب السّني من " الرافضة " الذين يجب قتالهم ومحوهم، ومن ناحية أخرى كان هناك سباق سياسي بين القوتين

(١) محمد عبد العزيز عمر: تاريخ الدولة العثمانية وتوسعاتها، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة عين شمس، ٢٠٠١م، ص: ٢٩٢.

(٢) ثريا فاروقي: الدولة العثمانية والعالم المحيط بها، ت: حاتم الطحاوي، دار المدار الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٨م ص: ٩٢.

العثمانية والصّفوية للاستحواذ على المنطقة، وغدا ذلك الصّراع سبباً رئيسياً في تفجير المواقف، وخاصّة أن امتداد السّيطرة الصّفوية على العراق يعني تهديداً لمنطقة الشرق العربي دوليّة، إذ أن تسلل صفوي بدأ يسرى في الأراضي ممتلكاتهم، ثم عقدوا حلفاً سياسياً مع العثمانيين ضد الصّفيين عام ١٥١٣م^(١).

وكانت موقعة جالديران ١٥١٤م هي الشرارة الأولى لحروب طاحنة بين الصّفيين والعثمانيين، ورغم كل ما يتخلّل هذه للحروب من اتفاقيات ومعاهدات سلام، لم يتم بينهما سلام حقيقي، وظل كل طرف يتربص بالآخر، وما أجمل قول السلطان سليم الأول الذي ينطبق على كل عصر وخاصّة عصرنا الحاضر عندما قال: "إنّ العالم المسيحي ما انكف يتربص بنا وإن كان الآن مختبئاً فهو يراقبنا من ثقب الباب متحيناً الفرصة للانقضاض علينا، ولا ندري أي خطر يحيق بنا لو انقسم النّاس إلى مذاهب في هذه الفترة الحرجة، ومن المؤسف أن تجمع القبائل التّركية أموالها ومتاعها وتذهب بها حاجة إلى هذا الملعون وكأنّهم ذاهبون إلى مكّة والمدينة، فلقد أراق هذا الملعون دم أهل السّنة، واستحل أموالهم وسبا نسائهم، ومع ذلك تعتبر هذه القبائل مكانه كعبة بل وصل الأمر بهم إلى درجة السّجود كلما ذكر اسمه"^(٢).

وكان الجيش العثماني قد دخل مدينة تبريز ١٥١٤م فسر بذلك أهلها واستقبلوه استقبال الفاتحين إذ كان غالبيتهم من السنة الذين تظاهروا بالتشيع خوفاً من الشّاه إسماعيل، وكانت هذه الحرب سبباً من الأسباب التي دفعت السلطان سليم لفتح الشام ومصر بعد أن تبين له مساعدة المماليك للصّفيين، وصادر السلطان سليم مرسوماً بمنع الاتجار بالبضائع الفارسيّة أو السّماح بمرورها، فأخذ الشاه إسماعيل يبحث عن حلفاء له ضد العثمانيين، وكان على استعداداً لأن يتحالف مع البرتغاليين أشد القوى خطراً على العالم الإسلامي آنذاك^(٣).

(١) محمد عبد العزيز عمر: المرجع السابق، ص: ٢٩٣.

(٢) محمد عبد اللطيف هريدي: الحروب العثمانية الفارسية، دار الصحوة، القاهرة، ١٩٨٧ م، ص: ٥٢.

(٣) عباس صباغ: تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية، دار النفائس، بيروت، ١٩٩٩م، ص: ١٣٥.

وقد عرف عهد السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠-١٥٦٦م) بالعصر الذهبي للدولة العثمانية، ولا أكون مبالغاً لو وصفت عصره بعصر الفتوحات، حيث وصلت الجيوش الإسلامية إلى قلب أوروبا، مع أنّ الطريق إليها أصبح أكثر وعورة ممّا سبق، إذ زادت حدّة الصّراعات مع القوى الأوروبية وزادت في تحديها للدولة العثمانية، حيث فتحت ميادين جديدة للصّراع مع المسلمين وخاصّة بعد التفاف البرتغاليين حول الجزيرة العربية.

وعندما كان السلطان سليمان القانوني يحاصر في وصار قاب قوسين أو أدنى من فتحه، وصلت له أنباء من الشرق جعلته يعود إلى إستانبول فقد عادت نذر الخطر الصفوي بالظهور.

■ إثارة الفتن:

عمد الصفويين إلى إثارة الفتن داخل أراضي الدولة العثمانية، بسبب العداء المذهبي بين الجانبين وكما يقول المثل التركي القديم " **إنّما تقتحم القلعة من الدّاخل** " لذلك بدأ الصفويين بنشر الدّعاة يدعون للتشيع مذهباً وللشيخ حيدر ولد الشاه إسماعيل إماماً وكان هدفهم البحث عن أتباع وإثارة الفتن داخل الدولة ومن أهم هذه التمرّدات:

أ- **التمرّد الأول:** وكان تمرّد شيعي قام به باب ذو النون عام ١٥٢٦م عندما كانت الجيوش العثمانية في خنادقها في موهاج بالمجر، وظهر في منطقة يوزغاد من أعمال أضنة، حيث جمع هذا الباب ما بين ٣٠٠٠-٤٠٠٠ تابع وفرض الخراج على المنطقة وقوّيت حركته حتى أنّه استطاع هزيمة بعض القواد العثمانيين الذين توجهوا لقمع حركته، وانتهت فتنة الشيعة هذه بهزيمة البابا وإرسال رأسه إلى استانبول.

ب- **التمرّد الثاني:** كان أشد الفتن خطراً وتهديداً لأمن الدولة وقد أشعلها الشيخ البكتاشي العلوي إسكندر قلندر جلبي، في منطقة كونية ومرعش، والتف حوله مايربو على ٣٠ ألف، وقاموا بقتل المسلمين السنة

في هاتين المنطقتين، وكان شعار قلندر جلبلي " من قتل مسلماً سُنيّاً واعتدى على امرأة سُنية يكون قد حاز أكبر الثواب" وأعملوا السلب والنهب في أرجاء الأناضول، ورغم كثرة الحملات التي جردها الولاة عليه لم تخمد الفتنة، فاستتجد الولاة بالعاصمة فخرج الصدر الأعظم إبراهيم باشا على رأس حملة كبيرة ولم يستطع التغلب على قوات قلندر جلبلي إلا بالحيلة فقد استمال بعض رجال قلندر جلبلي فهزمت قواته وقتل وبذلك أخمدت الفتنة سنة ١٥٢٩م.

ت- التمرد الثالث: كان في العراق، فعلى الرغم من خضوع البصرة للدولة العثمانية إلا أنه كان خضوعاً قلقاً وغير مستقر، وذلك لوجود تركيبات عشائرية متعددة، لذلك فقد قام ابن عليان " شيخ قبيلة طي" بتمرد على الدولة، ولم تستطع القوات العثمانية السيطرة على المنطقة إلا بعد أن فرضت حصاراً اقتصادياً عليه، ولعب الصفويين دوراً كبيراً في دعم ابن عليان عن طريق الأمير المشعشي السيد مبارك نائب الصفويين على الأهواز لتحقيق هدفهم في ضم البصرة إلى الممتلكات الصفوية^(١).

ومما لاشك فيه أنّ هذه الفتن قد يكون لها أسباب داخلية أشعلت نارها، لكن التوقيت واتفاق كل الزعامات العلوية في وقت واحد يلقي بظلال صفوية على هذه الأحداث ولاسيماً أنّ الحرب قامت بين الدولتين في أعقاب هذه الفتن مباشرة.

■ سياسة اللجوء:

ظلت قصة الهروب من طرف واللجوء إلى الطرف الآخر من الأسباب التقليدية لتردي الأوضاع بين البلدين طوال تاريخ الصراع بينهما:

(١) على محمد الصلابي: الدولة العثمانية، مؤسسة أقرأ، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص: ١٨٠.

١- وبدأت مع لجوء علامة خان أحد أمراء إيران إلى الدولة العثمانية، ولجوء شرف خان الوالي العثماني على تبليس إلى إيران، فما كان من العثمانيين غلا أن عينوا الأمير الإيراني على تبليس بعد هروب واليه^(١).^(٧)

٢- لجوء القاص ميرزا ابن إسماعيل الأول إلى البلاط العثماني :

وكان القاص ميرزا حاكم على شيروان ولم يكن على وفاق مع أخيه الشاه طهماسب ، لذلك أعلن استقلاله فيها ، فأعد طهماسب حملة للقضاء على التمرّد لكن القاص ميرزا استطاع أن يمتص نعمة أخيه حين أرسل أمه وابنه يستعطفانه لثنيه عن الصدام معه ، لكنّه عاد إلى تمرّده وصك النقود باسمه وخطب لنفسه على المنابر، وفعلاً أعدّ الشاه حملةً جعلت القاص ميرزا يفر إلى الدولة العثمانية فأكرمه السلطان ووعدته بمهاجمة إيران حين تحين الفرصة، وفعلاً أعدّ السلطان حملة وهاجم تبريز ودخلها ودفع ميرزا إلى عمق الأراضي الإيرانية، لكن السلطان لمس تغير القاص ميرزا ضده فأرسل جيشاً باغته واصطدم معه في معركة جعلته يهيم على وجهه في البلاد فوقع أسيراً بيد مجموعة من القزلباش ساقوه إلى أخيه الذي أمر بحبسه^(٢).

٣- لجوء بيازيد ابن السلطان سليمان على البلاط الصفوي :

بعد إصدار السلطان سليمان مرسوماً عام ١٥٥٩م يقضي بتولي بيازيد خان حكومة قونية وكان في أماسية، وأن يتولى سليم خان حكومة أماسية وكان في قونية، ولكن ذلك لم يوافق هوى بيازيد فهاجم أخاه واشتبك معه في حرب انتهت بهزيمة به وأراد أن يستخدمه في الحصول على مكاسب من العثمانيين، فطلب من السلطان سليمان تسليمه حكومة بغداد في المقابل لكن السلطان رفض طلبه، ثم طلب النجف وكربلاء، ثم طلب تعديل صلح أماسيا أو إجراء صلح جديد، لكن كل هذه الطلبات قوبلت بالرفض.

(١) خليل أيناالجك: الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ت: محمد الارناؤوط، دار المدار الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٢م، ص: ٦٢.

(٢) Percy Sykes: history of Persia: London: 1993; p16

وفي سنة ١٥٦١م وصل إلى قزوين وفد عثماني رفيع المستوى، وقدم رئيسه للشاه رسالة طلب فيها تسليم بيازيد مقابل بقاء صلح أماسيا على ما عليه من احترام، وكذلك سيتم هدم قلعة قارص بمقتضى طلب الشاه، وإلا سيقع الطرفان في خطر عندها فأمر الشاه بإطلاق سراح بيازيد وأولاده الأربعة، فتسلمهم مندوب السلطان وقتلهم على مقربة من قزوين ثم حملت جثثهم إلى سيونس^(١).

■ الحروب المباشرة:

لم تتجاوز الفاصلة الزمنية أربع سنوات بين موت السلطان سليم الأول ١٥٢٠م وموت الشاه إسماعيل الصفوي ١٥٢٤م، فأغتنم الشاه إسماعيل فرصة موت السلطان سليم واستولى على كرجستان^(٢). وجرت العادة أن يهنئ حكام المسلمين بعضهم عند تولي الحكم، ولكن الشاه إسماعيل لم يهنئ سليمان بتوليته الحكم، وكان ذلك إعلان من الشاه عن عدم الصفاء بين الدولتين، ثم تطور هذا الشعور إلى توتر بعد إرسال الشاه وقد يتكون من ٥٠٠ شخص للتهنئة بفتح رودس عام ١٥٢٣م ولم يسمح السلطان إلا بدخول ٢٠ منهم واحتجز الباقين في اسكدار.

وبعد موت الشاه إسماعيل أخذت المشاكل تدب على الحدود، ومن أسبابها البعيدة أن الشاه طهماسب (١٥٢٤-١٥٧٦م) تسلم الحكم ولم يكن قد تجاوز من العمر ١١ سنة، الأمر الذي جعل إيران الفعلي بيد العثمانيين، إلا أنهم وجدوا الظروف مناسبة سنة ١٥٢٩م إبان انشغال السلطان سليمان في حصار فيينا، فأعدوا قوة هاجمت تبريز وجعلت من أولمه تكة خان الذي كان حاكماً عليها يلوذ باستانبول، وأبان سفره وقعت خلافات بينه وبين شرف خان حاكم بدليس، أدى بالنتيجة إلى تغيير السلطان تجاه شرف خان، فأصدر أوامره القاضية بتولي أولمه تكة خان على حكومة بدليس، فأعلن شرف خان عصيانه ضد الدولة وأنضم إلى الطرف الصفوي، فأعدت الدولة العثمانية حملة بقيادة الصدر

(١) عباس صباغ: المرجع السابق، ص: ١٧٩ - ١٨٠.

(٢) عباس صباغ: المرجع السابق، ص: ١٣٥.

الأعظم إبراهيم باشا وبرفقة أولمه تكة خان لإعادة الأمور إلى ما كانت عليه، فسارت الحملة سنة ١٥٣٣م إلى قونية ومنها غادرت إلى حلب حيث أمضت الشتاء فيها^(١)، وفي السنة التالية تابع الجيش العثماني سيره إلى ديار بكر ومنها إلى وان وفتحت القلاع المحيطة بها لاعتبارها البوابة التي تؤدي إلى خوي ومن خوي أندفع الجيش إلى تبريز فدخلها دون حرب .

وكان السلطان في نفس الوقت أعدّ حملة مخترقاً المحور الشمالي (استانبول - قونية - قيصريّة - سيوئس - أرض روم)؛ وذلك كسباً للوقت ووصل تبريز بعد أن انضم إليه بعض قوات القزلباش ومنهم (محمد خان ذو القدر وحسين سلطان تلك)^(٢) وكان عدد قوات السلطان ١٣٠ ألف مقاتل وبعدها أخذ يعد العدة للدخول إلى بغداد^(٣) .

فتح العراق:

بعد وفاة الشاه إسماعيل طمع في حكم بغداد ذو الإفكار نائب الشاه فيها، ولكي يتّقي الصدام مع القوات الصفوية وضع نفسه تحت الحماية العثمانية، ودعا للسلطان على المنابر وصك النقود باسمه، ولمّا كانت الدولة العثمانية مشغولة في أوروبا، تمكّن الصفويين من استرجاع بغداد سنة ١٥٣٠م، إلّا أن الخيانة نجحت حين فشل السلاح حيث فر ذو الفقار ولاذ بالبلاط العثماني، وهكذا توجه السلطان سليمان بعد دخوله تبريز إلى بغداد ومزّ بزن جان والسليمانية، لكن الجيش عانى كثيراً بسبب البرد القارس والممرات الجبلية غير المطروقة، ولمّا علم والي بغداد بقدم الجيش فرّ هارباً لكن ألقى القبض عليه وقتلوه ١٥٣٤م^(٤)، ودخل العثمانيون بغداد دون مقاومة وقد قاد كبار رجال السنة الشعب في ثورة قضت

(١) القزلباش: (أحمر الرأس لقب أطلق على مريدي الحركة الصفوية وكان لهم شعار رأس على شكل قلنسوة حمراء تلف حول العمامة تيمناً بلائمة ألأثني عشر).

(٢) رزق الله منقر يوش الصدقي: تاريخ دول الإسلام، مطبعة الهلال، القاهرة، ١٩٠٨ م، ج ٣، ص: ١٧٧.

(٣) بديع جمعة وأحمد الخولي: تاريخ الصفويين وحضارتهم، دار الرائد العربي، القاهرة، د.ت، ص: ١١٦-١١٧.

(٤) أحمد أق كوندز وسعيد اوزتورك: الدولة العثمانية المجهولة، وقف البحوث العثمانية، استانبول، ٢٠٠٨ م، ص: ٢٣٧.

على الجند الفرس والزعماء الشيعة الذين كانوا يضطهدونهم^(١)، وبعد دخول سليمان بغداد زار ضريح الشيخ عبد القادر الكيلان وقبة الإمام موسى الكاظم ومحمد التقي، ثم أوقف بعض الأراضي للمساجد السنية والشيعة على السواء . وأمر بإعادة بناء قبر أبي حنيفة الذي هدمه الصفويين ودنسوه^(٢) ثم زار العتبات المقدسة في كربلاء والنجف^(٣) وفي هذه الأثناء قدم راشد بن غامس شيخ قبيلة المتفق وحاكم البصرة الولاء للسلطان سليمان^(٤)، وفي الفترة التي قضاها السلطان سليمان في العراق اعترفت له بالتبعية كافة الإمارات الكردية^(٥).

ولقد كان لضم العراق إلى الدولة العثمانية أثر كبير على الصفويين من عدة نواحي:

١- من الناحية الإستراتيجية أصبح للعثمانيين قاعدة بحرية متقدمة في البصرة مكنتهم من توجيه ضربات موجبة للأسطول البرتغالي، بحيث قاوموا نفوذه في منطقة الخليج العربي، وبفضل هذه القاعدة جاء الأسطول العثماني بعد تطهير سواحل اليمن من الوجود البرتغالي من اليمن إلى بغداد في عام ١٩٤٥م، واستطاع ببري رئيس أن يصل بأسطوله إلى سواحل الهند عام ١٩٥٩م ولم ينفك أسطول رئيس علي على قطع المسافة بين البصرة والسويس جيئةً وذهاباً حتى تلاشى نفوذ الأساطيل الأجنبية في المياه الإسلامية.

٢- الإضرار بمصالح الصفويين ومنعهم من التحالف مع القوى الصليبية رغم سعيهم الدائم لهذا التحالف.

(٢) أحمد فؤاد متولي: تاريخ الدولة العثمانية، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص: ٢٤٨.

(٣) إسماعيل أحمد ياغي: الدولة العثمانية في التاريخ الحديث، مكتبة العبيكان، الرياض، د. ت، ص: ٦٥.

(٤) ستيفن هيمسليونكريك: أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٦٨، ص: ٣١.

(٥) عباس العزاوي: تاريخ العراق بين إحتلالين، بغداد، ١٩٤٩ م، ص ٢٩.

(٦) عبد الكريم رافق: المشرق العربي في العهد العثماني، منشورات جامعة دمشق، ٢٠٠٣ م، ص ٥٢.

ومنها (الإمارة الاردلانية في شهر زور والصورانية في راندوز والبابانية في السليمانية والبهادينية في العمادية وحاكم صمصون في أرمينية وحاكم درتنك وماهي دشت وكوركك في جبل الجودي وحاكم لامرك وألباق وحاكم حصن كيفا وحاكم الزرقية في ترجيل وحاكم أكيل وباكو وخيزان وكلس واسبايردووميافارقين وخون جوك)

٣- أصيبت أمال الصّفويين في الرّعاة الإسلاميّة في مقتل بضم العثمانيّين العراق حيث توجد عتباتهم المقدسة^(١).

٤- أبعد تثبيت السلطنة العثمانيّة في العراق شبح السيطرة الصّفوية عن البصرة وشرق شبه الجزيرة العربيّة، لكن الخطر الآتي من جانب البرتغاليين المنتشرين في الخليج العربي أجبر حُكّام المنطقة على عدم التّساهل أو التّباطؤ في تقوية ارتباطهم بالعثمانيّين^(٢).

■ الحرب الثانية ٩٥٥-٩٥٦ هـ / ١٥٤٨-١٥٤٩ م:

في أعقاب لجوء القاص ميرزا إلى العثمانيّين سنة ١٥٤٧م، وجد السّلطان سليمان أنّ الفرصة مواتية لإعادة نفوذه على أذربيجان التي أستردها الشّاه طهماسب لاعتبارات اقتصادية وسياسية؛ لأنّها تمثل قاعدة الدّولة منذ زمن التّأسيس، أمّا السّلطان سليمان فقد رأى في تبريز أبرز النّقاط الإستراتيجيّة على طريق الحرير، ورأى في شيروان بُعداً استراتيجياً آخر يمكنه من وصل منطقة القوقاز بكل مرارتها ومسالكها بأرض الرّوم، عدا أنّ شيروان إحدى المناطق المهمّة بإنتاج الحرير وبالفعل سار السّلطان وبصحبه القاص ميرزا على المحور الشّمالي لأنّه الأقرب إلى أذربيجان والأكثر جدوى لمرور الإمدادات من البحر الأسود، وحين سمع الشّاه بخير الحملة أحرق كل ما يمت بالحياة بصلة في الطّريق التي سيسلكها خصمه، وغادر تبريز فدخلها السّلطان سليمان دون حرب^(٣).

(١) إبراهيم بك حليم: تاريخ الدولة العثمانية العليا، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ص: ٨٩.

(٢) محمد عبد العزيز عمر: المرجع السابق، ص: ٢٩٨.

(٣) أحمد الخولي: الدولة الصفوية، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨١ م، ص: ١٢٥.

وتمّ تغيير العاصمة الصّفوية من تبريز إلى قزوين لحماية كرسي الشّاه من الضياع، وكان دخول كرجستان لأول مرة في دائرة الصّراع العثماني الصّفوي لمل تمثله من بعد اقتصادي وسياسي واستراتيجي للدولة الصّفوية^(١).

■ الحملة الثالثة: ٩٦٠ - ٩٦٢ هـ / ١٥٥٣ - ١٥٥٥ م:

جمع الشّاه طهماسب جيشه سنة ١٥٥٣م واتّجه نحو أرض الروم لأهمّية هذه المنطقة بالنّسبة لهم في الوقت الذي كان فيه السّلطان سليمان يزحف باتجاه الشرق عبر ديار بكر وتسمّى هذه الحملة (نهجوان)، وقرّر السّلطان قضاء الشتاء في حلب التي يحبها كما فعل من سنوات حيث بقي خمسة شهور^(٢)، وبعد ذلك استرد أرض روم بصعوبة بالغة، وأسر سنان باشا من قبل الصّفويين، ممّا حدا بالسّلطان سليمان إلى قبول معاهدة الصّلح بين الجانبين التي تم بموجبها اقتسام مناطق الأطراف.

■ صلح أماسيا ٩٦٢ هـ / ١٥٥٥ م:

بدأت بوادر الصّلح بين الطّرفين بعد قيام الجيش العثماني بثلاث حملات ذكرتها سابقاً ويمكن الاستنتاج من الرّسائل المتبادلة أنّ الجانب الإيراني كان يطمح في الحصول على المراكز الإستراتيجية في شرق الأناضول مثل (قارص وديار بكر وأرض روم) لكن العثمانيين كانوا على دراية بنواياهم ولم يدعوا لهم فرصة لتحقيق مأربهم، كما كان يهم الجانب العثماني ألا يسبب الخلفاء الراشدون الثلاثة في إيران وأنّ مدح سيدنا على - رضي الله عنه - لا يعني ذم الآخرين.

وكان لكل من الطّرفين دوافعه لإتمام الصّلح فالسّلطان سليمان حقّق أهدافه في حسم الموقف والتّفرّغ للفتوحات في أوروبا، وتحقيق رخاء المسلمين وحماية أوقاف الحرمين الشريين وحفظ أماناتهما.

(٢) كارول بروكمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ت: نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٥، م، ص: ٤٩١.

(٣) يلماز أوزوتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ت: عدنان محمود سلمان، استانبول، ١٩٨٨، م، المجلد الأول، ص: ٣٤٧.

أما الشّاه طهماسب فقد بات لزاماً عليه أن يتفرّغ لحل مشكلاته الداخليّة وتأمين سلامة أراضيّه من الاوزبك. ووقعت المعاهدة في بلدة أماسيا في عام ٩٦٢هـ / ١٥٥٥م وبموجب هذه المعاهدة:

١- تكون ولايات أذربيجان الشّرقية وأرمينية الشّرقية كرجستان الشّرقية تحت تصرف الصّفويين ، وتكون ولايات أرمينية الغربية وكرجستان الغربية والعراق تحت تصرف الدّولة لعثمانية، وتكون قارص حداً فصلاً بين الدّولتين.

٢- يُسمَح للحجاج الإيرانيين الذّهاب إلى مكّة لأداء فريضة الحج وزيارة العتبات المقدّسة في العراق وتأمين سلامتهم.

٣- تستأنف عمليات الاتفاق بشأن الحدود بمنطقة شهر زور التي طالّت المنازعات عليها.

٤- يعمل الطّرفان على عدم إيواء كل من رجال الدّولتين أو أفراد البيوت المالكة، وفي حال لجوئهم يعمل الطّرف الآخر على تسليمهم إلى حكومات بلادهم^(١).

وهكذا ساد هدوء طيلة خمس وعشرين عاماً وقع خلالها بعض الأحداث التي كادت تعصف بهذا السلام، ومنها هروب بيازيد ابن السّليمان سليمان إلى إيران، ومطالب طهماسب بشأن العتبات المقدّسة وتسهيل وصول النّذور والصّدقات إليها وإلى المدينة النّبويّة^(٢).

وفي الواقع بقدر ما كان السّلام هشاً فإنّ مواضع النّزاع من الكثرة بحيث يمكن لأي من الطرفين أن يتذرع بها وكان أهمّها النّزاع بين عشائر الحدود وأمرائها وخاصّة في منطقة كردستان وبين قبائل البدو حول البصرة.

وقد نتج عن هذا الصّراع:

(١) عباس صباغ: المرجع السابق، ص: ١٨١ - ١٨٢.

(٢) جمال عبد الهادي محمد مسعود وآخرون: أخطاء يجب أن تصحح في تاريخ الدولة العثمانية، دار الوفاء، المنصورة،

١٩٩٥، ج ٢، ص: ٨٢.

١- سيطرة المذهب السني في شرق أسيا الصغرى بعد أن قضى على أتباع الدولة الصفوية في تلك المناطق.

٢- استنفاد البرتغاليون من صراع الصفويين مع العثمانيين وحاولوا أن يفرضوا على البحار الشرقية حصاراً عاماً على كل الطرق بين الشرق والغرب.

٣- دخول السرور على الأوروبيين بسبب تلك الحروب، وعمل الأوروبيين على الوقوف إلى جانب الدولة الصفوية لإرباك العثمانيين حتى لا يستطيعون متابعة زحفهم إلى أوروبا.

٤- تأثر الطرق التجارية التي تمر بالبلدين بالحرب فانخفض التبادل التجاري بشكل كبير.

ومع استمرار هذا الموقف أخذ شرق العالم الإسلامي ينفصل عن غربه؛ لوجود الدولة الصفوية في وسطه نسبياً، الأمر الذي قلّل تفاعل الشعوب الإسلامية مع بعضها البعض، وقد انعكست العلاقة سلباً على المشرق العربي، وخاصة العراق الذي تمركز الصراع فيه؛ لاعتبارات إستراتيجية كونه عقدة مواصلاتية علاوة على ما يشتمل عليه من عتبات مقدّسة لدى أتباع الدولة الصفوية الشيعة في كربلاء والنجف وسامراء، بالإضافة أن بغداد تمثل بعداً اعتبارياً للسلطين العثمانيين كونها كانت عاصمة الدولة العباسية.

وتم لعدم اقتناع الطرفين بالحدود الفاصلة بينهما وفي العراق بالذات إلى ما بعد هذه الفترة حتى يمكن أن تكون الحرب الأخيرة بين العراق وإيران ١٩٨٠-١٩٨٨م تتعلق في إحدى جوانبها بالقضايا الحدودية العالقة حتى الآن.

وهكذا يبدو أن السلطان سليمان قصد بحربه للفرس أن تكون حرب وقائية ليمنع انتعاش ملكية عسكرية قوية في فارس^(١).

(١) محمد عبد العزيز عمر: المرجع السابق، ص: ٢٩٢.

خاتمة

وفي نهاية المطاف كان للعلاقات العثمانية الصفوية مساوئ انعكست على العالم الإسلامي عموماً وعلى المشرق العربي خصوصاً، إذ كانت الظروف الدولية المتمثلة بسيطرة القوى الأوروبية على البحار والمحيطات، والتي أدت في النهاية إلى احتكار التجارة الدولية وحرمان سُكَّان المنطقة من لعب دور الوسيط بهذه التجارة، ولقد أخذت الدولتان تتصارعان للسيطرة على الطرق البرية ومناطقها الاستراتيجية كتعويض لما فقدته من امتيازات هذه التجارة، فكان لعدم توحيد القوى ضد القادم الأجنبي ووقوف كل دولة موقفاً عدائياً تجاه الأخرى تمهيداً لأزالتها من الوجود.

وهكذا بدلاً من أن يضع الصفويين أيديهم بيد العثمانيين؛ لحماية الحرمين الشريفين من التهديد البرتغالي وتطهير البحار الإسلامية منهم، وضعوا أنفسهم في خدمة البرتغاليين لطعن الدولة العثمانية من الخلف ورغم انتصار العثمانيين على الصفويين فإن هذه الحروب كانت استنزافاً لجهود العثمانيين وعرقلة لفتوحاتهم في أوروبا.

المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر والمراجع العربية:

- ١- إبراهيم بك حليم: تاريخ الدولة العثمانية العليا، مؤسسة الكتب الثقافية، ١٩٩٩م.
- ٢- أحمد أقي كوندز وسعيد اوزتورك: الدولة العثمانية المجهولة، وقف البحوث العثمانية، استانبول ٢٠٠٨م.
- ٣- أحمد الخولي: الدولة الصفوية، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨١م.
- ٤- أحمد فؤاد متولي: تاريخ الدولة العثمانية، القاهرة، ٢٠٠٢م.
- ٥- إسماعيل أحمد ياغي: الدولة العثمانية في التاريخ الحديث، مكتبة العبيكان، الرياض، د. ت.
- ٦- بديع جمعة وأحمد الخولي: تاريخ الصفويين وحضارتهم، دار الرائد العربي، القاهرة، د. ت.
- ٧- ثريا فاروقي: الدولة العثمانية والعالم المحيط بها، ت: حاتم الطحاوي، دار المدار الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٨م.

- ٨- جمال عبد الهادي محمد مسعود ووفاء محمد رفعت جمعة وعلى أحمد لبن: أخطاء يجب أن تصحح في تاريخ الدولة العثمانية، دار الوفاء، المنصورة، ١٩٩٥م.
- ٩- خليل أيناالجك: الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ت: محمد الارناؤوط، دار المدار الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٨م.
- ١٠- رزق الله منقر يوش الصدفى: تاريخ دول الإسلام، مطبعة الهلال، القاهرة، ١٩٠٨م، ج٣.
- ١١- ستيفن هيمسليونكريك: أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٦٨م.
- ١٢- عباس العزاوي: تاريخ العراق بين إحتلالين، بغداد، ١٩٤٩م.
- ١٣- عباس صباغ: تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية، دار النفائس، بيروت، ١٩٩٩م.
- ١٤- عبد الكريم رافق: المشرق العربي في العهد العثماني، منشورات جامعة دمشق ٢٠٠٣م.
- ١٥- على محمد الصلابي: الدولة العثمانية، مؤسسة أقرأ، القاهرة، ٢٠٠٥م.
- ١٦- كارول بروكمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ت: نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٥م.
- ١٧- محمد عبد العزيز عمر: تاريخ الدولة العثمانية وتوسعاتها، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة عين شمس، ٢٠٠١م.
- ١٨- محمد عبد اللطيف هريدي: الحروب العثمانية الفارسية، دار الصحوة، القاهرة، ١٩٨٧م.
- ١٩- يلمازأورتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ت: عدنان محمود سلمان، استانبول، ١٩٨٨م.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

1-Percy Sykes: History of Persia; London; 1993.

تحديث الواقع السياسي وموقف النخب من النظم الدستورية والبرلمانية

مقارنة بين تركيا والمغرب (ق 19 - 20)

Updating the political reality and the position of elites towards
constitutional and parliamentary systems

Comparison between Türkiye and Morocco (19th-20th century)

د. كباد ولد عبد الرحمن

Dr. Kabad Ould Abdel Rahman

المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، انوكشوط، موريتانيا

Higher Institute of Islamic Studies and Research, Nouakchott, Mauritania

ملخص:

بعد انتشار الأفكار العصرية في أوروبا الحداثة والأنوار والفتوحات التكنولوجية، عن النظم والقوانين التي افترزت الدساتير والبرلمان والصحافة والحريات العامة؛ ما نصيب الباب العالي والمخزن المغربي من الكعكة التي بشرت بها النظم السياسية الحديثة؟ سوف نعالج إرغاصات الواقع السياسي بين تركيا والمغرب، ليعطينا تصورا عاما عن سياق التحديث ومآلاته؛ نجاعته أو إخفاقاته في البلدان المعنية، مستعرضين مختلف المراحل التي مرت بها الدعوة للإصلاح السياسي في تركيا والمغرب، والأدوار التي لعبتها الجمعيات في نشر الوعي السياسي، والمطالبة بالدساتير والبرلمان وفتح المجال أمام العامة لممارسة الفعل الإيجابي بمختلف تجلياته. وسوف نتوسل المنهج المقارن لمقاربة الموضوع أكثر.

كلمات مفتاحية: التحديث _ الحداثة _ النخب العصرية _ النظم السياسية الدستورية والبرلمانية _ الإمبراطورية العثمانية _ الدولة التركية _ المخزن _ الأيالة الشريفة - السببة _ الإصلاح _ الفقهاء الحماية الفرنسية _ المنهج المقارن _ مقاربات.

Abstract

After the spread of modern ideas in Europe, modernity, death and technological advances, about the systems and laws that led to constitutions, parliament, the press, and public freedoms; what is the share of the Ottoman Empire and the Moroccan Makhzen from the cake that was promised by modern political systems?

We will address the political reality between Turkey and Morocco, to give us a general idea about the context of modernization and its outcomes; its success or failure in the countries concerned, reviewing the different stages that the call for political reform in Turkey

and Morocco has gone through, and the roles played by associations in spreading political awareness, demanding constitutions and parliament, and opening the field to the public to exercise positive action, in its various manifestations. And we will use the comparative approach to approach the subject more.

Keywords: Modernization, Modernity, Modern elite, Constitutional and parliamentary political systems, The Ottoman Empire, The Turkish state, The makhzen, The Sharifian state, The siba, The reform, The fuqaha, The French protectorate, The comparative method, The approaches

أسئلة / إشكالات .

بعد انتشار الأفكار العصرية في أوروبا الحداثة والأنوار والفتوحات التكنولوجية، عن النظم والقوانين التي أفرزت الدساتير والبرلمان والصحافة والحريات العامة، هل كان للباب العالي والمخزن المغربي نصيب من الكعكة التي بشرت بها النظم السياسية الحديثة؟ سوف نعالج إرهاصات التحديث السياسي بين تركيا والمغرب، ليعطينا تصورا عاما عن سياق هذا التحديث ومآلاته ؛ نجاحته أو إخفاقاته في البلدان المعنية، مستعرضين مختلف المراحل التي مرت بها الدعوة للإصلاح السياسي في تركيا، بداية من (خط كلخانه) و(خط هو ما يون) إلى (العهد الدستوري) و(دستور الوزير الأعظم)، مقارنة مع المغرب الذي سيعرف تزامنا مع هذه الفترة (النظام والترتيب) ، وظهور (مجلس الأعيان)، ثم نستعرض أزمة الشرعية داخل البلاط السلطاني المخزني من خلال رصد الاحداث التي صاحبت (البيعة المشروطة) ، ودور جمعية الاتحاد والترقي التركية وسميتها المغربية في نشر الوعي السياسي كلا على حدة.

١. الدساتير العثمانية وميلاد الدولة التركية الحديثة.

ظهرت بوادر التيقظ للانحطاط الحاصل في الدولة العثمانية مبكرا نسبيا مقارنة مع المغرب، فلا يكاد ينتهي القرن السابع عشر، حتى بدأت النخب في المركز والايالات تعد العدة لمساءلة الواقع العثماني، بعد التقهقر الذي عرفته البلاد بداية من هذا التاريخ، خاصة في المجال العسكري وهزائمه

المتكررة^١. وبالنسبة للمغرب، فكان عليه انتظار منتصف القرن التاسع عشر، للاحتكاك بالأوروبي ومواجهته عسكريا، في إيسلي سنة 1844، وتطوان سنة 1850، وهي مواجهة لقوة نارية متفوقة تنظيما وتسليحا وتدريباً من جهة، ثم احتكاك بهذا الأوروبي ولو جزئياً عن طريق الرحلات السفارية والقناصل والتجار الأجانب من جهة ثانية، وهو ما سيحفز النخب المحلية للبحث في أسباب التقهقر. ولعل العامل المشترك

الأقوى حضوراً في المسألة بالنسبة لكلا البلدين، هو الصدام المسلح الذي أسفر عن هزائم قوية للدولتين المسلمتين، عسكرياً وحضارياً^٢.

تتقاطع حالة المغرب مع أوضاع الدولة العثمانية في بعض المقدمات، وتختلف في بعض النتائج، فالجميع قد عرف الضغوط الأجنبية بالتلميح الدبلوماسي تارة، وبالحرب الاقتصادية والعسكرية تارة أخرى، أما على المستوى الداخلي فإن الدولتين ستعرف أن نفس الانشغالات بقضايا الوافد الفكري والتقني في سبيل التموّج منه، بعد أن تعرضت للإخفاقات الدبلوماسية والاقتصادية والعسكرية، وهي عوامل ساهمت في تيقظ بعض النخب المحلية وجعلتها في مواجهة سؤال الحداثة والتحديث^٣.

^١ - الخامس محمد بيرم؛ صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار، (المجلد الرابع : الأقطار الإسلامية). " وقعة نافارين ببحر الخزر وحرقت الأساطيل العثمانية "، ص. ١٦٣١.

^٢ - راجع بشأن المغرب، المكاوي أحمد؛ النظام، الجهاد والهجرة في مغرب القرن التاسع عشر، الناشر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة شعيب الدكالي، الجديدة، طبعة 2015، " فشل الاستطهار بالقوة"، ص. 15. وبالنسبة لتركيا، يمكن الرجوع إلى دراويل جمال الدين؛ النخبة والحرية، تونس في الثلث الأول من القرن العشرين، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، الطبعة الأولى، 2011، "التنظيمات العثمانية.."، ص. ١١٠.

^٣ - اينالجيك خليل؛ تاريخ الدولة العثمانية، من النشوء إلى الانحدار، ترجمة محمد الأرنؤوط، دار المدار الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢، الفصل السادس: "انحدار الدولة العثمانية"، ص. ٦٧، والفصل الثامن عشر: "انتصار التعصب"، ص. ٢٧١، وأنظر بشأن المغرب، المكاوي؛ النظام.. مرجع سابق، "فشل الاستطهار بالقوة"، ص.

بعد أن خمدت جذوة التنظيمات العثمانية كما عكستها "التنظيمات الخيرية والأوراق السلطانية الدستورية"، مؤذنة بمرحلة الانتقال "من الدولة السلطانية إلى الدولة العلمانية" ^١ أو بعبارة أخرى: "من العثمنة إلى العلمنة" ^٢، بعد صمود الأفكار والنظم القديمة للدولة العلية لمدة غير قصيرة، فبعد هزائم القرنين السابع عشر والثامن عشر، إلى جانب مؤثرات أخرى إقليمية ودولية، ظهرت دعوات إصلاحية من داخل الدولة وخارجها منادية بالتحديث السياسي والدستوري، وقد رد الباب العالي بالإيجاب على مجمل تلك الدعوات وعلى فترات وبتدرج. وهناك سؤال لا بد من طرحه؛ لماذا تقبل النظام السياسي للخلافة العثمانية مسألة تحديث مؤسساته المختلفة ورفضت دول أخرى على شاكلته هذا التصرف؟

ففي الفترة الأولى الممتدة من 1839_1856، أصدرت الدولة "خط كلخانة" استجابة للضغط الأجنبي، وحاجة البلاد للإصلاح، وقد جاء فيه: "[...] ومدار القوانين المشار إليها على وجوب حفظ النفس والعرض والمال [...]"] ^٣ وتشير الفقرات الموالية إلى مبررات كتابة الخط /الدستور والأهداف التي يتوخى تحقيقها، مثل تحسين الاقتصاد وبناء القوة العسكرية ^٤ وتفعيل أحكام القضاء بشأن مرتكبي الجرائم

١ - الاقتباس من التيمومي الهادي؛ تونس والتحديث (1831-1877)، أول دستور في العالم الإسلامي ، دار محمد علي للنشر، تونس، الطبعة الأولى 2011، الفصل الثاني: "التحديث العسكري والصناعي"، ص. ص. 71، 69. والتعبير الثاني في الخامس، مصدر سابق، ص. 1638.

٢ - الاقتباس من عنوان الجميل سيار؛ العرب والأترك، الانبعاث والتحديث، من العثمنة إلى العلمنة، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، 1997.

٣ - الخامس، مصدر سابق، المجلد الرابع: الأقطار الإسلامية، "فرمان خط شريف كلخانة .."، الصادر في ٤ نوفمبر 1839، ص. 1632، والفقرة المحال عليها في الصفحة 1633.

٤ - نفسه.

المالية، مواطنين أم أجنب^١، ثم استعرض القوانين الجزرية التي أعدت للمخيلين بالقانون والعابثين بالدستور^٢.

وإعلان من داخل الخط / الدستور أنه سيوزع على السفراء الأجانب^٣، لكن أزمات الأقاليم العثمانية أدت إلى فرض الدولة ما يشبه حالة الطواري، والتخلي عن أول مشروع دستوري بحجة الحفاظ على هيبتها، الشيء الذي فاجأ الدول الأوروبية التي تنتظر إلى رعاياها من زاوية تطبيق الباب العالي للمعاهدات والنظم الواردة في المشروع المذكور من عدم ذلك، وبتدخل هذه الدول أعاد السلطان العثماني مرة أخرى العمل بمقتضى القوانين السابقة، مضيفا لها بعض التحسينات في مشروع " خط هومايون" ١٨٥٦^٤ الذي يذكرنا باتفاقية مبرمة في نفس الفترة بين المغرب وانجلترا؛ كلاهما يستهدف المزيد من الامتيازات الاقتصادية والتجارية والتشريعية لصالح الأجانب دون تمييز بينهم والمواطنين في الحالة العثمانية^٥، وبصلاحيات واسعة تمل بالتوازنات الاقتصادية في حالة المغرب^٦.

وكانت الفترة الثانية 1876_1908، أكثر نضوجا سياسيا من سابقتها على ما يبدو، فقد أسفرت جدالات النخبة في الإمبراطورية مترامية الأصقاع عن دعوة لإنشاء دستور يضمن مكاسب في المجال

١ - نفسه ، ص. ١٦٣٣.

٢ - نفسه ، ص. ١٦٣٥.

٣ - "[..] وجب أن تنتشر هذه الأوراق السلطانية إلى سفراء الدول المتحابة المقيمين بالاستانة العلية[..]"، الخامس ، مصدر سابق ، ص. ١٦٣٥.

٤ - دراويل، مرجع سابق ، ص. ١١١.

٥ - نفسه.

٦ - كباد ولد عبد الرحمن؛ الخطاب الإصلاحى في المغرب، موقف النخبة المغربية من الحداثة الغربية: 1844_1912، أطروحة دكتوراه في التاريخ تحت النشر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ابن طفيل، القنيطرة، المغرب، 2020-2021، الفصل الخامس: " عراقيل أمام التحديث والحداثة في مغرب ما قبل الحماية الفرنسية"، ص. 168، وتحديدا موضوع " الأزمة الدبلوماسية بين المغرب والدول الكبرى "، ص. 176.

السياسي على وجه الخصوص؛ مثل تحديث هياكل الدولة العلية المتقدمة التي لم تعد تسير الركب العالمي، ومن قوانين دستورية تسمح تدريجيا بالديمقراطية والحريات العامة على النمط الأوروبي، وعرفت هذه الفترة بـ "العهد الدستوري الأول" ^١، وهي الفترة التي افتتحت بالمطالب ما قبل الدستورية ^٢ واختتمت بظهور دستور الوزير الأعظم مدحت باشا، الذي هو منصب يعادل رتبة الوزير الأول أو رئيس الحكومة حسب النظم السياسية الراهنة، دستور مقتبس من أوروبا الغربية ذات النهج الليبرالي العلماني، ولكنه كسوابقه لم يصطدم بالثوابت الإسلامية، وبدلاً من ذلك فقد حد من تغول السلطة ومنح الحرية الشخصية، حيث أتاح العديد من الحريات العامة والشخصية وفي مجالات الحياة المختلفة ^٣، ومنح صلاحيات واسعة لـ "الأعيان" و"المبعوثان" ^٤. وبالمقارنة مع المغرب، فإن بداية هذه الفترة والتي تشير إلى عهد السلطان مولاي الحسن الأول، ستعرف انتشاراً طفيفاً للمطبوعات التراثية، ووفرة في النسخ والنساخين ^٥، أما ختامها، فإن البلاد شهدت بالفعل ظهور عدة دساتير متباينة في الطرح والأهداف والمرامي، وقد تناولناها في أطروحة جامعية، وسوف نتناول محتوياتها في مقال نخصه للمسألة الدستورية في المغرب ^٦، وإن

١ - دراويل، مرجع سابق، ص. ١١.

٢ - نفسه، ص. ١١٢.

٣ - نفسه.

٤ - نفسه.

٥ - أنظر دخول المطبعة الحجرية والسلكية في المغرب، كباد ولد عبدالرحمن؛ **الخطاب الإصلاحية.. مرجع سابق**، ص. 154، وانظر فترة السلطان مولاي الحسن الأول في **Laroui(A) ; Les Origines Sociales Et Culturelles**

Du Nationalisme Marocain, 1830_1912, Maspero,

٦ - راجع المسألة الدستورية في المغرب ما قبل الحماية، كباد ولد عبدالرحمن، مرجع سابق، ص. 160.

٢٠_٦ رجب - ١٣٢٥، الموافق ١٦/ أغسطس - ١٩٠٨، أنظر حركات، مرجع مذكور، ص. ١١٢.

٢١_دراويل، مرجع سابق، ص. ص. ١١٢-١١٣.

كان أهم حدث وقع في هذه الفترة، هو البيعة المشروطة للسلطان مولاي عبد الحفيظ سنة ١٩٠٨، وستحدث عنها لاحقا^١..

وفي الفترة الثالثة والأخيرة التي مهدت لظهور الدولة المعاصرة :أو الفترة الممتدة من ١٩٠٨- ١٩١٤: حيث تمكنت جمعية الاتحاد والترقي من الفوز بالأغلبية في "مجلس المبعوثان"، أو البرلمان المحلي لتركيا في تلك الفترة، الشيء الذي منحها الحركة والمناورة أكثر، فقامت بتعديل القوانين التي تخول للسلطان حل المجلس، و ألغت تعيين الرئيس ونائبه، ليتم ذلك بالإنخاب فقط، ضمن سلسلة قوانين ساهمت في تقليص صلاحيات السلطان وموظفيه المباشرين، في الطريق لإرساء نظام سياسي عصري يستلهم النهج الأوروبي في الحكم، ونجحت في ذلك بإلغاء الخلافة وطقوسها وأبهتها، وإقامة الجمهورية التركية التي يُنظَّمُها دستور لائكي^٢.

II. المغرب العزيري بمعية الإتحاد والترقي.

١. بين الإتحاد والترقي العثمانية وسميتها المغربية

يرى محمد كنبيب في الإصلاحات العزيرية التي حاولت الدولة المغربية الشروع فيها بداية من سنة ١٩٠٠؛ تغطية على الفشل الذي مني به البرنامج الإصلاحي للحسن الأول واستهدفت الإصلاحات العزيرية Des Réformes Azizistes محاولة تحقيق العدالة من أجل التوازن بين مختلف السكان، يهودا ومسلمين، ومن أجل الحد من التأثيرات الخارجية، كما أن تحقيق هذا المطلب سوف يساهم في الاستقرار الداخلي^٣، وعليه فإن هذه الفترة ستعرف تحولات خطيرة، وإن كان مؤشر التحول الدستوري في

١ - ٦ رجب - ١٣٢٥، الموافق ١٦/ أغسطس - ١٩٠٨، أنظر حركات، مرجع مذكور، ص. ١١٢.

٢ - دراوليل، مرجع سابق، ص. ١١٢-١١٣.

٣ - Kenbib(M) : Juif Et Musulmans Au Maroc, 1859-1948, Contribution à l'Histoire Des Relations Iner-Communautaires En Terre D'Islam. Publication De Le Faculte Des

النظام السلطاني المغربي إيجابيا حيث جاء "إحداث تعديل في عقد البيعة"^١ بمثابة صياغة جديدة للنظام السياسي بعد أن ظلت - هذه البيعة - طيلة تاريخ المغرب شأنا خاصا ب" أهل الحل والعقد"، أي أنها مقتصرة على الفقهاء والعلماء، وكان هذا الإجراء الجريء بفعل ما يشبه " ثورة " اتحد فيها النخبة والعامّة على عزل السلطان مولاي عبد العزيز، وتتصيب سلطان جديد هو مولاي عبد الحفيظ، وفقا لشروط الثوار التي من بينها؛ طرد المحتل من المدن المغربية؛ تصفية الحمايات؛ الأخذ بالمشورة العامة في مجمل القضايا الوطنية؛ إلغاء النظام الجبائي القديم؛ اختيار الأكفاء للمناصب الحكومية؛ احترام التخصص الوظيفي؛ رفض التدخل الأجنبي في الشأن المحلي وتحسين شروط التعليم^٢. وهذه الشروط أو لائحة المطالب، سوف تحد من غلواء السلطة وهيمنتها على التشريع والقرار، مثلما ستدفع المشاريع الدستورية خطوات إلى الأمام.

أشرنا إلى نسبة العزلة الفكرية والثقافية للمغرب، في أطروحة سابقة عن التحديث في هذا البلد ونؤكد هذه النسبية مرة أخرى حين نتحدث عن انتشار الأفكار والتنظيمات بداية القرن العشرين، فقد عرف البلد عن طريق الوافدين الأجانب بعض أفكار الجمعيات الدستورية والإصلاحية التي ظهرت في الايالات العثمانية^٣، وفي دار الخلافة وتحت سمع وبصر الباب العالي ستظهر جمعية الاتحاد والترقي العثمانية،

Lettered Et Des Sciences Humaines,Rabat, Serie : Theses Et Mémoires, no21,1er Ed,1994 , pp. 320- 321 .

^١ - بلقرز عبد الله؛ الخطاب الإصلاحي في المغرب، التكوين والمصادر: 1844-1918، ص. ١٨٤.

^٢ - المودن عبد الرحمن؛ "فكرة الدستور والمغرب، بين الخيال والفعل"، ضمن ندوة انتقال الأفكار والتقنيات في المغرب والعالم المتوسطي، تنسيق عبد الرحيم بنحادة وآخرون، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، سلسلة ندوات ومناظرات، رقم 160، 2008، ص. ص. 231، ٢٣٠. وبلقرز، المرجع السابق، ص. ص. 184، 185.

^٣ - حيمر عبد السلام ؛ المغرب: الإسلام والحداثة، منشورات الزمن، الرباط، الطبعة الثانية، 2014 ، "الفصل السادس : جمعية الاتحاد والترقي"، ص. ٢٢٩.

داعية للمزيد من الإصلاحات السياسية والقانونية، وإطلاق الحريات العامة، وكانت وراء التغير الجذري الذي مس الإمبراطورية العتيقة، وانتقالها إلى طور الدولة / الأمة التركية الحديثة^١. والجدير بالذكر أنه في الوقت الذي بدأت فيه الجمعية تسرب أفكارها إلى مختلف أجهزة السلطنة لتجهز على ما تبقى من شارات الماضي العثماني الإمبراطوري، لإفساح المجال للدولة الوطنية في تركيا الحديثة مع مصطفى كمال أتاتورك، فإن إمبراطورية تقليدية مسلمة تصاقب بعض إيلات العثمانيين، هي المغرب الأقصى ستعرف ظهور جمعية بهذا الاسم، الاتحاد والترقي المغربية بداية من القرن الواحد والعشرين، فهل هي امتداد للجمعية الأولى؟ وماذا تستهدف؟

تحتاج علاقة الإمتداد الأيديولوجي بين الجمعيتين مزيدا من الحفر والتنقيب، وسط ركام من الدراسات التي همت حقبة الدولة العثمانية، وظهور الاستعمار في الإيالات التابعة لها، مثل تونس والجزائر وليبيا ومصر، وبصفة أدق تلك الدراسات المهمة بظهور المشاريع الدستورية في هذه البلدان، والخلفيات الفكرية والفلسفية المؤطرة لكتّابها^٢ وعلى مستوى المغرب، فإن بعض الإشارات المتضاربة ألّحت إلى وجود حضور لجمعية الاتحاد والترقي في نسختها المحلية، قد يكون مسؤولا إلى جانب

١ - كباد ولد عبد الرحمن؛ الخطاب الإصلاحي.. مرجع سابق؛ "المقولات السلفية المغربية والمشرقية الوسيطة والحديثة والمعاصرة"، ص. 49، ودرأويل، مرجع سابق، "العهد الدستوري الثالث: ١٩٠٨-١٩١٤"، ص. ١١٢.

٢ - عديدة هي الدراسات التي تناولت جمعية الاتحاد والترقي، ومنها ساطع الحصري؛ البلاد العربية والدولة العثمانية، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٠، وقد تطرق إلى أدوارها في بروز الدولة الحديثة في تركيا، لكنه لم يشر إلى تأثيرها في الإيالات المغاربية والمغرب الأقصى، أما أدوارها وخلفيات مؤسسيها الفكرية والعقائدية، فإننا نحيل على مؤلف محمد فريد وجدي ذائع الصيت؛ تاريخ الدولة العلية العثمانية، طبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٩٥٤، الجزء الثاني، وكذلك مؤلفه دائرة معارف القرن العشرين، دار المعرفة، بيروت، المجلد السابع المتعلق بالإصلاحات العثمانية، وأخيرا؛ الموسوعة الميسرة في المذاهب والأديان المعاصرة، إشراف مانع ابن حماد الجهني، الناشر، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ: "الجزء الثاني: جمعية الاتحاد والترقي"، ص. ١٠٤٨. وأشارت الموسوعة إلى ارتباط الاتحاد والترقي بالعديد من المنظمات السرية الماسونية وغيرها، محيلة على مراجع أجنبية بلغات مختلفة. ص.ص. ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠.

عناصر فاعلة أخرى - عن التعبئة للحياة الدستورية- التي بدأت بوادرها في عهود السلاطين مولاي عبد العزيز ومولاي عبد الحفيظ^١.

بعد وفاة السلطان القوي مولاي الحسن الأول، وجدت الحكومة المغربية نفسها أمام مآزق جديدة على رأسها المديونية الخارجية، والتي لم يفلح النظام الجبائي المعروف بـ "الترتيب"^٢ في وضع حد لها، وكذا التدخل الأجنبي المكشوف في الشأن المحلي، بواسطة السفراء والقناصل الأجانب، ثم النتائج التي أسفر عنها مؤتمر الجزيرة الخضراء، وهي ضمن العوامل التي كانت وراء خلع السلطان مولاي عبد العزيز، ومبايعة أخيه مولاي عبد الحفيظ، الشيء الذي اعتبره بعض الدارسين، أول ثورة دستورية في مغرب ما قبل الحماية^٣، وقد يكون هذا المناخ من مهد السبيل أمام النقاشات التي جرت آنئذ، بين أنصار السلطان المخلوع وأخيه الذي نصب سلطانا للجهاد، ولا شك أن دور الصحف والشخصيات الوافدة على البلاد، مثل لسان المغرب وعبد الكريم مراد، سوف يثرى نقاش النخبة المحلية وهي تفكر في مآلات الحياة الدستورية القادمة^٤.

٢. لسان المغرب كحلقة وصل بين الجميع

يعزي بعض الدارسين أسباب ظهور الجمعية إلى نتائج السياسات الخاطئة للمخزن إزاء تفاقم الوضع أيام السلطان مولاي عبد العزيز، وإلى النقاشات التي أشرنا إليها سابقا، وقد نشطت في مجال الصحافة والنشر، محاولة بذلك بث فكرة الحرية في السياسة، وهو ما يؤيده مناصرة أعضائها للسلطان

^١ - حيمر، المغرب .. المرجع السابق، ص. ص. ٢٣٢، ٢٣٣.

^٢ - بياض الطيب؛ المخزن والضريبة والاستعمار، ضريبة الترتيب: 1880-1915، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 2011، ص. ١٩١، وانظر في نفس المرجع، تأثير صراع الأطراف الفرنسية والانجليزية بين وزير الخارجية بنسليمان، و وزير الحربية المنبهي، ص، ٢٧٦.

^٣ - بلقزيز، مرجع سابق، ص. ص. ١٨٥، ١٨٩.

^٤ - حيمر، مرجع سابق، ص. ٢٣٢.

مولاي عبد الحفيظ، واعتبرها البعض من وراء إعداد البيعة الحفيظة التي حملت وعودا أهمها أن السيادة للشعب؛ وإمكانية تحقيق النهضة بالوحدة؛ وضرورة المحافظة على الاستقلال..^١

استغلت الجمعية المذكورة مساحة الحرية الممنوحة للصحافة المحلية، فساهمت إلى جانب صحيفة أخرى هي جريدة "لسان المغرب"، في صياغة مذكرة دستور سوف نتناول محتوياته لاحقا، ثم أعقبت ذلك بنشر مقال مطول حول موقفها من أوضاع المغرب ورؤيتها للحل، قبل أن يقوم المخزن بحلها، وإغلاق الجريدة التي نشرت المقال، ولم يشفع لهما وقوفهما مع المخزن الحفيظي، واحتفاء المقال ببيعة الحفيظ وعقد الآمال عليها^٢، فما مصدر الشكوك التي ساورت السلطان لإصدار مثل هذا القرار ؟ وهل كان نشر مقال على شكل نصائح، كافيا لإدانة مستشار للسلطان مولاي عبد العزيز، هو ابن جعفر الكتاني (قيل) إنه من بين محرري وناشري المواد الصحفية التي تشرف عليها الجمعية المذكورة ؟

تناول المقال الذي نشرت "لسان المغرب"، عدة مواضيع تربوية وسياسية وغير ذلك وافتتحته الجمعية بالاحتفاء ببيعة السلطان مولاي عبد الحفيظ، معلنة وقوفها بجانب سياسته، وفي نفس الوقت، راجية منه تحقيق آمالها وآمال الشعب الذي اختاره لقيادة البلاد في التوقيت الصعب، وكانت أولى مطالب الجمعية؛ أن يلبي السلطان رغبتها بفتح المدارس الحديثة، ونشر المعارف غير المتوفرة في المغرب، وأن يكون التعليم في المرحلة الابتدائية إجباريا^٣. ومن الواضح أن مطلبها كهذا ليس ببعيد من رؤية الدساتير التي ظهرت في تلك المرحلة فمعظمها يستفتح بالتعليم وأهميته للنهوض بالشعوب والأمم^٤. أما المطلب

١ - أنظر دعاية الجريدة للسلطان مولاي عبد الحفيظ في حيمر، المرجع السابق، ص. ٢٣٣.

٢ - راجع نص المقال في حيمر، المرجع السابق ، ص. ٢٣٥، وما بعدها.

٣ - حيمر، مرجع سابق، ص. ٢٣٥.

٤ - راجع محتوى هذه المشاريع الدستورية ، كباد ولد عبد الرحمن، مرجع سابق، ص. 162.

الثاني للجمعية فمتعلق بالوظائف الحكومية التي تحتاج "الرجل المناسب في المكان المناسب" ^١، قبل أن تحذر من تواجد غير المخلصين في البلاط السلطاني. ويعترف المقال بعجز الحكومة وتخلفها وانتشار "الجهل والاستبداد" ^٢، لذا فقد طالب باتخاذ الآراء والقرارات الضرورية لضمان سير الدولة على أكمل وجه، وعليه فإن الوسيلة المثلى لاتحاد الكلمة ومواجهة ضعف وتخاذل الحكومة، هي الشروع في كتابة دستور يسمح بالبرلمان في أجواء من الحرية، شأن الدول المتقدمة. فالدول التي سارت على نفس الدرب، وقطعت أشواطاً مهمة مثل اليابان وتركيا، هي دول عرفت بعض الظروف المشابهة للحالة المغربية، فنظامها السياسي وراثي، وقد تعرضت للضغط الأجنبي الديبلوماسي والعسكري، ومن قبل ذلك الحصار البحري ^٣.

III_النخب المغربية والنظم السياسية الحديثة.

لا يخفي بعض نخب مغرب ما قبل الحماية، إعجابه بالنظم الإدارية الأوروبية، وبالذات في فرنسا، لكن الاحتكاك بهذه النظم ومعاينتها مباشرة في بلد جار للمغرب هو ما سيدفع بالنخبة المغربية إلى التفكير في الاقتداء بـ "النموذج الفرنسي الجزائري" ^٤، ثم جاءت تجربة الاصطدام المباشر بالاحتلال الفرنسي للمغرب [..] التي رفعت من درجة إدراك النخبة المغربية لسر من أسرار قوة أوروبا : التنظيم الإداري ^٥. وكان مؤلف "النظام في الإسلام" الذي أطلقنا عليه وسم المثقف تجاوزاً قد خصص العديد من مؤلفاته للنظم السياسية الحديثة التي ظهرت في الغرب المتمدن واستعارتها البلدان التي حذت حذوه، وعلاقتها بنظم الإسلام وموقف الإسلام منها وقد توصل إلى النتيجة التالية: "[..] وهكذا نرى الدول

١ - حيمر، ص ٢٣٥

٢ - الإقتباس من مقال الجريدة في حيمر، المرجع السابق، ص. ٢٣٦.

٣ - حيمر، مرجع سابق، ص. ٢٣٦.

٤ - المنوني محمد ابن عبد الهادي؛ مظاهر يقظة المغرب الحديث، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985، الجزء الثاني،

"مصير المبادرات الإصلاحية"، ص.ص. ١٣٩، ١٤٠.

٥ - بلقزيز، مرجع سابق، ص. ٧٢.

الأوروبية والأمريكية والجابون_ اليابان_ إنما نهضت من سباتها ووصلت إلى ما وصلت إليه، بتنظيم إدارتها واحترام الحقوق وضبط الأموال^١ ويقول عن العدالة والقانون وارتباطهما الجدلي بالنهوض الحضاري؛ "لما نهضت أوروبا نهضتها المعروفة للرقى العصري فأول حجر وضعته في أساس مدنيتهما الزاهرة هو العدل في القوانين بالتسوية في الحقوق[...]"^٢.

أما المصلح محمد ابن عبد القادر الكردودي، فتناول جانباً لا يقل أهمية عن موضوع الحجوي؛ حاجة البلاد الإسلامية للأنظمة البرلمانية وكأنه يضمّر إعجابه بالتعددية السياسية كما الحال في الإمبراطورية العثمانية، وقبلها الدول الغربية التي ذكرها بالإسم، يقول الكردودي بأسلوب فقهاء ذلك الزمن؛ " [...] قلت والروم لعهدنا وكذلك الترك فيما بلغنا قصرنا الشورى على أربعين رجلاً فلا يبرم أمرهم عندهم إلا إن صدر عن رأيهم وإشارتهم وتسمى هذه الجماعة بالكرطي"^٣. هذا الإعجاب بالنظم الإدارية والمالية وبالعدالة والقانون والنظم التشريعية، المعبر عنه بالصراحة والوضوح، هل كان من وراء تلك الدساتير، في مغرب ما قبل الحماية، وهي تعالج "مفاهيم السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية" في العقد الأول من القرن العشرين؟

يدافع الحجوي بحجج الحقوقي وعارضة الفقيه المتمرس عن النظم السياسية الجديدة، دون أن يخفي استيائه من وضعية الحكم المستبد المتفرد بالقرار في البلاد الإسلامية، فيزعم في غير شك أن مصدر

^١ - الحجوي محمد ابن الحسن؛ الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، المكتبة العلمية، إدارة المعارف، الرباط، 1340هـ، ومطبعة البلدية، فاس، 1345، ص. ١٠.

^٢ - نفسه.

^٣ - الكردودي محمد ابن عبد القادر؛ كشف الغمة ببيان أن حرب النظام حق على هذه الأمة، مخطوط الحزانة الحسنية بالرباط، نسخة مصورة ضمن مجموع، بجوزنتا، الورقات ٤٩، ٥١، ٥٢، ٥٣.

^٤ - خمري سعيد؛ روح الدستور : السلطة والشرعية بالمغرب، منشورات دفاتر سياسية، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ٢٠١٢، وتحديداً "الإصلاح في المغرب الحديث"، ص. ٤١، ٤٦.

التراجع لتلك البلاد هو العبث بنظام الشورى، ذلك "أن نظام الإسلام في مجتمعه مبني على أمتن الأصول وأثبتها[١]. قال الله تعالى خطاباً لنبيه [وشاورهم في الأمر]^١ وليس ذلك خاصاً به عليه السلام، بل واجب على الأمة أيضاً[٢]. فقال [وأمرهم شورى بينهم]^٢ [٢]. إن نظام الخلافة الإسلامية في أصلها شورية سواء في تولية الخليفة أو إجراء الأحكام وسن النظام [٢]. وكان _ نظام الخلافة _ شورياً مقيداً بشورى الأعيان وأهل العلم انتخاباً [٢]. ثم تغير إلى الملكية المقيدة [٢]. ثم لما زاد تأخر الأمة [٢]. صارت الملكية المطلقة[٢].^٣

ولا يخفي الحجوي موقفه من الشورى، وربما كانت شغله الأول حين كتب وألف عن الإسلام وعلاقاته بالحكم والسياسة، والتدافع الحضاري بين المسلمين والشعوب الأخرى ، ويلخص موقفه منها باعتباره موقف الإسلام أيضاً، يقول؛ "إنها أصل الشريعة المتين وحرزها المكين وهي كافلة النظام عند المسلمين"^٤ قد انقسم حولها النهضويون في العديد من بلدان العالم الإسلامي، بين من يرى "[٢]. في التأكيد على التطور والإصلاح والشورى الأخذ بنموذج النظام الديمقراطي في أوروبا^٥، وعلى العكس من ذلك "[٢]. من ينظرون بعقل نسبي للأنظمة السياسية فلم يقيسوا مع وجود الفارق، ولم يمارسوا إسقاطاً تاريخياً في التأويل حينما كانوا في معرض الحديث عن الشورى[٢].^٦ وبعد سرد طويل للمراحل التي مرت بها الشورى، ونتائج ذلك على الممارسة السياسية والسياسيين في عهد الخلافة الراشدة، وبعض الحكام الذين تبنوا مواقف سلبية من هذا النظام العتيق، في الدولة العباسية والمماليك المختلفة ، يكتب الحجوي

١ - سورة آل عمران : الآية ١٥٩.

٢ - سورة الشورى : الآية ٣٨.

٣ - الحجوي محمد ابن الحسن؛ النظام في الإسلام، المطبعة الوطنية، الرباط، 1928، (يحتفظ الأرشيف الوطني المغربي بنسخة من هذه الطبعة)، ص. ص. ١٨٠، ١٩.

٤ - نفسه.

٥ - بلقزيز، مرجع سابق، ص. ١٣٩.

٦ - نفسه.

عن الحاجة إلى الشورى من جديد، موضحاً أنها لا تتناقض الحاضر ولا الواقع، بدليل اعتماد الأمم المتقدمة عليها في تسيير شؤونها، دون أن ينسى اعتماد المرحلة في تبني الأفكار السياسية ونظمها التي تتباعد عنها الأعراف والقواعد المحلية لمختلف الامبراطوريات المسلمة؛ "[..] إن نظام المجالس الشورية الانتخابية الموجود الآن في أوروبا وإن لم يكن بعينه عند الإسلام لكن كان نظام وواف بحاجياتهم الوقتية مناسب أفكار أمم ذلك العصر لكون هذا النظام العصري لم يتكون دفعياً بل كان نتيجة قرائح أمم أوجدته تدريجياً في أجيال متطاولة"^١، وقد أدى إهمال نظام/ قاعدة الشورى والتلاعب بها في الشأن السياسي درجة أنه "[..] لم ترتبك حركة الإسلام في التاريخ إلا بعد أن حادت التجربة السياسية للمسلمين عن الانتظام على هذه القاعدة"^٢.

خاتمة

لم يعد الموقف من السلطة وتجاوزاتها يراوح المكان كما كان في السابق، كموقف ثابت تمت صياغته في وقت مبكر من تاريخ الإسلام، ورافق مجمل الكتابات والآداب السلطانية، وإن طرأ تحسن طفيف على العقلية السائدة ولو من منظور مشوش، حيث فرض الواقع الإقليمي والدولي المحيط بالإمبراطورية التي يصفها الجار بـ "رجل أوروبا المريض"، وغريمها التاريخي بـ "الرجل العجوز؛ إعادة النظر في الواقع الشامل.

المصادر والمراجع :

القرآن الكريم

١ - الحجوي، النظام..المصدر السابق، ص. ٢١.

٢ - بلقزيز، مرجع سابق، ص. ١٤٠.

- ^١ _ الخامس محمد بيرم؛ صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار، (المجلد الرابع : الأقطار الإسلامية) . " وقعة نافارين ببحر الخزر وحرقت الأساطيل العثمانية " .
- ^٢ _ المكاوي أحمد؛ النظام، الجهاد والهجرة في غرب القرن التاسع عشر، الناشر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة شعيب الدكالي، الجديدة، طبعة 2015.
- ^٣ _ اينالجيك خليل؛ ،تاريخ الدولة العثمانية، من النشوء إلى الانحدار ، ترجمة محمد الأرنؤوط ، دار المدار الإسلامي، بيروت ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٢ .
- ^٤ _ التيمومي الهادي؛ تونس والتحديث(1831-1877)، أول دستور في العالم الإسلامي ، دار محمد علي للنشر، تونس، الطبعة الأولى 2011.
- ^٥ _ الجميل سيار؛ العرب والأترك، الانبعاث والتحديث، من العثمنة إلى العلمنة، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، 1997.
- ^٦ _ الخامس ، مصدر سابق ، المجلد الرابع: الأقطار الإسلامية ، "فرمان خط شريف كلخانة .."، الصادر في ٤ نوفمبر ١٨٣٩ .
- ^٧ _ دراويل جمال الدين؛ النخبة والحرية، تونس في الثلث الأول من القرن العشرين، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، الطبعة الأولى، 2011.
- ^٨ _ كباد ولد عبد الرحمن؛ الخطاب الإصلاح في المغرب، موقف النخبة المغربية من الحداثة الغربية: 1844-1912، أطروحة دكتوراه في التاريخ تحت النشر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ابن طفيل، القنيطرة، المغرب، 2020-2021.
- ^٩ _ Laroui(A) ; **Les Origines Sociales Et Culturelles Du Nationalisme Marocain, 1830_1912**, Maspero, Paris, 1977.
- ¹⁰ - Kenbib(M) : **Juif Et Musulmans Au Maroc, 1859-1948, Contribution à l'Histoire Des Relations Iner-Communautaires En Terre D'Islam**. Publication De Le Faculte Des Lettres Et Des Sciences Humaines, Rabat, Serie : Theses Et Mémoires, no21, 1er Ed, 1994 .
- ¹¹ _ بلقرين عبد الله؛ الخطاب الإصلاح في المغرب، التكوين والمصادر: 1844-1918، ص. ١٨٤ .
- ¹² _ المودن عبد الرحمن؛ "فكرة الدستور والمغرب، بين الخيال والفعل"، ضمن ندوة انتقال الأفكار والتقنيات في المغرب والعالم المتوسطي، تنسيق عبد الرحيم بنحادة وآخرون، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، سلسلة ندوات ومناظرات، رقم 160، 2008.
- ¹³ _ حيمر عبد السلام ؛ المغرب: الإسلام والحداثة، منشورات الزمن، الرباط، الطبعة الثانية، 2014 ، "الفصل السادس : جمعية الاتحاد والترقي".
- ²⁷ _ ساطع الحصري؛ البلاد العربية والدولة العثمانية ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٦٠ .
- ^{2٨} - محمد فريد وجدي ذائع الصيت؛ تاريخ الدولة العلية العثمانية ، طبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٩٥٤، الجزء الثاني، وكذلك مؤلفه دائرة معارف القرن العشرين، دار المعرفة، بيروت، المجلد السابع المتعلق بالإصلاحات العثمانية ، وأخيرا ؛ الموسوعة الميسرة في المذاهب والأديان المعاصرة، إشراف مانع ابن حماد الجهني، الناشر، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤١٨ هـ: "الجزء الثاني".

- ²⁹ _ بياض الطيب؛ المخزن والضريبة والاستعمار، ضريبة الترتيب: 1880-1915، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 2011، ص. ١٩١.
- ³⁰ _ المنوني محمد ابن عبد الهادي؛ مظاهر يقظة المغرب الحديث، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985، الجزء الثاني.
- ³¹ _ الحجوي محمد ابن الحسن؛ الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، المكتبة العلمية، إدارة المعارف، الرباط، 1340هـ، ومطبعة البلدية، فاس، 1345.
- ³² _ الكردودي محمد ابن عبد القادر؛ كشف الغمة ببيان أن حرب النظام حق على هذه الأمة، مخطوط الحزانة الحسنية بالرباط، نسخة مصورة ضمن مجموع، بجوزنتا.
- ³³ _ الحجوي محمد ابن الحسن؛ النظام في الإسلام، المطبعة الوطنية، الرباط، 1928، (يحتفظ الأرشيف الوطني المغربي بنسخة من هذه الطبعة).
- ³⁴ _ خمري سعيد؛ روح الدستور : السلطة والشرعية بالمغرب، منشورات دفاتر سياسية، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ٢٠١٢.

الأمير عيسى بن موسى

دراسة في سيرته ودوره السياسي في الدولة العباسية

**PRINCE EISSA BIN MOUSSA
AN INVESTIGATION INTO HIS BIOGRAPHY AND POLITICAL
ROLE IN THE ABBASID STATE**

د. مساعد بن مساعد بن محمد الصوفي

أستاذ التاريخ الإسلامي المشارك

جامعة الملك عبدالعزيز

MESAID BIN MESAID BIN MOHAMMED ALSUFI

Associate Professor of Islamic History

King Abdul Aziz University

musaeddr@gmail.com

ملخص

لقد تناولت هذه الدراسة سيرة الأمير العباسي عيسى بن موسى ودوره السياسي في الدولة العباسية، الذي يعد أحد أهم القادة الأبطال من البيت العباسي، فقد أسهمت مشاركاته منذ بدء الدعوة العباسية في الحميمية، إذ اعتمد عليه الخلفاء العباسيون الأوائل في قيادة الجيش العباسي، للقضاء على الجيش الأموي، والتصدي للخارجين على الدولة، فقاد المعارك ضدهم واستطاع القضاء عليهم، فمن خلال النجاحات العسكرية والانتصارات التي حققها استطاع أن يمهد الأمور ويوطد دعائم الدولة العباسية حتى استقرت في الكوفة معلنة قيام الخلافة العباسية سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م، كما حضي عيسى بن موسى بمكانة عالية في الخلافة العباسية، فقد تقلد منصب ولاية العهد لثلاثة من الخلفاء العباسيين حتى سنة ١٦٠هـ/٧٧٧م، فكان من احترام أعمامه له واختياره لمنصب ولاية العهد من بين أفراد البيت العباسي لهي دلالة واضحة على ما يتمتع به من مكانة دون غيره، لذلك جاءت هذه الدراسة لتلقي الضوء على سيرة هذا الأمير وتبين أهميته السياسية والقيادية وأسباب اختياره لولاية العهد للدولة العباسية دون منافس، كما نقف على تحليل بعض الروايات التاريخية المهمة لمعرفة أهمية الأمير عيسى بن موسى ومكانته، خاصة في مسألة ولاية العهد في الدولة العباسية.

كلمات مفتاحية: الخلافة العباسية، ولاية العهد، القيادة العسكرية، الثورات.

Abstract

This study is concerned with the biography of the Abbasid Prince Eissa Bin Moussa and his political role in the Abbasid State. Since Prince Bin Moussa had been considered one of the most significant leaders from the Abbasid State, his contributions had started as of the Abbasid era in Humaimah. Early Abbasid Caliphs had relied upon Bin Moussa to lead the Abbasid Military and eradicate the Umayyad Army and arrest the outlaw thugs and rebels operating against the State. He led the battles and managed to eradicate them. Through military triumph and victories achieved, Prince Bin Moussa had managed to pave the way and reinforce the pillars of the Abbasid State until its settlement in the city of Kufa and declaration of the emergence of the Abbasid Caliphate in 132^{AH} | 749^{AG}. Prince Eissa Bin Moussa had been ranked high in the Abbasid Caliphate, as he held the position of 'Crown Prince' during the reign of three Abbasid Caliphs up through 160^{AH} | 777^{AG}. The respect shown by his uncles and his selection to hold the position of 'Crown Prince' among members of the Abbasid Court may refer to nothing but a clear indication to the prestigious rank entertained by the above-named prince. To this aim, this study comes to shed light on the biography of this prince and is intended to demonstrate his political significance and leadership together with the justifications for his selection to hold unequivocally the 'Crown Prince' position. The study is also concerned with analysis of some significant historic narratives aiming to recognize the importance and rank of Prince Eissa bin Moussa – particularly in terms of the Order of Succession during the Abbasid State.

Keywords: Abbasid Caliphate, Order of Succession, Military Leadership, Revolutions.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على إمام المرسلين وسيد الأولين والآخرين محمد الأمين وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد..

لقد سطر المؤرخون في المصادر التاريخية كثيراً من الروايات التاريخية في عصر الخلافة العباسية، واشتملت تلك الروايات على الكثير من الأحداث التاريخية المهمة سياسياً واقتصادياً واجتماعياً ودينياً ومعارف في شتى العلوم، كما اشتملت أيضاً على أخبار الخلفاء والأمراء والوزراء والولاة وغيرهم، ومن الأمراء العباسيين الذين سطرت روايتهم كتب التاريخ، الأمير عيسى بن موسى العباسي، الذي يعد أبرز قادة الدعوة العباسية، ولعب دوراً مهماً في نجاح الدعوة العباسية وظهورها على مسرح الأحداث السياسي، فقد شارك في الثورة العباسية ضد الأمويين، منذ بدايتها سراً - فضلاً عن كونه أحد الدعاة - كان قائداً

عسكرياً ملهماً تميز بقدرات عسكرية كبيرة جعلته يحقق الانتصارات الواحدة تلو الأخرى على أعداء الخلافة العباسية، وبذلك أستحق أن يكون القائد الأول لبني العباس وفارسهم وسيفهم المسلول كما وصف.

كما يعتبر الأمير عيسى بن موسى أحد أفراد البيت العباسي المقربين من سرية الدعوة العباسية، لما عرف عنه من أصحاب الرأي والمشورة، فشارك مع جده الأمام محمد في سرية دعوتهم، وأكمل المسيرة مع أعمامه في رسم ملامح ونشوء الخلافة العباسية، وإعلان خلافتهم من الكوفة سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م، وانتقالها إلى الأنبار العاصمة الأولى للدولة العباسية.

لقد حظي الأمير عيسى بن موسى بمنصب ولاية العهد في الدولة العباسية دون غيره من أبناء البيت العباسي، إذ تميز عن غيره بأنه يوصى له بولاية العهد من قبل أعمامه الخلفاء وهم أبو العباس السفاح ثم المنصور ومن بعدهم المهدي بن المنصور، وحصل على لقب المرتضى.

ومن هنا تأتي أهمية هذا البحث، في إيضاح دور الأمير عيسى بن موسى العباسي ومكانته في الدولة العباسية، وتبيين أحقيته بمنصب ولاية العهد دون غيره، أمثال بعض أعمامه وأبناء عمومته وغيرهم، بإيراد بعض الروايات التاريخية التي تخص الموضوع، ودراستها ومقارنتها، ثم إيجاد الأسباب المقنعة بهدف الوصول إلى الحقيقة التي أدت إلى احتفاظ عيسى بن موسى بمنصب ولاية العهد دون غيره، ولذا جاء اختياري لهذا الموضوع.

وقد انتظم البحث في مقدمة وخمسة مباحث، وتتلوها خاتمة ثم قائمة بأسماء المصادر والمراجع. شملت المقدمة التعريف بالموضوع وبيان أهميته، وشرحاً لخطة البحث، جاء المبحث الأول مولده ونشأته ومكانته، ثم تناول المبحث الثاني دوره العسكري، وتضمن المبحث الثالث مسألة ولاية العهد، واشتمل المبحث الرابع على دراسة الروايات التاريخية عن أحقية الأمير عيسى بن موسى بمنصب ولاية العهد في الخلافة العباسية، ثم ختمت البحث باستعراض أهم ما توصلت إليه من نتائج.

وفي الختام أرجو أن أكون قد وفقت في إيفاء الموضوع حقه من الدراسة، فإن أصبنا فذاك مرادنا وإن أخطأنا فلنا شرف المحاولة والتعلم.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ونافعاً لمن قرأه من الباحثين والدارسين.

المبحث الأول: اسمه ونسبه ومكانته:

هو عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس، ويكنى بأبي موسى الهاشمي ولد ونشأ في الحميمة^(١)، سنة ١٠٢هـ/٧٢٠م^(٢)، وقيل سنة ١٠٣هـ/٧٢١م^(٣)، توفي أبوه ببلاد الروم حينما غزا مع أبيه^(٤)، وأمه أم ولد اسمها جان، وتوفيت وهو صغير، وكان المنصور ينعته أحياناً بابن الشاة، لأنه رضع من لبن الشاة بعد وفاة أمه^(٥)، كان من فحول أهله وأشجعهم، وذوي النجدة والرأي والبأس والسؤدد منهم^(٦)، وقال عنه الذهبي، كان فارس بني العباس وسيفهم المسلول، وبه توطدت الدولة العباسية^(٧)، وذكر البلاذري في تصنيفه، أن عيسى بن موسى تزوج عدداً من النساء أشهرهن أم حبيب بنت إبراهيم بن محمد الإمام، وأنجبت له موسى، وتزوج من زينب بنت محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن^(٨)، توفي بالكوفة سنة ١٦٨هـ/٧٨٤م^(٩).

- نشأته:

لم تمدنا المصادر التاريخية بمعلومات وافرة عن نشأة وحياة الأمير عيس بن موسى في طفولته وبداية شبابه، غير إن هناك روايات تاريخية تشير إلى ولادته في الحميمة من أرض الشام، وتوفي والديه وهو

١ - الحميمة: بلفظ التصغير، وهي بلد من أرض الشراة من أعمال عمّان في أطراف الشام، وكان منزل بني العباس، أقطعها عبد الملك بن مروان، لعلي بن عبدالله بن العباس رضي الله عنه، فكان يسكنها، وفيها كان إبراهيم بن محمد الإمام مستتراً في فترة مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص ٣٠٧، الحميري، الروض المعطار، ص ١٩٩.

٢ - أبو الفرج الأصفهاني، كتاب الأغاني، تحقيق: حسان عباس وآخرون، دار صادر، بيروت الطبعة الثالثة ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ج ١٦ ص ١٦١.

٣ - محمد بن جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ج ٤، ص ٤٤٢.

٤ - أبو بكر محمد الصولي، أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم، من كتاب الأوراق، عني بنشره: ج. هيروث. دن. مدرسة اللغات الشرقية بلندن، مطبعة الصاوي، مصر، الطبعة الأولى ١٩٣٦م، ص ٣٠٩، أحمد بن يحيى البلاذري، كتاب جمل من أنساب الأشراف، حققه وقدم له، الدكتور سهيل زكار، دار الفكر للطباعة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ج ٤، ص ١١١، ١٥٧.

٥ - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج ٤، ص ٢٧٣.

٦ - الصولي، أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم، ص ٣٢١.

٧ - شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، توزيع دار المؤيد، بيروت، الطبعة الحادي عشر ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ج ٧، ص ٤٣٥.

٨ - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج ٤، ص ١٧٠، ٢٤٠.

٩ - محمد عز الدين علي بن الأثير: الكامل في التاريخ، تحقيق خليل مأمون شيجا، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ج ٥، ص ١٣٤، إسماعيل بن علي أبو الفداء، تاريخ أبي الفداء المختصر في أخبار البشر، تحقيق: محمود ديوب، منشورات محمد بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ج ١، ص ٣٠٩.

صغير^(١)، وكان والده في جيش معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان، حينما غزا الروم وقطعوا البحر إلى قبرص، وتوفي في تلك الغزوة سنة ١٠٨ هـ/٧٢٦ م، وعمره سبع وعشرون عاماً^(٢)، وتكفل جده محمد الإمام بتربيته حتى كبر وشب وشارك معه في سرية الدعوة لبني العباس وأحقيتهم بالخلافة من بني أمية، ثم أكمل المسيرة مع أعمامه إبراهيم الإمام وأبي العباس السفاح وأبي جعفر المنصور، وكان من أحد أفراد البيت العباسي، الذي رسم ملامح ونشوء الدولة العباسية، وإعلان خلافتهم من الكوفي سنة ١٣٢ هـ/٧٤٩ م^(٣)، وانتقالها إلى الأنبار^(٤)، العاصمة الأولى للدولة العباسية^(٥)، فمن تلك الروايات نستطيع أن نؤكد بعض من حياة ونشأة الأمير عيسى بن موسى.

- مكانته:

لقد حظي الأمير عيسى بن موسى العباسي بمكانة مرموقة وعالية منذ نشأة الخلافة العباسية، ويعتبر من أصحاب الرأي والمشورة والمقربين من سرية الدعوة العباسية، ومن أبرز القادة المساهمين في أحداث الثورة العباسية ضد الأمويين، فعندما قبض على عمه إبراهيم الإمام الوصي على الدعوة العباسية، من قبل الخليفة مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية سنة ١٣٢ هـ/٧٤٩ م، كان قد أمر أصحاب الدعوة بالسمع والطاعة لأخيه أبي العباس السفاح، وأوصى بالخلافة من بعده، كما جعل عيسى بن موسى ولي عهد بعد المنصور وأخذ له البيعة من الناس وحلفهم على ذلك^(٦)، وأمرهم بالخروج من

١- البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج ٤، ص ٢٧٣.

٢- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٣٤٧، ابن الجوزي، المنتظم، ج ١، ص ١٢٤، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٣، ص ٢١٦، ٢٦٢، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، الوافي بالوفيات، اعتناء محمد عدنان البخيت، دار فرانزشتايز شتوتكارت، إشراف المعهد الألماني للأبحاث الشرقية بيروت، مطبعة المتوسط، ١٤١٣ هـ/١٩٩٣ م، ج ٢٣، ص ٥٢٠، شذرات الذهب، ج ٢، ص ٣٠٤.

٣- البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج ٤، ص ١٨٦، ١٨٨.

٤- الأنبار: بفتح أوله، وهي مدينة على الفرات في غربي بغداد بينهما عشرة فراسخ وكانت الفرس تسميها فيروزسابور، وسميت بالأنبار لأنه يجمع بها أنابيب الحنطة والشعير والقت والتبن، وكان يقال لها الأهراء، فلما دخلها العرب عربتها فقلت الأنبار، وكان أول من عمرها سابور بن هرمز، ثم جدها أبي العباس السفاح أول خلفاء بني العباس، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٢٥٧، ٢٥٨.

٥- البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج ٤، ص ١٨٩.

٦- ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية، ص ١٤٩، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ٢٣، ص ٥٢٠.

أرض الحميمة والتوجه إلى الكوفة، وكان ممن قدم إلى الكوفة من أصحاب سرية الدعوة الأمير عيسى بن موسى وكان عددهم اثنين وعشرين رجلاً^(١).

وبعد إعلان الخلافة العباسية ومبايعة أبي العباس السفاح بالخلافة سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م، ارتقى عيسى بن موسى مرتقياً علياً متقدماً على أبناء البيت العباسي إذ جعله السفاح ولياً للعهد بعد عمه أبو جعفر المنصور، وجعل العهد في ثوب وختمه بخاتمه ودفعه إلى عيسى بن موسى^(٢)، كما حظي الأمير عيسى بن موسى بمكانة مرموقة في الخلافة العباسية، فمن ذلك، بأن جعله الخليفة السفاح أميراً على الحج سنة ١٣٤هـ/٧٥١م،^(٣)، وهو ثاني أمير للحج في خلافة السفاح^(٤)، المنصور كما أسند إليه الخليفة المنصور إمارة الحج سنة ١٤٣هـ/٧٦٠م^(٥)، وكان عيسى بن موسى كريماً جواداً وسخياً فأحبوه الناس حتى إذا تولى إمارة الحج اقبلوا الناس على الحج بسبب ما يلقيه من صدقاته وصلاته حتى يرجعون، فتمثل فيهم الشاعر بقوله:

عصابة إن حج عيسى حجوا وإن أقام بالعراق دجوا

قد نالهم نائلة فلجوا والقوم عند حجهم معوج^(٦)

وكان عيسى بن موسى على قدر عالٍ من الإدارة وحسن التدبير، فضم إليه الخليفة السفاح مع ولايته للعهد ولاية الكوفة وضواحيها سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م^(٧)، وبقي عليها قرابة ثلاث عشرة سنة، حتى عزله الخليفة أبو جعفر المنصور سنة ١٤٧هـ/٧٦٤م، بسبب امتناعه عن التنازل عن ولاية العهد لابنه المهدي^(٨).

- ١- اليعقوبي، ج ٢، ص ٢٤٤، الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٤، ص ٣٤٥، ٣٤٨، ٣٤٩، ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٥٨٣، أبي الفداء، تاريخ أبي الفداء، ج ١، ص ٢٩١.
- ٢- البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج ٤، ص ٢٣٨، السيد عبدالعزيز سالم، دراسات في تاريخ العرب العصر العباسي الأول، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٣م، ج ٣، ص ٥٨ وما بعدها.
- ٣- اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ص ٢٥٣، البسوي، المعرفة والتاريخ، ج ١، ص ١١٧.
- ٤- ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١، ص ٣٢٩، ابن الجوزي، المنتظم، ج ٧، ص ٣٢٥.
- ٥- ابن الجوزي، المنتظم، ج ٢، ص ٤٠، ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٦٥٥.
- ٦- الصولي، أشعار أولاد الخلفاء، ص ٣١١.
- ٧- البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج ٤، ص ١٨٩، ابن الجوزي، المنتظم، ج ٧، ص ٣١٥.
- ٨- الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٤، ص ٤٩١، ابن الجوزي، المنتظم، ج ٨، ص ٤٠، ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٦٥٥.

إن فترة بقاء عيسى بن موسى والياً على الكوفة قرابة ثلاث عشرة سنة، دون تغيير كغيره من ولاية المناطق، لهي دلالة على ما يتمتع به عيسى بن موسى من القيادة والحنكة الإدارية العالية مما جعلته يتقدم على أقرانه بها، فاستطاع من خلالها أن يضبط أمور الكوفة ويحسن السيرة في أهلها، ولا سيما وأن الكوفة من الولايات الحساسة من الناحية الطبرغرافية إذ تضم فرق من شيعة آل أبي طالب، وبقايا من شيعة بني أمية، لذلك اعتمد عليه الخليفان السفاح والمنصور في ضمان عدم اضطراب وشغب أهل الكوفة ضد الخلافة العباسية.

وكان عيسى بن موسى عند أبي جعفر المنصور مكرماً مبعجلاً وذا مكانة عالية، فإذا دخل عليه في الخلافة وضع له النمارق^(١)، عن يمينه وعن شماله، ويجعله يجلس عن يمينه ويجعل ابنه المهدي عن يساره^(٢)، ولمكانة الأمير عيسى بن موسى في الخلافة العباسية، جعلت من القائد أبو مسلم الخراساني ووالي خراسان، حين مقدمه في زيارته الأخيرة لأبي جعفر المنصور لحل خلاف الوحشة بينهم، بأن نزل أولاً عند الأمير عيسى في بيته دون غيره من أفراد البيت العباسي، يتلمس وجاهته في حل ما جرى بينهم، فضمن له ذلك، لولا تعجل أبي مسلم في الدخول على المنصور وسبق السيف العذل، وتمكن من قتله، لكان تشفع فيه عيسى بن موسى عند المنصور^(٣). ولمكانته أيضاً في البلاط العباسي، بأن قدموه بنو العباس للصلاة على جنازة الخليفة أبو عباس السفاح سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م^(٤)، ثم تولى بأخذ البيعة من الناس في العراق لأبي جعفر المنصور عندما كان في مكة لأداء الحج سنة ١٣٦هـ/٧٥٣م، وبعث إليه برسالة يخبره بوفاة الخليفة السفاح ويهنئه بالخلافة^(٥)، وكتب إلى عبدالله بن علي وهو متوجه إلى بلاد الروم، بالبيعة للمنصور^(٦)، كما بعث إلى أبي مسلم الخراساني يعلمه بالتعزية والتهنئة بولاية أبي جعفر المنصور^(٧)، فضبط عيسى بن موسى الأمور في الخلافة حتى قدوم أبي جعفر المنصور من مكة^(٨).

المبحث الثاني: دوره العسكري:

- ١ - النمارق: مفردتها نمرق: ويقال النُمُرُقُ والنُمُرُقَةُ والنُمُرُقَةُ، بالكسر: وهي الوسادة الصغيرة، ابن منظور، لسان العرب، ج١٤، ص ٣٥٩.
- ٢ - البلاذري، جمل من أشعار الأشراف، ج٤، ص ٣٧٦، الصولي، أشعار أولاد الخلفاء، ص ٣١١.
- ٣ - الطبري، تاريخ الأمم، ج٤، ص ٣٨٥.
- ٤ - البلاذري، أنساب الأشراف، ج٤، ص ٢٣٩.
- ٥ - البلاذري، المصدر السابق، ج٤، ص ٢٤٩.
- ٦ - البسوي، المعرفة والتاريخ، ج١، ص ١١٩.
- ٧ - البلاذري، أنساب الأشراف، ج٤، ص ٢٥٠.
- ٨ - البلاذري، المصدر السابق، ج٤، ص ٢٤٩.

عند قيام الخلافة العباسية والقضاء على دولة بني أمية سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م، ظهرت هناك عدة ثورات مناهضة للخلافة العباسية، غير معترفين بأحقيتهم بالخلافة، فمنهم من كان مع بني أمية ومنهم من يرى أحقيته بالخلافة من آل طالب، لذلك اعتمد الخليفان أبو العباس السفاح وأبو جعفر المنصور على قادة عسكريين أقوياء ذوي كفاءات ومهارات عالية خاصة من أفراد البيت العباسي، فوقع الاختيار على القائد العسكري الأمير عيسى بن موسى للتصدي وقمع كل ما يعكر ويحبط قيام الخلافة العباسية، فبعثه الخليفة السفاح في بداية قيام الخلافة سنة ١٣٢هـ/ ٧٤٩م، لمساندة القائد العباسي الحسن بن قحطبة بن شبيب الطائي^(١)، حينما كان محاصراً ابن هبيرة القائد الأموي في واسط^(٢)، وأنزلا به الهزيمة^(٣).

وعندما ثار محمد بن عبدالله الملقب بالنفس الزكية^(٤)، في المدينة سنة ١٤٥هـ/٧٦٢م، وأعلن خروجه على الخليفة أبي جعفر المنصور منادياً بأحقيته بالخلافة من بني العباس، فعلم المنصور أن الأمور لا تسير في صالحهما، وسوف تكون هناك معارك بينهما حتى ينتصر أحدهم على الآخر، فبدأت المراسلات الكتابية بينهما وكل يهدد الآخر، فلما عجز الخليفة المنصور عن إقناع محمد النفس الزكية والرجوع إلى طاعة الخليفة، عمد إلى الحل العسكري للقضاء على تلك الثورة، فاختر ولي عهده عيسى بن موسى قائداً عسكرياً للجيش الذي سيواجه في حربه محمد النفس الزكية^(٥)، فتجهز القائد عيسى بن موسى ومعه أهل خراسان وجندهم وفرسان بني العباس وقادات الدولة، وصار بهم حتى أقبل على المدينة، ووصف الشاعر ذلك بقوله:

١ - هو الحسن بن قحطبة بن شبيب بن خالد بن معدان الطائي، أحد قواد الدولة العباسية، ومن رجالات الناس، وهو أخو حميد بن قحطبة، توفي سنة ١٨١هـ/٧٩٧م، وعمره ٨٤ سنة، الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٧، ص ٤١٥.

٢ - واسط: هي مدينتان على جانبي دجلة، والمدينة القديمة في الجانب الشرقي، وابتنى الحجاج مدينة في الجانب الغربي، والمقصود هنا هي مدينة بين البصرة والكوفة، لذلك سميت واسط، وكان بناء الحجاج بواسطة عام ٨٣هـ/٧٠٢م، وكلا المدينتين فسيحة، ذات نخل ومزارع، وبساتين، وتعتبر من أعمار بلاد العراق، الحميري، الروض المعطار، ص ٥٩٩، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ٣٤٧.

٣ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٤، ص ٣٥٠.

٤ - هو محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، المعروف "بالنفس الزكية"، طلب الخلافة لنفسه في أواخر زمن بني أمية إلى أن أشد أمره في خلافة المنصور، سنة ١٤٥هـ/٧٦٢م، وانتهت حركته بهزيمته ومصرعه على يد جيوش العباسيين. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٦، ص ٢١٠، الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ٣، ص ٢٤٢، ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٠، ص ٨١، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٢، ص ٣.

٥ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٤، ص ٤٢٢، ٤٣٠، ابن الاثير، الكامل، ج ٥، ص ٦٥، ٧، ١٠، البسوي، المعرفة والتاريخ، ج ١، ص ١٢٥، ١٢٦.

أتتك النجائب والمقربات بعيسى بن موسى فلا تعجل^(١)

وقبل أن يتوغل عيسى بن موسى في المدينة ويزحف الناس بعضهم على بعض، تجلت حنكته القيادية بأن يستخدم أسلوب التفارقة قبل المواجهة حتى يضعف جيش محمد النفس الزكية، فعمد إلى مكاتبة عدد من مناصري النفس الزكية في خرق من حرير، حتى تفرق ناسٌ كثير عن محمد النفس الزكية^(٢)، فحاصر عيسى بن موسى المدينة ثلاثة أيام، وفي كل يوم ينادي فيهم يأهل المدينة هلموا إلى الأمان، يا محمد، إن أمير المؤمنين أمرني ألا أقاتلك حتى أعرض عليك الأمان، إلا إن محمداً لم يستجب لتلك النداءات، فتحرك عيسى بن موسى في الثالث بما لا يرى مثله من الخيل والرجال والسلاح^(٣)، فتشابكت السيوف واحتدم القتال يوماً كاملاً، فظفر عيسى بن موسى بالحرب وقتل محمد النفس الزكية في ١٥ رمضان سنة ١٤٥هـ/٧٦٢م، وحمل رأسه إلى الخليفة أبي جعفر المنصور في الكوفة^(٤).

وما فتئت فتنة محمد النفس الزكية، حتى ثار إبراهيم بن عبدالله^(٥)، أخو محمد النفس الزكية بعد أسبوعين من مقتل أخيه، وأخذ البصرة^(٦)، مركزاً لثورته على الخليفة أبو جعفر المنصور^(٧)، فأرتبك المنصور من ثورة إبراهيم بسبب قلة جنده بالكوفة، فقال: والله ما ادري كيف أصنع ما في عسكري إلا ألفا رجل^(٨)، فكان المنصور قد فرق جيشه لقمع الثورات التي عرقلت قيام الخلافة العباسية، فجعل يقول: مع المهدي بالري ثلاثون ألفاً، ومع محمد بن الأشعث بإفريقية أربعون ألفاً، والباقي مع عيسى بن

١ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص ٤٣٧، ابن الاثير، الكامل، ج٥، ص ١٧، فائزة إسماعيل أكبر، التاريخ السياسي للخلافة العباسية، مطبعة الثغر، جدة، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص ٧٧.

٢ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص ٤٣٧،

٣ - الطبري، المصدر السابق، ج٤، ص ٤٤١، ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص ٦٧،

٤ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص ٤٤٣، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٩، ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص ٦٧، ٦٨.

٥ - هو إبراهيم بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، خر ج على المنصور في البصرة بعد مقتل أخيه محمد، فجهز إليه عيسى بن موسى العباسي، لمحاربته وانتهى أمره بمصرعه سنة ١٤٥هـ/٧٦٢م. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٦، ص ٢١٨، الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ٦، ص ٢٣، ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٠، ص ٨٢، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٢، ص ٣.

٦ - البصرة: في العراق، طولها أربع وسبعون درجة، وعرضها إحدى وثلاثون درجة، وهي في الإقليم الثالث، قال ابن الأنباري: البصرة في كلام العرب الأرض الغليظة، وقال قطرب: البصرة الأرض الغليظة التي فيها حجارة تقلع وتقطع حوافر الدواب، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٤٣٠.

٧ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص ٤٦٠، ٤٦١، ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص ٨٧، ٨٨.

٨ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص ٤٧١، ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص ٨٧، ابن الاثير الكامل، ج٥، ص ٣٣.

موسى^(١)، فمن تلك الجيوش المتفرقة كتب المنصور للأمير عيسى بن موسى بالقدوم إليه ومحاربة إبراهيم بن عبدالله الذي خرج في البصرة^(٢)، فقد اختار المنصور جيش عيسى بن موسى لعلمه بمهارته العسكرية وحنكته القيادية، كيف لا؟ وهو من قضى على ثورة محمد النفس الزكية الذي كان أكثر منعة وتحصيناً، فزاد ذلك ثقة المنصور بالقائد عيسى بن موسى.

فخرج عيسى بن موسى على رأس جيش لمواجهة إبراهيم بن عبدالله، فاقترب كل واحد من الآخر حتى نزلا في باخمرا جنوب الكوفة^(٣)، فالتحم الجيشان واشتد القتال فكانت الغلبة أولاً لجيش إبراهيم، وتفرق قادة جيش عيسى بن موسى، وهو في مكانه لا يتحرك، يحث القادة والجنود على الطاعة والثبات حتى استطاع أن يثبتهم، ويعيد الكرة على جيش إبراهيم ويهزمهم ويظفر بقتل إبراهيم سنة ١٤٥هـ/٧٦٢م^(٤)، فقدمت البشائر للخليفة المنصور بقتل إبراهيم، فتمثل المنصور بقول الشاعر:

فألقت عصاها واستقر بها النوى كما قر عيناً بالإياب المسافر^(٥).

كما كان لعيسى بن موسى دور في القضاء على أحد الخارجين على الخليفة المهدي، وجرت بينهم عدة وقعات حتى أستطاع عيسى بن موسى القضاء عليه وتخليص الخلافة من شره^(٦)، كما اشترك عيسى بن موسى في الحملة التي جهزها الخليفة المهدي لغزو الروم سنة ١٦٣هـ/٧٨٠م، ومعه عدد من القادة

١ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص، ٤٧١، ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص ٨٧، ٨٨، ٨٩، ابن الاثير، الكامل، ج٥، ص ٣٣، مساعد بن مساعد بن محمد الصوفي، أخبار الدولة العباسية في كتاب عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة الخزرجي، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة القصيم، المملكة العربية السعودية، ١٤٣٦هـ/٢٠١٤م، ص ٥٨.

٢ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص، ٤٧١، ابن الاثير، الكامل، ج٥، ص ٣٣.

٣ - بَاخْمَرًا: وهو موضع بين الكوفة وواسط وهو إلى الكوفة أقرب، وأياها عنى دعبل بن علي:

وقبراً بأرض الجوزجان محله وقبر بباخمرا لدى الغربات

ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص ٣١٦.

٤ - الطبري، ج٤، ص ٤٧٣، وما بعدها، علي بن الحسين المسعودي، التنبيه والإشراف، اعتنى به عبدالله إسماعيل الصاوي، مكتبة الشرق الإسلامية، القاهرة، ١٣٥٧هـ، ١٩٣٨م، ص ٢٩٥، محمد بن علي بن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق: الدكتور قاسم السامرائي، دار الأفاق العربية، القاهرة الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ص ٦٤، ابن الاثير، الكامل، ج٥، ص ٣٣، البسوي، ج١، ١٢٧.

٥ - ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص ٣٧.

٦ - ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٢، ص ٤١.

ومنهم هارون الرشيد، فتمكنوا من فتح حصن سمالوا، وفتحوا فتوحات كثيرة حتى زاروا بيت المقدس ثم رجعوا إلى بغداد^(١).

كان للقائد العسكري عيسى بن موسى دور بارز في القضاء على الثورات والفتن في عصر الخلفاء الثلاثة الأوائل (١٣٢ هـ - ١٦٣ هـ / ٧٤٩ م - ٧٨٠ م)، ومصدر اطمئنان للقيادة العسكرية، لذلك أسهم في توطيد الخلافة العباسية، فاستحق لقب فارس بني العباس وسيفهم المسلول كما وصفه الذهبي^(٢).

المبحث الثالث: ولايته للعهد:

يعد منصب ولاية العهد من المناصب الهامة والحساسة للدولة، لذلك ركزت الخلافة العباسية منذ دعوتها على مسألة ولاية العهد، فقد حرص محمد الإمام بن علي، على ألا تخرج إمامة الخلافة العباسية عن أولاده^(٣)، فبعد إعلان الخلافة العباسية ومبايعة أبي العباس السفاح بالخلافة سنة ١٣٢ هـ / ٧٤٩ م، وأستتب أمر الخلافة، جعل الخليفة السفاح يراوده أمر الخلافة وولاية العهد من بعده، حتى سئل عن رجل يمد الناس إليهم أعناقهم بعدك، ففكر في أحد أعمامه ولكن نصح بأن لا تخرج عن ولد محمد الإمام بن علي^(٤)، فحينما قرب دنو أجل السفاح سنة ١٣٦ هـ / ٧٥٣ م، عهد بولاية العهد إلى أخيه أبي جعفر المنصور ومن بعده عيسى بن موسى، وضمن ذلك بكتاب وختم الكتاب وجعله في منديل وجمعت أطرافه وختم عليه بخاتمه وخواتيم أهل بيته ودفعه لعيسى بن موسى^(٥).

وعند تولى أبو جعفر المنصور الخلافة سنة ١٣٦ هـ / ٧٥٣ م، أقر عيسى بن موسى ولياً لعهد، إلى أن تنازل عنها سنة ١٤٧ هـ / ٧٦٤ م ليصبح ولياً لعهد المهدي^(٦)، وحين وصل المهدي لعرش الخلافة سنة ١٥٨ هـ / ٧٧٥ م، كان ولي عهده الأمير عيسى بن موسى، حتى سنة ١٦٠ هـ / ٧٧٧ م، وتنازل لموسى الهادي بولاية العهد^(٧).

١ - ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج ٥، ص ١٢١، ١٢٢.

٢ - الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٧، ص ٤٣٥.

٣ - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج ٤، ص

٤ - البلاذري، المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٣٩،

٥ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٤، ص ٣٧٤، أبي الفدا، ص ٢٩٦،

٦ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٤، ص ٤٨٣، ابن الجوزي، المنتظم، ج ١، ص ٣٢٥، ابن تغري بردي، النجوم

الزاهرة، ج ١، ص ٣٢٩.

٧ - ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج ٥، ص ١٠٥،

ولأهمية دور الأمير عيسى بن موسى في الخلافة العباسية، كان يلقب بالمرتضى طيلة فترة ولايته للعهد^(١).

- المبحث الرابع: الأمير عيسى بن موسى بين وحشة المنصور والمهدي في مسألة ولاية العهد:

استطاع الخليفة أبو جعفر المنصور أن يقضي على الفتن والثورات التي صاحبت قيام الخلافة العباسية، ويتخلص من أعدائه الذين يهددون خلافته وملك بني العباس، وأصبحت الدولة العباسية أكثر قوة وهيبة، في فترة خلافته، وصار المنصور يفكر بان لا تخرج الخلافة عن أبنائه وتكون إمامة بني العباس فيهم، ففكر أبو جعفر المنصور في إبعاد عيسى بن موسى عن ولاية العهد وجعل ابنه المهدي ولياً للعهد سنة ١٤٧هـ/٧٦٤م^(٢)، فكلم الخليفة المنصور عيسى بذلك الأمر برقيق الكلام، إلا أن عيسى رفض ذلك متشبثاً بعهد أبي العباس السفاح وبالإيمان والمواثيق التي علي وعلى المسلمين لي من العتق والطلاق وغير ذلك من مؤكد الإيمان، ليس إلى ذلك سبيل يأمر المؤمنين، فتغير وجه المنصور وباعده بعض المباعدة^(٣).

ففعّل أبو جعفر المنصور الحيل والمضايقات لإرغام عيسى بن موسى على التنازل عن ولاية العهد، فمن ذلك:

مقام به المنصور من اتهام عيسى بن موسى في مقتل عمه عبدالله بن علي، وأحضر عمومته حتى يغتصون من قتل أخاهم، إلا إن أمر الحيلة كشف وأخرج عيسى عمه عبدالله وأنه لم يقتل^(٤)، ومن لك أيضاً عند انتقال الخلافة من الكوفة إلى بغداد بعد بنائها، وكونها مركزاً للعلويين حاول المنصور إقناع عيسى بن موسى بقبوله ولاية الكوفة على أن يقيم المنصور سنة في الكوفة وينتقل ولي عهد عيسى بن موسى إلى بغداد، وسنة يقيم عيسى بن موسى في الكوفة وينتقل أبو جعفر المنصور إلى بغداد^(٥)، وهذا من أجل إبعاده عن مركز الخلافة وفي نفس الوقت إضعاف منصب ولاية العهد لكونه يصبح والي الكوفة فحسب.

١ - ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٢، ص ٥٤.

٢ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص ٤٨٣، أمينة بيطار، تاريخ العصر العباسي، منشورات جامعة دمشق، الطبعة الرابعة ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ص ٩٨.

٣ - الطبري، المصدر السابق، ج٤، ص ٤٨٣.

٤ - الطبري، المصدر السابق، ج٤، ص ٤٨٢، ٤٨٣، أبي علي أحمد بن يعقوب مسكويه، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ج ٣، ص ١١٣.

٥ - ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٢٣١.

ومن مضايقات المنصور في عيسى بن موسى أنه صار يبعده من مجالسه، وإذا دخل عليه لا يلتفت إليه، ويحاول يضيق عليه في جميع المحافل والمراسم بدار الخلافة، وعمد أبو جعفر المنصور إلى إدخال من يريد من الأفراد ويتعمد تأخير دخول عيسى بن موسى عليه، وهذا كله حتى ينقص من احترام عيسى ومكانته في البلاط العباسي^(١)، فذهب المنصور إلى أبعد من ذلك في التضيق على عيسى بن موسى، حيث إذا أراد عيسى الدخول على المنصور، ينتظر طويلاً فإذا جلس في الانتظار يحفر في الحائط والسقف حتى ينثر التراب عليه، حتى إذا دخل على المنصور قال له: بعيسى ما يدخل علي أحد بمثل هينتك من كثرة الغبار والتراب، فكل هذا من الشارع، وعيسى يرد عليه بالطف عبارة تأدب به مع المنصور بقوله أحسب ذلك يا أمير المؤمنين^(٢)، ومن المضايقات بأن قام المنصور عزل عيسى بن موسى عن ولاية الكوفة والتي دامت ولايته عليها ثلاثة عشر سنة^(٣).

وقد ذهب أبو جعفر المنصور إلى أمور كثيرة في التضيق على عيسى بن موسى، كما ذكرتها المصادر التاريخية، وإصراره على الخلع، ومنها: ما قام به من تهديد، ابن عيسى بن موسى، حينما أرسل إليه من يخوفه على نفسه وعلى ابنه^(٤)، فجرت بينهم المراسلات، مرة بالتمني وأخرى بالتوعد، حتى استطاع المنصور أن ينتزع ولاية العهد من عيسى بن موسى ويجعله يتنازل طوعاً وكرهاً لابنه المهدي^(٥).

وتكررت المأساة التي مر بها عيسى بن موسى في تنازله عن ولاية العهد، إذ تقلد المهدي العباسي الخلافة ثم أجبر عيسى بن موسى على التنازل بولاية العهد لموسى الهادي بن المهدي سنة ١٥٩هـ/ ٧٧٦م، وتكرر أساليب التهديد والوعيد من المهدي اتجاه عيسى بن موسى، ومن ذلك أن الخليفة المهدي ولى على الكوفة روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب، وجعله يراقب عيسى بن موسى إذا دخل الكوفة أو حضر إلى الجمعة والعيدين فيها، فكان عيسى يسكن ضواحي الكوفة، وينقل أخبار عيسى للمهدي ويشنع عليه^(٦).

١ - ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م ص ٧٠٨.

٢ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٤، ص ٤٨٣.

٣ - الطبري، ج ٤، ص ٤٩١.

٤ - مسكوية، تجارب الأمم، ج ٣، ص ١١٧.

٥ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٤، ص ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، وقد ذكر الطبري، في تاريخه، عدة محاولات للخليفة المنصور في إرغام عيسى بن موسى بالتنازل عن ولاية العهد، ج ٤، ص ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦.

٦ - الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير، ج ٤، ص ١٤ وما بعدها.

وقد استعمل الخليفة المهدي مع عيسى بن موسى مالم يستعمله المنصور معه، فمن ذلك أن المهدي فكر في الخلاص منه، فكتب إليه بالمجيء إلى بغداد، فأحس عيسى بما يراد به فامتنع عن القدوم^(١)، وقام بتهديده بقوله إنه يستحل بمعصيته ما يستحل من أهل المعاصي إذا لم يتنازل عن ولاية العهد^(٢)، وتحت الإلحاح مرة بالتهديد ومرة بالترغيب في إعطائه ما يريد تنازل عيسى بن موسى عن ولاية العهد لموسى الهادي بن المهدي سنة ١٦٠هـ/٧٧٧م^(٣).

قضى الأمير عيسى بن موسى حياته بعد تنازله بولاية العهد لموسى بن المهدي^(٤)، وتقدمه في السن في بيته في الرحبة من ضواحي الكوفة، بعيداً عن الساحة السياسية للدولة العباسية، فوافاه الأجل وهو بالكوفة سنة ١٦٧هـ / ٧٨٣م، وعمره ٦٥ سنة^(٥).

المبحث الخامس: دراسة الروايات التاريخية على أحقية الأمير عيسى بن موسى بمنصب ولاية العهد في الخلافة العباسية دون غيره.

لعلنا نقف بسؤال مهم على أحقية مسألة ولاية العهد لعيسى بن موسى دون غيره من أفراد البيت العباسي، وهو:

- لماذا أختار الخليفة السفاح الأمير عيسى بن موسى أن يكون ولياً للعهد بعد المنصور؟ وأيضا إقرار الخليفة المنصور بولي عهده عيسى بن موسى، كما جعله ولي عهد ابنه المهدي، وهذا كله دون غيره من أفراد البيت العباسي؟

١ - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٥، ص ١٠٦، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٢، ص ٣٥.

٢ - ابن الأثير، المصدر السابق، ج ٥، ص ١٠٦.

٣ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٤، ص ٥٥٣، ٥٥٤، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٥، ص ١٠٦، البلاذري، جمل أنساب الأشراف، ج ٤، ص ٣٤٤. شذرات من ذهب، ج ٢، ص ٢٦٥، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة، ج ٢، ص ٣٥.

٤ - هو الخليفة موسى الهادي بن محمد المهدي بن المنصور عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس، ولد في الري بين عامي ١٤١هـ / ١٤٣هـ - ٧٥٨م / ٧٦٠م، وأمّه " الخيزران "، تولى الخلافة بعد أبيه سنة ١٦٩هـ / ٧٨٥م، وهو بجرجان وأخذ له البيعة أخوه هارون ببغداد، كان شجاعاً فصيحاً أديباً، عظيم القوة، وكان مثل والده في محاربة الزنادقة، لم تدم خلافته طويلاً حيث توفي سنة ١٧٠هـ / ٧٨٦م. الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١٣، ص ٢٤، الأزدي: أخبار الدول المنقطعة، ص ١٧٠، ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص ٢٢٠، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٧، ص ٤٤١.

٥ - ابن الجوزي، المنتظم، ج ٨، ص ٢٩١، ٢٩٢، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٥، ص ١٣٥، البسوي، المعرفة والتاريخ، ج ١، ص ١٥٥، أبي الفداء، تاريخ أبي الفداء المختصر في أخبار البشر، ج ١، ص ٣٠٩، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٢، ص ٥٣.

حقيقة لم أجد جواباً منصوحاً في المصادر التاريخية تنقل لنا رواية عن سبب اختيار الأمير عيسى بن موسى لولاية العهد لثلاثة من الخلفاء الأوائل للخلافة العباسية دون غيره، إلا إن هناك نصاً تاريخياً أورده ابن طباطبا في مصنفه الفخري في الآداب السلطانية، يشير إلى أن إبراهيم الأمام أوصى بولاية العهد لعيسى بن موسى، دون سبب إلى ذلك الاختيار، كما نقف على بعض نصوص الروايات التاريخية لعلنا نجد ما يكمن عن سبب الاختيار، وسوف أجملها في عدة نقاط:

- ١- كانت إمامة بني العباس في محمد بن علي بن عبدالله بن العباس^(١)، وهو في الحميمة فأوصى إليه شيعتهم بالإمامة والخلافة في أولادك، فمال إليه الناس فثبتوا إمامته وإمامة ولده^(٢).
- ٢- جاءت رواية أخرى تشير إلى أن محمد الإمام قال أمام وجوه بني هاشم وقريش هذا ابني ووصيي والإمام بعدي، فبايعوه ومن بعده ابنه إبراهيم على ذلك^(٣).
- ٣- وهناك رواية أخرى تنص على أن إبراهيم الإمام بن محمد الإمام حينما طُلب من قبل مروان بن محمد الأموي، وتم القبض عليه بعث برسالة إلى أخيه أبي العباس السفاح وأخبره أنه وصيه بأمر والدهم محمد الإمام بن علي، وأنت الإمام الذي يقيم أمرنا^(٤).
- ٤- وثمة روايات تشير إلى أن موسى بن محمد الإمام كان أكبر أولاده وقد ولد في سنة ٨١هـ/٧٠٠م وأخوه إبراهيم الإمام ولد سنة ٨٣هـ/٧٠٢م، وهم أشقاء، وأمهما اسمها جان، وأن موسى قد شارك مع والده محمد الإمام غزوة مع ذي الشامة المعيطي^(٥)، وقتل في بلاد الروم سنة

١- هو محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، أمه العالية بنت عبيدالله بن العباس بن عبدالمطلب، توفي بالشراء من أرض الشام، في خلافة الوليد بن يزيد بن عبدالمك بن مروان سنة ١٢٥هـ/٧٤٣م، وعمره ستون سنة، وكان أبو هاشم عبدالله بن محمد بن الحنفية أوصى إليه بالإمامة، وله من الأولاد: عبدالله السفاح، وأبو جعفر المنصور، وإبراهيم وهو أول من تولى الإمامة بعد أبيه، وموسى والد عيسى، ويحيى وإسماعيل ويعقوب، محمد بن سعد الهاشمي البصري، الطبقات لكبرى، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٨، ١٩٩٧م، ج٥، ص ٣٨١، ٣٨٢.

٢- البلاذري، أنساب الأشراف، ج٤، ص ١٠٨.

٣- البلاذري، المصدر السابق، ج٤، ص ١٥٧، ١٦٦.

٤- البلاذري، المصدر السابق، ج٤، ص ١٦٧.

٥- ابن الجوزي، المنتظم، ج١، ص ١٢٤.

٦- ذي الشامة: هو محمد بن عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط، ولاه يزيد بن عبدالمك الكوفة، محمد بن عمران المرزباني، تصحيح وتعليق الأستاذ الدكتور ف. كرنكو، معجم الشعراء، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م، ص ٤١٦.

١٢٦هـ/٧٤٤م^(١)، وقد ولد له ولد اسماء عيسى، فقد تكفل به جده محمد الإمام وقام بتربيته، فلما توفي محمد الإمام كان عمر عيسى واحداً وعشرين عاماً^(٢).

٥- ونقف على رواية تاريخية مهمة عند البلاذري، تشير إلى أحقية عيسى بن موسى بالخلافة، فقد كانت بين المنصور وأبي مسلم الخراساني وحشة جرت بينهم، من زمن الخليفة السفاح، فأراد أبو مسلم الخراساني أن يتخلص من أبي جعفر المنصور فأوعز إلى عيسى بن موسى بأن يخلع المنصور من الخلافة، فقال له: أنت وصي الإمام وأحق بالأمر من أبي جعفر، فقال له عيسى: الأمر لعمي لو قدمني أبو العباس لقدمته على نفسي^(٣).

٦- هناك رواية تاريخية تشير إلى أن الإمام إبراهيم أوصى بالخلافة لعيسى بن موسى بعد أبو جعفر المنصور^(٤).

ومن تلك الروايات يتضح لنا الاتي:

١- إن محمداً الإمام بن علي، باني دعوة بين العباس، أراد أن يجعل أمر الإمامة من بعده في أبنائه الواحد تلو الآخر كما أشارت إليها الرواية الثالثة.

٢- يعتبر أبناء محمد الإمام الأربعة وهم موسى وإبراهيم وأبو العباس السفاح وأبو جعفر المنصور هم من شاركوا في قيام الدعوة العباسية مع أبيهم.

٣- إن موسى والد عيسى مات في حياة أبيه محمد الإمام، فجعل عيسى ابنه مكان والده إكراماً لوالده بعد أعمامه، وهذا ما يؤكد الحوار الذي دار بين أبي مسلم الخراساني وعيسى بن موسى في رواية الفقرة الخامسة^(٥)، لذلك لم تذكر المصادر التاريخية أن عيسى بن موسى كان له أطماع في الخلافة العباسية من غير حق، أو يتقدم أعمامه، أو يخرج عليهم، بعكس أفراد البيت العباسي ممن هم أخوة محمد الإمام أو من أبنائهم الذين خرجوا على الخليفين السفاح والمنصور وتم القضاء عليهم.

٤- ومن الرواية التاريخية التي تشير إلى أن الخليفة السفاح حينما حضرته الوفاة كتب وصيته بالخلافة من بعده لأخيه المنصور ومن بعده لابن أخيه عيسى بن موسى ودفع بتلك الوصية لعمه

١- الصولي، أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم، ص ٣٠٩، البلاذري، جمل أنساب الأشراف، ج ٤، ص ١١١.

٢- ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٢، ص ٢٦١، ٢٦٣.

٣- البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٤، ص ٢٤٥، ٢٤٦.

٤- الفخري، الآداب السلطانية، ص ١٤٩، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ٢٣، ٥٢٠.

٥- البلاذري، أنساب الأشراف، ج ٤، ص ٢٤٥، ٢٤٦.

عيسى بن علي^(١)، على الرغم من وجود أبنائه وبعض إخوته وأعمامه وبعض أبناء البيت العباسي حوله، إلا أنه لم يوص لأحد منهم بالخلافة، وهذا دليل قاطع على ألا تخرج الخلافة عن أبناء محمد الإمام.

٥- لم يكن اختيار عيسى بن موسى لولاية العهد دون غيره من أبناء البيت العباسي بسبب كبر سنّه أو قيادة عسكرية ماهرة، أو صفات تتطلب أن تكون في ولي العهد، فقد وجد من أفراد البيت من يتحلّى بصفات القيادة والإدارة، ومنهم من اعتمد عليهم وشاركوا في توطيد الدولة العباسية وتحملوا أعباءها.

٦- إن إصرار عيسى بن موسى بمنصب ولاية العهد من عهد الخليفة السفاح وما لقيه من المنصور وابنه المهدي في إقناعه بالتنازل عن ولاية العهد وهو يرفض جميع العروض المقدمة له، لهي دلالة واضحة على أنه رجل أساسي في الخلافة العباسية.

٧- كانت مسألة ولاية العهد لعيسى بن موسى محسومة ومرتب لها من جدهم محمد الإمام، بأن تكون الخلافة في أولاده الثلاثة ورابعهم ابن ابنه عيسى عوضاً عن والده الذي توفي في حياته، لذلك صار إبراهيم الأمام على نهج والده بالوصية في إشراك عيسى بن موسى في مقاليد الحكم، حينما أمر الناس بالبيعة له، إلى أن غيّر اتجاهها الخليفة أبو جعفر المنصور وجعلها في أولاده.

* الخاتمة

١ - نتائج الدراسة:

الحمد لله على عونه وتوفيقه، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد..

تتبعنا في هذه الدراسة الروايات التاريخية التي أشارت إلى القائد العباسي عيسى بن موسى، فقد حوت تلك الروايات على معلومات مهمة وفي بعضها تكون جديدة، ومن خلال الدراسة السابقة للبحث برزت عدة نتائج نجلها على النحو التالي:

- لقد كشفت الدراسة عن الدور المهم الذي لعبه القائد عيسى بن موسى في توطيد حكم بن العباس من خلال القضاء على الثورات التي كانت ضد الدولة.

١ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص ٣٧٤، ٣٧٥، البلاذري، أنساب الأشراف، ج٤، ص ١٦٧، ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج٢، ص ٢١٣، ابن العمراني، الأنباء في تاريخ الخلفاء، ص ٦٤.

- كم تبين لنا في هذه الدراسة أن الأمير والقائد عيسى بن موسى تبوء مكانة عالية وحظوة لدى الخليفتين السفاح والمنصور وذلك لقربه منهم واعتمادهما عليه في كثير من شؤون الخلافة.
- ونجد في هذه الدراسة أن عيسى بن موسى تولى منصب ولاية العهد لثلاث خلفاء عباسيين وهم السفاح والمنصور والمهدي دون غيره من أفراد البيت العباسي.
- كما أوضحت هذه الدراسة أن تقليد منصب ولاية العهد لعيسى بن موسى مخطط له بتوصية من جده الإمام محمد وتأييد أعمامه بأحقيته بهذا المنصب مكان والده.
- كما أوضحت الدراسة أن القائد عيسى بن موسى وقع تحت ضغوط شديدة ومجحفة في بعض المسائل التي مورست بحقه من قبل المنصور وابنه المهدي، على مسألة التنازل عن ولاية العهد مما جعلته يضطر لقبول التنازل ويقدم المصلحة العامة على الخاصة، وهذا حتى لا يعرض الخلافة إلى مزيد من الثورات التي قد لا يحمدها، وهذا مما يدل على مدى حرص عيسى بن موسى على ملك بني العباس.

٢ - التوصيات:

- يجب على الباحثين في دراستهم عن شخصية مهمة في التاريخ عامة والعصر العباسي خاصة، لابد وأن يقف على جميع الروايات التاريخية من ناحية وقرب المؤرخ من حوادث عصره من ناحية أخرى، حيث كلما كان عصر المؤرخ أقرب كلما كانت الرواية إلى الصواب أقرب.
- كما أوصي الباحثين والدارسين بتكثيف البحوث على مرويات مصادر التاريخ ومقارنتها وإخضاعها للدراسة وإن علت مرتبة المؤرخ، الأمر الذي سوف يبين لنا روايات تحتاج تتبع وروايات أقل صحاحه وروايات غير صحيحة.

المصادر

- البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ).
- كتاب جمل من أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض زركلي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.
- ابن تغري بردي: جمال الدين أبو المحاسن الأتابكي (ت ٨٧٤هـ).
- النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة، تقديم محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.
- ابن الأثير: عز الدين علي بن محمد (ت ٦٣٠هـ).

- الكامل في التاريخ، تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.
- ابن الجوزي: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ)
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
- الحموي: أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ).
- معجم البلدان، تحقيق محمد عبدالرحمن مرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧.
- = معجم الأدباء، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.
- الحميري: محمد بن عبد المنعم (ت ٩٠٠هـ).
- الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، مطابع دار السراج، ط٢، ١٩٨٠م، بدون أرقام أجزاء.
- الخطيب البغدادي: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣هـ).
- تاريخ بغداد أو مدينة السلام تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، منشورات محمد علي بيضون، الطبعة الثانية ١٤٢٥هـ.
- ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ).
- العبر وديوان المبتدأ والخبر، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.
- ابن خلكان: شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ).
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.
- الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ).
- تاريخ الإسلام، تاريخ الإسلام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.
- = سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الارنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الحادية عشر، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
- الأزدي: جمال الدين علي بن ظافر (ت ٦١٣هـ).
- أخبار الدول المنقطعة، تحقيق: محمد بن مسفر الزهراني: مطبعة المدني، القاهرة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- ابن سعد: محمد الهاشمي البصري (ت ٢٣٠هـ)
- الطبقات لكبرى، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٨، ١٩٩٧م.
- الصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ)

- الوافي بالوفيات، اعتناء محمد عدنان البخيت، دار فرانزشتايز شتوتكارت، اشراف المعهد الألماني للأبحاث الشرقية بيروت، مطبعة المتوسط، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.
- الصولي: أبو بكر محمد بن يحيى (ت ٣٣٣هـ)
- أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم، من كتاب الأوراق، عني بنشره: ج. هيروث. دن. مدرسة اللغات الشرقية بلندن، مطبعة الصاوي، مصر، الطبعة الأولى ١٩٣٦م.
- الأصفهاني: أبو الفرج علي بن الحسين (ت ٣٥٦هـ)
- كتاب الأغاني، تحقيق: حسان عباس وآخرون، دار صادر، بيروت الطبعة الثالثة ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.
- الطبري: محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ).
- تاريخ الأمم والملوك، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.
- ابن الطقطقي: محمد بن علي بن طباطبا (ت ٧٠٩هـ).
- الفخري في الآداب السلطانية، عني به محمد عوض إبراهيم بك، مطبعة المعارف، مصر، الطبعة الثانية، ١٩٣٨.
- ابن العمراني: محمد بن علي بن محمد (ت ٥٨٠هـ).
- الأنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق: قاسم السامرائي، دار الأفاق العربية، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.
- العمري: شهاب الدين حمد بن يحيى ابن فضل الله (ت ٧٤٩هـ)
- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق كامل سليمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠١٠م.
- أبو الفداء: إسماعيل بن علي بن محمود (ت ٧٣٢هـ).
- تاريخ أبي الفداء، المسمى المختصر في أخبار البشر، تحقيق: محمود ديوب، منشورات محمد بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.
- الكازروني: ظهير الدين علي بن محمد البغدادي (ت ٦١١هـ).
- مختصر الدول من أول الزمان إلى منتهى دولة بني العباس، تحقيق مصطفى جواد، المؤسسة العامة للصحافة والطباعة، بغداد، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م.
- الكتبي: محمد بن شاكر (ت ٧٦٤هـ).
- فوات الوفيات، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٤م.
- ابن كثير: عماد الدين إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ).
- البداية والنهاية، تقديم محمد عبدالرحمن مرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- المرزباني: محمد بن عمران (ت ٣٨٤هـ)
- معجم الشعراء، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ / ١٩٨٢م.

- المسعودي: أبي الحسن بن علي (ت ٣٤٦هـ)
- مروج الذهب ومعادن الجوهر، اعتنى به كمال حسن مرعي، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.

- ابن منظور: محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ).
 - لسان العرب، تحقيق: أبو القاسم محمد كرو، دار صادر، بيروت، الطبعة السادسة ٢٠٠٨م.
- المراجع**

- أكبر: فائزة إسماعيل، التاريخ السياسي للخلافة العباسية، مطبعة الثغر، جدة، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
- بيطار: أمينة، تاريخ العصر العباسي، منشورات جامعة دمشق، الطبعة الرابعة ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.
- سالم: السيد عبدالعزيز، دراسات في تاريخ العرب العصر العباسي الأول، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٣م.

الرسائل العلمية

- الصوفي: مساعد بن مساعد بن محمد، أخبار الدولة العباسية في كتاب عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة الخرجي، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة القصيم، المملكة العربية السعودية، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٤م.

المرأة وفعل المساهمة في صنع القرار السياسي

في المجتمع المغربي-دراسة ميدانية-

Women and the act of contribution to political decision-making in Moroccan society -Sociological study-

د. عبد السلام العثماني

Dr. abdeslam el-othmani

باحث، حاصل على دكتوراه في علم الاجتماع من كلية الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة عبد الملك السعدي، تطوان - المغرب

Ph-D Sociology researcher at the University of Abdelmalek Essaadi, Tetouan,
Morocco

abdeslamsocio16@gmail.com

ملخص

تتناول هذه الدراسة الميدانية موضوع المرأة وفعل مساهمة في صنع القرار السياسي في المجتمع المغربي، وذلك من خلال مقارنة سوسيولوجية اعتمدت تقنية المقابلة والملاحظة بالمشاركة مع فاعلات سياسيات داخل تنظيمات الأحزاب السياسية والمؤسسة التشريعية، إلى جانب تقنية تحليل المضمون لتحليل تصريحات الفاعلات، كما استندت الدراسة على بعض نتائج الانتخابات السياسية السابقة في سعي لكشف التغير الذي شهدته تمثيلية النساء في مواقع صنع القرار السياسي. وتتوخى هذه الدراسة الكشف عن ثلاثة مستويات أساسية: يعالج أولها دور المرأة ومسؤوليتها داخل الأحزاب السياسية، ثم يبرز الثاني آليات ولوجها إلى مواقع صنع القرار السياسي ومدى قدرتها على اتخاذها، وبعد ذلك يعرج الثالث على مدى مساهمة المرأة الفعالة في صنع القرار السياسي.

كلمات مفتاحية: المرأة، فعل المساهمة، القرار السياسي، الأحزاب السياسية، المجتمع المغربي.

Abstract

This field study deals with the issue of women and their contribution to political decision-making in Moroccan society, through a sociological approach that adopted interview and participatory observation with female political actors within political parties organizations and the legislative institution. In addition to the content analysis technique to analyze the statements of the actors, the study was also based on some of the results of previous political elections in an effort to reveal the change witnessed in the representation of women in

political decision-making positions. This study seeks to reveal three basic addresses the role of women and responsibility within political parties, then the second highlights the mechanisms of the women's access to political decision-making positions and the extent of their ability to make them, and the extent of women's effective to contribution to political decision-making.

Key words: women, the act of contribution, political parties, Moroccan society.

مقدمة:

يكتسي موضوع المرأة وفعل المساهمة في صنع القرار السياسي في المجتمع المغربي في الوقت الراهن أهمية بالغة عند الباحثات والباحثين المهتمين بمسألة "جندرة الظاهرة القرارية"، وما لها من دور في تحقيق تطور ديمقراطي مجتمعي، ذلك أن وجود المرأة على مستوى مواقع القرار السياسي مازال منقوصا بشكل ملحوظ ولم تحظ باهتمام كبير من طرف تنظيمات الأحزاب السياسية ومؤسسات الدولة بشكل عام. ويعود ذلك لجملة من الأسباب تبقى "ذكورية السلطة" من أبرزها في مجمل المجتمعات. وتعتبر مساهمة المرأة في صنع القرار السياسي مؤشراً ومقياساً على حداثة وديمقراطية وتقدم المجتمع. ومن أجل تمكين المرأة من التواجد في مواقع صنع القرار السياسي، ينبغي وضع استراتيجيات وتدابير فعالة من أجل التغلب على إقصائها من فعل المساهمة في صنع القرار السياسي واتخاذها.

تكشف العديد من الدراسات ذات الطابع الكمي أنه رغم المجهودات الكبيرة التي قام بها "المجتمع الدولي" في العقود الأخيرة فيما يخص حقوق المرأة عامة أو على صعيد حقوقها السياسية، خاصة في الانتخاب والترشح لكافة مناصب المسؤولية، فإن الإحصائيات والأرقام تبين أنها مازالت بعيدة عن تحقيق المساواة مع الرجل على صعيد التواجد في موقع صنع القرار السياسي واتخاذها. فبحسب إحصائيات الأمم المتحدة لسنة ٢٠١٩، فإن نسبة الوزيرات في العالم بلغت ٢٠.٧%، والبرلمانيات شكلن ٢٤.٣%، من إجمالي أعضاء مجالس النواب في العالم، بينما تشكل الرئيّسات المنتخبات ٦.٦% من رؤساء العالم، ورئيّسات الحكومات يشكلن نسبة ٥.٢% من رؤساء الحكومات في العالم^١. وهي أرقام وإن كانت تظهر تقدماً كمياً ونوعياً مقارنة بما كان سائداً طوال التاريخ، فإنها تبرز كذلك أن المرأة ما زالت بعيدة عن التمثيل الذي تستحقه كونها تشكل نصف المجتمع البشري.

^١ - ارتفاع نسبة تمثيل المرأة في المناصب القيادية، في: <https://news.un.org/ar/story/2019/03/1028771> ; URL ، شوهده في : ٢٠٢٤/٠١/١٢.

في المجتمعات العربية، مازالت المرأة بعيدة عن تحقيق المساواة الفعلية بينها وبين الرجل في كل مجالات الحياة. ويبقى أهمها مجال السلطة، وبخاصة مراكز صنع القرار السياسي، وهو ما تبينه العديد من الدراسات الميدانية المختصة في مقارنة النوع الاجتماعي بشكل عام، والمرأة والسياسة بشكل خاص^١. والسبب يعود إلى عوامل بنيوية متعددة منها: هيمنة الثقافة الذكورية في تفاعلها مع رواسب مجتمع بطريركي مشوه التحديث، وسيطرة الذهنية التقليدية الذكورية في المجال السياسي، والقائمة على إيديولوجيا "استبدادية ذكورية" مناقضة لقيم الحداثة والديمقراطية والمواطنة.

هكذا تجد المرأة ذاتها أمام ثقافة ترفض شعوريا أو لاشعوريا تحررها ومساواتها بالرجل، وترفض رفضا باتاً مشاركتها له في تدبير الشأن السياسي، في تناقض طافح بين خطاب حدائي تقدمي مساواتي وبين واقع تقليدي محافظ اضطهادي. لقد كان منتجو هذا الخطاب -على اختلاف انتماءاتهم الإيديولوجية خاصة- ذوي خلفية ذكورية تحرص على احتكار السلطة ومناصب القرار والقيادة عموماً، وتحصر المرأة النموذجية عموماً في ملازمة الخدور، وفي تجنب مراكز صنع القرار والمشاركة الفاعلة فيها، شعارهم في ذلك "لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَوْ أَمْرَهُمْ امْرَأَةٌ". وتكونت من معاني هذا الخطاب -ومن غيرها ممّا يتجانس معه- بدايات حجبت نسبة الحقائق التي تقوم عليها، وساهمت في تثبيت اختيارات الثقافة الرسمية^٢.

إن الاهتمام السوسيولوجي بموضوع المرأة وصنع القرار السياسي في المجتمع المغربي راهناً، يمنح للباحث في هذا المجال العلمي إمكانية فهم وتحليل آليات اشتغال النسق السوسيو-سياسي، والوقوف عند أهم المؤسسات السياسية وكيفية صنعها للقرار واتخاذها. كما تسمح المقاربة السوسيولوجية أيضاً بفهم عميق

١ - يمكن العودة إلى الدراسات التالية:

-الهراس المختار، المرأة وصنع القرار في المغرب، (بيروت: مركز المرأة العربية للتدريب والبحوث - كوثر، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى)، ٢٠٠٨.

-داميا بنخويا، واقع المشاركة السياسية للمرأة المغربية، مؤلف جماعي، المشاركة السياسية للمرأة العربية - تحديات أمام التكريس الفعلي للمواطنة - دراسة ميدانية في إحدى عشر بلدان عربية، (تونس: المعهد العربي لحقوق الإنسان، ٢٠٠٤).

- بنعدادة أسماء، المرأة والسياسة: دراسة سوسيولوجية للقطاعات النسائية الحزبية، سلسلة أطروحات (٢)، ط ١، (الرباط: المعهد الجامعي للبحث العلمي، ٢٠٠٧).

²- Claude Lévi-Strauss, *structures élémentaires de la parenté*, (New York, Monton-1 de Gruyter, 2002), P. 37.

لبنية السلطة وآليات صنع القرار السياسي وكيفية بلوغه، ثم إدراك أهم المعوقات التي تحول دون وصول المرأة المغربية لمراكز القيادة الحزبية، ومنها مواقع صنع القرار السياسي.

صحيح هناك تقدم ملحوظ في المغرب حول التمثيل السياسي للمرأة. ومع ذلك مازالت الهوة متسعة بين المرأة والرجل في دوائر صنع القرار السياسي. ففي الوقت الذي نشاهد فيه تصاعد وثيرة انخراط المرأة في تنظيمات الأحزاب السياسية، ومشاركتها الهامة في عملية الانتخاب/التصويت، فهي تشكل أكثر من نصف عدد سكان المجتمع المغربي، لكن مازالت مغيبة قسراً عن قيادة الأحزاب السياسية ومراكز صنع القرار السياسي واتخاذ مؤسسات الدولة السياسية.

إن التركيز على تناول موضوع المرأة وفعل المساهمة في صنع القرار السياسي -في المرحلة الراهنة- يكتسي أهمية قصوى، بالنظر لما شهدته أوضاع المرأة في المغرب خلال العشريتين الأخيرتين من تطور كبير شمل جميع المجالات الاقتصادية والسياسية والثقافية والفكرية والقانونية والسياسية؛ تطور ساهمت فيه جملة من العوامل يمكن أن ندرجها ضمنها التوجه الحداثي/التحديثي الذي شهده المجتمع المغربي منذ أواخر القرن الماضي، أهمها زخم الفعل السياسي والنضالي بفعل تطور حركة حقوقية ونسائية ذات قوة مطلوبة وازنة وقدرة كبيرة على التأثير في الواقع المجتمعي، إضافة إلى المتغيرات الدولية التي دفعت، وما زالت تدفع في اتجاه تعميق التمكين النسائي عامة والسياسي خاصة، مما مكن المرأة -في العقدين الأخيرين- من ولوج مراكز القيادة الحزبية في بعض التنظيمات الحزبية، وتمكينها أيضاً من دخول مؤسسات القرار السياسي سواء على مستوى المؤسسات التشريعية والتنفيذية. وبذلك، المساهمة في صنع القرار السياسي واتخاذ.

إشكالية الدراسة ومنهجيتها:

أسئلة الدراسة وفرضياتها

تتمحور إشكالية هذه الدراسة حول تحليل فعل مساهمة المرأة في صنع القرار السياسي في المجتمع المغربي، باعتماد المقاربة الجندرية كآلية لتحليل الواقع السوسيو-سياسي، الذي يؤثر بشكل مباشر في الواقع السياسي المغربي، وهو واقع يتبلور فيه الفعل السياسي النسائي بين تحديات تجاوز الإكراهات الذاتية والموضوعية والقدرة على الفعل السياسي واتخاذ بشكل فعال. وعليه فإن الدراسة تسعى إلى الإجابة عن إشكالية مهمة نلخصها في الأسئلة التالية:

- ما موقع المرأة المغربية في الفعل السياسي داخل هيئات الأحزاب السياسية؟
- لماذا لا نشاهد حضورا لها بشكل فعال في مواقع القيادة الحزبية؟
- كيف تصل المرأة المغربية إلى مواقع صنع القرار السياسي؟
- إلى أي حد يمكن اعتبار بلوغ المرأة المغربية إلى مواقع صنع القرار السياسي فعل دال على مساهمتها الفعالة في صنعه واتخاذ؟

تفترض الدراسة أن هناك علاقة سببية بين طبيعة الثقافة السياسية السائدة في المؤسسات السياسية خصوصا الأحزاب السياسية ومشاركة المرأة في صنع القرار السياسي. كما **تفترض** أيضا أن المرأة لا ترفض المشاركة في الفعل السياسي المؤدي إلى مواقع صنع القرار، وإنما هيمنة الثقافة الذكورية على النسق السياسي المغربي هي التي ترفض مشاركتها بشكل فعال في إنتاج القرار السياسي. وبالتالي، تجعل من مساهمتها تتسم بغياب النجاعة والفعالية.

منهجية الدراسة:

تبحث هذه الدراسة في إشكالية علاقة المرأة بالقرار السياسي، باعتماد المقاربة الجندرية (منهجية مقارنة النوع الاجتماعي) التي تعطي أهمية خاصة لتجارب النساء في مجال السلطة السياسية، كما تسمح بفهم علاقة المرأة بالفعل السياسي وطبيعة مشاركتها في "الظاهرة القرارية" من جانب. ثم تقوم على تحليل آراء عينة من الفاعلات سياسيا، معظمهن قيادات بارزات في مواقع صنع القرار السياسي داخل مؤسسات الدولة (الحكومة، البرلمان تحديدا) أو في هياكل الأحزاب السياسية، وبالتالي معرفة ما إذا تمكنت المرأة (الفاعلة السياسية) من إعادة تعريف وبناء الثقافة السياسية داخل الأحزاب السياسية من جانب آخر.

تعتمد الدراسة مقارنة منهجية كيفية لتحليل موقع المرأة في الفعل السياسي وخاصة فعل المساهمة في صنع القرار السياسي، وقد استندنا على أهم ما جمعناه من معطيات من خلال تقنية المقابلات شبه الموجهة التي أجريناها مع عينة مكونة من ٣٠ امرأة/ فاعلية مساهمة في هيئات ومؤسسات صنع القرار السياسي، (نساء قيادات في أحزاب سياسية، نساء في المؤسسة التشريعية، نساء في المؤسسة التنفيذية). ثم تقنية تحليل المضمون، وقد سمحت لنا هذه التقنيتين المنهجيتين أولا، من فهم وتفسير العلاقات الديناميكية بين المرأة والفعل السياسي في المجتمع المغربي، ثانيا، كشف آلية ولوجها إلى مواقع صنع القرار السياسي. ثالثا سنبين مدى مساهمة المرأة في صنع القرار السياسي بشكل فعال.

أولاً: المرأة والمساهمة في الفعل السياسي داخل هيئات الأحزاب السياسية

عمل المغرب كباقي الدول العربية خلال العقدین الأخيرین على تكثيف الجهود بغية تقوية حضور المرأة في مختلف مواقع القرار والمسؤولية السياسية، باعتبارها فاعلاً أساسياً في عملية تجذير البناء الديمقراطي وتحديث المجتمع. وتبعاً لذلك بدأ المغرب يحرص على إيجاد حضور النساء في مواقع صنع القرار السياسي، خاصة أن المغرب من بين الدول العربية التي تفاعلت إيجاباً مع المواثيق الدولية التي تتعلق بالحقوق السياسية للمرأة، لكن رغم ذلك، ظل حضور المرأة المغربية محدوداً وغير فعال كما أرادت ذلك مطالب الحركة النسائية المغربية.

وقد اتسم تاريخ المغرب لفترة طويلة بتغييب المرأة عن مواقع المسؤولية السياسية، وامتد ذلك إلى بداية القرن العشرين وهي فترة تعتبر نقطة تغير وتحول في مسار المرأة العربية عامة والمغربية على وجه الخصوص، حيث تمكنت عدد من النساء بلوغ مواقع صنع القرار السياسي، ف - سنة ١٩٩٧ تشكل محطة مهمة في هذا الصدد، إذ لأول مرة يعرف المغرب تعيين أربع نساء كاتبات دولة في حكومة تتكون من ثلاثين عضواً، لكن سرعان ما تغير ذلك في سنة ١٩٩٨ إذ تقلص العدد إلى كاتبتين دولة، وفي التعديل الدستوري لسنة ٢٠٠٠ تم تعيين أول امرأة وزيرة منتدبة في تاريخ المغرب، ثم ارتفع هذا العدد في سنة ٢٠٠٢ إلى ثلاث حقائب وزارية نسائية^١. ثم إلى سبع حقائب، وخمس وزيرات وكاتبتين دولة سنة ٢٠٠٧. غير أنه في سنة ٢٠١١ سوف تعرف هذه النسبة تراجعاً مقلقاً مع صعود الإسلاميين إلى سدة الحكم، إذ ضمت حكومة عبد الله بنكيران امرأة وحيدة ويتعلق الأمر بوزيرة الأسرة والتضامن المكلفة بوضعية المرأة، وحماية الأسرة، والطفولة، والمعوقين. الأمر نفسه تكرر في الولاية التشريعية لسنة ٢٠١٦، قبل أن يتم تدارك الأمر في التعديل الحكومي لسنة ٢٠١٩ بإدخال أربع وزيرات. ويعود ذلك بالأساس إلى الدور الذي لعبه ملك البلاد محمد السادس، حيث قام بإعطاء مكانة مهمة في خطابه

^١ - بنهال محمد، "المشاركة السياسية للمرأة في المغرب بين المعوقات وسبل التجاوز"، المجلة العربية للعلوم السياسية، العدد ٢٩، (يناير ٢٠١١)، ص ١٣١.

^٢ - Rayoume du Maroc, mise en œuvre de la CEDAW, 3ème et 4ème rapport périodique, (Genève, 24 janvier 2008) P.28.

لمسألة الحقوق السياسية للمرأة المغربية، من أجل تمكين وتعزيز حضور النساء في مناصب المسؤولية السياسية في سعي واضح منه نحو تحقيق المساواة بين الجنسين^١.

تكشف هذه المعطيات مسألتين أساسيتين: الأولى أن قضية وصول المرأة المغربية إلى مواقع المسؤولية السياسية، والمساهمة في صنع القرار السياسي هي مسألة حديثة العهد تعود بالأساس إلى بداية سنوات الألفية الثالثة، بعد تضافر الجهود المحلية والدولية تمثلت على وجه الخصوص في ظهور حركات نسائية قوية وفاعلة ومستقلة إلى جانب المؤتمرات الدولية أذكر على سبيل المثال لا الحصر: De puis la quatrième conférence mondiale de l'ONU sur les femmes en 1995, plate forme d'action de Beijing et à marqué le programme de travail de la 49ème session de la comession de la condition de la femme à l'OUN à New York en 2005. بينما الثانية تُظهر ضعف تمثيلية النساء بمراكز صنع القرار السياسي. خاصة على مستوى مؤسسة الحكومة كما هو يُبين بالجدول التالي:

^١ - برنامج تعزيز المساواة بين الرجل والمرأة في المنطقة الأورومتوسطية ٢٠٠٨ / ٢٠١١، تقرير حول تحليل الوضع الوطني - المغرب - الحقوق الإنسانية للمرأة والمساواة على أساس النوع الاجتماعي، (المغرب، ٢٠٠٨ - ٢٠١١)، ص ٣٥.

جدول رقم ١: الحضور النسائي بالمؤسسة التنفيذية

الحكومة	عدد الوزيرات	مجموع الوزراء	النسبة النسبية المنوية	ملاحظة
1997	4	30	13,33%	أربع كاتبات دولة ليتراجع مع حكومة عبد الرحمان اليوسفي إلى امرأتين.
2002	٢	39	٥.١٣%	
2007	7	٣٤	18,92%	
2011	1	30	3,33%	في أكتوبر ٢٠١٣ عقب التعديل الحكومي، أصبحت الحكومة الجديدة تضم ٦ نساء من بينهم وزيرتان و ٤ وزيرات منتدبات.
2016	1	39	2,56%	في أبريل ٢٠١٧ عقب تعديل حكومي فقد عينت ٨ كاتبات دولة وزيرة واحدة. وفي أكتوبر ٢٠١٩ وضمن التعديل الحكومي الجديد تقلص عدد الوزراء فيه من ٣٩ إلى ٢٤ من بينهم ٤ وزيرات.

مصدر نتائج الانتخابات، والتعديل الحكومي

تجدر الإشارة عند التأمل في طبيعة الحقائق الوزارية المسندة للمرأة المغربية أنه نادرا ما يُسند لها منصب وزيرة كاملة الاستوزار، بل تسند إليها في أغلب الأحيان حقيبة كاتبات دولة، وكأن بالنساء لا يصلحن إلا لهذا المنصب وفي أفضل الأحوال منصب وزيرة منتدبة لدى وزير ما، وكأن كفاءات النساء لا تؤهلن لتحمل منصب ذي مسؤولية عليا، كما أن نوع الحقائق الوزارية لا تخرج عن المجال الاجتماعي عندما تسند إليها حقيبة كاملة الاستوزار حيث تسند إليها وزارة المرأة والطفولة والأسرة والمعوقين، وبالتالي هذا النوع من الاستوزار يضع المرأة في أدوار تقليدية قائمة على فكرة نمطية كون المرأة بطبيعتها عاطفية فهي تصلح للطفل والأسرة والمعوق والأمي والمهمش^١، أما الوزارات السيادية هي من نصيب الفاعل السياسي الأول (الرجل).

^١ - بنخويا داميا، واقع المشاركة السياسية للمرأة المغربية، في المشاركة السياسية للمرأة العربية - تحديات أمام التكريس الفعلي للمواطنة - دراسة ميدانية في إحدى عشر بلدان عربية، (تونس: المعهد العربي لحقوق الانسان، ٢٠٠٤)، ص ٤٤٥.

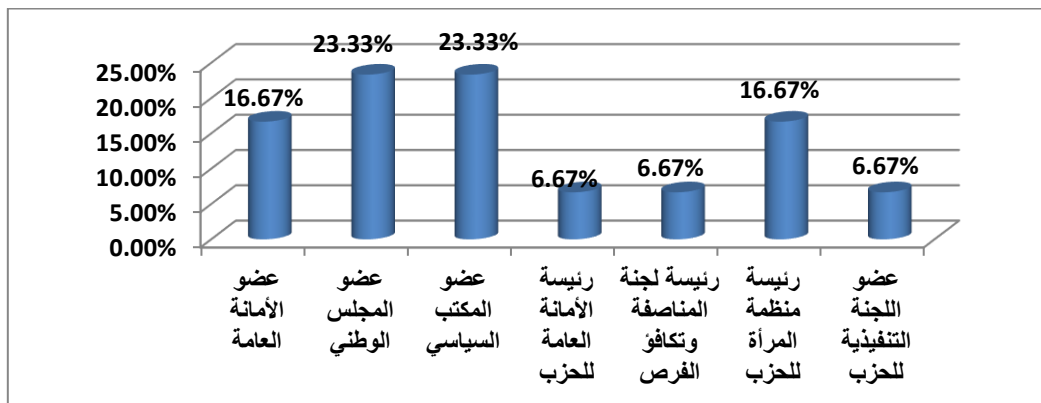
ويعود هذا الأمر بالأساس إلى غياب إرادة حقيقية لدى الأحزاب السياسية المغربية، حيث المرأة فيها نادرا ما تتحمل مسؤولية سياسية مهمة داخل التنظيم الحزبي. وهو ما تبين من خلال جواب الفاعلات السياسيات عن سؤال متعلق بالمسؤولية السياسية التي تتحملها الفاعلة داخل الحزب.

١ - المرأة والمسؤولية السياسية داخل الهيئات الحزبية

تعد الممارسة السياسية مدخلا أساسيا لأي فاعل يريد الوصول إلى مراكز المسؤولية السياسية، وفي غياب تلك الممارسة تغيب المشاركة أو تصبح غير واعية وفعالة لا تتحكم فيها المعرفة السياسية، ويصبح الفاعل غير فاعل، أي غير قادر على تحمل المسؤولية داخل التنظيم السياسي، بل أكثر من ذلك يصير رقما في معادلات الحقل السياسي. ومن هنا نتساءل عن المسؤولية السياسية التي تشغلها المرأة المغربية داخل الأحزاب السياسية من خلال السؤال التالي: ما هي المسؤولية السياسية المنوطة بك داخل الحزب؟

١ - ١ - المرأة والمسؤولية الحزبية

مبيان رقم ١: المرأة والمسؤولية السياسية داخل الحزب



مصدر: البحث الميداني، ٢٠١٩.

يعكس الشكل المبياني أعلاه واقع المسؤولية السياسية التي تتحملها المرأة داخل التنظيم الحزبي ونوع النشاط الذي تقوم به، فمن مجموع ثلاثين فاعلة سياسية نجد امرأتين فقط تتحملان مسؤولية رئيسة الأمانة العامة للحزب بنسبة ٦.٦٧ %، بينما باقي الأحزاب الأخرى والتي تفوق ٤٠ حزبا قيادتها الحزبية تبقى ذكورية صرفه، وهذا ينم عن كون وجود المرأة في مواقع القيادة السياسية الحزبية ما زال ضعيفا بالمجتمع المغربي، كما أن هاتين المرأتين المتواجدتين على رأس حزبيهما، ضمن الأحزاب غير المؤثرة

في المشهد السياسي بشكل قوي. في حين نجد أعلى نسبة ب ٢٣.٣٣% مسؤوليتها تنحصر في عضو المكتب السياسي وبنفس النسبة أيضا ٢٣.٣٣ % عضو المجلس الوطني، كما أن نسبة ١٦.٦٧ % صرحت أن مسؤوليتها تتمثل في عضو الأمانة العامة، وهي النسبة ذاتها ١٦.٦٧% رئيسة منظمة المرأة بالحزب، فيما نجد فئة أخرى تشكل نسبة ٦.٦٧ % مسؤوليتها الحزبية تتمثل في كونها عضو اللجنة التنفيذية للحزب، ثم بذات النسبة، أي ٦.٦٧% رئيسة لجنة المناصفة وتكافؤ الفرص.

أما فيما يتعلق بعلاقة الفاعلات السياسيات بالمسؤولية السياسية داخل الأحزاب السياسية، يلاحظ أن النساء يشغلن مناصب مسؤولية غير مؤثرة في صنع القرار السياسي، حيث تمنح لهن مسؤوليات ثانوية مقارنة مع الرجل. رغم تزايد الحضور النسائي داخل الأحزاب السياسية المغربية فإن مساهمتهم في صنع القرار السياسي يبقى ضئيلا ومحدودا، لا يوازيه حضور نوعي، أي مساهمة فعالة للمرأة في المناصب القيادية الحزبية بصفة عامة، وبالرغم من تلك المسؤولية الثانوية فإنها تفرض عليهن مسؤولية جديدة.

١ - ٢ - المسؤولية الحزبية والمهام الجديد

لقد أكدت جميع الفاعلات بشكل تام عن كون المهام السياسية التي تنهض بها داخل الأحزاب بالرغم من ثانويتها، فإنها تفرض عليهن مهام سياسية أخرى عديدة ومتعددة مثل كونهن من يقمن بالجانب التنظيمي والتدبري من قبيل الإعداد للمؤتمرات وإنجاز المحاضر، وكذا تنظيم اللقاءات والاجتماعات وتأطير الشبيبة الحزبية بما فيها العنصر النسائي بالأساس وإقناعهن من أجل الانخراط في التنظيم الحزبي. وهو ما تؤكد إحدى الفاعلات السياسيات عن حزب الاستقلال بقولها: "شخصيا مكلفة بالتكوين والتأطير بأكاديمية حزب الاستقلال للتكوين والتأطير السياسي، وأشتغل مديرة لهذه المؤسسة". كما توضح أغلبهن أنهن من يواكبن العمل السياسي بجد وانضباط داخل المؤسسة التشريعية، بينما الرجال أكثر إهمالا ولا مبالاة في هذا الشأن وهو ما نلمسه من قول الفاعلة السياسية عن حزب الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية تقول: "المسؤولية السياسية داخل الحزب كبيرة وجسيمة تتطلب منك الحضور الدائم في مجلس النواب، حضور الجلسات العامة، اجتماعات اللجن، اجتماعات الفريق، حضور اجتماعات المكتب السياسي، إنجاز المهام المكلفة بها بالمكتب السياسي، خصوصا أنني مكلفة بجهة درعة تقيالت، السفر إلى الخارج لأني مكلفة بالمنظمات الدولية، الدفاع عن الحزب ومرجعياته والانضباط لها، التواصل المباشر مع المواطنين والمواطنات والسهر على حل مشاكلهم/هن...".

وفي هذا السياق، يتبين أن وجود المرأة المغربية داخل الأحزاب السياسية يطغى عليه الجانب الشكلي أكثر منه نوعي وفعال، فرغم خطابات الفاعل السياسي الأول الملك محمد السادس على حث زعماء الأحزاب

السياسية بتشجيع وتسهيل الطريق للمرأة من أجل ولوجها مراكز صنع القرار السياسي، والتي توجت بعقد التزام سياسي قانوني بين مختلف التنظيمات الحزبية سنة ٢٠٠٢ لتخصيص اللائحة الوطنية لفائدة النساء حصريا، إلا أن الحقل السياسي الحزبي في المغرب يبين أن الاهتمام بالمرأة لا يعدو في مجمل الأحيان مجرد ضرورة فرضتها الالتزامات الدولية، أو لنقل الحداثة الغربية. أما القيادات الحزبية المغربية لا تمتلك ثقافة ولا إرادة سياسية واضحة وناضجة لتمكين المرأة من الوصول إلى مراكز المسؤولية السياسية العليا، أي القيادية. فرغم ارتباط نشاط الفعاليات النسائية منذ الحماية بالعمل الحزبي، إلا أن المرأة المغربية لم تستطع بلوغ مراكز صنع القرار السياسي أو مناصب القيادة الحزبية. وكان يجب انتظار سنة ٢٠٠٧ لتتمكن أول امرأة مغربية من قيادة حزب سياسي، وهو حزب المجتمع الديمقراطي^١، ويتعلق الأمر بالأستاذة الجامعية "زهور شقافي"، وفي سنة ٢٠١١ تمكنت أيضا امرأة ثانية من قيادة حزب سياسي إنه الحزب الاشتراكي الموحد ويتعلق الأمر بالقيادية والأستاذة الجامعية "نبيلة منيب". وهذا ما بينته نتائج البحث حيث شكلت نسبة النساء اللواتي يوجدن على رأس الأحزاب السياسية ٦.٦٧ بالمائة فقط.

وتجدر الإشارة إلى أنه حتى الأحزاب السياسية التي لها تاريخ عتيق مثل حزب الاستقلال، ومنذ نشأته لم تتبوء أية امرأة منصبا في أجهزته القيادية، وكانت سنة ١٩٨٢ رمزية في هذا الصدد، إذ ضمت اللجنة التنفيذية للمؤتمر في أبريل من نفس السنة امرأتين، ثم ارتفع العدد إلى ثلاث نساء بعد المؤتمر الذي عقد بأبريل في فبراير ١٩٩٨، وحتى اليوم ما تزال حضور النساء داخل مواقع المسؤولية به ضعيفة. والأمر لا يختلف على مستوى باقي الأحزاب الأخرى، فالاتحاد الاشتراكي في المؤتمر الخامس على سبيل المثال، لم يضم في لجنته المركزية إلا أربع (٤) مناضلات من أصل ١٠١ مناضل، وأمام ضعف تمثيلية المرأة المغربية في مراكز المسؤولية داخل الأحزاب السياسية، اقترحت لجنة التنسيق الوطنية لنساء الأحزاب السياسية التي تكونت من ممثلات عن ١٠ أحزاب سياسية تطبيق مبدأ التمييز الإيجابي لفائدة تمثيل النساء داخل المواقع القيادية للأحزاب السياسية. تبعا لذلك خصص حزب الاستقلال والاتحاد الاشتراكي نسبة ٢٠% للنساء في المراكز العليا للحزب، يليه في ذلك حزب التجمع الوطني للأحرار بنسبة ٥% ضمن لجنته المركزية ثم بقية الأحزاب الأخرى بنسبة جد ضعيفة أقل من ٥%، لكن رغم ذلك بقيت نسبة وجود

^١ Boutheina Gribaa et Autre, «Projet renforcement du leadership féminin et de la participation des femmes à la vie politique et au processus de prise des décisions en Algérie, au Maroc et en Tunisie», (Etat de la situation, 2008 – 2009). P. 58.

^٢ محمد بنهال، مرجع سابق، ص ١٣٢.

المرأة بمواقع المسؤولية وصنع القرار متدنية جدا داخل الأنظمة الحزبية نظرا لعدم التزام الأحزاب باحترام على الأقل تلك النسب.

نستنتج من كل هذا، أن العمل الذي تقوم به المرأة داخل تنظيمات الأحزاب السياسية لا يعكس وجودها الحقيقي في مواقع المسؤولية الحزبية، فرغم كل الجهود المبذولة تبقى مناصب صنع القرار واتخاذها في تلك التنظيمات الحزبية ذكورية، بينما تسند للمرأة مهامها تبعتها عن مواقع المساهمة في صنع القرار السياسي.

ثانيا: المشاركة السياسية للمرأة في الفعل السياسي وآليات وصولها إلى مواقع القرار السياسي

إن المتتبع لقضايا المرأة ومساهمتها في تدبير الشأن العام يكشف بجلاء مدى بزوغ خطابات سياسية مبكرة، جعلت من قضايا النوع الاجتماعي موضوعا مركزيا، ليس فقط على المستوى المحلي، وإنما أيضا على مستوى البعد القطري برمته، فقد ظهرت في بداية القرن العشرين دعوات أطلق عليها "مشاركة المرأة للرجل في الأعمال والشؤون العامة"^١. مع أعلام بصموا تاريخ المجتمعات العربية كما هو الحال بالنسبة لقاسم أمين، سلامة موسى، بالمشرق العربي، والطاهر حداد بتونس، وفي خمسينيات القرن الماضي مع علال الفاسي بالمغرب. بيد أن تلك الخطابات لم تكن واضحة الرؤية ولا نابعة من قناعة راسخة بحقوق المرأة عامة والسياسية خاصة، إذ لم تكن تتجلى في إشراك المرأة في الشأن السياسي، بقدر ما اركزت خطابات هؤلاء حول إشراكها في الاستفادة من التعليم والذي اقتصر على النخبة النسائية المدنية كما ترى الباحثة الاجتماعية زينب معادي^٢. وتبين الباحثة في نفس السياق أن هذه الدعوات قد أثارت ردود أفعال لدى النساء اللائي أدركن مدى التناقض بين مشاركة المرأة في النضالات الحزبية إلى جانب الرجل، وبين النظام التراتبي الجنسي داخل أنظمة الأحزاب الذي يجعل المرأة بعيدة عن مواقع صنع القرار السياسي واتخاذها.

إن هذا التناقض الصارخ بين الخطابات السياسية وبين الممارسات السياسية الواقعية، انكشف على أكثر من صعيد لدى الأحزاب السياسية المغربية. إذا بدا واضحا مركزية وثقل الحضور الذكوري على مستوى صنع القرار السياسي واتخاذها، حيث لم نلمس، ولمدة طويلة وجود أي حزب سياسي ذي قيادة نسائية.

^١ - معادي زينب، الأسرة المغربية بين الخطاب الشرعي والخطاب الشعبي، (المركز الوطني لتنسيق وتخطيط البحث العلمي والتقني، ١٩٨٨)، ص ١٢٣.

^٢ - المرجع نفسه، ١٢٣.

ويكشف ذلك عن ضعف تمثيلية المرأة داخل الهيئات الحزبية، إذ غالبا ما ينظر الحزب إلى نسائه نظرة "الحريم السياسي" بتخصيص هيئات نسائية نشطة على هامش دوائر الحزب^١ بعيدا عن مواقع القرار.

أمام هذا الوضع شبه الثابت فيما يخص وضع المرأة داخل مواقع المسؤولية السياسية الحزبية، الذي عرف ثباتا على مستوى تمثيليتها المتدنية داخل أجهزة الأحزاب والدفع بها نحو أدوار ثانوية، وأمام الضغوطات الداخلية المتمثلة في العمل النضالي الجبار الذي قامت به الحركة النسائية المغربية محليا ودوليا، فما كان لخيار أمام الدولة سوى اعتماد آلية "الكوتا"^٢ انطلاقا مما يسمى باللائحة الوطنية التي ركزت على تخصيص نسبة الثلث داخل أجهزة الأحزاب بأن تكون نسائية وهو الأمر نفسه داخل مؤسسات الدولة وبخاصة المؤسسة التشريعية والتنفيذية. وذلك من أجل تأثيث المشهد السياسي وإعطائه طابعا ديمقراطيا حداثيا، وهذا ما أدى إلى ارتفاع في تمثيلية النساء بمواقع صنع القرار السياسي. وإن كان بطريقة غير ديمقراطية أو لنقل غير شرعية ومقنعة ولا تعبر عن مسار ديمقراطي لتمكين النساء من ولوج مواقع صنع القرار السياسي.

١ – المشاركة السياسية للمرأة في الانتخابات المحلية والمساهمة في صنع القرار السياسي

يحول مفهوم المشاركة السياسية إلى مجموع الأنشطة الإدارية التي تسمح للمواطنين بالتأثير في النظام السياسي، عبر الانتخابات، باختيار الحاكم والمساهمة في صنع القرار السياسي واتخاذها. كما يدل على مجموع الأنشطة التي تؤهل الفاعل إلى الدخول في علاقة مع صانع أو صناع القرار. وتتأسس المشاركة السياسية على مبدأ الديمقراطية التداولية. ويتمثل هذا المبدأ باستيعاب الشأن العام كمسلسل تداول عادل يُمكن كل المواطنين والمواطنات من المساهمة في تدبيره بتعاون وحرية^٣. وفي نفس السياق أكدت نونا أن

^١ - عبد الغني شفيق، النخبة المحلية بالوسط القروي المغربي: ديناميات التغير ومواقع النفوذ إقليم إفران نموذجا، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع، السنة الجامعية، (٢٠١٢ - ٢٠١٣)، ص ٤٠٢ - ٤٠٣.

^٢ - تمييز إيجابي مؤقت للمرأة، لتعزيز مشاركتها السياسية عن طريق تخصيص مقاعد للنساء في المجالس المنتخبة، أو بمواقع صنع القرار السياسي، ويعطي هذا النظام للمرأة الحق في أن يكون لها نسبة تمثيل في جميع الهياكل المنتخبة تصل إلى نسبة ٣٠% كحد أدنى، وذلك من أجل تمكين المرأة من بلوغ مراكز القرار، وهذا النظام يعد واحدا من الآليات المهمة لتخطي المعوقات التي تكبح تمثيل المرأة في الحياة السياسية عامة، ومواقع صنع القرار خاصة، بشكل متكافئ مع الرجل، كما تستهدف فئة النساء وتهيئهن للعمل السياسي حتى يستطعن إثبات ذاتهن وقدراتهن ووصولهن إلى مواقع صنع القرار السياسي، إنه عبارة عن آلية لمواجهة تهميش المرأة في جميع الميادين وخصوصا صنع القرار السياسي.

^٣ - Yves Sintonner et Loic Bondiaux, « L'Imperatif », Revue des Sciences sociales du politique, (2006). P. 18.

المشاركة تتمثل في الربط بين النموذج التشاركي وتطبيقاته في الديمقراطية التمثيلية^١. وبذلك فإن المشاركة السياسية تعني في أوسع معناها حق المواطنة والمواطن في أن يؤدي دورا فاعلا في عملية صنع القرارات السياسية.

إن المشاركة السياسية الفاعلة للمرأة في الحياة السياسية آلية مهمة من أجل تمكينها للوصول إلى مؤسسات صنع القرار السياسي لاسيما وأن مسألة مساهمة المرأة في صنع القرار السياسي مؤشرا دالا على ديمقراطية وتحديث المجتمع. أما على الصعيد العملي فإن المساهمة السياسية الفعالة للمرأة في الحياة السياسية وخاصة إشراكها في العمل الانتخابي يعتبر من أهم الآليات وأكثرها قدرة على التأثير في صنع القرار، لهذا فمشاركتها في العمل البرلماني كناخبة أو مرشحة أو ممثلة للشعب يعد عاملا مهما في صنع القرار السياسي، فالمرشحة الفائزة في عضوية البرلمان مثلا تستطيع المساهمة بصورة مباشرة في إنجاز القوانين واحداث التشريعات المختلفة التي تعمل على تغيير وتحديث المجتمع. لكن حتى تتمكن من ذلك يجب أن يكون حضورها بتلك المؤسسة حضورا ذا مشروعية انتخابية. فكيف وصلت أغلب النساء إلى مراكز صنع القرار السياسي؟

جدول رقم ٢: الفاعلة السياسية والترشح للانتخابات المحلية

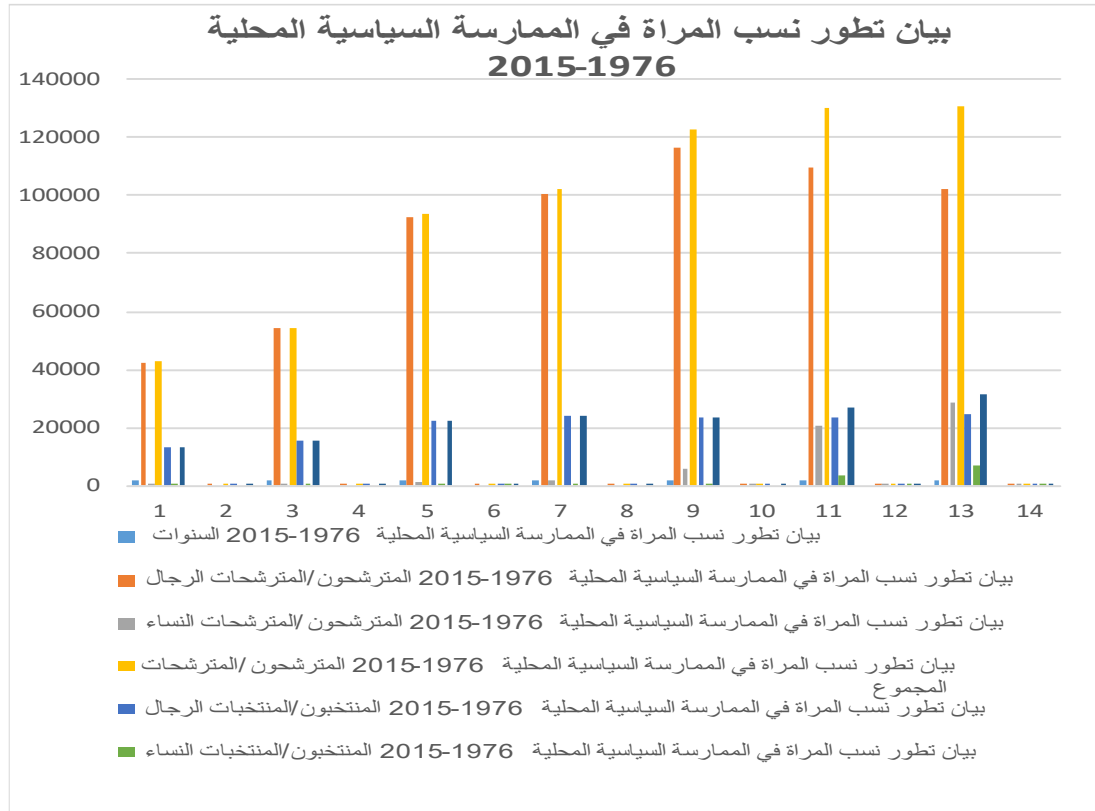
لا				نعم				الترشح للاانتخابات المحلية
النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد					
33,33%	10	66,67%	لم تفز		فازت			
			النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد		
			40,00%	8	60,00%	12		
			20					
30						المجموع		

مصدر: بحث ميداني، ٢٠١٩.

تكشف المعطيات الخاصة بعلاقة الفاعلة السياسية بالترشح للانتخابات المحلية على أن أغلب الفاعلات سبق لهن الترشح للانتخابات المحلية وذلك بنسبة ٦٦.٦٧ %، وتمكنت نسبة ٦٠ في المائة منها

¹ - Nonna Mayer, *Sociologie des comportements politiques*, (Paris, Armand Colin, 2010). P 23.

بالفوز، بينما ٤٠ في المائة لم يتحقق لها الفوز. في حين يلاحظ أن نسبة ٣٣.٣٣% لم يسبق لها أن ترشحت للانتخابات المحلية بالمرّة. لكن بالرغم من ذلك تمكنت من الوصول إلى مواقع صنع القرار السياسي وذلك عن طريق مجموعة من الآليات التي اعتمدها المغرب في الألفية الثالثة، حيث منحت المرأة إمكانية الوصول إلى مواقع القرار السياسي، كما سنوضح فيما يلي:



مصدر: نتائج الانتخابات الجماعية والجهوية

تُظهر النتائج أعلاه تطورا ملموسا في نسب تمثيلية المرأة على مستوى مشاركتها في الانتخابات المحلية، حيث يلاحظ أن المغرب عرف تقدما ملحوظا فيما يخص إشراك المرأة في تدبير الشأن المحلي، فبعدما كان حضور المرأة على المستوى المحلي حضورا خافتا ولا يرقى إلى مستوى كفاءتها وموقعها في الحياة السياسية، صار اليوم يعرف تصاعدا وإن كان ليس بالشكل المطلوب، فمنذ ١٩٦٠ إلى ٢٠٠٩ عرفت نسبة ترشح النساء للانتخابات المحلية تصاعداً مهماً، ذلك أنه من بين ٧٦ مرشحة سنة ١٩٦٠ لم تستطع سوى عشر نساء من كسب ثقة المجتمع وولوج المجالس الجماعية، لكن وثيرة تمثيليتها بدأت تتخذ

شكلا تصاعديا، إذ بلغ عدد المنتخبات إلى ٣٤٠٨ منتخبة من أصل ٢٠٤٥٨ مرشحة سنة ٢٠٠٩،^١ إلا أن هذا العدد سوف يتضاعف في اقتراح الرابع (٤) من شتنبر ٢٠١٥، فقد شكل خطوة نوعية فيما يتعلق بتعزيز التمثيلية النسائية في المجالس المنتخبة المحلية. حيث حصلت النساء في الانتخابات الجماعية ٢٠١٥ على ٦٦٧٣ مقعداً. وهو مؤشر جد قوي على التقدم الديمقراطي بالمغرب إذا ما اعتمدنا المقاربة الكمية القائمة على آلية التمييز الإيجابي. حيث انتقلت النسبة في المجالس الجماعية من 12.61 في المئة في انتخابات ٢٠٠٩ إلى ٢١.١٨ في المائة في الانتخابات الجماعية ٢٠١٥.^٢ لكن هذا التطور في العملية الانتخابية لم يُمكن المرأة من بلوغ مواقع القرار السياسي الناتجة عن هذه الانتخابات كرئيسات للجهات أو الجماعات أو العمالات. حيث ترأست ١٢ جماعة محلية فقط، مقابل ٢٠ رئيسة جماعة في انتخابات ٢٠٠٩، كما لم تتجاوز عدد المناصب الممنوحة للنساء في مكاتب المجالس ٢٠٠ منصب مقابل ٦٦٣ في انتخابات ٢٠٠٩ في حين لم تحصل أية امرأة على منصب عمدة مقابل منصب عمدة واحد في انتخابات ٢٠٠٩.^٣ كما أنه لم تحصل أي امرأة عن منصب رئيسة جهة إلا في ٢٠١٩ بعدما قدم رئيس جهة طنجة - تطوان - الحسيمة استقالته إذ سوف تتمكن امرأة^٤ من الفوز برئاسة جهة -طنجة - الحسيمة.

هذه المقارنة تكشف ضعف تمثيلية المرأة في مراكز القرار السياسي الناتجة عن الانتخابات المحلية، رغم أن القانون ينص على ضمان تمثيلية المرأة في المكاتب، كما جاء في المادة ١٧/الفقرة السادسة من القانون التنظيمي ١٤-١١٣ المتعلق بالجماعات الترابية على أنه "يتعين العمل على أن تتضمن لائحة ترشيحات نواب الرئيس عددا من المترشحات لا يقل عن ثلث نواب الرئيس"، كما صدرت دورية عن وزارة الداخلية رقم D3834 الصادرة بتاريخ ٤ شتنبر ٢٠١٥ حول موضوع انتخاب رؤساء مجالس الجهات ومجالس

الجماعات ونوابهم وكتاب المجالس المذكورة ونوابهم، وأكدت على الطابع الإلزامي للتمثيلية النسائية ونصابها مؤكدة على ما يلي: "وتجدر الإشارة إلى أنه يتعين أن تتضمن كل لائحة من اللوائح المقدمة

^١ - Jaoud Midech, "Femmes Ministres, députées, maires, conseillères", voir le lien suivant : <https://www.lavieeco.com/politique%2020785/>, consulté le : 11/01/2019.

^٢ - لطيفة البوحسيني، تمثيلية النساء في مراكز القرار السياسي بالمغرب، جريدة السفير العربي، بتاريخ ٢٩/١٠/٢٠١٥، ص ١٧.

^٣ - عمدة مدينة مراكش في الفترة ما بين ٢٠٠٩ - ٢٠١٥ فاطمة الزهراء المنصوري عن حزب الأصالة والمعاصرة.

^٤ - رئيسة جهة طنجة - تطوان - الحسيمة، فاطمة الحساني عن حزب الأصالة والمعاصرة.

مترشحات لنواب الرئيس لا يقل عددهن عن ثلث النواب طبقاً لأحكام المادة ١٧ من القانون التنظيمي ١٤-١١٣^١.

ما يلاحظ على هذه البنود القانونية أنها في جوهر مضمونها تعبير وتثمين لهيمنة الرجل في مواقع القرار السياسي، وجعل المرأة خادمة له فقط، والأمر واضح عندما نقول يتعين أن تتضمن كل لائحة من اللوائح المقدمة مترشحات لنواب الرئيس، ولم تأت كلمة لنواب الرئيسة، وهذا يعني حتى القوانين لا تعمل على تمكين النساء من بلوغ مناصب قيادية، بل تكتفي بوضعهن في مواقع ثانوية تابعة للرجل.

ومنه نستنتج عدم كفاية القانون على تغيير الواقع المُتخَن بهيمنة العقلية الذكورية في السيطرة على مناصب صنع القرار السياسي، هذا ولم يؤدّ الحضور الكمي للنساء في نتائج الانتخابات تمكين النساء ولوج مراكز القرار السياسي الذي ظل ذكوريا بامتياز، وهو ما أكد عليه عالم الاجتماع الفرنسي "بيير بورديو" حينما أشار إلى أن المتحكم في الهيمنة الذكورية هي البنى الاجتماعية التي يصعب تغييرها بنصوص قانونية، لذلك انتقد الحركة النسائية لأنها دائماً تراهن على الحماية القانونية لمواجهة الهيمنة.

٢ - المشاركة السياسية للمرأة في الانتخابات البرلمانية وآليات بلوغ مراكز صنع القرار السياسي

بالرغم من التقدم الذي حصل في نسبة مشاركة المرأة المغربية في الانتخابات المحلية، إلا أن هذا الأمر كما بينا ذلك سابقاً، لم يمكنها من اللوج إلى مراكز صنع القرار السياسي. وأمام هذا الضعف في نسبة تمثيلية المرأة بمراكز صنع القرار السياسي، اعتمدت الدولة ما يسمى باللائحة الوطنية في الانتخابات البرلمانية في محاولة لتدارك تدني تمثيل المرأة الحاصل على مستوى الانتخابات المحلية، وهنا يثار التساؤل التالي: هل هناك إمكانية من خلال ترشحها للانتخابات البرلمانية مما يجعلنا نراهن عليها من أجل ولوج مواقع صنع القرار أو المساهمة في صنعه واتخاذها؟

في سعي منا للإجابة عن هذا التساؤل، سوف نقف عند الكيفية التي من خلالها تمكنت المرأة من الوصول إلى دوائر صنع القرار ومن ثم المساهمة في صنع القرار السياسي من منطلق كون مفهوم القرار هو "بمثابة تدبير يتخذ قصد إنجاز فعل معين، ويتم بموجبه تحديد الاختيارات سواء بشكل واع أو بشكل

^١ - محمد المساري، "المشاركة السياسية للنساء في المغرب بين الهيمنة الذكورية ورهان الاستقلالية: الانتخابات الجماعية، ٢٠١٥ نموذجاً"، مجلة العلوم القانونية، الإصدار السابع ٢٠١٥، ص ٢٦.

غير واع^١. وهكذا وجهنا سؤالاً للفاعلات في هذا الإطار من أجل كشف الكيفية التي تصل بها إلى موقع القرار السياسي. والسؤال هو التالي: هل سبق لك أن ترشحت للانتخابات البرلمانية؟

جدول رقم ٤: ترشح المبحوثات للانتخابات البرلمانية المغربية.

لا		نعم				الترشح لانتخابات البرلمانية	
النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد				
13,33%	4	86,67%	لم تفز		فازت		
			النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية		العدد
			19,23%	5	80,77%		21
			26				
30					المجموع		

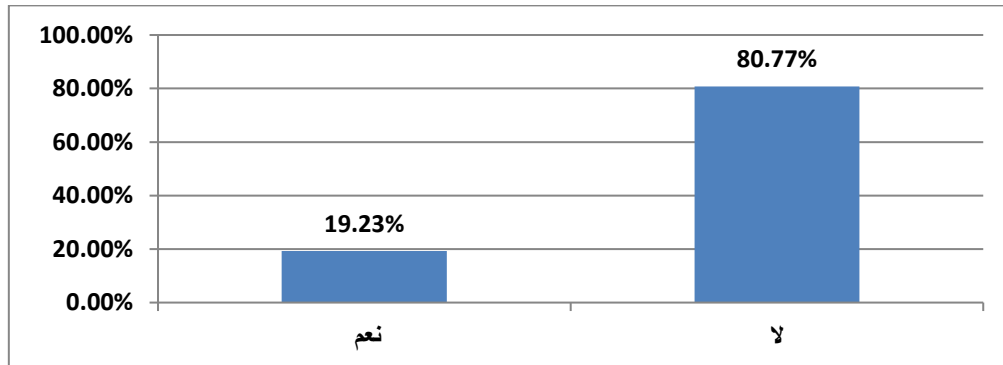
مصدر: بحث ميداني، ٢٠١٩

تبعاً للجدول رقم (٤)، فإن أغلب النساء المبحوثات اللواتي يتواجدن بمراكز القرار السياسي سبق لهن أن ترشحن للانتخابات البرلمانية وذلك بنسبة ٨٦.٦٧ في المائة، مقابل ١٣.٣٣ في المائة لم يسبق لهن أن ترشحن لها. وهذه النتائج تبين مدى وعي ورغبة المرأة المغربية بتغيير موقعها ودورها في الحياة السياسية في المجتمع المغربي، فكل المؤشرات الاحصائية تبين ارتفاع نسبة النساء في ترشحن للانتخابات البرلمانية، بعدما كان ترشحها منذ الاستقلال إلى بداية التسعينات شبه منعدم، حيث ترشحت امرأة واحدة من أصل ٦٩٠ مرشحا وتكرر الأمر نفسه في سنة ١٩٧٠، وفي انتخابات ١٩٧٧ ترشحت ثمانين نساء من مجموع ٩٠٨ مرشحا، أضف إلى ذلك ترشيح ١٦ امرأة من مجموع ٣٣٦٦ مرشحا في انتخابات سنة ١٩٨٤، إلا أن جميع هذه الانتخابات التشريعية لم تعرف فوز أية مرشحة^٢. وظلت بذلك مهمشة ومبعدة عن مراكز القرار والسلطة السياسية. وسيشهد التمثيل النسائي في البرلمان المغربي بغرفتيه

^١ - محمد الأسعد، اتخاذ القرار لدى الفلاحين في أنظمة الرعي الزراعية بالبيئات شبه الجافة بالمغرب: راسة في الايكولوجيا الثقافية، أطروحة دكتوراه في الجغرافيا، جامعة محمد الخامس أكادال الرباط، ٢٠٠١ - ٢٠٠٢، ص ١٨.

تطورا تدريجيا. إلا أن السؤال الذي يفرض ذاته هنا هو: هل ارتفاع نسبة ترشح النساء للانتخابات البرلمانية مكنهن من الولوج إلى مؤسسات صنع القرار السياسي؟

مبيان رقم ٢: النساء الفائزات في الانتخابات البرلمانية



مصدر: بحث ميداني، ٢٠١٩.

يتبين لنا من مبيان رقم (٢) أن نسبة ٨٠.٧٧ في المائة من الفاعلات المبحوثات أقرت أنها لم تستطع الفوز في الانتخابات البرلمانية التي سبق وأن خاضت فيها تجربة الترشح، في حين نجد نسبة ١٩.٢٣ في المائة هي التي تمكنت من الفوز عن طريق الاقتراع. وبما أن الأمر كذلك، فكيف تمكنت النساء من الولوج إلى مواقع القرار السياسي؟ علما أن نسبة حضور المرأة بالمؤسسة التشريعية عرفت تقدما ملحوظا خاصة على مستوى مجلس النواب.

شهد التمثيل النسائي في البرلمان المغربي تطورا نوعيا منذ أول استحقاق انتخابي برلماني عرفه المغرب لسنة ١٩٦٣ من ٠% إلى ٢١% سنة ٢٠١٦. فقبل انتخابات ١٩٩٣ لم يسبق لأي امرأة مغربية أن وصلت إلى المؤسسة التشريعية، حيث لأول مرة في التاريخ السياسي المغربي سوف يعرف فوز مرشحتين اثنتين من بين ٣٦ مرشحة، بنسبة ٠.٦ في المائة من أصل ٣٣٣ نائبا، وهو ما تكرر في انتخابات نونبر ١٩٩٧ المتعلقة بمجلس النواب، رغم ارتفاع عدد المترشحات إلى ٧٢ مرشحة^١، إلى جانب تمثيل

^٢ - محمد بنهلال، المشاركة السياسية للمرأة في المغرب بين المعوقات وسبل التجاوز، مرجع سابق، ص ١٢٩.

^١ - عبد القادر لشقر، "الانتخابات التشريعية لسنة ٢٠٠٧، أية مكانة للمرأة في المجالس المنخبة؟"، المجلة العربية للعلوم السياسية، العدد ٢١، (فبراير ٢٠٠٩)، ص ١٥٤.

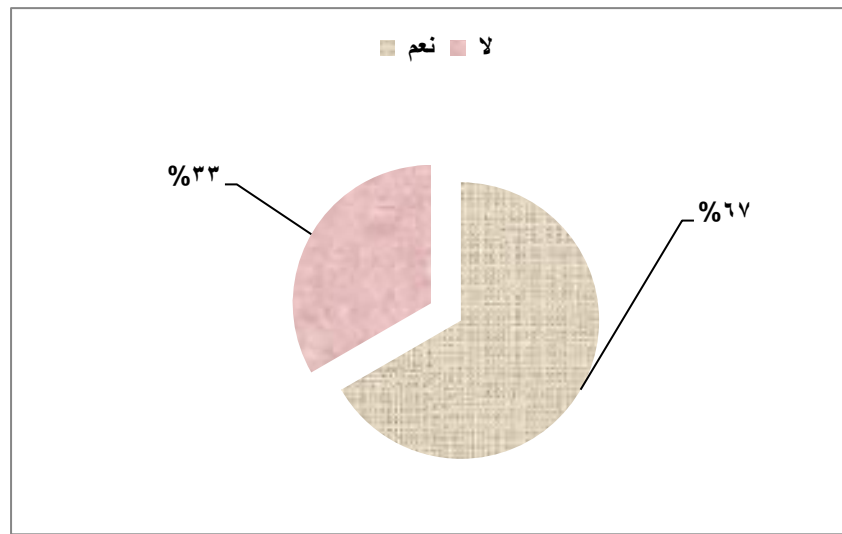
مستشاريتين من أصل ٢٧٠ مستشاراً، بنسبة ٠.٧ في المائة^١. ليصل إلى ٨١ نائبة من أصل ٣٩٥ نائبا برلمانيا سنة ٢٠١٦ (بنسبة ٢١ في المائة).

٣- الفاعلة السياسية والقدرة على اتخاذ القرار في موقع المسؤولية السياسية

من خلال المقابلات التي قمنا بها مع المبحوثات، حاولنا الوقوف عند سؤال مهم يرتبط بمدى قدرة الفاعلة السياسية على اتخاذ سلطة القرار بحرية ذاتية دون العودة إلى قيادة الحزب أو إحدى مجالسه، من خلال السؤال التالي: هل تمتلك القدرة على اتخاذ قرارات سياسية بحرية ذاتية انطلاقاً من موقع مسؤوليتك السياسية؟

جاءت النتائج على الشكل التالي:

مبيان ٣: المرأة والقدرة على اتخاذ القرار السياسي



مصدر: البحث الميداني، ٢٠١٩

يتضح لنا من مبيان رقم (٣) أن نسبة ٦٧ في المائة من الفاعلات يتمتعن بسلطة اتخاذ القرار بموقع مسؤوليتهن السياسية، في حين نجد نسبة ٣٣ في المائة لا يتمتعن بسلطة اتخاذ القرار. فإذا أخضعنا

¹- "Les femmes dans les parlements nationaux", voir le lien suivant: <http://archive.ipu.org/wmn-f/world.htm>, consulté le : 13/01/2021

النسبة الأولى ٦٧% للقراءة السوسيولوجية النقدية نستهلها بطرح السؤال التالي: ما طبيعة موقع المسؤولية السياسية الذي يمنح للمرأة سواء داخل الأحزاب السياسية أو داخل مؤسسات صنع القرار الرسمية؟

إن الجواب عن هذا السؤال، يقتضي منا تفحص موقع المرأة السياسي، فعندما نتحدث عن شبه غياب تام لوجود المرأة في مواقع القيادة الحزبية، فيمكن أن نستشف الجواب وهو أن المرأة أولاً تترك لها مواقع مسؤولية غير مؤثرة في صنع القرار السياسي أو في توجيه الرأي العام، ففي أرقى ما يمنح لها رئيسة فريق برلماني أو لجنة تتبع شؤون المرأة الاجتماعية، أو عضو بمكتب معين، وبالتالي فهي لا تحظى بمواقع ذات تأثير في صنع القرارات والأمر يعود إلى وجود مجموعة من الكوابح التي تقف سدا منيعاً أمام مساهمتها في صنع القرار واتخاذها. ومع ذلك يلاحظ أن الفاعلات تحاولن جاهدات من أجل إثبات ذاتهن داخل مواقع مسؤوليتهن السياسية، بل أكثر من ذلك يؤكدن أن المرأة لو منحت لها الفرصة أكثر فهي قادرة على أن تأخذ القرار المناسب بشكل أفضل من الرجل. تقول قيادية عن حزب الاشتراكي الموحد: "المرأة قادرة في كل مناحي الحياة أن تتخذ القرار، بل هناك سهولة بالنسبة لها لاتخاذ القرارات الحاسمة عندما يتطلب الوضع ذلك". غير أن هذا الرأي يبقى دفاعاً عن الذات من موقع وصف ذاتها، لأن مشكلة المرأة اليوم بالرغم من وجودها في مواقع صنع القرار إلا أنها لا تستطيع فعل ذلك باستقلالية وحرية دون العودة إلى الرجل المهيمن الفعلي على مواقع صنع القرار واتخاذها في المجتمع المغربي.

أما بالنسبة للفئة الثانية والتي تمثل نسبتها ٣٣% فهي ترجع عدم قدرتها أو تمتعها بسلطة اتخاذ القرار إلى اعتبارات كثيرة يبقى أهمها كون القرار لا يتخذ فردياً، بل جماعياً، لأنه من ضوابط الحزب أننا نعود إلى هياكله عندما يتعلق الأمر باتخاذ قرار معين. تقول إحدى الفاعلات السياسيات: "نحن ننتمي إلى حزب المؤسسات، حزب يقوم على مبدأ "الرأي حر والقرار ملزم، وهذه قاعدة أساسية من ضمن مبادئ وقيم الحزب التي بني عليها، وأيضاً الانتماء إلى هذا الحزب (العدالة والتنمية) يكون رهين بتوقيع ميثاق يلتزم به المنتمي، أو العضو أو النائب مهما كان موقعك ومسؤولياتك عليك باحترام مبادئ الحزب وقوانينه الداخلية، المسؤولية تمارس بكل اريحية، لكن اتخاذ القرارات يكون لها طابع سياسي كبير عليك الانضباط للقرار والتوجيهات الصادرة عن الأمانة العامة للحزب". هذا التصريح يبين بجلاء أن الفاعلات (النساء) ليس لهن حرية في اتخاذ القرار في موقع مسؤوليتهن، لأن بنية ونسق وتوايث الحزب لا تسمح بذلك.

لكن هذا التصور ليس عاما، أي لا ينطبق على كل الفاعلات وكل الأحزاب، بل هناك أحزاب، لا تضع ثوابت للفاعلات والفاعلين، بقدر ما تضع شروطا قابلة للنقاش والتحاور، بمعنى هناك حرية نسبية للفاعلة في اتخاذ بعض القرارات، وفي هذا الإطار نقول فاعلية سياسية: "الفاعل لوحده لا يمكنه أن يأخذ القرار السياسي، يمكنه أن يقترح وأن تأتي من عنده المبادرة لقرار سياسي معين على الحزب، لكن هذا لا يعني أنك أنت من تأخذ القرار لوحده. القرار يتخذ أولا بشكل موضوعي وجماعي، إلا أنه بالنسبة لبعض القضايا عندما كنت بالبرلمان أنا والسيدة بديعة الصقلي فيما يخض القضية النسائية قمنا بقفزة تعتبر نوعية، لأنه آنذاك لم تكن قضية المرأة من أولويات الشأن السياسي، فاقترحنا لجنة خاصة بالمرأة فوجهت بالرفض ثم قمنا بتغيير العنوان - "لجنة الشؤون الاجتماعية والمرأة"، بهذا الشكل أصبحت المرأة حاضرة. أما في قضية جواز السفر وأيضا بالنسبة للسجل التجاري حتى (١٩٨٤) لم يكن للمرأة إمكانية أن تطلب السجل التجاري إلا إذا أخذت إذنا واحدا من الذكور سواء الأب أو الأخ أو الزوج ... وبدون هذا الإذن غير ممكن أن تأخذ السجل التجاري. هذا الأمر تغير وأصبح من حقها، بالنسبة لجواز السفر، إذا كان الأب غير موجود فالأخ الأصغر من يجب أن تأخذ الإذن منه من أجل الحصول على جواز السفر، هذه مسألة أيضا تجاوزناها واعتبرناها محطتان أساسيتان بالنسبة للمرأة لأن الاقتصاد وحرية التنقل مهمان في استقلالية المرأة وأيضا في إمكانية تطوير وضعها، بعدها أتت نصوص أخرى؛ بالنسبة لقرارات أخرى داخل الحزب وكنت أقترح عدة أشياء".

ومنه نستنتج أن سلطة اتخاذ القرار بموقع المسؤولية بالنسبة للفاعلات تختلف من فاعلة إلى أخرى وذلك بحسب طبيعة الحزب، وأيضاً حسب الوضعية الزمانية للفاعلة، لكن مع ذلك تبقى قدرة المرأة للقرار مسألة مرتبطة بمجموعة من الإكراهات والشروط، وبإمكانها هي تقديم اقتراحات فيما يتعلق ببعض القضايا، أما اتخاذ القرار حسب أغلبية الفاعلات لا يؤخذ بشكل فردي وإنما بشكل جماعي بعد النقاش والتنسيق بين مكونات الحزب، خاصة اللجنة التنفيذية والمجلس الوطني للحزب.

ثالثاً: المرأة والمساهمة في صنع القرار السياسي بين الفعالية وتحديات غياب النجاعة

إن ولوج المرأة إلى مواقع صنع القرار السياسي في المجتمع المغربي هي مسألة حديثة العهد تبلورت بعد تضافر مجهودات دولية ومحلية من خلال وضع استراتيجيات وآليات تمكين المرأة من التواجد داخل مؤسسات صنع القرار السياسي واتخاذها بهدف المساهمة فيه، غير أن تحقيق فعل المساهمة بقي رهين إرادة الدولة والأحزاب السياسية من جهة، ثم إرادة المرأة الفاعلة سياسياً من جهة أخرى.

١ - المرأة والمساهمة الفعالة في صنع القرار السياسي

اتفقت العديد من الفاعلات المشاركات في البحث على أن حضورهن وحضور المرأة عامة في مواقع صنع القرار السياسي حضور فعال وقوي، بكونهن مبادرات بوضع اقتراحات وتحديد بدائل وصياغة قرارات توجه وتنظم حركة المجتمع، والعلاقات الاجتماعية في مجالات الحياة المختلفة بدءاً من المجال السياسي إلى المجال الأسري. وقد أشارت أغلب الفاعلات "نحن نساهم بحضورنا في صنع القرارات، لكن لا نتخذ القرار"، في إشارة منهن إلى أن هناك فرق بين صنع واتخاذ القرار، وهذا التوضيح ذو أهمية، لأن حضور المرأة على مستوى مؤسسات اتخاذ القرار ما زال شبه منعدم بالمغرب، ونسبة وجود النساء بالمؤسسة التنفيذية دليل على ذلك إذ لا تتجاوز ٢٠.٥ في المائة حسب انتخابات ٢٠١٦.

وقد أوضحت معظم الفاعلات أن عملية صنع القرار في أغلب الأحيان تكون جماعية وتشاركية، والمرأة بخبرتها وكفاءتها حاضرة بقوة وتساهم بفعالية في صنع القرار، فقد أكدت إحداهن: "إن حضور المرأة بما فيه حضوري بمراكز صنع القرار، يبقى في مجمله حضوراً فعالاً، لأنه لدينا نساء لهن خبرة وازنة وكفاءة عالية، ومستوى تعليمي عالٍ، أظن أن جميع النساء اللواتي تمكن من ولوج مواقع القرار السياسي نجحن في مهامهن، وأقول بكل صدق حضوري بالمؤسسة التشريعية كان جيداً، وكنت ملتزمة في مهامي، أساهم في إنضاج القوانين، وكذا المساهمة في تعديلها، وأيضاً الحضور الدائم والملتزم في

الجلسات وطرح الأسئلة الشفوية، وكذلك في العمل الدبلوماسي خارج الوطن". إنه نفس التصور قدمته فاعلة سياسية بارزة (أ. ش.) - وزيرة في حكومة سعد الدين العثماني، وبرلمانية سابقة- في تقييمها لحضورها داخل مراكز صنع القرار السياسي " كان حضورا منحت فيه الكثير استثمرت كل ما أملك من مؤهلات سواء علمية، سياسية من أجل إضافة قيمة مضافة سواء داخل المؤسسة التشريعية أو التنفيذية، التي قضيت فيها خمسة سنوات في تدبير قطاع مهم وهو قطاع الماء، حققت أشياء كثيرة، ولم أحقق أشياء أخرى، وهذا هو العمل النضالي. وتضيف الفاعلة، لو كان حضوري شكليا أو سوريا ما كنت غادرت الحكومة؛ غادرتها لأنني رفضت أن يكون حضوري شكليا، غادرت أيضا الحكومة لأنني ضد أن يكون وجود المرأة من أجل تأييد المشهد السياسي، وبهذا حرصت على أن يكون حضوري فعلا".

نلاحظ من خلال هذه المواقف أن الفاعلات يتمتعن بحضور قوي وفعال داخل مراكز صنع القرار السياسي، كما يرفضن بشكل قطعي أن يكون حضورهن مجرد صورة، أو رقم بغية تأييد المشهد السياسي، وهو ما تؤكدته أيضا فاعلة أخرى: " لا نرضى على أنفسنا أن يكون حضورنا شكليا، لأننا لسنا من أجل التأييد؛ نحن نقوم بنفس الأدوار التي يقوم بها الرجال، بل المرأة تعمل أكثر من الرجل، في هذا الإطار فالمرأة بالرغم من المسؤوليات الأسرية نجدها مواظبة على العمل وحضور الاجتماعات، ففي نظري نسعى أن يكون إيجابيا وقويا أكثر من الرجل، لقد وصلت الآن من اجتماع بالبرلمان وما عاينته هو غياب كبير للرجال عن الجلسة، بينما حضور مكثف وكلي للنساء، النساء حاضرات داخل اللجن، في المناقشة، أثناء طرح الأسئلة، وهذا يجعلني أقول أن هناك مجهود وحضور نوعي في إغناء وتجويد القرار السياسي".

إن ما ذكرته الفاعلة يبين أن حضور النساء بشكل عام حضور إيجابي، وبشكل أكثر فعالية من الرجل خاصة بالمؤسسة التشريعية، فالمرأة لا تقبل أن يكون حضورها سوريا، فهي تعمل بكل جد لكي ترسم صورة إيجابية فعالة، وذات تأثير واقعي. وبالتالي فإن حضورها في مراكز صنع القرار السياسي قيمة مضافة، وهو حق من حقوق الإنسان، ولا يمكن تحقيق تحديث شامل إلا بوجود المرأة في مراكز القرار السياسي مناصفة مع الرجل، فالدول التي لها نسب تفوق ٤٠% من النساء بمواقع القرار، وقد حققت تقدما وتنمية وتحديثا فعليا وشاملا

هذا وقد اختلفت رؤى الفاعلات في هذا الشأن، فهناك من منهن تتدقق تقييمها بلغة أكثر دقة، مؤكدة على أن حضور النساء في مواقع صنع القرار السياسي تختلف درجته من حيث الفعالية من مؤسسة إلى أخرى مُبينة أن حضورهن أقوى بمجلس النواب، وبشكل يفوق بكثير على مستوى مجلس المستشارين، وكذلك بالمؤسسة التنفيذية، وهو أمر توضحه نسب وجود النساء على مستوى تلك المؤسسات كما سبقت الإشارة إلى ذلك. ويؤكد ذلك قول إحدى البرلمانيات بمجلس المستشارين: "أتحدث عن السياسيات في مجلس المستشارين، رغم عددهن القليل، والذي يحدد في ١٤ امرأة، يحضرن ويواكبن ويشغلن بجد، حضور إيجابي وفعال، لكن عندما يكون الحديث حول المرأة نجدها تدافع وتعبّر عن موقف الحزب وليس عن موقفها، تقول الفاعلة شخصيا ضميري مرتاح لأنني أعبر عن رأيي بكل حرية، وأعتبر وجودي في الحزب من طينة الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية مهم، فأنا أعبر عن رأيي لأنه لدي أطروحة ومشروع، أنا مع الحداثة والعدالة والديمقراطية، هذه الأشياء ينبغي أن تتجسد في حزبي، لا يمكن أن تقول لي أريد الديمقراطية، وفصل السلط وأنت لا تفصل السلط في حزبك وتريد أن تستحوذ على جميع مراكز القرار. ومن ناحية تواجدي بالمؤسسة التشريعية فأنا أساهم في صنع القرار من خلال التعبير عن رأيي وموقفي بكل جرأة وحرية".

أكدت أغلب الفاعلات في هذا الاتجاه على الدور الإيجابي لوجود المرأة بمراكز صنع القرار السياسي، فنجدهن يؤمنن بقدرة المرأة على المساهمة في تدبير الشأن العام بشكل يفوق قدرة الرجل أحيانا، لأن هناك العديد من القضايا لولا حضور النساء في مواقع صنع القرار لما تم تسليط الضوء عليها، وهناك العديد من المجالات الرجل لا يستطيع أن يتواصل فيها، وبالتالي المرأة هي القادرة على فعل ذلك والخوض فيها.

٢ - المرأة وغياب النجاعة في مواقع صنع القرار السياسي

وفي تقييمها لحضورها بصفة خاصة، وحضور المرأة في مواقع صنع القرار السياسي، تؤكد فئة أخرى من الفاعلات المبحوثات بنسبة ٢٦.٦٧ في المائة على الدور الثانوي والمحدود للنساء في مواقع صنع القرار السياسي، وهذا يؤثر على الحضور الصوري والشكلي للمرأة بمواقع القرار السياسي، وأن تأثيرهن في صنع القرار ما يزال ضعيفا، بالرغم من كل الذي أنجز، وهناك نساء لهن طموحات في المساهمة في صنع القرار على مستويات عليا بمؤسسات الدولة، إلا أنهن أكدن على عدم استطاعتهن حتى الآن على تحقيق ذلك، وقد فسرت ذلك برلمانية عن حزب الأصالة والمعاصرة بمجلس المستشارين: "في عموميته يبقى حضور شكلي، بالرغم من الكفاءة التي توجد عند بعض النساء، واللاتي أثبتن ذاتهن في مراكز

عليا من تدبير الدولة". تضيف إحداهن قائلة لكن في قراءة مختلفة قليلاً: "أراه حضوراً سوريا لا غير، ويمكن تفسير ذلك بالقول أولاً أن المرأة نفسها ما زالت تقبل أن تكون رقماً من الأرقام، ولتأثير المشهد السياسي، وما تزال غير مقتنعة بقدرتها في هذا المجال، وتأثيرها داخل دوائر القرار، وثاني الأمور مرتبط بالثقافة الحزبية التي تشتغل فيها، والطريقة أو الكيفية التي وصلت بها إلى مراكز القرار السياسي، لأن أغلب الفاعلات وصلن عن طريق اللائحة الوطنية وهذه الأخيرة خاضعة لعلاقات الفاعلة بالقيادة الحزبية".

وقالت (ن.م.) القيادية بحزب الاشتراكي الموحد "حضور المرأة بمراكز صنع القرار السياسي ضعيف، لأن مؤسسات القرار بالمجتمع المغربي ضعيفة، والسبب أن الأشخاص القابعين بها لا كفاءة لهم سواء كانوا رجالاً أو نساء، والمرأة هي حديثة المشاركة في العمل السياسي، إلا أن مسألة الكوتا التي كانت مهمة في مجتمع بطيركي مثل مجتمعنا، لا يمكن الوصول إلى تمثيلية نسائية إلا بفرض مثل هذه الآليات الإيجابية، لكن مع كل الأسف استغلت اللوائح سلباً من أجل تمكين نساء بدون كفاءة لمراكز القرار، وبهذا فحضورها لا يمكن إلا أن يكون تأثيراً وتلميعاً".

نلاحظ هذه المواقف تكشف عن الجانب السلبي للنساء الموجودات على مستوى دوائر القرار السياسي، صحيح على المستوى الكمي هناك تقدم ملحوظ قبل بداية التسعينات من القرن الماضي، إلى حضور بنئس وباهت خلال فترة التسعينات، ثم بعدها بدأنا نلمس تحولاً في نسب وجود النساء بمراكز صنع القرار السياسي، وذلك نتيجة اعتماد الكوتا، لكنه يبقى ضعيفاً؛ لأنه مازال لدينا ضعف في مستوى وعي النساء، وإن كان المغاربة لا يقرؤون وبدرجة أكبر النساء، وهذا لا يلغي أن هناك نخبة نسائية مثقفة واعية، ولها مستوى جد عالٍ من الوعي، إلا أنه بنسبة قليلة جداً، وعليه فالمرأة ما تزال في حاجة إلى تكوين سياسي وجرأة في هذا المجال.

إن الوضع صعب وملتبس، يحتاج إلى تكوين وتأطير، المغاربة جميعهم في حاجة إلى مدرسة التكوين السياسي بشكل عام؛ لأن الأحزاب فشلت في هذه المهمة، ولم تعد مدرسة تُكوّن كما كان في السبعينات والثمانينات، والنموذج منظمة العمل التي كانت مدرسة بمعنى الكلمة للمدرسة توطر وتكون.

إذا عدنا إلى التقرير العالمي الذي يصدر عن المنتدى الاقتصادي العالمي كل سنة لألفنا الفجوة بين الجنسين، وهو مؤشر فوارق النوع الاجتماعي، بحيث يتم فيه التحليل على ثلاثة مستويات، من ضمنها

المستوى السياسي وخصوصًا موقع النساء في مراكز القرار بشكل عام، ثم المستوى الاقتصادي، القضائي، الإدارة، المؤسسة التشريعية والتنفيذية، فهناك تخلف كبير في مؤشر مراكز القرار السياسي، ووفقًا لتقرير عام ٢٠١٤، (الذي نشره المنتدى الاقتصادي العالمي)، يحتل المغرب المرتبة ١٣٣ بعد كل من تونس ١٢٣ والجزائر ١٢٦ ومصر ١٢٩. وفي سنة ٢٠١٥، صنف المنتدى الاقتصادي العالمي المغرب في الرتبة ١٣٩، وفي المرتبة ١٣٧ سنة ٢٠١٦، بينما أصبح في المركز ١٣٦ عام ٢٠١٧.

ويحتل المغرب المركز الثاني عشر (١٢) في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، تليه لبنان والسعودية، وإيران، وسوريا، واليمن. بينما يحتل المركز الرابع (٤) في شمال إفريقيا، خلف موريتانيا والجزائر. وجاءت تونس في المركز الأول. إذن هناك تخلف كبير في مؤشر وجود النساء بمراكز القرار السياسي، وهذا معطى كمي، مع العلم أن المغرب منذ ٢٠٠٦ وهو ضمن هذا التقرير.

على مستوى المعايير أو النوعية للنساء في مراكز القرار، هناك تهرب للنساء من تحمل المسؤولية بمراكز القرار السياسي، لأن الأمر فيه صعوبات كثيرة، ومضايقات بالجملة، وهناك عقلية ذكورية متجبرة، والدولة في هذا المستوى متقدمة كثيرا على المجتمع المدني بما فيها الأحزاب السياسية والنقابات، فمثلا بورصة الدار البيضاء تترأسها امرأة، والتكوين المهني تترأسه امرأة، بهذا فنسائية الدولة متقدمة جدا على نسائية المجتمع المدني والأحزاب والنقابات. وضمن هذا السياق تقول البرلمانية (س. أ. ب) عن حزب الاستقلال: "إنها مسألة مرتبطة أولا بالأحزاب السياسية، بالإضافة إلى المجتمع المدني أيضا. ففي تاريخ الحركة النسائية والقطاعات النسائية الحزبية، بغض النظر عن الانتماءات السياسية والمواقع سواء تعلق الأمر بالانتماء الحزبي أو المجتمع المدني لأنه كان لدينا هدف رسمناه، هو تمكين النساء المغربيات اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا، ومن ضمن الأشياء التي جاءت نتيجة هذه النضالات هو التغيير الذي وقع في قانون الأحزاب، الذي يفرض على الأحزاب السياسية أن تدمج النساء والشباب في جميع مراكز القرار بنسب معينة، فبالنسبة لحزب الاستقلال - وهذه للتاريخ - كان سباقا في هذا المجال، لأنه في الثمانينات وخلال المؤتمر العاشر، كان لديه امرأتان في المكتب التنفيذي، الذي هو أعلى مركز القرار بالحزب هما المرحومة زهور الزرقية، والأستاذة فاطمة حصار، بعد ذلك في المؤتمر الحادي عشر أصبح عددن ثلاثة، أضيفت إليهن لطيفة بناني سميرس، وفي الانتخابات البرلمانية ١٩٩٢/١٩٩٣ قمنا مع الاتحاد الاشتراكي من أجل تدعيم الأمور، بتقديم الأستاذة لطيفة بناني سميرس عن حزب الاستقلال في دائرة فاس وأيضا تقديم بديعة الصقلي عن حزب الاتحاد الاشتراكي

بالدار البيضاء، وبهذا تمكن من جندرة المشهد السياسي، وبالتالي فإرادة الأحزاب السياسية مهمة وأساسية. الأمر الثاني أنه ينبغي استحضار الكفاءات النسائية، فلا يكفي أن أوثث باسم لن تكون له الفعالية، فعندما نقول المساواة؛ لا يعني أن نكون متماثلين، المساواة تعني الاستحقاق المبني على الكفاءة، لأنه كلما كانت المرأة في مكان معين، ذات كفاءة تعطي فيه ويكون انخراطها فعلي وفعال، ومع كامل الأسف هذه الأمور عرفت تراجعاً لأن الأحزاب السياسية ما يهتمها من وجود المرأة هو أن تكون للتأثير وتلميع المشهد، أكثر ما يهتم فعاليتها.

اتضح من آراء البحوثات، وخاصة الفئة التي تمثل نسبتها ٢٦.٦٧% أن وجود المرأة بمواقع القرار السياسي غير مؤثر، نظراً لحضورها الصوري والباهت، حيث مازال حضور المرأة كما بينت البحوثات ضعيفاً، إن دورها تأثيثي وتلميعي أكثر منه فعال، فالأمر يعود في نظرهن إلى مجموعة من العوامل التي تحد من وجودهن الفعال، تبقى من أهمها ذكرورية السلطة السياسية.

تبعاً لذلك يمكن القول، في مجتمع مثل المجتمع المغربي مُهيمن بذكورية السلطة السياسية تاريخياً، دخلت المرأة الحياة السياسية حديثاً عبر مشاركتها النشطة في الكفاح ضد الاستعمار من أجل الاستقلال والتحرر الوطني، وبناء الدولة المدنية الحديثة، فإنه بالرغم من تلك المساهمة لم تتمكن المرأة من تحقيق مساواة فعلية مع الرجل في مراكز صنع القرار السياسي، ويعود ذلك إلى طبيعة الأحزاب السياسية الموسومة بالثقافة الذكورية، والتي تعرقل مسيرة المرأة في اتجاه ولوجها لمراكز صنع القرار السياسي ونحو السلطة والمواقع القيادية. وحتى عندما تصل المرأة إلى موقع قرار سياسي معين، كمنصب وزاري في الحكومة، فإنها عادة لا تصل إليه بآليات شرعية ومشروعة، وإنما عن طريق آليات استثنائية، مما يجعل من وجودها بمراكز صنع القرار السياسي غير فعال في كثير من الأحيان.

خاتمة

يشكل فعل مساهمة المرأة في صنع القرار السياسي في المجتمع المغربي، آلية ضرورية لإساء أسس المجتمع الديمقراطي والحدائي ولتحقيق التنمية المستدامة. ذلك أن ولوج المرأة إلى مواقع صنع القرار السياسي واتخاذها، يتأثر بشكل واضح ببراديجم العلاقة الجندرية بين المرأة وطبيعة ثقافة الأحزاب السياسية، وهي ثقافة مازال يهيمن عليها البعد الذكوري، حيث توظف هذه الأحزاب كل الاستراتيجيات من أجل إبعاد المرأة وتغييبها عن مواقع السلطة والقيادة، ثم استغلالها أكبر قدر ممكن داخل هيكلها، حيث النساء

أصبح بمثابة وسيلة انتخابية يتم الاعتماد عليه في مرحلة التصويت، من أجل تمكين الرجل من الحفاظ على امتيازاته وموقعه في مراكز صنع القرار السياسي، فبالرغم من التطور الحاصل في نسبة حضور المرأة داخل الهياكل الحزبية، فإنه لم يسمح لها بالولوج إلى مواقع القيادة الحزبية، ومن ثم المرور إلى مواقع صنع القرار على مستوى مؤسسات الدولة.

في هذا السياق، أبرزت نتائج البحث مدى تأثير المكون السوسيو-سياسي على طبيعة مساهمة المرأة في صنع القرار السياسي واتخاذها، فالمرأة المغربية تجد صعوبات متعددة الأبعاد، من أجل إثبات وجودها في مواقع القرار السياسي، ومن ثم المساهمة في صنعه، وهذا يعود بالأساس إلى موقع المرأة وطبيعة مسؤولية داخل هيئات الأحزاب السياسية، مما يجعل وجودها يتأرجح بين التبعية والتوجيه، ويرجع هذا الأمر بالأساس إلى طبيعة الآليات التي تعتمد في بلوغ النساء مراكز صنع القرار، بكونها آليات لا تعتمد على الكفاءة والفاعلية، وإنما هي آليات قانونية جوفاء، تجعل من وجود المرأة بمواقع القرار السياسي وجودا يهيمن عليه هاجس التأثير والرقمنة، بعيدا عن الفاعلية، ومن ثم ينبغي اعتماد آليات بديلة، عن تلك التي اعتمدت لحد الآن، ولم تعط نتائج لصالح المرأة، هذه الآليات تبقى ذات طابع ثقافي واجتماعي، حيث اعتماد المدرسة وكل مؤسسات التربية والتنشئة، كآليات في بناء ثقافة مواطنة ديمقراطية حديثة، تؤسس للمساواة التامة بين النوع الاجتماعي. إن تغيير الذهنيات يبقى الآلية الناجعة من أجل إحداث تغيير بنيوي في المنظومة الثقافية، وأحداث انتقال من بنية ثقافية-اجتماعية تقليدية تقوم على مركزية الرجل مقابل ثانوية المرأة إلى بنية اجتماعية - ثقافية حديثة، ترسي دعائمه المواطنة والديمقراطية وحقوق الإنسان، لذلك تستدعي الضرورة اليوم الانخراط في الحداثة وقيمها، وجعلها كآلية لتمكين المرأة اقتصاديا وسياسيا، وذلك بما يمكنها بالفعل من الإسهام الفعال في كافة نواحي الحياة خاصة السياسية، مما يشكل إضافة نوعية من أجل تقدم المجتمع وبناء دولة العدالة الاجتماعية.

المراجع:

العربية:

١. البوحسيني لطيفة، تمثيلية النساء في مراكز القرار السياسي بالمغرب، جريدة السفير العربي، بتاريخ ١٠/٢٩ / ٢٠٢٣.
٢. ارتقاع نسـبة تمثـيل المـرأة فـي المناصب القيادية، في: <https://news.un.org/ar/story/2019/03/1028771> URL : ، تاريخ الاطلاع : ١٢/٠١/٢٠٢٤.

٣. داميا بنخويا، واقع المشاركة السياسية للمرأة المغربية، في المشاركة السياسية للمرأة العربية – تحديات أمام التكريس الفعلي للمواطنة – دراسة ميدانية في إحدى عشر بلدان عربية، تونس، المعهد العربي لحقوق الانسان، ٢٠٠٤.
٤. بنهلال محمد، المشاركة السياسية للمرأة في المغرب بين المعوقات وسبل التجاوز، المجلة العربية للعلوم السياسية، العدد ٢٩، يناير ٢٠١١.
٥. شفيق عبد الغني، النخبة المحلية بالوسط القروي المغربي: ديناميات التغير ومواقع النفوذ إقليم إفران نموذجا، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع، السنة الجامعية، ٢٠١٢ – ٢٠١٣.
٦. لشقر عبد القادر، الانتخابات التشريعية لسنة ٢٠٠٧، أية مكانة للمرأة في المجالس المنخبة؟، المجلة العربية للعلوم السياسية، العدد ٢١، فبراير ٢٠٠٩.
٧. الأسعد محمد، اتخاذ القرار لدى الفلاحين في أنظمة الرعي الزراعية بالبيئات شبه الجافة بالمغرب: راسة في الايكولوجيا الثقافية، أطروحة دكتوراه في الجغرافيا، جامعة محمد الخامس أكادال الرباط، ٢٠٠١ – ٢٠٠٢.
٨. المساري محمد، المشاركة السياسية للنساء في المغرب بين الهيمنة الذكورية ورهان الاستقلالية: الانتخابات الجماعية، ٢٠١٥ نموذجا، مجلة العلوم القانونية، الاصدار السابع ٢٠١٥.
٩. معادي زينب، الأسرة المغربية بين الخطاب الشرعي والخطاب الشعبي، المركز الوطني لتنسيق وتخطيط البحث العلمي والتقني، ١٩٨٨.

الأجنبية:

1. "Les femmes dans les parlements nationaux", voir le lien suivant: <http://archive.ipu.org/wmn-f/world.htm>, consulté le : 13/01/2019.
2. Gribaa Boutheina et Autre, « **Projet renforcement du leadership féminin et de la participation des femmes à la vie politique et au processus de prise des décisions en Algérie, au Maroc et en Tunisie** », Etat de la situation, 2008 – 2009.
3. Lévi-Strauss Claude, *structures élémentaires de la parenté*, New York, Monton-1 de Gruyter, 2002.
4. Midech Jaoud, "Femmes Ministres, députées, maires, conseillères", voir le lien suivant : <https://www.lavieeco.com/politique%2020785/>, consulté le : 11/01/2019.
5. Mayer Nonna, *Sociologie des comportements politiques*, Paris, Armand Colin, 2010.
6. **Rayoume du Maroc**, mise en œuvre de la CEDAW, 3ème et 4ème rapport périodique, Genève, 24 janvier 2008.
7. Sintonner Yves et Bondiaux Loic, « **L'Imperatif** », Revue des Sciences sociales du politique, 2006.

دور مواقع التواصل الاجتماعي في انحراف الأحداث من وجهة نظر ذوي الاختصاص

The role of social media in juvenile delinquency from the point of view of specialists

د. رؤوف نادي محمود أبو عواد

جامعة الاستقلال – أريحا

أستاذ مساعد علم اجتماع الجريمة

Dr.raof nadi abuawwad

PhD in Sociology of Crime

assistant professor

Al-Istiqlal University - Jericho – Palestine

raofabuawwad@yahoo.com

ملخص

هدفت الدراسة إلى التعرف على دور مواقع التواصل الاجتماعي في انحراف الأحداث من وجهة نظر ذوي الاختصاص، وقد تم إجراء هذه الدراسة على عينة من ذوي الاختصاص بلغ عددهم (٤٨) من ذوي الاختصاص في الأقسام التالية (النيابة، حماية الأسرة، الشرطة)، وقد جمعت البيانات من خلال تصميم استبانة تم فحص صدقها وثباتها وتبين تمتعها بدرجة صدق وثبات ممتازة مقدارها (0.851)، وللإجابة على أسئلة الدراسة وفرضياتها تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والنسب المئوية، وإجراء اختبار تحليل التباين الأحادي واختبار (ت) لفحص الفرضيات والإجابة عن الأسئلة الفرعية. **حيث كانت من أهم النتائج** أن المتوسط الحسابي للمجال الكلي قد بلغ (٣.٧٩٧٩) وبدرجة استجابة (موافق)، وهذا يدل إدراك أفراد عينة الدراسة من ذوي الاختصاص حول دور مواقع التواصل الاجتماعي في انحراف الأحداث، كما أنه لا توجد فروق ذات دلالة احصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \geq 0.05$) في دور مواقع التواصل الاجتماعي في انحراف الأحداث من وجهة نظر ذوي الاختصاص التي تعزى لمتغيرات الجنس والعمر والحالة الاجتماعية ومجال الاختصاص. كما وكانت أهم التوصيات التي قدمتها هذه الدراسة ضرورة زيادة الثقة والصراحة بين الأبناء وذوهم في مناقشة القضايا التي تخصهم ومراقبة الأبناء أثناء تصفحهم لمواقع الانترنت، بالإضافة الى ضرورة تقديم النصح والإرشاد للأحداث فيما يتعلق بالاستخدام السليم لمواقع التواصل الاجتماعي.

كلمات مفتاحية: مواقع التواصل الاجتماعي، جنوح الأحداث، الأسرة، النيابة، حماية الأسرة، الشرطة

Abstract

This study aimed to explore the role of social media in juvenile delinquency from the perspective of specialists. The study was conducted on a sample of 48 specialists from the following departments: Prosecution, Family Protection, and Police. Data was collected through a questionnaire, which was tested for validity and reliability, demonstrating an excellent validity and reliability score of 0.851.

To address the research questions and hypotheses, means, standard deviations, and percentages were extracted, and statistical tests such as One Way ANOVA and Independent Sample t-test were conducted to test the hypotheses and answer the sub-questions. One of the key findings showed that the overall mean score was 3.7979, with a response level of "Agree", indicating the specialists' awareness of the role of social media in juvenile delinquency. Additionally, there were no statistically significant differences at the significance level of ($\alpha \geq 0.05$) regarding the role of social media in juvenile delinquency from the specialists' perspectives, attributed to variables such as gender, age, marital status, and field of expertise. Among the most important recommendations provided by the study was the necessity to increase trust and openness between children and their guardians when discussing issues that concern them, monitoring children's internet usage, and providing guidance to juveniles regarding the proper use of social media.

Keywords: Social media, juvenile delinquency, family, prosecution, family protection, police.

المبحث الأول: مقدمة الدراسة وأهميتها

مقدمة الدراسة:

يقف الكثير حائرا أمام التدفق الكبير للبرامج والمواقع الالكترونية، سواء في زيادة المعلومات أو تبادل المعرفة، وما نتج عنه من ظهور شبكات التواصل الاجتماعي التي أوجدت بدورها أيضا واقعا جديدا وإن كان يتسم بالطابع الافتراضي إلا أنه فتح الطريق لتواصل البشر، وتزايد فرص تقاربهم وتأثيراتهم المتباينة، فيما بينهم، محدثة آثارا متباينة على مختلف نظمهم الاجتماعية، وعلى ثقافتهم وطرائق عيشهم، وعلى القيم الحاكمة والموجهة والضابطة لسلوكياتهم وتصرفاتهم، ولقد تعاضم هذا التغلغل وتلك التأثيرات

والتحولات مع توالي ظهور الأجيال الجديدة من الهواتف الذكية المحمولة وربطها بتلك الشبكات مما مهد للتواصل الاجتماعي بدرجات بالغة الاتساع والكثافة. (بن منيخر، ٢٠١٥، ص ٢)

حيث أصبحت شبكات التواصل الاجتماعي وسيلة الاتصال المؤثرة في الأحداث اليومية بحيث أتاحت الفرصة للجميع شباب سياسيين، وباحثين لنقل أفكارهم و مناقشة قضاياهم السياسية والاجتماعية وما يرغبون في نقله متجاوزين في ذلك الحدود الطبيعية إلى فضاءات جديدة لا رقيب وحتى الحكومات والمنظمات غير الحكومية أصبحت تستعمل هذه الشبكات من اجل إيصال أفكارها وتحقيق أهدافها المختلفة، وهكذا يمكن القول أن شبكات التواصل الاجتماعي أحدثت طفرة نوعية ليس فقط في مجال الاتصال بين الأفراد والجماعات بل في نتائج وتأثير هذا الاتصال، إذ كان لهذا التواصل نتائج مؤثرة في المجال الإنساني والاجتماعي والسياسي والثقافي، إلى درجة أصبحت احد أهم عوامل التغير الاجتماعي محليا وعالميا وذلك بما تتيحه هذه الوسائل من إمكانات للتواصل والسرعة في إيصال المعلومة ، بحيث لم تعد لوسائل الإعلام التقليدية القدرة على إحداث هذا التغير بل تقف عاجزة أمام التأثير المباشر والفعال لشبكات التواصل الاجتماعي، والأحداث الأخيرة التي شهدتها المنطقة العربية أو ما بات يعرف بالربيع العربي خير دليل على قوة تأثير هذه الوسائل. (غزال، ٢٠١٤، ص ١)

وهنا لا بد لنا من التأكيد على أن انحراف الأحداث تعد من أهم المشكلات الاجتماعية والأسرية، لما ينتج عنها من مخاطر وأثار سلبية تنعكس على الأسرة بشكل خاص وعلى المجتمع بشكل عام، لأن تجاوز هؤلاء المنحرفين عن القوانين والأنظمة وقواعد الضبط الاجتماعي المعتمدة في ذلك المجتمع وتلك الأسرة سيؤثر على المجتمع تأثيرا سلبيا في اقتصادها وعلاقاتها الاجتماعية وينهار المجتمع بأفراده، فالمنحرف كان يعد من الأفراد الذين يسعون ببناء المجتمع وليس بهدمه. (مخامرة، ٢٠١٧، ص ٣)

إشكالية الدراسة:

ان تطور الوسائل في مجال تكنولوجيا الاتصال أصبح يشكل مكانة محورية ورئيسية لحياة البشر في مختلف مناحي حياتهم وأعطت بعدا آخر في مجال التواصل، فتنوعت أساليبه وأشكاله وتأثيراته، وقد قلبت هذه التطورات المفاهيم المعروفة وغيرها، فدور الانترنت لم يعد مقتصر على نقل المعلومات أو إرسالها بل أصبح لديه العديد من التأثيرات والانعكاسات الثقافية والاجتماعية، فقد أحدثت الانترنت صيحة تكنولوجية إن لم نقل ثورة و تأتي في مقدمة هذه الافرازات مواقع التواصل الاجتماعي من

أشهرها (فيسبوك، تويتر، يوتيوب، إنستغرام، سناب شات) وغيرها الكثير والتي أصبحت تجذب الشباب بشكل كبير ومتزايد نظير ما تقدمه من خدمات متنوعة تتعلق باهتماماتهم و رغباتهم إضافة إلى طبيعة التواصل الاجتماعي التي تتيحها هذه المواقع، فاستخدامها ساهمت في ربط العديد من العلاقات بطريقة غير مسبقة بعد أن ألغت جميع المسافات و الحدود، إلا أنه يقودنا أيضا إلى الدور الخطير الذي أصبحت تشكله مواقع التواصل الاجتماعي في انحراف الأفراد بسبب قضائهم أوقات طويلة داخل هذه المجتمعات الافتراضية، و ذلك لأن تلك المواقع للأسف بدون ضوابط تضبط حدود استخدامها. وبالتالي يمكن لنا صياغة إشكالية الدراسة بالسؤال الرئيس التالي:

" ما دور مواقع التواصل الاجتماعي في انحراف الأحداث من وجهة نظر ذوي الاختصاص؟"

أسئلة الدراسة:

١. ما دور مواقع التواصل الاجتماعي في انحراف الأحداث من وجهة نظر ذوي الاختصاص؟
٢. ما مدى مساهمة وسائل التواصل الاجتماعي في زيادة معدل الانحراف؟
٣. هل يوجد هناك اختلاف في آراء عينة الدراسة حول دور مواقع التواصل الاجتماعي في انحراف الأحداث من وجهة نظر ذوي الاختصاص؟

أهداف الدراسة:

تسعى الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:

- ١- التعرف على دور مواقع التواصل الاجتماعي في انحراف الأحداث من وجهة نظر ذوي الاختصاص.
- ٢- تحديد مدى مساهمة وسائل التواصل الاجتماعي في زيادة معدل الانحراف.
- ٣- معرفة فيما إذا كان هناك اختلافات في آراء عينة الدراسة حول دور مواقع التواصل الاجتماعي في انحراف الأحداث من وجهة نظر ذوي الاختصاص.

فرضيات الدراسة:

١. لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ألفا ($\alpha \geq 0.05$) في دور مواقع التواصل الاجتماعي في انحراف الأحداث من وجهة نظر ذوي الاختصاص تعزى لمتغير الجنس.
٢. لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ألفا ($\alpha \geq 0.05$) في دور مواقع التواصل

- الاجتماعي في انحراف الأحداث من وجهة نظر ذوي الاختصاص تعزى لمتغير العمر .
٣. لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ألفا ($\alpha \geq 0.05$) في دور مواقع التواصل الاجتماعي في انحراف الأحداث من وجهة نظر ذوي الاختصاص تعزى لمتغير مجال الاختصاص.
٤. لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ألفا ($\alpha \geq 0.05$) في دور مواقع التواصل الاجتماعي في انحراف الأحداث من وجهة نظر ذوي الاختصاص تعزى لمتغير الحالة الاجتماعية.

أهمية الدراسة:

- ١- تعد هذه الدراسة من أوائل الدراسات والتي تناولت دور مواقع التواصل الاجتماعي في انحراف الأحداث من وجهة نظر ذوي الاختصاص وذلك على حسب علم الباحث.
- ٢- تسعى هذه الدراسة إلى المساهمة في نشر الوعي لترشيد استخدام مواقع التواصل الاجتماعي، والدعوة لتصميم وبناء إجراءات وتدابير وبرامج الوقاية من الانحراف الناجم عن الاستخدامات السلبية لمواقع التواصل الاجتماعي.
- ٣- قد تسهم هذه الدراسة في معرفة مخاطر هذه الاستخدامات السلبية ومنح مؤسسات المجتمع المختلفة إمكانات حقيقية وجيدة لتوظيف هذه المواقع على نحو إيجابي.
- ٤- وكذلك تنبع أهمية هذه الدراسة بأنها ستكون مرجع للدراسات اللاحقة المتعلقة بالموضوع نفسه.

أداة الدراسة:

سوف يتم تطوير أداة من أدوات البحث العلمي تتمثل بالاستبانة من أجل التعرف على دور مواقع التواصل الاجتماعي في انحراف الأحداث من وجهة نظر ذوي الاختصاص.

تعريف المصطلحات:

-مواقع التواصل الاجتماعي: هي عملية التواصل مع عدد من الناس عن طريق مواقع وخدمات الكترونية توفر سرعة توصيل المعلومات على نطاق واسع، فهي مواقع لا تعطينا معلومات فقط، بل تتزام وتتفاعل معنا أثناء إمدادنا بتلك المعلومات عن من في نطاق شبكتنا، وبذلك تكون أسلوب لتبادل المعلومات بشكل فوري عن طريق شبكة الانترنت.(بابكر، ٢٠١٥، ص ٢٩)

التعريف الإجرائي: مجموعة من المواقع على شبكة الإنترنت تقدم لمستخدميها خدمات متنوعة منها التواصل مع الأصدقاء ومعرفة أشخاص جدد، وكذا التعبير عن الرأي بكل حرية كما تتيح لهم فرصة الاحتكاك بثقافات متعددة وغيرها من الخدمات

-انحراف الأحداث: "حالات نفسية تتوفر لدى الحدث، وتؤدي به إلى إظهار سلوك مضاد للمجتمع، كما ان هذه الحالات نتيجة لعوامل مختلفة تكون قد أعاققت النمو النفسي السليم. (مخامرة، ٢٠١٧، ص ٩)

التعريف الاجرائي: اقدام الحدث على ارتكاب جريمة كالسرقة أو الإيذاء أو القتل ---- الخ.
المحت الثاني: الإطار النظري والدراسات السابقة

أولاً: الإطار النظري:

مواقع التواصل الاجتماعي:

تعريف مواقع التواصل الاجتماعي:

يعد الإنترنت أكثر وسائل الاتصال والتسويق التي عرفها العالم أهمية وفاعلية، ومن أهم المعايير التي يجب توافرها في وسيلة الاتصال هي وجود إمكانية الوصول على جمهور عريض، وهذا ما يتوافر في الإنترنت، فعندما يقوم الشخص بالتسويق عبر الإنترنت، فإنه يمكنه الوصول إلى أسواق عالمية وإذا كان لدينا منتجات أو خدمات يمكن أن يستفيد منها أو يشتريها أشخاص من مختلف أنحاء العالم، فقد أصبح الإنترنت قناة مبيعات جديدة، بها إمكانيات هائلة لدعم الجهود التسويقية. (إيجر، ٢٠٠٠، ص ١٣-١٦) ونتيجة لذلك فقد نشأت العديد من شبكات التواصل الاجتماعي بين الناس مع انتشار الإنترنت، فيما يعرف بالشبكات الاجتماعية (مواقع التواصل الاجتماعي) وقد عرفت مواقع التواصل الاجتماعي: بأنها هي مصطلح يطلق على مجموعة من المواقع على شبكة الانترنت تتيح التواصل بين الأفراد في بيئة مجتمع افتراضي يجمعهم حسب مجموعات اهتمام أو شبكات انتماء (بلد، جامعة، مدرسة، شركة... إلخ)، وهذا يتم عن طريق خدمات التواصل المباشر كإرسال الرسائل، والاطلاع على الملفات الشخصية للآخرين ومعرفة أخبارهم ومعلوماتهم التي يتيحونها للعرض. (صالح، ٢٠١٣، ص ٢٢٧) وكذلك عرفت مواقع التواصل الاجتماعي: بأنها مجتمعات افتراضية عبر شبكات الإنترنت تجمع مجموعة من الأفراد يحملون ذات الاهتمامات يتبادلون الخبرات والمعلومات فيما بينهم من خلال إطار برنامج أو تطبيق محدد يشتركون جميعاً في استعماله. (حداد، ٢٠٠٢، ص ٢١)

أنواع مواقع التواصل الاجتماعي:

تعددت أنواع مواقع التواصل الاجتماعي، وهنا نذكر أكثر مواقع التواصل الاجتماعي انتشاراً وهي كما يلي: (خليفة، ٢٠١٦، ص ١١٤-١١٨)

أولاً: الفيس بوك: هو أكثر مواقع التواصل الاجتماعي انتشاراً حيث يسمح للمستخدمين به بالتواصل مع بعضهم البعض عن طريق استخدام أدوات الموقع وتكوين روابط وصداقات جيدة من خلاله، كما يسمح للأشخاص الطبيعيين بصفاتهم الحقيقية أو الأشخاص الاعتباريين كالشركات والهيئات والمنظمات بالمرور من خلاله وفتح آفاق جديدة للتعريف بالمجتمع بهويتهم.

ثانياً: تويتر: ساهم هذا الموقع بشكل كبير في بعض الأحداث السياسية الهامة التي جرت في الفترة الأخيرة في العديد من البلدان سواء كانت البلدان العربية أم الأجنبية، فهو موقع مخصص لإرسال تغريدات صغيرة كان لها شديد الأثر في الأحداث التي جرت على الساحة في الآونة الأخيرة.

ثالثاً: انستجرام: وهو موقع متخصص في تبادل الصور والفيديوهات بين المستخدمين تأسس سنة ٢٠١٠، وتم تطوير هذا الموقع من خلال شركة فيسبوك.

رابعاً: اليوتيوب: وقد توصل العديد إلى أن اليوتيوب هو موقع للتواصل الاجتماعي ولرفع ملفات الفيديو، وهو ما يميزه عن غيره وذلك نتيجة للضغط الهائل على مشاهدة الفيديوهات التي تنشر من خلاله وهو ما يدفع بعض المشتركين للمشاركة بإدلاء آراءهم ووضع تعليقات على الفيديو المنشور وهو ما يفتح مجال للتواصل الاجتماعي مع غيرهم من متابعي نفس الفيديو.

مميزات الشبكات الاجتماعية:

إن الشبكات الاجتماعية وكما نعلم تتميز بعدة ميزات نذكر منها ما يلي: (عوض، ٢٠١٣/٢٠١٤، ص ٢٣)

أ-العالمية: فتصل لجميع المناطق حيث تلغى الحواجز الجغرافية والمكانية، وتتخطى فيها الحدود الدولية، فيستطيع الفرد في الشرق التواصل مع الفرد في الغرب، في بساطة وسهولة.

ب-التفاعلية: وذلك لأن الفرد فيها مستقبل وقارئ، هو مرسل وكاتب ومشارك، لذا فهي تلغي السلبية، وتعطي حيز للمشاركة الفاعلة من المشاهدين والقراء.

ج- التنوع وتعدد الاستعمالات: فيمكن أن تستخدم للتعليم والتسويق وغيرها الكثير من الاستخدامات والاستعمالات.

د- سهولة الاستخدام: فالشبكات الاجتماعية، تستخدم الحروف، أو الرموز والصور التي تسهل للمستخدم التفاعل.

هـ- التوفير والاقتصادية: في الجهد، والوقت، والمال في ظل مجانية الاشتراك، أو التسجيل، فالفرد البسيط، يستطيع امتلاك حيز على الشبكة للتواصل الاجتماعي، فهي ليست حكراً على أصحاب الأموال، أو حكراً على جماعة دون أخرى.

أسباب استخدام مواقع التواصل الاجتماعي:

كما نعلم فإن الأفراد يستخدمون مواقع التواصل الاجتماعي لأسباب عدة نذكرها فيما يلي: (الجعبري، ٢٠٠٩، ص ١٢٠-١٢١)

أولاً: بعد المسافات بين الأهل والأقارب: حيث نجد أن بعد المسافة بين الأهل والأقارب واضطرار أدى بعض الأشخاص المقربين للسفر لدواعي العمل أو العلاج إلى محاولة البحث على طريقة ووسيلة للتواصل مع هؤلاء الأشخاص، وكان ذلك سبباً هاماً للجوء إلى استعمال مواقع التواصل الاجتماعي.

ثانياً: المشكلات الأسرية: حيث أن بعض الأفراد يلجأون إلى استخدام مواقع التواصل الاجتماعي كهروب من المشكلات الأسرية التي تحدث داخل المنزل، فيلجأ الفرد إلى البحث عن أصدقاء جدد كمحاولة للبعد عن ذلك التوتر.

ثالثاً: عدم وجود فرص للعمل: فنتيجة للبطالة وعدم توافر فرص عمل يلجأ الكثير من الشباب إلى مواقع التواصل الاجتماعي يفرغ فيها الشباب طاقته وقدرته على العطاء والإنجاز، فيتجه إلى مواقع التواصل الاجتماعي للهروب من ذلك الواقع المرير.

رابعاً: أوقات الفراغ: فعن طريق التهاور مع بعض الأصدقاء وتكوين صداقات جديدة يقوم البعض بملء وقت الفراغ في محاولة منهم للقضاء على الشعور بالملل والرغبة في التجديد وخلق جو اجتماعي وراء شاشات الكمبيوتر.

أهداف شبكات التواصل الاجتماعي:

تعتمد مواقع الشبكات الاجتماعية بالدرجة الأولى على مستخدميها في تشغيلها وتغذية محتوياتها، وتتنوع أشكال وأهداف تلك الشبكات الاجتماعية، فبعضها عام يهدف إلى التواصل مع الآخرين وتكوين الصداقات حول العالم، وبعضها الآخر يتمحور حول تكوين مواقع شبكات اجتماعية في نطاق محدود ومنحصر في مجال معين مثل شبكات المحترفين وشبكات المصورين ومصممي الجرافيك، وقد أصبح الإعلان الإلكتروني في الوقت الراهن وسيلة أكثر فعالية في الترويج للمبيعات، بما فيه الإعلان على الشبكات الاجتماعية، الأمر الذي أدى إلى اهتمام الباحثين بإجراء الدراسات حول دور الإعلان في شبكات التواصل الاجتماعي من حيث التأثير على اتجاهات المستهلكين. (صالح وآخرون، ٢٠١٣، ص ٢٢٧-٢٢٨)

آثار مواقع التواصل الاجتماعي:

وهنا نذكر أن لمواقع التواصل الاجتماعية آثاراً عدة منها الآثار الإيجابية ومنها الآثار السلبية نوضحها فيما يلي:

أولاً: الآثار الإيجابية:

ومن تلك الآثار ما يلي: (ساري، ٢٠٠٥، ص ٧١-٧٢)

* أن مواقع التواصل الاجتماعي تعد نافذة ممتلئة على العالم: حيث وجد الملايين من أبناء الشعوب الأجنبية والعربية بشكل خاص في الشبكات الاجتماعية نافذة حرة لهم للاطلاع على أفكار وثقافات العالم بأسره.

* تعد فرصة لتعزيز الذات: فعند التسجيل بمواقع التواصل الاجتماعي وتعبئة البيانات الشخصية، يصبح لك كيان مستقل وعلى الصعيد العالمي.

* أكثر انفتاحاً على الآخر سواء أكان ذلك الآخر مختلف عناً في الدين والعقيدة والثقافة والعادات والتقاليد، واللون والمظهر والميول.

✳ تعد منبر للرأي والرأي الآخر: فالمجال مفتوح أمام حرية التعبير مما جعل مواقع التواصل الاجتماعي أداة قوية للتعبير عن الميول والاتجاهات والتوجهات الشخصية تجاه قضايا الأمة المصيرية.

✳ التقليل من صراع الحضارات: فقد تعزز مواقع التواصل الاجتماعي من ظاهرة العولمة الثقافية، ولكنها في الآن ذاته تعمل على جسر الهوة الثقافية والحضارية، وذلك من خلال ثقافة التواصل المشتركة بين مستعملي تلك المواقع وكذلك تبيان وتوضيح الهموم العربية للغرب بدون زيف الإعلام ونفاق السياسة.

✳ تزيد من تقارب العائلة الواحدة خاصة وأنها أرخص من نظيراتها الأخرى من وسائل الاتصال المختلفة.

✳ تقدم فرصة رائعة لإعادة روابط الصداقة القديمة: حيث من خلال هذه المواقع تساعد في البحث عن أصدقاء الدراسة أو العمل ممن اختفت أخبارهم بسبب تباعد المسافات أو مشاغل الحياة.

ثانياً: الآثار السلبية:

ومن تلك الآثار ما يلي: (ساري، ٢٠٠٥، ص ٧٢-٧٣)

✳ يقلل من مهارات التفاعل الشخصي: فمع سهولة التواصل عبر هذه المواقع فإن ذلك سيقبل من زمن التفاعل على الصعيد الشخصي للأفراد والجماعات المستخدمة لهذه المواقع.

✳ إضاعة الوقت: حيث أنها مع خدماتها الترفيهية التي توفرها للمستخدمين، قد تكون جذابة جداً لدرجة تنسى معها الوقت.

✳ الإدمان على مواقع التواصل: إن استخدامها خاصة من قبل ربات البيوت والمتقاعدين، يجعله أحد النشاطات الرئيسية في حياة الفرد اليومية، وهو ما يجعل ترك هذا النشاط أو استبداله أمراً صعباً للغاية.

✳ ضياع الهوية الثقافية العربية واستبدالها بالهوية العالمية لمواقع التواصل: حيث أن العولمة الثقافية هي من الآثار السلبية لمواقع التواصل الاجتماعي بنظر الكثيرين.

✳ انعدام الخصوصية: تواجه أغلبية المواقع الاجتماعية مشكلة انعدام الخصوصية مما تتسبب بالكثير من الأضرار المعنوية والنفسية على الشباب.

✳ الصداقات قد تكون مبالغاً فيها أو طاغية في بعض الأحيان: فجميع الأشخاص الذين تعرفهم عبر مواقع التواصل الاجتماعي نضيفهم كأصدقاء وهو لقب غير دقيق.

✳ انتحال الشخصيات: فقد تكون هناك بعض العوامل التي تدفع مستخدميها في الابتزاز وانتحال الشخصية ونشر المعلومات المضللة وتشويه السمعة، أو في الجريمة كالدعارة أو السرقة أو الاختطاف.

✳ تراجع استخدام اللغة العربية الفصحى لصالح العامية.

جنوح الأحداث:

الحدث:

والحدث كما عرف : هو الصغير منذ ولادته حتى تكتمل عليه مظاهر النضج الاجتماعي والنفسي وتكون عنده عناصر الرشد، أما فلسطينيا فإنه كل من أتم السابعة ولم يتم الثامنة عشر ذكرا أم أنثى. (مخامرة، ٢٠١٧، ص ١٢-١٣)

انحراف (جنوح) الأحداث:

ينظر لهذه الظاهرة بأنها ظاهرة اجتماعية وجدت في المجتمعات واختلفت نظرة المجتمع إلى هذه المشكلة ، حيث اعتبر الحدث المنحرف في المجتمعات القديمة أنه يستحق العقاب، أما حديثا فقد اختلفت نظرة المجتمع للحدث المنحرف حيث تبين أن الأحداث المنحرفة هم ضحية لظروف اجتماعية أدت بهم إلى الانحراف وبالتالي تهيئة الظروف الاجتماعية بما يخدم التنشئة السليمة والصالحة لهؤلاء الأحداث وبالتالي صنع مواطنين صالحين منهم، وقد ازدادت هذه المشكلة خاصة في المجتمعات النامية مما أدى إلى المزيد من التفكك الأسري، فالأحداث هم نواة المجتمع البشري، ومرحلة الحادثة يتوقف عليها إلى حد بعيد بناء شخصيات وتحديد سلوكياتهم في المستقبل ، وأي جهد يوجه لرعايتهم وحمايتهم هو في نفس الوقت تأمين لمستقبل الأمة وتدعيم لسلامتها ، لذلك تعتبر رعاية الأسرة والطفولة العملية البناءة الأساسية في أي مجتمع يسعى إلى تحقيق التطور المتوازن البعيد عن الانحرافات والعلل الاجتماعية ، والقادر على الابتكار والتجديد المتمسك بالقيم والأخلاق الفاضلة، وبالتالي فإن هذه الظاهرة عرفت التشريعات في مختلف العصور عن طريق منع ارتكاب بعض الأفعال التي تشكل اضطرابا وخطورة على المجتمع والعلاقات السائدة فيه، وتبرز مسؤولية الحدث في ذلك من خلال اعتباره أحد أفراد جماعته وأسرته فإذا ما ارتكب أحد ما من الجماعة جريمة أو جنحة يعتبر الطفل مسؤول كونه أحد أفراد الجماعة، وهناك مسؤولية شخصية إذا ما ارتكب هو نفسه تلك الجنحة أو الجريمة . ورغم عملية التغير الاجتماعي التي شملت المجتمعات فإن هذه الظاهرة مازالت موضع الاهتمام لما تسببه وتثيره من اضطراب في العلاقات الإنسانية وإهدار للقيم والعادات وتهديد لسلطة القانون وقد دلت الدراسات والبحوث على أن الجريمة (جنحة) أكثر ما تكون شيوعا عند الصغار وأن معظم المجرمين البالغين قد بدأوا حياتهم الإجرامية منذ سن الحداثة. (حومر، ٢٠٠٦، ص ٤٥)

الأسرة وعلاقتها بجنوح الأحداث:

كما هو معلوم فالأسرة هي مهد للشخصية حيث تتكون في ظلها وخلال السنوات الأولى من عمر الحدث النماذج الأساسية للتفكير والشعور والعادات والقيم التي تظهر تأثيرا واضحا ومستمر على حياته في المستقبل، فالعائلة بعدم استقرارها قد تعود الحدث على عدم الاستقرار فيما بعد بالمدرسة والمهنة وتنمي لديه الشعور بالاضطراب الذي يمكن أن يؤدي إلى التشرد والانحراف، وأهم هذه الأسباب ما يلي: (عوين، ٢٠٠٩، ص ٣٢-٣٣)

أولا: التصدع المادي للأسرة: أي غياب الأب أو الأم أو كلاهما لأي سبب من الأسباب عن المنزل، ولا شك أن غياب الوالدين أو أحدهما له تأثير على تربية الحدث وتوجيهه.

ثانيا: عمل الأم خارج المنزل: حيث يترتب على عملها خارج المنزل قلة اشرافها ومتابعتها لتصرفات ابنائها، وبالتالي انشغالها عن متابعة تصرفات اطفالها.

ثالثا: التصدع المعنوي للأسرة : أي الخلل او الاضطراب الذي يسود العلاقات بين أفراد الأسرة، وسوء التفاهم الحاصل بين الوالدين وانعكاسه على شخصية الأولاد , وجهل الوالدين بأساليب التربية السليمة، فتفكك الأسرة وانحلال الرابطة الأسر سبب رئيس يدفع الحدث الى الجنوح ويخلق فيه نفسية معقدة متوترة وتهيئه لارتكاب أول جريمة، وهذا لغياب الرادع الأخلاقي الذي ينمو ويتعرع في منزل مترابط وسليم وضمن عائلة متفاهمة ومتعاونة، وهذا ينعكس على سلوك الحدث حيث يضعه في مهب الريح ويكون عرضه للانزلاق السريع لعدم وجود مراقبة وتوجيه وتصحيح لسلوكه.

رابعا: انخفاض المستوى التعليمي والثقافي للوالدين: فالحدث الذي يعيش في بيئة يحيط بها الجهل ويغيب عنها الوعي والإرشاد فإنه سيقع في حبال الرذيلة والجريمة، حيث أن الأهل لا يتمكنون من توجيهه وإرشاده والتعامل بشكل مناسب مع متطلباته.

خامسا: قلة المراقبة والمتابعة من الوالدين: وتتمثل في عدم متابعة ومساءلة الحدث على التأخير أو على بعض السلوكيات التي يقوم بها، وعدم ملاحظته، وبالتالي لا يشعر أنه مراقب ومتابع وهنا سيندفع باتجاه الجريمة

سادسا: جهل الوالدين بأساليب التربية السليمة: لجهل الوالدين بأساليب تربية الناشئ بشكل سليم، فالتربية ليست مجرد توفير طعام وكساء ومأوى، بل هي مجموعة من القيم والمبادئ السامية التي يتعلمها الحدث في الأسرة والمدرسة، ومما يندرج تحت ضعف التربية المعاملة السيئة للحدث والاحتقار الدائم له من قبل أسرته وعدم إعطائه فرص لإثبات ذاته، وهذا ممكن أن يولد عند الحدث الغيرة والانتقام وتحوله الى جانح، كما يمكن أن يولد عند الحدث خيبة أمل من سوء المعاملة التي يتلقاها.

سابعا: ضعف الوازع الديني عند الأسرة: حيث عدم إدراك الأسرة لتعاليم الديانة الإسلامية والتي تهدف في مجملها الى تربية نشئ صالح خالي من الأمراض الاجتماعية.

ثانيا: الدراسات السابقة:

- الدراسات العربية:

١-دراسة (عايد، ٢٠١٢)

بغنوان: " دور شبكات التواصل الاجتماعي في تعبئة الرأي العام الفلسطيني نحو التغيير الاجتماعي والسياسي - دراسة وصفية تحليلية "

هدفت الدراسة التعرف إلى دور شبكات التواصل الاجتماعية في تعبئة الرأي العام الفلسطيني ومدى قدراتها على إحداث تغيير اجتماعي وسياسي، وذلك بغرض الوصول إلى استنتاجات تفيد الواقع إما بتصحيحه، أو تحديثه أو استكمال له أو تطويره، وقد استخدم الباحث المنهج المسحي لعينة مكونة من

(٥٠٠) طالب وطالبة من طلاب الجامعات الفلسطينية في قطاع غزة، وهم من أكثر فئات المجتمع الفلسطيني استخداماً للإنترنت، وشبكات التواصل الاجتماعي.

ومن أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة: أن أكثر شبكات التواصل الاجتماعي استخداماً هو البريد الإلكتروني، ويتم ذلك في المنزل في حدوث ثلاث ساعات يومياً، وأن مدى الثقة فيها متوسط، وأن لا تأثير لكل من متغيري الجنس والسكن على دور تلك الشبكات في تعبئة الرأي العام سياسياً واجتماعياً، في حين أسفرت النتائج عن وجود تأثير لكل من متغيري الجامعة والتخصص العلمي.

٢-دراسة (بابكر، ٢٠١٥)

بغنوان: "مواقع التواصل الاجتماعي وعلاقتها بتنشئة الأطفال الجانحين"

هدفت الدراسة التعرف على أثر شبكة التواصل الاجتماعي على الأطفال الجانحين وكانت الأهداف التعرف على تأثير الانترنت على أفكار الأطفال الجانحين والتعرف على الآثار السلبية من المواقع الالكترونية والاجتماعية التي يجذب لها الطفل الجانح، والتعرف على مدى تعمق الطفل الجانح واعتياده على الأجهزة الذكية والانترنت، وقد تم اختيار عينة من المبحوثين تكونت من (٨٠) فرد من العاملين على رعاية الأطفال الجانحين في ولاية الخرطوم وتم اختيار عينة عشوائية مكونة من (٢٨) ذكراً و(٥٢) أنثى تتراوح أعمارهم ما بين ٣٠-٥٠ فأكثر، وقد تم استخدام المنهج الوصفي.

وتوصلت الدراسة الى أن انهيار الضوابط الاجتماعية التقليدية كالدين والقيم، وإبعاد الأطفال عن تكوين علاقات اجتماعية بناءة في المجتمع، وتقليص العلاقات الوالدية بين الأبناء لدى الأطفال الجانحين، بالإضافة الى زيادة تأثير الإعلام الغربي على فكر الأطفال، تزايد معدلات الجريمة وانتشارها بوسائل الاتصال، تزيد تعليم النزعة العدوانية والجنسية لدى الأطفال، تؤدي بالطفل إلى عدم الإحساس الإنساني وتزيد التأثير على أخلاقيات الطفل.

٣-دراسة (بن منيخ، ٢٠١٥)

بغنوان: "الاستخدامات السلبية لشبكات التواصل الاجتماعي ودورها في انحراف الشباب - دراسة من منظور طالبات جامعة الملك سعود"

هدفت الدراسة التعرف على دور الاستخدامات السلبية لشبكات التواصل الاجتماعي في انحراف الشباب من منظور عينة من طالبات جامعة الملك سعود. مجتمع وعينة الدراسة: تكون مجتمع الدراسة من جميع طالبات السنة النهائية في كليات جامعة الملك سعود بمدينة الرياض، وبلغ حجم عينة الدراسة (٤٦٥) طالبة، وقامت الباحثة باستخدام المنهج الوصفي التحليلي للدراسة واستخدمت الاستبانة كأداة لجمع المعلومات والبيانات. وأظهرت نتائج الدراسة أن أفراد عينة الدراسة موافقون بدرجة عالية على إسهام هذه الاستخدامات السلبية لشبكات التواصل الاجتماعي في انحراف الشباب. كما وأظهرت نتائج الدراسة أن أفراد عينة الدراسة موافقون بدرجة عالية على أنماط الانحراف الاجتماعي لدى الشباب السعودي والناجمة عن الاستخدامات السلبية لشبكات التواصل الاجتماعي.

ثانياً: الدراسات الأجنبية:**١-دراسة: (Lenhart & Madden, 2007)****بعنوان: " Teens, Privacy & Online Social Netwrks "**

هدفت الدراسة إلى التعرف على طبيعة الحياة التي يعيشها جيل الشباب من الأمريكيين، وذلك من خلال استخدامهم للإنترنت وشبكات التواصل الاجتماعي، وما الذي يتشاركون به ولا يتشاركون مع الغير عبر هذه الشبكات، وهل يلعب الأهل دوراً في مراقبة الأبناء أثناء تواجدهم على هذه الشبكات أم لا؟ وذلك من خلال التطبيق على عينة مكونة من (٩٣٥) مفردة من المراهقين والمراهقات الأمريكيين، ممن تتراوح أعمارهم ما بين (١٢-١٧ عام) وأولياء أمورهم.

قد توصلت الدراسة إلى أن (٥٥٪) من المراهقين الأمريكيين لديهم حساب على شبكات التواصل الاجتماعي، وأن ما نسبته (٦٦٪) من هؤلاء لا يشاركون مستخدمي الشبكات الأخرى معلوماتهم على هذه الشبكات، وأن ما نسبته (٤٦٪) من أولئك الذين يسمحون للغير بالاطلاع على معلوماتهم يزودون الغير بمعلومات مضللة لحماية أنفسهم أولاً، كما توصلت الدراسة أيضاً وللمزاح والعبث وعدم الجدية ثانياً إلى أن غالبية المراهقين يستخدمون شبكات التواصل الاجتماعي لكي يبقوا على اتصال مع الأصدقاء أو تكوين صداقات جديدة.

٢-دراسة (Savina,2009)**بعنوان: " Endogenous factors of juvenile delinquency and the perspectives of its prognosing "**

هدفت الدراسة إلى تحديد العوامل الشخصية ذات الصلة المؤدية لجنوح الأحداث، والسلوك الإجرامي، وتكونت عينة الدراسة من اختيار (٦١٧) حدثاً ينتمون للفئات العمرية من (١٤-١٨ سنة)، واحتوت العينة التجريبية على (٢١٧) من الذكور البالغين من مدارس الثانوية، حيث قام الباحث بتطبيق مقياس آيزنك الشخصية الذي تم تقييم الانطواء والعصابية وتوصلت الدراسة للنتائج التالية:

أن العوامل الشخصية (الانفتاح والانطواء والعصابية) تتعلق بأنواع جنوح الأحداث والسلوك الإجرامي، ولكن تأثير هذه العوامل يختلف باختلاف الفئة العمرية ونوعية الإجرام الذي يقوم بارتكابه الحدث، وأن هناك علاقة طردية بين السلوك المعادي للمجتمع وفرط النشاط.

٣- دراسة ناي واربنج (Nie and Erbing,2009):**بعنوان: " Internet and Society: A preliminary Report. Standford Institute for the Quantitative study of Society "**

هدفت هذه الدراسة بتوضيح تأثير الإفراط في استخدام مواقع التواصل الاجتماعي سواء كانت على شبكة الإنترنت أو من خلال تطبيقات الأجهزة المحمولة على قدرة الفرد على التواصل اجتماعيا مع من هم حوله.

وكانت نتائج تلك الدراسة أنه كلما زاد استخدام الفرد لوسائل التواصل الاجتماعي كلما قلت قدرته على التواصل اجتماعيا مع الأقارب والأصدقاء.

الفصل الثالث

منهج الدراسة وإجراءاتها

المقدمة:

يتضمن هذا الفصل وصفا لمنهج الدراسة ومجتمعها وعينتها ووصفاً لأداة الدراسة من حيث صدقها وثباتها وطرق جمع المعلومات ومتغيرات الدراسة والمعالجات الإحصائية وأخيراً مفتاح تصحيح الأداة.

منهجية الدراسة:

استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، وهو المنهج الذي يعتمد على دراسة الظاهرة كما توجد في الواقع ويهتم بوصفها وصفاً دقيقاً ويعبر عنها كيفياً أو كمياً، فالتعبير الكيفي يصف الظاهرة ويوضح خصائصها، أما التعبير الكمي فيعطيها وصفاً رقمياً يوضح مقدار هذه الظاهرة أو حجمها أو درجة ارتباطها مع الظواهر الأخرى. (المشوخي، ٢٠٠٢، ص ١٢١)

مجتمع وعينة الدراسة:

مجتمع الدراسة: هو مجموعة العناصر أو الأفراد التي ينصب عليهم الاهتمام في دراسة معينة وبمعنى آخر هو جميع العناصر التي تتعلق بها مشكلة البحث، وهو مجموعة جميع العناصر والتي تم تعريفها من قبل اختيار العينة، والتي منها تم اختيار العينة. (الآغا، ٢٠٠٠، ص ٢١)

حيث يتكون مجتمع الدراسة من ذوي الاختصاص (قسم النيابة، حماية الأسرة، الشرطة)، وأما عينة الدراسة فتكونت من (٤٨) من ذوي الاختصاص من (نيابة، حماية الأسرة، الشرطة)، وقد تم اختيارها بطريقة عشوائية، تنوعت خصائصهم تبعاً للمتغيرات المستقلة، وفيما يلي (٤) جداول تبين خصائص أفراد العينة حسب متغيراتها المستقلة.

جدول رقم (١)

توزيع أفراد عينة الدراسة تبعاً لمتغير الجنس

الجنس	التكرار	النسبة المئوية
ذكر	23	%47.9
أنثى	25	%52.1
المجموع	48	%100

يتضح من خلال رقم (١) أن ما نسبته ٤٧.٩٪ من أفراد عينة الدراسة كانوا ذكورا، وأن ما نسبته ٥٢.١٪ كانوا إناث.

جدول رقم (٢)

توزيع أفراد عينة الدراسة تبعاً لمتغير العمر

العمر	التكرار	النسبة المئوية
أقل من 25 سنة	38	%79.2
25-35 سنة	7	%14.6
أكثر من 35 سنة	3	%6.3
المجموع	48	%100

يتضح من خلال الجدول رقم (٢) أن ما نسبته ٧٩.٢٪ من أفراد عينة الدراسة كانت أعمارهم أقل من ٢٥ سنة، وأن ما نسبته ١٤.٦٪ كانت أعمارهم من ٢٥-٣٥ سنة، بينما كان ما نسبته ٦.٣٪ أعمارهم كانت أكثر من ٣٥ سنة.

جدول رقم (٣)

توزيع أفراد عينة الدراسة تبعاً لمتغير مجال الاختصاص

النسبة المئوية	التكرار	مجال الاختصاص
43.8%	21	نيابة
25.0%	12	حماية أسرة
31.3%	15	شرطة
100%	48	المجموع

يتضح من خلال الجدول رقم (٣) أن ما نسبته ٤٣.٨% من أفراد عينة الدراسة كان مجال اختصاصهم نيابة، وأن ما نسبته ٢٥.٠% اختصاصهم حماية أسرة، وتبين كذلك أن ما نسبته ٣١.٣% كان مجال الاختصاص شرطة.

جدول رقم (٤)

توزيع أفراد عينة الدراسة تبعاً لمتغير الحالة الاجتماعية

النسبة المئوية	التكرار	الحالة الاجتماعية
70.8%	34	أعزب/ة
22.9%	11	متزوج/ة
4.2%	2	مطلق/ة
2.1%	1	أرمل/ة
100%	48	المجموع

يتضح من خلال الجدول رقم (4) أن ما نسبته ٧٠.٨% من أفراد عينة الدراسة كانت حالتهم الاجتماعية أعزب، وأن ما نسبته ٢٢.٩% كانت حالتهم الاجتماعية متزوج، في حين كان ما نسبته ٤.٢% حالتهم الاجتماعية مطلق، بينما كان ما نسبته ٢.١% حالتهم الاجتماعية أرمل.

مصادر جمع البيانات:

تم جمع البيانات من المصادر التالية:

أولاً: المصادر الأولية: وتم جمع البيانات عن الطريق الاستبانة، ومن ثم تحليل البيانات والتوصل إلى النتائج.

ثانياً: المصادر الثانوية: كالدوريات والكتب والتقارير الصادرة عن الهيئات الحكومية وغير الحكومية والانترنت.

أداة جمع البيانات:

تعريف أداة الدراسة: هي وسيلة جمع البيانات وهي متعددة وقد تكون استبانة أو مقابلة أو ملاحظة... الخ، ويعتمد اختيار الأداة على المنهج المستخدم في الدراسة ومدى ملائمتها لتلك الأداة، كما يعتمد على معرفة الباحث وفهمه وخبرته في استخدام أداة معينة، وهي تختلف عن المنهج وإن كانت قد تتشابه مع المنهج في جزئية معينة. (المشوخي، ٢٠٠٢، ص ١٢٢)

استخدم الطالب أداة من أدوات البحث العلمي تمثلت باستبانة التي تكونت من (٣٣) فقرة.

حيث قام الطالب بتطوير استبانة من أجل التعرف على " دور مواقع التواصل الاجتماعي في انحراف الأحداث من وجهة نظر ذوي الاختصاص"، وذلك تبعاً للخطوات التالية:

- ١- الاطلاع على عدد من الاستبانات في هذا المجال.
 - ٢- استشارة أصحاب الخبرة والاختصاص من المشرفين في مجال إعداد وتطوير الاستبانات كأداة بحثية.
- صدق وثبات الأداة:

لتحديد صدق الأداة الظاهري تم عرضها على لجنة من المحكمين حيث أفادوا بضرورة إجراء بعض التعديلات عليها لتكون صالحة لأغراض جمع البيانات من أفراد العينة حيث تكونت الاستبانة في صورتها النهائية من (٣٣) فقرة.

ثبات الأداة:

يدل الثبات على اتساق النتائج، بمعنى إذا كرر القياس وتحصل على نفس النتائج فهذا هو الثبات، والثبات في أغلب حالاته هو معامل ارتباط وهناك عدد من الطرق لقياسه. (الآغا، ٢٠٠٠، ص ٣١)

ولاستخراج معامل ثبات الأداة التي استخدمتها الدراسة تم حساب معامل الثبات باستخدام اختبار (كرونباخ ألفا) حيث بلغ معامل ثبات الأداة عليه للمجال الكلي (0.851).
متغيرات الدراسة:

أولاً: المتغيرات المستقلة:

وهي كما يلي:

١- الجنس. ٢- العمر. ٣- مجال الاختصاص. ٤- الحالة الاجتماعية.

ثانياً: المتغيرات التابعة:

وتتمثل المتغيرات التابعة بما يلي: " دور مواقع التواصل الاجتماعي في انحراف الأحداث من وجهة نظر ذوي الاختصاص".

المعالجات الإحصائية:

تمت معالجة البيانات بواسطة الحاسوب من خلال استخدام برنامج الرزم الإحصائية (SPSS) الذي يمكننا من استخراج والمتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والنسب المئوية، واختبار (ت) (Independent Sample t-test)، واختبار (تحليل التباين الأحادي) (One Way ANOVA)، لفحص الفرضيات والإجابة عن الأسئلة الفرعية.

مفتاح تصحيح الأداة:

لتصحيح الأداة واستخراج النتائج تم اعتماد المعيار التالي:

جدول (٥)

مفتاح تصحيح الأداة

درجات الاستجابة	موافق بشدة	موافق	محايد	معارض	معارض بشدة
درجة الاستجابة	٥	٤	٣	٢	١
المتوسط الحسابي	4.21-5.0	3.41-4.20	2.61-3.40	1.81-2.60	1-1.80

المبحث الرابع: نتائج الدراسة

هدفت هذه الدراسة التعرف على (دور مواقع التواصل الاجتماعي في انحراف الأحداث من وجهة نظر ذوي الاختصاص)، كما هدفت للتعرف على دور متغيرات الدراسة (الجنس، العمر، مجال الاختصاص، الحالة الاجتماعية) على دور مواقع التواصل الاجتماعي في انحراف الأحداث من وجهة نظر ذوي الاختصاص.

ولتحقيق هدف الدراسة تم تطوير استبانة وتم التأكد من صدقها، ومعامل ثباتها، وبعد عملية جمع الاستبانات تم ترميزها وإدخالها للحاسوب ومعالجتها إحصائياً باستخدام برنامج الرزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS)، وفيما يلي نتائج الدراسة تبعاً لتسلسل الأسئلة وفرضياتها:

النتائج المتعلقة بسؤال الدراسة:

ما دور مواقع التواصل الاجتماعي في انحراف الأحداث من وجهة نظر ذوي الاختصاص؟

وللإجابة على السؤال تم استخراج المتوسطات الحسابية، والانحرافات المعيارية والنسب المئوية لفقرات الاستبانة والتي تقيس دور مواقع التواصل الاجتماعي في انحراف الأحداث من وجهة نظر ذوي الاختصاص والجدول من (٦) إلى (٩) تبين هذه النتائج.

أولاً: المجال الديني والأخلاقي

جدول (٦): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والنسب المئوية لفقرات المجال الديني والأخلاقي مرتبة ترتيباً تنازلياً.

الترتيب	الترتيب	نص الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	النسبة المئوية	درجة الإجابة
١	١	تساهم مواقع التواصل الاجتماعي في بث معلومات خاطئة عن الإسلام	4.270 8	.7362 8	٨٥ %	موافق بشدة
٢	٥	تعلم مواقع التواصل الاجتماعي الصغار الألعاب الفاسدة في مستقبلهم وبخاصة القمار.	4.000 0	.5834 6	80 %	موافق

الدرجة	النسبة المئوية	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	نص الفقرة	الترتيب	الترتيب
موافق	79%	8240.6	3.9583	تعلم مواقع التواصل الاجتماعي التطرف الديني.	٦	٣.
موافق	76%	1.04423	3.3750	تساهم مواقع التواصل الاجتماعي في السرقة.	١١	٤.
موافق	73%	1.32622	3.6667	تساهم مواقع التواصل الاجتماعي في تعلم سلوكيات خاطئة كالوشم.	٩	٥.
موافق	70%	.92253	3.5000	الكذب عند الحوار في غرف الدردشة.	١٠	٦.
موافق	73%	.99266	3.6875	تعزز التطرف الفكري لدى الجانحين.	٨	٧.
موافق	76%	.69446	3.8333	خرق خصوصية الآخرين من خلال نشر متعلقاتهم دون إذنتهم.	٧	٨.
موافق	81%	.78296	4.0625	الدخول إلى المواقع الإباحية.	٤	٩.
موافق	83%	.78098	4.1667	إخفاء الشخصية الحقيقية عند استخدام برنامج المحادثة (الشات).	٣	١٠.
موافق بشدة	84%	.75059	4.2292	تساهم كثرة استخدام وسائل التواصل الاجتماعي في تقليل فرص التواصل المباشر والفعلي مع الأشخاص وجها لوجه.	٢	١١.
موافق	77%	.49028	3.8864	المجال الكلي		

يتضح من نتائج الجدول رقم (٦) أن دور مواقع التواصل الاجتماعي في انحراف الأحداث من وجهة نظر ذوي الاختصاص في المجال الديني والأخلاقي قد أتت بمتوسط (٣.٨٨٦٤) وبانحراف معياري

(٩٤٠٢٨). ونسبة مئوية (٧٧٪)، وقد حازت الفقرة رقم (١) على أعلى متوسط حسابي ومقداره (٤٠٢٧٠٨)، في حين حازت الفقرة رقم (٤) على أقل متوسط حسابي ومقداره (٣٠٣٧٥٠).

ثانياً: المجال الثقافي:

جدول (٧)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والنسب المئوية لفقرات المجال الثقافي مرتبة ترتيباً تنازلياً

الترتيب	الترتيب	نص الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	النسبة المئوية	درجة الإجابة
١.	٣	يؤدي إلى زيادة الاهتمام بالجنس.	3.8958	.88100	٧٧٪	موافق
٢.	٨	تسهيل تفشي الرذيلة.	3.5000	1.07188	٧٠٪	موافق
٣.	٥	تساهم مواقع التواصل الاجتماعي في ميل الأحداث إلى العنف.	3.7500	1.12041	٧٥٪	موافق
٤.	٩	تعلم مواقع التواصل الاجتماعي كيفية تعاطي المخدرات.	3.1875	1.16064	٦٣٪	محايد
٥.	٥	الانغماس مبكراً في القضايا الاجتماعية أو السياسية التي تهم الكبار.	3.7500	1.00000	٧٥٪	موافق
٦.	٤	يشارك العديد من الأشخاص في الحديث حول مواضيع جنسية عبر برنامج المحادثة (الشات).	3.8542	.89893	٧٧٪	موافق
٧.	١	يتبادل الأشخاص صوراً إباحية عبر	3.9792	.99978	٧٩٪	موافق

الترتيب	الترتيب	نص الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	النسبة المئوية	درجة الإجابة
		الانترنت.				
٨.	٢	تتوفر إمكانيات كثيرة لمشاهدة صور وأفلام إباحية عبر الانترنت.	3.9167	1.08830	٧٨%	موافق
٩.	٦	الحصول على معلومات غير موثوقة عبر شبكات التواصل الاجتماعي	3.6667	1.24342	٧٣%	موافق
١٠.	٧	تستخدم مواقع التواصل الاجتماعي للتجارة والترويج للمخدرات.	3.6042	1.14371	٧٢%	موافق
		المجال الكلي	3.7104	.63489	٧٤%	موافق

يتضح من نتائج الجدول رقم (٧) أن لمواقع التواصل الاجتماعي دور في انحراف الاحداث فيما يتعلق بالمجال الثقافي من وجهة نظر ذوي الاختصاص أتت بمتوسط (٣.٧١٠٤) وبانحراف معياري (٠.٦٣٤٨٩) ونسبة مئوية (٧٤%)، وقد حازت الفقرة رقم (٧) على أعلى متوسط حسابي ومقداره (٣.٩٧٩٢)، في حين حازت الفقرة رقم (٤) على أقل متوسط حسابي ومقداره (٣.١٨٧٥).

ثالثاً: المجال الاجتماعي

جدول (٨): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والنسب المئوية لفقرات المجال الاجتماعي مرتبة ترتيباً تنازلياً

الترتيب	الترتيب	نص الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	النسبة المئوية	درجة الإجابة
١.	٥	يستخدم مواقع التواصل الاجتماعي لتجاوز قيم الأسرة والمجتمع.	3.8542	1.25460	٧٧%	موافق

درجة الإجابة	النسبة المئوية	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	نص الفقرة	س. ٢	س. ٣
موافق	٧١٪	1.1638 8	3.5833	اختراق خصوصيات الآخرين ومعرفة أسرارهم.	٦	٢.
موافق	٨١٪	.94155	4.0833	يتم عبر مواقع التواصل الاجتماعي انتحال شخصية الآخرين عبر المحادثة أو البريد الإلكتروني.	٢	٣.
موافق	٧٨٪	.84635	3.9167	تساهم مواقع التواصل الاجتماعي في نشر معلومات وفصائح بشأن بعض الافراد.	٤	٤.
موافق	٧٩٪	1.1661 6	3.9583	يتم عبر مواقع التواصل الاجتماعي عمليات اختراق لخصوصيات الآخرين.	٣	٥.
موافق	٧١٪	.84635	3.5833	تسهم في انحلال عري الترابط بين الآباء والأبناء	٦	٦.
محايد	٦٤٪	.94437	3.2083	تعمل مواقع التواصل الاجتماعي على تفكيك الأواصر الأخلاقية للأسرة.	٨	٧.
موافق	٨٣٪	.67339	4.1875	تستخدم موقع التواصل الاجتماعي في نشر وترويج وتناقل مشاهد العنف والقتل.	١	٨.
موافق	٧٧٪	.78889	3.8750	أن شبكات التواصل الاجتماعي تستخدم في انتهاك الخصوصية	٥	٩.

الترتيب	الترتيب	نص الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	النسبة المئوية	درجة الإجابة
		الفردية.				
١٠.	٣	تستخدم مواقع التواصل الاجتماعي لتكوين علاقات مع الجنس الآخر	3.9583	84949.	٧٩%	موافق
١١.	٧	تؤدي إلى عدم احترام الوالدين وكبار السن.	3.3958	1.1621 6	٦٧%	موافق
١٢.	٣	تكوين علاقات وهمية وصداقات خيالية مع الجنس الآخر.	3.9583	92157.	٧٩%	موافق
		المجال الكلي	3.7969	47822.	٧٥%	موافق

يتضح من نتائج الجدول رقم (٨) أن فيما يتعلق بدور وسائل التواصل الاجتماعي في انحراف الأحداث في المجال الاجتماعي من وجهة نظر ذوي الاختصاص قد أتت بمتوسط (٣.٧٩٦٩) وبانحراف معياري (٠.٤٧٨٢٢)، ونسبة مئوية (٧٥%)، وقد حازت الفقرة رقم (٨) على أعلى متوسط حسابي ومقداره (٤.١٨٧٥)، في حين حازت الفقرة رقم (٧) على أقل متوسط حسابي ومقداره (٣.٢٠٨٣).

المجال الكلي

جدول (٩): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والنسب المئوية لمحاوَر الدراسة والمحور الكلي مرتبة ترتيباً

الترتيب	الترتيب	المجال	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	النسبة المئوية	درجة الإجابة
		المجال الديني والأخلاقي	3.8864	49028.	٧٧%	موافق

الدرجة	النسبة المئوية	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	المجال	الترتيب	الترتيب
الإجابة						
موافق	٧٤%	.63489	3.7104	المجال الثقافي	٣	٢
موافق	٧٥%	.47822	3.7969	المجال الاجتماعي	٢	٣
موافق	٧٥%	.41442	3.7979	المجال الكلي		

تبين للطالب من خلال الجدول رقم (٩) السابق أن المتوسطات الحسابية لمجالات الدراسة بالإضافة إلى المجال الكلي قد كانت على النحو التالي:

• بلغ المتوسط الحسابي للمجال الديني والأخلاقي (٣.٨٨٦٤) وبدرجة استجابة (موافق)، وهذا يدل على إدراك أفراد عينة الدراسة حول دور مواقع التواصل الاجتماعي في انحراف الأحداث فيما يتعلق بالمجال الديني والأخلاقي، حيث أن استخدام مواقع التواصل الاجتماعي بالنسبة للأحداث والاستعمال الخاطى لها يؤثر بشكل كبير عليهم دينياً وأخلاقياً.

وبلغ المتوسط الحسابي للمجال الثقافي (٣.٧١٠٤) وبدرجة استجابة (موافق)، وهذا يدل على أن مواقع التواصل الاجتماعي لها دور كبير على انحراف الأحداث فيما يتعلق بثقافتهم حيث أنه يتم

الحصول على معلومات غير موثوقة عبر شبكات التواصل الاجتماعي.

أما المجال الاجتماعي فقد بلغ المتوسط له (٣.٧٩٦٩) وبدرجة استجابة (موافق)، وهذا يدل على تقارب وجهات النظر بين ذوي الاختصاص حول المجال الاجتماعي، حيث يتم استخدام مواقع التواصل الاجتماعي بالنسبة للأحداث لتجاوز قيم الأسرة والمجتمع ونشر وترويج وتناقل مشاهد العنف والقتل، حيث أن شبكات التواصل الاجتماعي تستخدم في انتهاك الخصوصية الفردية، وتكوين علاقات وهمية وصداقات خيالية مع الجنس الآخر، وبالتالي فإن مواقع التواصل الاجتماعي تساهم في نشر معلومات وفضائح بشأن بعض الأفراد

• أما المجال الكلي فقد بلغ المتوسط الحسابي له (٣.٧٩٧٩) وبدرجة استجابة (موافق)، وهذا يدل على إدراك أفراد عينة الدراسة من ذوي الاختصاص حول دور مواقع التواصل الاجتماعي في انحراف الأحداث.

ثانياً: النتائج المتعلقة بفحص الفرضيات:

هل يوجد هناك اختلاف في آراء عينة الدراسة حول دور مواقع التواصل الاجتماعي في انحراف الأحداث من وجهة نظر ذوي الاختصاص باختلاف متغيرات (الجنس، العمر، الاختصاص، الحالة الاجتماعية)، وللإجابة على هذا السؤال تم فحص الفرضيات التالية:

١. النتائج المتعلقة بالفرضية الأولى والتي نصها:

(لا توجد فروق ذات دلالة احصائية عند مستوى دلالة $(\alpha \geq 0.05)$ في دور مواقع التواصل الاجتماعي في انحراف الأحداث من وجهة نظر ذوي الاختصاص تعزى لمتغير الجنس).

وللتأكد من صدق الفرضية الصفرية السابقة تم استخدام اختبار (ت) للعينات المستقلة (Independent Sample t-test) للمقارنة بين وسطين حسابيين لعينتين مستقلتين من أجل استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية وقيمة (ت) المحسوبة ودرجات الحرية وقيمة الدلالة الإحصائية، والجدول التالي يوضح نتائج هذا الاختبار.

جدول (١٠): نتائج اختبار (ت) للعينات المستقلة للمقارنة بين وسطين حسابيين لعينتين مستقلتين (Independent Sample t-test) تبعاً لمتغير الجنس

المجال	الجنس	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجات الحرية	قيمة ت المحسوبة	مستوى الدلالة
المجال الديني والأخلاقي	ذكر	23	3.8735	.51407	46	- .172	.864
	أنثى	25	3.8982	.47768			
المجال الثقافي	ذكر	23	3.7087	.72232	46	- .018	.986
	أنثى	25	3.7120	.55776			
المجال الاجتماعي	ذكر	23	3.8080	.49136	46	.153	.879
	أنثى	25	3.7867	.47573			

المجال الكلي	ذكر	23	3.7967	.44751	46	-.018	.985
	أنثى	25	3.7989	.39083			

* دال إحصائياً عند مستوى (٠.٠٥)

يتضح من الجدول رقم (١٠) قبول الفرضية المتعلقة بمتغير الجنس على جميع مجالات الدراسة وعلى المحور الكلي.

٢. النتائج المتعلقة بالفرضية الثانية والتي نصها:

(لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة $\alpha \geq 0.05$) في دور مواقع التواصل الاجتماعي في انحراف الأحداث من وجهة نظر ذوي الاختصاص تعزى لمتغير العمر). وللتأكد من صدق الفرضية الصفرية السابقة تم إجراء اختبار تحليل التباين الأحادي (One Way ANOVA) لاستخراج قيم المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية ودرجات الحرية وقيم (ف) المحسوبة وقيم مستوى الدلالة الإحصائية لاستجابات أفراد عينة الدراسة على مجالات الدراسة وعلى الأداة الكلية للدراسة، والجدول التالي توضح نتائج هذا الاختبار.

جدول رقم (١١): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية، لمجالات الدراسة حسب متغير

العمر

المجال	العمر	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
المجال الديني والأخلاقي	أقل من 25 سنة	38	3.8971	.48298
	من 25-35 سنة	7	3.9481	.48349
	أكثر من 35 سنة	3	3.6061	.70613
المجال الثقافي	أقل من 25 سنة	38	3.7105	.62894

من 25-35 سنة	7	3.7714	.36839
أكثر من 35 سنة	3	3.5667	1.30512
أقل من 25 سنة	38	3.7346	.46735
من 25-35 سنة	7	3.8690	.36911
أكثر من 35 سنة	3	4.4167	.50690
أقل من 25 سنة	38	3.7808	.42500
من 25-35 سنة	7	3.8628	.36309
أكثر من 35 سنة	3	3.8631	.52173

الجدول (12): نتائج اختبار تحليل التباين الأحادي (One Way ANOVA) حسب متغير العمر

المجال	بين المجموعات			داخل المجموعات			قيمة F	مستوى الدلالة
	مجموع المربعات	متوسط المربعات	درجات الحرية	مجموع المربعات	متوسط المربعات	درجات الحرية		
المجال الديني والأخلاقي	.267	.133	2	11.031	.245	45	.544	.584
المجال الثقافي	.088	.044	2	18.857	.419	45	.105	.900
المجال الاجتماعي	1.33	.668	2	9.413	.209	45	3.19	.050
المجال الكلي	.053	.027	2	8.018	.178	45	.150	.861

يتضح من الجدول رقم (12) قبول الفرضية المتعلقة بمتغير العمر على جميع مجالات الدراسة وعلى المحور الكلي.

٣. النتائج المتعلقة بالفرضية الثالثة والتي نصها:

(لا توجد فروق ذات دلالة احصائية عند مستوى دلالة $(\alpha \geq 0.05)$ في دور مواقع التواصل الاجتماعي في انحراف الأحداث من وجهة نظر ذوي الاختصاص تعزى لمتغير مجال الاختصاص). وللتأكد من صدق الفرضية الصفرية السابقة تم إجراء اختبار تحليل التباين الأحادي (One Way ANOVA) لاستخراج قيم المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية ودرجات الحرية وقيم (ف) المحسوبة وقيم مستوى الدلالة الإحصائية لاستجابات أفراد عينة الدراسة على مجالات الدراسة وعلى الأداة الكلية للدراسة، والجداول التالية توضح نتائج هذا الاختبار.

جدول رقم (١٣): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية، لمجالات الدراسة حسب متغير

الاختصاص

المجال	الاختصاص	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
المجال الديني والأخلاقي	نيابة	21	3.8701	.46495
	حماية أسرة	12	3.7197	.67970
	شرطة	15	4.0424	.29129
المجال الثقافي	نيابة	21	3.8905	.69563
	حماية أسرة	12	3.4500	.65989
	شرطة	15	3.6667	.45930
المجال الاجتماعي	نيابة	21	3.7341	.40365
	حماية أسرة	12	3.8403	.69309
	شرطة	15	3.8500	.38344
المجال الكلي	نيابة	21	3.8316	.46233
	حماية أسرة	12	3.6700	.44492
	شرطة	15	3.8530	.31095

الجدول (١٤): نتائج اختبار تحليل التباين الأحادي (One Way ANOVA) حسب متغير الاختصاص

المجال	بين المجموعات			داخل المجموعات			قيمة F	مستوى الدلالة
	مجموع المربعات	متوسط المربعات	درجات الحرية	مجموع المربعات	متوسط المربعات	درجات الحرية		
المجال الديني والأخلاقي	.704	.352	2	10.59	.235	45	1.49	.235
				3			6	
المجال الثقافي	1.523	.762	2	17.42	.387	45	1.96	.152
				1			7	
المجال الاجتماعي	.148	.074	2	10.60	.236	45	.313	.733
				1				
المجال الكلي	.266	.133	2	7.806	.173	45	.766	.471

يتضح من الجدول رقم (١٤) قبول الفرضية المتعلقة بمتغير الاختصاص على جميع مجالات الدراسة وعلى المحور الكلي.

٤. النتائج المتعلقة بالفرضية الرابعة والتي نصها:

(لا توجد فروق ذات دلالة احصائية عند مستوى دلالة $(\alpha \geq 0.05)$ في دور مواقع التواصل الاجتماعي في انحراف الأحداث من وجهة نظر ذوي الاختصاص تعزى لمتغير الحالة الاجتماعية). وللتأكد من صدق الفرضية الصفرية السابقة تم إجراء اختبار تحليل التباين الأحادي (One Way ANOVA) لاستخراج قيم المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية ودرجات الحرية وقيم (ف) المحسوبة وقيم مستوى الدلالة الإحصائية لاستجابات أفراد عينة الدراسة على مجالات الدراسة وعلى الأداة الكلية للدراسة، والجدول التالي توضح نتائج هذا الاختبار.

جدول رقم (١٥): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية، لمجالات الدراسة حسب متغير الحالة الاجتماعية

المجال	الحالة الاجتماعية	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
المجال الديني والأخلاقي	أعزب/ة	34	3.8930	.49615
	متزوج/ة	11	3.8926	.41425
	مطلق/ة	2	3.5909	1.09280
	أرمل/ة	1	4.1818	.
المجال الثقافي	أعزب/ة	34	3.6824	.63698
	متزوج/ة	11	3.8091	.46788
	مطلق/ة	2	3.3000	1.55563
	أرمل/ة	1	4.4000	.
المجال الاجتماعي	أعزب/ة	34	3.7500	.44900
	متزوج/ة	11	3.8106	.49172
	مطلق/ة	2	4.5833	.58926
	أرمل/ة	1	3.6667	.
المجال الكلي	أعزب/ة	34	3.7751	.42150
	متزوج/ة	11	3.8374	.40256
	مطلق/ة	2	3.8247	.68639
	أرمل/ة	1	4.0828	.

الجدول (١٦): نتائج اختبار تحليل التباين الأحادي (One Way ANOVA) حسب متغير الحالة الاجتماعية

المجال	بين المجموعات			داخل المجموعات			قيمة F	مستوى الدلالة
	مجموع المربعات	متوسط المربعات	درجات الحرية	مجموع المربعات	متوسط المربعات	درجات الحرية		
المجال الديني والأخلاقي	.264	.088	3	11.03 4	.251	44	.351	.789
المجال الثقافي	.946	.315	3	17.99 9	.409	44	.771	.516
المجال الاجتماعي	1.331	.444	3	9.418	.214	44	2.07 2	.118
المجال الكلي	.117	.039	3	7.954	.181	44	.217	.884

يتضح من الجدول رقم (١٦) قبول الفرضية المتعلقة بمتغير الحالة الاجتماعية على جميع مجالات الدراسة وعلى المحور الكلي.

المبحث الخامس: مناقشة النتائج والتوصيات

يتناول هذا الفصل مناقشة نتائج الدراسة التي توصل إليها الباحث، والتي هدفت إلى التعرف على (دور مواقع التواصل الاجتماعي في انحراف الأحداث من وجهة نظر ذوي الاختصاص)، كما هدفت للتعرف على دور متغيرات الدراسة (الجنس، العمر، الاختصاص، الحالة الاجتماعية) على دور مواقع التواصل الاجتماعي في انحراف الأحداث من وجهة نظر ذوي الاختصاص.

وفيما يلي بيان لمناقشة النتائج:

أولاً: مناقشة النتائج المتعلقة بالسؤال الدراسي:

ما دور مواقع التواصل الاجتماعي في انحراف الأحداث من وجهة نظر ذوي الاختصاص؟

وللإجابة على السؤال تم استخراج المتوسطات الحسابية، والانحرافات المعيارية والنسب المئوية لفقرات الاستبانة والتي تقيس دور مواقع التواصل الاجتماعي في انحراف الأحداث من وجهة نظر ذوي الاختصاص والجدول من (٦) إلى (٩) تبين هذه النتائج.

أولاً: المجال الديني والأخلاقي

يتضح من نتائج الجدول رقم (٦) أن دور مواقع التواصل الاجتماعي في انحراف الأحداث فيما يتعلق بالمجال الديني والأخلاقي قد أتت بمتوسط (٣.٨٨٦٤) وبانحراف معياري (٠.٩٤٠٢٨).

وقد حازت الفقرة رقم (١) على أعلى متوسط حسابي ومقداره (٤.٢٧٠٨)، في حين حازت الفقرة رقم (٤) على أقل متوسط حسابي ومقداره (٣.٣٧٥٠).

ويرى الباحث أن السبب في خروج هذه النتيجة كون أن هناك تأثير لمواقع التواصل الاجتماعي على أخلاق ودين الأحداث مما يؤدي لانحرافهم، وهذا يتفق مع دراسة (بابكر، ٢٠١٥)

ثانياً: المجال الثقافي:

يتضح من نتائج الجدول رقم (٧) أن لمواقع التواصل الاجتماعي دور في انحراف الأحداث فيما يتعلق بالمجال الثقافي من وجهة نظر ذوي الاختصاص أتت بمتوسط (٣.٧١٠٤) وبانحراف معياري (٠.٦٣٤٨٩)، وقد حازت الفقرة رقم (٧) على أعلى متوسط حسابي ومقداره (٣.٩٧٩٢)، في حين حازت الفقرة رقم (٤) على أقل متوسط حسابي ومقداره (٣.١٨٧٥).

ويرى الباحث أن السبب في خروج هذه النتيجة كون أن مواقع التواصل الاجتماعي تساهم في ميل الأحداث إلى العنف، والحصول على معلومات غير موثوقة عبر شبكات التواصل الاجتماعي، مما يؤدي لإحراف الأحداث، وهذا يتفق مع دراسة (بن منيخر، ٢٠١٥).

ثالثاً: المجال الاجتماعي:

يتضح من نتائج الجدول رقم (٨) أن فيما يتعلق بدور وسائل التواصل الاجتماعي في انحراف الأحداث في المجال الاجتماعي من وجهة نظر ذوي الاختصاص قد أتت بمتوسط (٣.٧٩٦٩) وبانحراف معياري (٠.٤٧٨٢٢)، وقد حازت الفقرة رقم (٨) على أعلى متوسط حسابي ومقداره (٤.١٨٧٥)، في حين حازت الفقرة رقم (٧) على أقل متوسط حسابي ومقداره (٣.٢٠٨٣).

ويرى الباحث أن السبب في خروج هذه النتيجة بأن شبكات التواصل الاجتماعي تستخدم في انتهاك الخصوصية الفردية، وتكوين علاقات وهمية وصدقات خيالية مع الجنس الآخر، حيث تساهم مواقع التواصل الاجتماعي في نشر معلومات وفصائح بشأن بعض الأفراد، وتسهم في انحلال عري الترابط بين

الآباء والأبناء، بحيث تستخدم مواقع التواصل الاجتماعي لتجاوز قيم الأسرة والمجتمع، وهذا يتفق مع دراسة (عايد، ٢٠١٢).

كما تبين للطالب من خلال الجدول رقم (٩) السابق أن المتوسطات الحسابية لمجالات الدراسة بالإضافة إلى المجال الكلي قد كانت على النحو التالي:

- بلغ المتوسط الحسابي للمجال الديني والأخلاقي (٣.٨٨٦٤) وبدرجة استجابة (موافق)، وهذا يدل على إدراك أفراد عينة الدراسة حول دور مواقع التواصل الاجتماعي في انحراف الأحداث فيما يتعلق بالمجال الديني والأخلاقي، حيث أن استخدام مواقع التواصل الاجتماعي بالنسبة للأحداث والاستعمال الخاطيء لها يؤثر بشكل كبير عليهم دينيا وأخلاقيا.
- وبلغ المتوسط الحسابي للمجال الثقافي (٣.٧١٠٤) وبدرجة استجابة (موافق)، وهذا يدل على أن مواقع التواصل الاجتماعي لها دور كبير على انحراف الأحداث فيما يتعلق بثقافتهم حيث أنه يتم الحصول على معلومات غير موثوقة عبر شبكات التواصل الاجتماعي.

- بلغ المتوسط الحسابي للمجال الاجتماعي (٣.٧٩٦٩) وبدرجة استجابة (موافق)، وهذا يدل على تقارب وجهات النظر بين ذوي الاختصاص حول المجال الاجتماعي، حيث يتم استخدام مواقع التواصل الاجتماعي بالنسبة للأحداث لتجاوز قيم الأسرة والمجتمع ونشر وترويج وتناقل مشاهد العنف والقتل، حيث أن شبكات التواصل الاجتماعي تستخدم في انتهاك الخصوصية الفردية، وتكوين علاقات وهمية وصداقات خيالية مع الجنس الآخر، وبالتالي فإن مواقع التواصل الاجتماعي تساهم في نشر معلومات وفصائح بشأن بعض الافراد

- أما المجال الكلي فقد بلغ المتوسط الحسابي له (٣.٧٩٧٩) وبدرجة استجابة (موافق)، وهذا يدل إدراك أفراد عينة الدراسة من ذوي الاختصاص حول دور مواقع التواصل الاجتماعي في انحراف الأحداث.

ثانياً: مناقشة النتائج المتعلقة بفرضيات الدراسة:

١. النتائج المتعلقة بالفرضية الأولى والتي نصها:

حيث كانت الدلالات الإحصائية على النحو التالي: تقبل الفرضية الصفرية للمجال الديني والأخلاقي حيث بلغ مستوى الدلالة لهذا المجال (٠.٨٦٤) وهي قيمة أعلى من القيمة المفروضة، وتقبل للمجال الثقافي حيث بلغ مستوى الدلالة لهذا المجال (٠.٩٨٦)، أما بالنسبة للمجال الاجتماعي حيث بلغ مستوى

الدلالة لهذا المجال (٠.٨٧٩)، أما بالنسبة للمجال الكلي فقد بلغ مستوى الدلالة له (٠.٩٨٥) وهي قيمة أعلى من القيمة المفروضة.

وعليه فقد تم قبول الفرضية الصفريّة على جميع مجالات الدراسة وعلى مجالها الكلي ويعزي الباحث السبب بخروج هذه النتيجة كون عينة الدراسة من ذوي الاختصاص متقنين في إجاباتهم حول دور مواقع التواصل الاجتماعي في انحراف الأحداث، والتي تناولهم الاستبيان، حيث اتفقت هذه النتيجة مع دراسة (منصور، ٢٠١٤).

٢. النتائج المتعلقة بالفرضية الثانية والتي نصّها:

حيث كانت الدلالات الإحصائية على النحو التالي: تقبل الفرضية الصفريّة للمجال الديني والأخلاقي حيث بلغ مستوى الدلالة لهذا المجال (٠.٥٨٤) وهي قيمة أعلى من القيمة المفروضة، وتقبل للمجال الثقافي حيث بلغ مستوى الدلالة لهذا المجال (٠.٩٠٠)، أما بالنسبة للمجال الاجتماعي حيث بلغ مستوى الدلالة لهذا المجال (٠.٠٥٠) وهي قيمة مساوية للقيمة المفروضة، أما بالنسبة للمجال الكلي فقد بلغ مستوى الدلالة له (٠.٨٦١) وهي قيمة أعلى من القيمة المفروضة.

وعليه فقد تم قبول الفرضية الصفريّة على جميع مجالات الدراسة وعلى مجالها الكلي حيث أن عينة الدراسة من ذوي الاختصاص على اختلاف أعمارهم على وعي كاف حول دور مواقع التواصل الاجتماعي في انحراف الأحداث، وهذا يدل بأن موضوع انحراف الأحداث يشغل بال ذوي الاختصاص دائماً، ويسعون دائماً لوضع حلول من أجل معالجة هذه المشكلة، حيث تتفق هذه النتيجة مع دراسة (بابكر، ٢٠١٥).

٣. النتائج المتعلقة بالفرضية الثالثة والتي نصّها:

حيث كانت الدلالات الإحصائية على النحو التالي: تقبل الفرضية الصفريّة للمجال الديني والأخلاقي حيث بلغ مستوى الدلالة لهذا المجال (٠.٢٣٥) وهي قيمة أعلى من القيمة المفروضة، وتقبل للمجال الثقافي حيث بلغ مستوى الدلالة لهذا المجال (٠.١٥٢)، أما بالنسبة للمجال الاجتماعي حيث بلغ مستوى الدلالة لهذا المجال (٠.٧٣٣) وهي قيمة أعلى من القيمة المفروضة، أما بالنسبة للمجال الكلي فقد بلغ مستوى الدلالة له (٠.٤٧١) وهي قيمة أعلى من القيمة المفروضة.

وعليه فقد تم قبول الفرضية الصفرية على جميع مجالات الدراسة وعلى مجالها الكلي حيث أن عينة الدراسة من ذوي الاختصاص على اختلاف اختصاصاتهم لم تختلف اجاباتهم حول دور مواقع التواصل الاجتماعي في انحراف الأحداث يعزى ذلك إلى توفر المعلومات التي يحصلون عليها حول هذا الموضوع، وأنه يوجد وعي وإلمام حول هذا الموضوع الذي يدور الحديث عنه، حيث تتفق هذه النتيجة مع دراسة (عايد، ٢٠١٢).

٤. النتائج المتعلقة بالفرضية الرابعة والتي نصها:

حيث كانت الدلالات الإحصائية على النحو التالي: تقبل الفرضية الصفرية للمجال الديني والأخلاقي حيث بلغ مستوى الدلالة لهذا المجال (٠.٧٨٩) وهي قيمة أعلى من القيمة المفروضة، وتقبل للمجال الثقافي حيث بلغ مستوى الدلالة لهذا المجال (٠.٥١٦)، أما بالنسبة للمجال الاجتماعي حيث بلغ مستوى الدلالة لهذا المجال (٠.١١٨) وهي قيمة أعلى من القيمة المفروضة، أما بالنسبة للمجال الكلي فقد بلغ مستوى الدلالة له (٠.٨٨٤) وهي قيمة أعلى من القيمة المفروضة.

وعليه فقد تم قبول الفرضية الصفرية على جميع مجالات الدراسة وعلى مجالها الكلي حيث أن عينة الدراسة من ذوي الاختصاص على اختلاف حالاتهم الاجتماعية منسجمين وغير مشتتين حول دور مواقع التواصل الاجتماعي في انحراف الأحداث، ويؤكدون على أن ذلك الدور الذي ذكر بالاستبيان هو حقيقي وموجود على أرض الواقع على حد علمهم، حيث اختلفت هذه النتيجة مع دراسة (منصور، ٢٠١٤).

■ التوصيات:

بناءً عما أسفرت عنه نتائج الدراسة يقدم الباحث بمجموعة من التوصيات أهمها:

- نوصي بضرورة زيادة الثقة والصراحة بين الأبناء وذويهم في مناقشة القضايا التي تخصهم.
- نوصي بضرورة مراقبة الأبناء أثناء تصفحهم لمواقع الانترنت.
- توعية الطلاب والأطفال والأسرة بأهمية شبكة الانترنت ووسائل التواصل الاجتماعي باعتبارها إحدى مستجدات التكنولوجيا، واستخدامها الاستخدام الأصح.
- نوصي بضرورة تقديم النصح والإرشاد للأحداث فيما يتعلق بالاستخدام السليم لمواقع التواصل الاجتماعي.
- نوصي بضرورة فرض رقابة من جهة الدولة والأجهزة المعنية على مواقع التواصل الاجتماعي بجميع مواقعها.

- نوصي بضرورة عمل فترة وحظر لجميع المواقع الإباحية.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: الكتب:

١. الآغا، إحسان، (٢٠٠٠)، *مقدمة في تصميم البحوث التربوية*، ط٢، غزة.
٢. إيجر، بيل، وماكول، كاثيري، (٢٠٠٠)، *مرشد الأنكياء الكامل إلى التسويق عبر الإنترنت*، ترجمة: خالد العامري، ط١، دار الفاروق للنشر والتوزيع، القاهرة.
٣. الجعبري، باسم (٢٠٠٩)، *الانترنت ومواقع التواصل الاجتماعي*، ط١، الرواد للنشر والتوزيع.
٤. خليفة، إيهاب، (٢٠١٦)، *مواقع التواصل الاجتماعي "أدوات التغيير العصرية عبر الإنترنت"*، ط١، المجموعة العربية للتدريب والنشر.
٥. ساري، حلمي، (٢٠٠٥)، *ثقافة الانترنت دراسة في التواصل الاجتماعي*، دار مجدلوي للنشر والتوزيع، عمان.
٦. المشوخي، حمد سليمان، (٢٠٠٢)، *تقنيات ومناهج البحث العلمي*، ط١، الدار العلمية للنشر والتوزيع، عمان.
٧. عوين، زينب أحمد، (٢٠٠٩)، *قضاء الأحداث*، دار الثقافة، عمان.

ثانياً: رسائل الماجستير والمجلات:

١. بابكر، هويدا مصطفى بشير، (٢٠١٥)، *مواقع التواصل الاجتماعي وعلاقتها بتثنية الأطفال الجانحين، رسالة ماجستير*، جامعة الرباط الوطنية.
٢. بن منيخر، نوف بنت عجمي، (٢٠١٥)، *الاستخدامات السلبية لشبكات التواصل الاجتماعي ودورها في انحراف الشباب - دراسة من منظور طالبات جامعة الملك سعود، رسالة ماجستير*، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، السعودية.
٣. حداد، جيهان، (٢٠٠٢)، *المقاهي الالكترونية ودورها في التحول الثقافي في مدينة إربد : دراسة انثروبولوجية، رسالة ماجستير*، جامعة اليرموك، الأردن.
٤. حومر، سمية، (٢٠٠٦)، *أثر العوامل الاجتماعية في جنوح الأحداث دراسة ميدانية أجريت بمركزي الأحداث بمدينة قسنطينة وعين مليلة، رسالة ماجستير*، جامعة مانتوري، قسنطينة.
٥. صالح، محمود عبد الحميد محمود، وآخرون، ٢٠١٣، *أثر المحتوى الإعلاني في مواقع الشبكات الاجتماعية على اتجاهات المستهلكين نحو العلامة التجارية - حالة شركة الاتصالات السعودية، مجلة جامعة الملك سعود*، مجلد (٢٥)، العلوم الإدارية (٢)، الرياض.
٦. صالح، محمود عبد الحميد محمود، وآخرون، ٢٠١٣، *أثر المحتوى الإعلاني في مواقع الشبكات الاجتماعية على اتجاهات المستهلكين نحو العلامة التجارية - حالة شركة الاتصالات السعودية، مجلة جامعة الملك سعود*، مجلد (٢٥)، العلوم الإدارية (٢)، الرياض.
٧. عايد، زهير، (٢٠١٢)، *دور شبكات التواصل الاجتماعي في تعبئة الرأي العام الفلسطيني نحو التغيير الاجتماعي والسياسي - دراسة وصفية تحليلية، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الانسانية)*، مجلد (٢٦)، العدد (٦).
٨. عوض، رشا أديب محمد، (٢٠١٣/٢٠١٤)، *آثار استخدام مواقع التواصل الاجتماعي على التحصيل الدراسي للأبناء في محافظة طولكرم من وجهة نظر ربّات البيوت، مساق للحصول على درجة البكالوريوس في كلية التنمية الاجتماعية والأسرية / تخصص خدمة اجتماعية*، جامعة القدس المفتوحة، فرع طولكرم.

٩. غزال، مريم، (٢٠١٤)، تأثير مواقع التواصل الاجتماعي على تنمية الوعي السياسي لدى الطالبة الجامعين، *رسالة ماجستير*، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة.
١٠. مخامرة، فتحي احمد اسماعيل، (٢٠١٧)، العوامل النفسية والاجتماعية المسببة لجنوح الأحداث في فلسطين من وجهة نظر شرطة الأحداث ومراقبي السلوك والأحداث أنفسهم، *رسالة ماجستير*، جامعة القدس، القدس.
١١. منصور، تحسين، (٢٠١٤)، دور شبكات التواصل الاجتماعي في تحقيق احتياجات الشباب الجامعي الأردني، *المجلة الاردنية للعلوم الاجتماعية*، المجلد (٧)، العدد (٢)

ثالثا: المراجع الأجنبية:

1. Lenhart, Amanda and Madden, Mary.(2007). Teens, privacy & online social networks: How teens manage their online identities and personal information in the age of Myspace. Pew Internet & American life project.
2. Nie, Norman and Erbing, Lutz. (2009). Internet and Society: A preliminary Report. Stanford Institute for the Quantitative study of Society. Intersurvey Inc., and Mckinsey and co.
3. Savina ،N. N. (2009). Endogenous factors of juvenile delinquency and the perspectives of its prognosing. International Journal of Academic Research. Nov. 1(2). 195-198. 4P. 3 Chrts. 3 Grps.

المنهج العلمي بين العقلانية الحديثة والتأويلية الظاهرية

"مقارنة منهجية بين ديكارت وغادامير"

The Scientific Method between Modern Rationalism and Phenomenological Hermeneutics

"A Methodological Comparison between Descartes and Gadamer"

د. رضاء عبد الحليم جاب الله

أستاذ مشارك بقسم الفلسفة

كلية الآداب – جامعة طبرق

Dr. Reda Abdel Halim Jaballah

Associate Professor, Department of Philosophy

Faculty of Arts, University of Tobruk - Libya

reda.mohamed@tu.edu.ly

ملخص:

تتمحور أهمية هذه الدراسة في عقد مقارنة منهجية بين (المنهج العقلي) متمثل في رينيه ديكارت، و (المنهج التأويلي) ممثله هانز غادامير، محاولين من خلال هذه المقارنة اظهار التباين والاختلاف بين المنهجين واثهما في منهجية المنهج العلمي، لنصل من خلال سردنا لأهم النقاط سالفة الذكر لنتائج تتلخص في إن المقارنة بين المنهجين تكشف المسار التطوري لفهم طبيعة المعرفة والوجود، كما إنها تبين من خلال المنهج العقلي الديكارتي إن الإنسان بوصفه عقلاني هو القادر على تحقيق السيادة على الطبيعة من خلال الفهم العقلاني مؤكداً بأن الشك هو الوسيلة للوصول إلى اليقين، بينما غادامير تحدى هذه النزعة وصولاً إلى اليقين المطلق بمعزولٍ عن السياق التاريخي والثقافي للإنسان، حيث يرى أن المعرفة عملية تأويلية تنبثق من الحوار بين الإنسان والعالم، بين الذات والتاريخ، مُعني بذلك أن الفهم يخضع لتحولات مستمرة تفرضها تجربة الفرد وتفاعله مع العالم المحيط به متجاوزاً الحدود الصارمة للعقلانية ، ليكون بذلك التوتر بين العقلانية الحديثة والتأويلية الظاهرية ليس مجرد صراع بين منهجين مختلفين، بل يعكس إشكالية تتعلق بطبيعة المعرفة وأثرها على تطور المناهج.

كلمات مفتاحية : المنهج العلمي _ الظاهرية _ العقلانية _ الفهم _ التأويلية.

Abstract

The importance of this study revolves around establishing a systematic comparison between (the rational approach) represented by Rene Descartes, and (the interpretive approach) represented by Hans Gadamer, trying through this comparison to show the contrast and difference between the two approaches and their impact on the methodology of the scientific approach, so that through our narration of the most important points mentioned above, we can reach the results that can be summarized in that the comparison between the two approaches reveals the evolutionary path to understanding the nature of knowledge and existence, as it shows through the Cartesian rational approach that man, as a rational being, is capable of achieving sovereignty over nature through rational understanding, confirming that doubt is the means to reach certainty.

While Gadamer challenged this tendency towards absolute certainty in isolation from the historical and cultural context of man, as he sees knowledge as an interpretive process that emerges from the dialogue between man and the world, between the self and history, meaning that understanding is subject to continuous transformations imposed by the individual's experience and interaction with the world around him, transcending the strict limits of rationality, so that the tension between modern rationality and phenomenological interpretation is not merely a conflict between two different approaches, but rather reflects a problem related to the nature of knowledge and its impact on the development of approaches

Keywords: scientific method - phenomenology - rationality - understanding - hermeneutics.

مقدمة

على مدى ثلاثة قرون تقريباً، بين بداية القرن السابع عشر حيث عاش رينيه ديكارت (١٥٩٦-١٦٥٠) وظهور هانز جورج غادامير (١٩٠٠-٢٠٠٢) في القرن العشرين، شهد الفكر المنهجي تحولات جذرية في مفهوم المعرفة والمنهج العلمي. هذا الفاصل الزمني الطويل لم يكن مجرد تراكم للسنوات، بل يمثل نقلة نوعية في التفكير المنهجي نتيجة للتغيرات التاريخية والثقافية التي شهدتها العالم، بدءاً من الثورة العلمية وصولاً إلى ما بعد الحداثة.

ديكارت الذي يُعد، مؤسس العقلانية الحديثة، عاش في زمن الثورة العلمية الأولى، حيث كان السعي نحو اليقين العقلي والعلمي هو المحور الرئيسي للتفكير الفلسفي. وضع ديكارت أسس منهج علمي صارم يعتمد على الشك المنهجي واليقين العقلي، ساعياً إلى بناء معرفة موضوعية ومستقلة عن المؤثرات الخارجية. فكان العقل في فلسفة هو الأداة السيادية التي تقود الإنسان إلى السيطرة على الطبيعة وفهمها بشكل كامل.

ولكن بحلول القرن العشرين، بعد حروب عالمية وتغيرات اجتماعية وثقافية، برزت رؤية فلسفية مغايرة مع غادامير. في سياق التأويلية الظاهرية، لم يعد الفهم البشري يُعتبر عملية عقلية مجردة ومنفصلة عن التاريخ والتجربة. غادامير، بتأثيره الظاهري، رفض فكرة اليقين المطلق، مؤكداً أن المعرفة هي سيرورة تأويلية تتشكل من خلال التفاعل المستمر بين الإنسان وعالمه التاريخي والثقافي. وبين عقلانية ديكارت وظاهرية غادامير سعينا لتحقيق اهداف تتمثل في استكشاف التطورات المنهجية لفكريهما من خلال المقارنة المنهجية في الفكر الفلسفي لتلك الظاهرتين، وفهم كيفية تأثير السياقات التاريخية والثقافية على تطور مفهوم المعرفة، وكيف انتقل الفكر من البحث عن يقين عقلي صارم إلى فهم تأويلي متجذر في التجربة.

لذلك تتجلى أهمية هذه البحث في النقاط التالية:

- الفهم العميق للتحويلات الفلسفية المتعلقة بالعقل والمعرفة
 - ابراز أهمية السياق التاريخي والثقافي وانعكاسهما في تشكيل المناهج الفلسفية وتطورها.
 - التركيز على أهمية تلك التحويلات المنهجية وتفاعلها في مواجهات التحديات المعاصرة.
- ومن هنا حاولنا تموضع إشكالية البحث في محدودية النقاش حول كيفية تأثير التطور التاريخي على المناهج الفلسفية، وكيفية تحول المناهج من البحث عن يقين عقلي صارم عند ديكارت إلى فهم تأويلي متجذر في التجربة التاريخية عند غادامير؟ متسائلين هل يعكس هذا التحول تراجعاً في الثقة بالعقل أم نضجاً أعمق في إدراك حدود المعرفة البشرية؟

قسم البحث لثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: "الخلفية التاريخية والفلسفية للتغيرات المنهجية" وقسم لجزئين:

أ_ تعريف المنهج العلمي.

ب_ عوامل تطور المنهج العلمي عبر العصور.

٢ - المبحث الثاني: "مقارنة بين منهجية ديكارت وغادامير" تناول ما يلي:

- منهجية ديكارت (حياة وأفكار رينيه ديكارت).

- منهجية غادامير (حياة وأفكار جورج غادامير).

- الاشتراك والاختلاف بين المنهجين.

٣- المبحث الثالث: "تأثير العقلانية والتأويلية على المنهج العلمي" وقد قسم لجزئين:

أ. المبادئ الأساسية للعقلانية الحديثة.

ب. المفاهيم الأساسية للتأويلية الظاهرية

٥ - الخاتمة تتناول أهم الاستنتاجات التي توصلنا إليها من خلال البحث.

اتبعنا المنهج التحليلي المقارن لسرد نقاط الاتفاق والاختلاف بين المنهجين، كما استخدمنا المنهج التحليلي النقدي في كثير من الموضوعات الفلسفية التي تتطلب استخدامه.

المبحث الأول:

الخلفية التاريخية والفلسفية للتغيرات المنهجية

من خلال تتبع تطور مفهوم المنهج العلمي عبر العصور الزمنية المختلفة، والتركيز على العوامل التي أثرت في تحول منهجية المنهج العلمي وكيفية تأثير الظروف التاريخية والفلسفية على تعريفه يتبين لنا أن تعريف المصطلح مر بعدة مراحل متأثرة فيها بالتطورات التاريخية والفكر الفلسفي، فقد بدأ بما يعرف بمرحلة الصدفة المحضة: التي كان يرى فيها الإنسان تغيير الظواهر نتاج الصدفة المحضة دون التمعن في معرفة الأسباب، ثم تطور البحث عن معرفة الأسباب فكانت عن طريق محاولة الخطأ والصواب لإيجاد حلٍ للظواهر والمشاهدات، ومن الطبيعي في هذه المرحلة أن يُخفق الإنسان كثيراً قبل الوصول إلى الحل، فتلتها مرحلة الاعتماد على السلطة والدين عن طريق القادة ورجال الدين، ثم مرحلة الجدل والحوار ليرفض فيها الإنسان كل ما يخالف العقل والمنطق، ويُعد المنهج الفرضي بداية بوضع الفرضيات العلمية واختبارها لإيجاد الأقرب إلى اليقين لحل المشاكل العلمية. نتيجة لتلك التأثيرات كان للمنهج عدة تعريفات يُعرف المنهج بأنه:

١. الطريقة المنظمة والموضوعية المتبعة لإنجاز مهمة أو تحقيق هدف محدد.

٢. الإجراءات والتقنيات المستخدمة في تنفيذ مشروع أو أنشطة بحثية.

٣. الأسلوب والممارسات المتبعة في مجال معين، مثل التدريس أو البحث العلمي.

بشكل أكثر تحديداً، مصطلح "المنهج" في كافة اللغات يُشير إلى: "أنه وسيلة محددة نصل بها إلى غاية معينة"^(١) أي أنه الإطار المفاهيمي والإرشادات المنهجية التي توجه عملية البحث والتحقيق العلمي. وهو يشمل عناصر مثل تصميم الدراسة، وطرق جمع البيانات وتحليلها، والافتراضات النظرية والفلسفية التي تشكل الأساس المنطقي للبحث

وتختلف تلك الوسيلة حسب التطور الفكري للوصول إلى الحقائق المعرفية، لذا يُعد المنهج الطريقة المخططة للتحقيق أو التعلم في مجال محدد بخطوات وإجراءات منظمة لتنفيذ مهمة أو استكشاف موضوع ما، فتلك الأساليب والممارسات المتبعة لجمع وتحليل البيانات وتفسير النتائج. تمثل الجوانب العملية والتطبيقية للطرق والإجراءات المنهجية المتبعة لتحقيق أهداف محددة في مختلف المجالات.

يعرف مصطلح **المنهج العلمي** بأنه: "عملية منظمة تستخدم في البحث العلمي لاكتساب المعرفة وفهم الظواهر. يتضمن خطوات رئيسية مثل: الملاحظة، طرح الأسئلة، صياغة الفرضيات، التجريب، التحليل والاستنتاج، التكرار"^(٢). في هذا السياق، يُشير المنهج العلمي إلى نوعين من المناهج: منهج للبحث عن المعلومات عندما نكون جاهلين بها، ومنهج لإيصال المعرفة عندما نكون عارفين بها.

بذلك يكون المنهج العلمي هو الأساس الذي تعتمد عليه العلوم في تطوير الفهم الإنساني للكون وإيصال المعرفة وتطورها.

التطور التاريخي لمفهوم المنهج العلمي:

^١ مجمع اللغة العربية. المعجم الوسيط. الأولى. القاهرة: مجمع اللغة العربية، ١٩٨٨. صفحة ٥٧٦.

^٢ - عبد المنعم حنفي. المعجم الفلسفي الشامل. ط ٣. القاهرة: مكتبة مدبولي، ٢٠٠٠. صفحة ص (١٧).

من خلال تتبع التطور التاريخي لمفهوم المنهج العلمي يتبين أن هناك عدة عوامل مختلفة تؤثر في تعريفه التابع لآلية منهجيته.

تُعد الفلسفة القديمة من أهم المراحل التي شهدت تعريفاً للمنهج العلمي، حيث كانت اليونان المركز الرئيسي للفلسفة القديمة ونشأت فيها العديد من الأفكار والمفاهيم التي تشكل أساساً للفلسفة العلمية. تركزت الفلسفة اليونانية على الاستفهام والبحث عن الحقيقة من خلال **العقل والمنطق**،^(١) وقد اهتم في هذه المرحلة بعلم الطبيعة، والرياضيات وخاصة الهندسة والفلك. كما أسهم في تحديد المنهج العلمي بشكل كبير فلاسفة مثل افلاطون وأرسطو وفلاسفة المدرسة الأفلاطونية وغيرهم، فوضع أرسطو أول منهج علمي للعقل البشري ذات قواعد منطقية للكشف عن الحقائق العلمية بنسق منتظم، متخذاً من المقدمات الصورية الأساس المنطقي للوصول للنتائج اليقينية، وكان ذلك بمثابة القاعدة الأساسية التي انتظمت للعقل بعد المناهج القديمة - قبل ارسطو - وتطور من خلالها العلم بجدال منطقي بين العقل والواقع لتفسير ظواهره، جاء الفكر الأرسطي المعتمد على التفسير المنطقي لوضع قواعد علمية لآلية التفكير العلمي.

وفي العصور الوسطى، شهد تعريف المنهج العلمي تأثيراً كبيراً من الفلسفة الإسلامية. حيث كانت العلوم الإسلامية تتأثر بالفلسفة اليونانية والفارسية والهندية، وذلك أدى إلى تطور فلسفة العلم في العصور الوسطى. كما أن الاهتمام بالتجربة والملاحظة العلمية زاد في هذه الفترة، وبدأت مدارس الفكر الإسلامية في تطوير نظرياتها الخاصة حول المنهج العلمي بما يتماشى مع الثقافة والتقاليد الإسلامية. وقد شكل هذا التطور والتأثير الفلسفي خلال العصور الوسطى أساساً هاماً لتعريف المنهج العلمي في تلك الحقبة الزمنية.

^١ - مصطفى دعمس : منهجية البحث العلمي في التربية والعلوم الاجتماعية، عمان-الأردن: المنهل، ٢٠٠٨، صفحة

أما بعد الثورة العلمية، شهد تعريف المنهج العلمي تحولات جذرية. أصبح الاهتمام بالتجربة والدليل الصحيح هو المعيار الأساسي لتحقيق المعرفة العلمية^١، وهو ما أدى إلى تطوير منهجية علمية دقيقة ومنظمة تعتمد على الخطوات المنطقية. كما تغيرت النظرة إلى العالم وأصبحت علمية بحتة، حيث تحولت الفلسفة إلى مجال يتناول القضايا الفلسفية والميتافيزيقية فقط. وقد شكلت هذه التحولات تأثيراً كبيراً على المنهج العلمي ودوره في إنتاج المعرفة.

وفي هذا الصدد، تشهد التحولات المعاصرة في تعريف المنهج العلمي تأثيرات متنوعة من الفلسفات المختلفة التي نشأت خلال القرن العشرين، مثل الإمبراطورية النيو ليبرالية والتشاؤم الفلسفي والبنية التحتية للمعرفة. تعتمد هذه التحولات على رؤى مختلفة للحقيقة والمعرفة، وتؤثر على تطور المنهج العلمي من خلال تشكيل الفهم الحديث لمفهوم الواقع والطرائق العلمية. بمواجهة التحديات الفلسفية والتغيرات الاجتماعية والثقافية المعاصرة، لذا يتطلب تعريف المنهج العلمي تحليلاً عميقاً للتفاعلات التكاملية داخل المجتمع ومعرفة الظروف الراهنة فيه.

فقد تأثر تعريف المنهج العلمي بشكل كبير بالتيارات الفلسفية المختلفة على مر العصور، ساهمت الفلاسفة مثل أرسطو في وضع الأسس الأولى للمنهج العلمي في الفلسفة اليونانية القديمة، حيث كانوا يؤمنون بأهمية التجربة والملاحظة في الوصول إلى المعرفة. ومع تطور الفلسفة الإسلامية، ارتبط تعريف المنهج العلمي بفكر الفلاسفة مثل الفارابي وابن سينا، الذين ركزوا على الحكمة والفلسفة الطبيعية. ومع الثورة العلمية في العصر الحديث، شهد تعريف المنهج العلمي تأثيراً كبيراً بمدرسة الفلسفة الحديثة والتفكير

^١ - كمال دشلي: منهجية البحث العلمي، حماة-سوريا: مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية - منشورات جامعة حماة،

العقلاني. وما زالت التيارات الفلسفية المعاصرة تؤثر على تعريف المنهج العلمي، حيث يتم التعامل مع مفاهيم التعددية والنسبية والاعتراف بدور الثقافة والسياق في برمجة المنهج العلمي.

من هنا يتبين لنا: أن تعريف المنهج العلمي قد تأثر بشكل كبير بالتغيرات التاريخية والفلسفية عبر العصور. ففي الفلسفة القديمة، كانت الرؤى الفلسفية تحدد طابع المنهج العلمي، بينما في العصور الوسطى تحول المنهج العلمي ليصبح أكثر اعتمادًا على المنهجية العلمية. وقد شهد العصر الحديث تحولات هائلة في تعريف المنهج العلمي، مع ثورة علمية وتأثيرات فلسفية عميقة. وفي العصر المعاصر، يظهر تأثير الفلسفة والتقنية والثقافة في تحديد المنهج العلمي. هذه التغيرات في منهجية المنهج العلمي تبين بأنه ليس مجرد استراتيجية تقنية، بل هو منتج يتأثر بالتغيرات التاريخية والفلسفية المستمر ويؤثر في تطور العلوم والفكر لهذا تم اختيار شخصيات فلسفية لها أثر في تغيير آلية المنهج العلمي وتعريفه ولهما قدرة تأثيرية في اللاحقين واحداث مسارات جديدة في العمل به وهما (رينيه ديكارت - وهانز جورج غادامير)، فهذان العالمان لهما مناهج علمية أحدثت ثورة في تاريخ العلم.

يُعد ديكارت مؤسس الفلسفة الحديثة بمنهج الشك الذي قاده إلى اليقين المطلق في "الكوجيتو"، بينما نجد غادامير من أبرز فلاسفة التأويل (الهيرمينوطيقا) في القرن العشرين، وقد ركز على مفهوم الفهم والتفسير في الفلسفة. ومن خلال عقد المقارنة بينهما وتحليل وتوضيح العلاقة المنهجية بين هذين الفيلسوفين، وتحديد أوجه التشابه والاختلاف بين منهجهما، واستكشاف تأثيرات كل منهما على الفلسفة المعاصرة نوضح أثر التغيرات التاريخية والفكرية في تغيير الآلية المنهجية.

المبحث الثاني: مقارنة بين منهجية ديكارت وغادامير

إن العلاقة بين منهج الفيلسوف الفرنسي رينيه ديكارت والفيلسوف الألماني هانز جورج غادامير موضوعًا مثيرًا للاهتمام في مجال الفلسفة، حيث يمثل كل منهما نهجًا مختلفًا نحو فهم المعرفة والحقيقة

والتفسير. رغم أن ديكارت وغادامير ينتميان إلى تقاليد فلسفية مختلفة، فإن استكشاف العلاقة بينهما يكشف عن تباين جذري في الفلسفة الغربية.

١. منهج ديكارت: الشك المنهجي واليقين.

رينيه ديكارت، الذي يعتبر مؤسس الفلسفة الحديثة، اشتهر بمنهجه القائم على الجمع بين منهجين: الاسناد إلى طاقة الحواس في استكشاف حقائق العلم الطبيعي، وإلى طاقة الحدس في استكشاف الحقائق التي تقع وراء العالم المحسوس^(١) ليكون المعنى الحقيقي لمنهج الشك عنده قائم على : المنهجين معاً بالرجوع إلى البداهة التي تستمد من الفطرة قوتها ومن الحدس أسلوبها في التيقن بما قد يسلم به الناس دون تحقق من صحته،^(٢) وقد أوضح ديكارت في كتابه "تأملات في الفلسفة الأولى"، كيفية بناء المعرفة اليقينية، من خلال تأكيده على أنه لا يمكن الشك في المعرفة من خلال الشك في كل شيء يمكن الشك فيه. ولكن الهدف من الشك المنهجي هو التساؤل أو البحث، هو الذهن المتسائل الذي لا يسلم بحقيقة أي شيء دون طرح الأسئلة الصحيحة، وهو ما يعرف الوصول إلى "الكوجيتو"، تلك الفكرة الشهيرة القائلة : "أنا أفكر، إذن أنا موجود". من خلال هذا المبدأ، وضع ديكارت الأساس لفكرة الذات الواعية كمنطلق لكل معرفة.

كان يعتقد ديكارت أن العقل الإنساني قادر على الوصول إلى حقائق مؤكدة من خلال التفكير العقلاني والتحليل المنطقي، وقد رأى أن المعرفة يجب أن تكون قائمة على اليقين الرياضي. وقد أسس منهجه على فكرة أن العالم الخارجي يمكن فهمه وتحليله من خلال مبادئ عقلية ثابتة.

٢. منهج غادامير: الفهم والتأويل.

١ - رينيه ديكارت: " مقال في المنهج " ترجمة. محمود الخضيرى، ط١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الاسرة

٢٠٠، القاهرة، سنة بدون، صفحة ٧.

٢ - المرجع السابق، صفحة ٨

على النقيض من ديكارت، يركز هانز جورج غادامير في منهجه على الفهم والتأويل. غادامير، الذي يُعدُّ أحد أبرز ممثلي الفلسفة الهرمنيوطيقية (علم التأويل)، ينطلق من فكرة أن الفهم الإنساني دائماً ما يكون متجذراً في التاريخ والتقاليد حاملاً معه دلالات تتعلق بالزمان والمكان الذي نشأ فيه. لذلك انتقد غادامير في كتابه " فلسفة التأويل "، التوجه العقلاني الذي ساد منذ عصر التنوير، والذي مثله ديكارت^١ واصفاً بأنه توجه فاشلاً لكونه بعيداً عن المصدر التاريخي.

حيث يرى - غادامير - أن الفهم ليس عملية مجردة من التأثيرات الثقافية والتاريخية، كما أنه ليس عملية فردية بل هو حوار بين القارئ والنص، أو بين الذات والآخر، وانفتاح على وجهات نظر جديدة، أن الفهم وفقاً لغادامير، ليس مجرد عملية عقلية بحثه - كما يراها ديكارت -، بل هو لقاء بين الماضي والحاضر، حيث يتم تشكيل المعاني من خلال هذا التفاعل المستمر، ومن هنا كان التأويل من وجهة نظر غادامير ليس عملية تفسيرية، بل هو عملية تكوين معنى جديد نتيجة التفاعل. هذه الرؤية تُعد الجزء الأساسي التي تقوم عليها الفلسفة الهرمنيوطيقية القائمة على الفهم والتأويل^(٢)

٣. التباين بين المنهجين.

التباين الأساسي بين ديكارت وغادامير يكمن في طريقة كل منهما لفهم الحقيقة والمعرفة: بينما يركز ديكارت على الوصول إلى اليقين من خلال الشك والتحليل المنطقي، يرى غادامير أن الحقيقة والمعرفة تنبثقان من الحوار والتأويل. ديكارت يسعى إلى بناء معرفة مستقلة عن التاريخ والثقافة، بينما يؤكد غادامير أن المعرفة لا يمكن أن تكون منفصلة عن السياق التاريخي.

٤. التكامل بين المنهجين.

١ - هانز جورج غادامير: " فلسفة التأويل " الأصول . المبادئ . الأهداف، ترجمة .محمد شوقي الزين، ط٢ ، منشورات

الاختلاف، الجزائر ٢٠٠٦ ، صفحة ١٥

٢ - هانز جورج غادامير: " الحقيقة والمنهج " الخطوط الأساسية لتأويلية فلسفية، ترجمة . حسن ناظم ، علي حاكم صالح ، ط١ ، دار أويا للنشر والتوزيع والتنمية الثقافية، طرابلس ليبيا ، ٢٠٠٧ ، صفحة (٣٨٥ : ٣٨٨)

على الرغم من التباين الظاهر بين منهجي ديكارت وغادامير، يمكن القول إنهما يمثلان جانبين مختلفين من علم المناهج الذي يسعى لفهم الحقيقة. لكننا قد نحتاج أحياناً إلى منهج ديكارت العقلاني التحليلي لفهم بعض جوانب العالم، بينما يكون منهج غادامير التأويلي ضرورياً لفهم النصوص والتجارب البشرية المعقدة. إذن، العلاقة بين منهج ديكارت وغادامير هي علاقة **تعارض وتكامل** في آن واحد. تعارض لأنهما يمثلان توجهين مختلفين نحو فهم الحقيقة، وتكامل لأن كل منهج منهما يمكن أن يساهم في إثراء الفهم الإنساني عندما يؤخذ في سياقه المناسب. وعلم المناهج يستفيد من هذا التنوع، إذ أن البحث عن المعرفة يتطلب أحياناً الشك والعقلانية، وفي أحيان أخرى يتطلب الحوار والتأويل.

ونظراً لحاجة العلم للتنوع المنهجي في عملية الاثبات المعرفي نجد أن هناك عدة عوامل أخرى تتداخل كمقومات أساسية للتطور وتؤدي إلى تغيير آلية المناهج مثل: الاختلافات التاريخية والثقافية، التباينات المنهجية، والتباين في المفاهيم الفلسفية الأساسية. مجمل هذه العوامل لها تأثير واضح في تطور المنهج العلمي.

أولاً: الاختلاف التاريخي والثقافي:

عاش ديكارت في القرن السابع عشر، وكتب منهجه في فترة كانت تتسم بالبحث عن اليقين المطلق والمعرفة الموضوعية. في المقابل، غادامير، الذي عاش في القرن العشرين، كان يعمل في فترة شهدت تطوراً كبيراً في الفلسفة التأويلية الهرمنيوطيقية. هذه الفجوة الزمنية تعني أن هناك تغيرات كبيرة في السياق الفلسفي والاجتماعي الذي أثر على تفكير كل منهما أدى إلى اختلافات منهجية.

ثانياً: الاختلافات المنهجية

. يعتمد ديكارت على منهج الشك المنهجي للوصول إلى يقين مطلق، كما يتضح في "تأملات في الفلسفة الأولى" في المقابل، غادامير يعتمد على التأويل لفهم النصوص والمعاني المتعددة كما يظهر في "الحقيقة والمنهج" هذه التباينات تجعل من الصعب توحيد المناهج والتوفيق بينها في إطار فلسفي واحد

ثالثاً: التباين في المفاهيم الفلسفية

ديكارت يرى الحقيقة كمفهوم مطلق يمكن الوصول إليه من خلال العقل، وهو ما يعبر عنه في "مقال عن المنهج" في المقابل، يرى غادامير الحقيقة كمفهوم نسبي يظهر من خلال التأويل والفهم المتجدد، وهو ما يناقشه في "الحقيقة والمنهج" هذه الفروق في فهم الحقيقة تُعَدُّ من مهمة المقارنة والتحليل.

رابعاً: الصعوبة في الترجمة والتأويل

النصوص الفلسفية لكل من ديكارت وغادامير تكتب بلغات ومصطلحات قد تحمل معانٍ متعددة، مما يزيد من تعقيد عملية الترجمة والتأويل. فهم مصطلحات ديكارت المكتوبة باللاتينية يتطلب معرفة دقيقة بالسياق الذي استخدم فيه هذه المصطلحات بالمثل، فهم مصطلحات غادامير المكتوبة بالألمانية يتطلب دراية بالسياق الثقافي والفلسفي في زمنه.

ومن مجمل هذه الظروف التاريخية بينهما نستنبط ان التطور المنهجي حدث في عصرين عصر العقلانية الحديثة علي يد رينيه ديكارت وعصر التأويلية الظاهرية على يد غادامير. لذا سوف نتناول أهمية تأثير العقلانية الحديثة والتأويلية الظاهرية على المنهج العلمي، حيث نسلط الضوء على الأسس الفلسفية التي تقوم عليها العقلانية والتأويلية وكيف يمكن أن تؤثر كل منهما على العملية العلمية بشكل عام والمنهج بشكل خاص.

المبحث الثاني: تأثير العقلانية والتأويلية على المنهج العلمي

أولاً: العقلانية الحديثة

هي تيار فلسفي ظهر في أوروبا خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، والذي مثل تحولاً جذرياً في طريقة تفكير الفلاسفة والعلماء في تلك الفترة. أهم ما يميز هذا النهج الفلسفي هو التركيز على العقل والمنطق كأساس للمعرفة والفهم، بدلاً من الاعتماد على السلطة التقليدية أو الأفكار المسبقة. وتمثل تلك النقاط السمات الأساسية للمنهج العلمي في تلك الفترة:

١. **الشك المنهجي:** يُعدّ الشك المنهجي من أهم ركائز العقلانية الحديثة. يتطلب هذا المبدأ تبني موقف الشك والنقد تجاه كافة المعتقدات والافتراضات المسلم بها في المجتمع، حتى يتسنى للمرء البحث عن الأدلة والبراهين الموضوعية التي تؤكد أو تنفي صحة هذه المعتقدات. فالعقلاني لا يقبل شيئاً على أنه حقيقة مطلقة إلا بعد التحقق منه عبر البرهنة العقلية والتجريبية.

٢. **البرهنة العقلية:** ينطلق العقلانيون من مبدأ أن المعرفة الحقيقية يجب أن تكون مبنية على البرهنة العقلية والاستدلال المنطقي، بدلاً من الاعتماد على السلطة التقليدية أو الإيمان العقائدي. فالعقل هو الوسيلة الموثوقة للوصول إلى الحقيقة، في حين أن الإيمان الأعمى بالمعتقدات التقليدية لا يمكن أن ينتج سوى معرفة زائفة أو مشكوك فيها.

٣. **العلمية:** تؤكد العقلانية الحديثة على المنهج العلمي باعتباره الأداة الأساسية للوصول إلى المعرفة الموضوعية والدقيقة. فالعلم القائم على الملاحظة، والتجريب، والتحقق التجريبي، هو الوسيلة الأكثر موثوقية لفهم الظواهر الطبيعية والاجتماعية. وبالتالي، يجب استبعاد كافة الأساليب التقليدية للمعرفة التي لا تستند على المنهج العلمي.

٤. **العالمية:** تسعى العقلانية الحديثة إلى الوصول إلى معرفة عالمية وشاملة، وليس مجرد معارف خاصة أو محلية. فالعقلاني يؤمن بإمكانية الوصول إلى الحقيقة بشكل عام عبر استخدام العقل والمنهج العلمي. وبالتالي، فإن المعارف التي ينتجها العقل لا ينبغي أن تكون محدودة بسياق ثقافي أو اجتماعي معين.^١ من مجمل هذه المبادئ، يتضح لنا أن العقلانية الحديثة تمثل نهجاً فلسفياً متكاملاً يرفض الأفكار المسبقة والمعتقدات التقليدية، ويؤكد على دور العقل والمنطق والمنهج العلمي في الوصول إلى المعرفة الموثوقة والموضوعية. وهذا التحول الفلسفي كان له أثر بالغ في تطور العلوم الطبيعية والاجتماعية خلال عصر التنوير الأوروبي.

^١ - محمود زيدان : مناهج البحث الفلسفي ، ط١ ، جامعة بيروت العربية ، ١٩٧٤ ، صفحة (٤٩ : ٥١)

ثانياً: التأويلية الظاهرية.

تُعد التأويلية الظاهرية واحدة من أهم التيارات الفكرية التي نشأت في الفلسفة الحديثة والمعاصرة. تجمع هذه الفلسفة بين منهج الظاهرية (الفينومينولوجيا) والتأويلية (الهيرمينوطيقا)، حيث تسعى لفهم الظواهر الإنسانية من خلال تفسيرها وتأويلها على نحو أعمق، وتجاوز التصورات السطحية للواقع. فتُعنى الظاهرية أو (الفينومينولوجيا) التي أسسها الفيلسوف الألماني إدموند هوسرل، بدراسة الظواهر كما تظهر في وعي الإنسان. الهدف الرئيسي منها هو الكشف عن الهياكل الأساسية للتجربة الإنسانية دون افتراضات مسبقة، حيث يسعى الفيلسوف إلى "وصف" التجربة بدلاً من "تفسيرها" نظرياً. أما التأويلية أو الهيرمينوطيقا، فهي فن أو علم التأويل الذي يهتم بفهم النصوص، خاصة النصوص الأدبية والفلسفية، من خلال تحليل المعاني والدلالات الكامنة. ويعود هذا المصطلح إلى الفكر اليوناني القديم، حيث كان يستخدم في تفسير النصوص الدينية والفلسفية.

السمات الرئيسية لعصر التأويلية الظاهرية:

١. التركيز على التجربة الذاتية:

وهي واحدة من أهم السمات التي تميز التأويلية الظاهرية حيث تركز على التجربة الذاتية للفرد. وتعتبر أن الفهم الحقيقي للظواهر يجب أن ينطلق من تجربة الفرد، حيث لا يمكن الوصول إلى المعرفة الموضوعية بشكل كامل دون أخذ التجربة الذاتية بعين الاعتبار.

٢. العلاقة بين الوعي والعالم:

تقوم الفينومينولوجيا على فكرة العلاقة بين الوعي والعالم، حيث لا يمكن فهم الظواهر بشكل مستقل عن كيفية تجربتها من قبل الوعي البشري. هذا يعزز فكرة أن الوعي هو الذي يمنح الأشياء معانيها ووجودها.

٣. التفاعل بين النص والقارئ:

من منظور التأويلية، الفهم ليس عملية سلبية، بل هو تفاعل نشط بين النص والقارئ. القارئ يلعب دوراً مهماً في بناء المعنى من خلال تأويل النصوص وفقاً لخبراته وتوقعاته الخاصة. هذا يعني أن فهم النص يمكن أن يختلف من شخص لآخر.

٤. التاريخية والانفتاح:

تأخذ التأويلية الظاهرية في الاعتبار البعد التاريخي للفهم. كل تأويل ينبع من سياق تاريخي وثقافي معين، حيث يؤثر تاريخ الفرد والمجتمع في كيفية تأويلهم للظواهر والنصوص. هذه الفلسفة تدعو إلى الانفتاح على تعددية الفهم وعدم التمسك بتأويل وحيد مطلق.

٥. الكشف عن المعاني الخفية:

تسعى التأويلية الظاهرية إلى تجاوز السطح والوصول إلى المعاني الخفية والرمزية التي تكمن وراء الظواهر والنصوص. تعتبر هذه الفلسفة أن المعاني ليست دائماً واضحة للعيان، بل تحتاج إلى تأمل عميق وتأويل لفهمها بشكل صحيح.

٦. النقد للأفكار التقليدية:

يشارك فلاسفة التأويلية الظاهرية في نقدهم للأفكار الفلسفية التقليدية، خاصة تلك التي تركز على الثنائية بين الذات والموضوع. بدلاً من ذلك، يقدمون رؤية موحدة للوجود البشري، حيث لا يمكن الفصل بين الوعي والعالم الخارجي.

تعتبر التأويلية الظاهرية فلسفة عميقة ومعقدة تهدف إلى تقديم فهم أعمق للوجود الإنساني من خلال التفاعل بين التأويل والتجربة الذاتية. إنها فلسفة تتحدى الفهم التقليدي للعالم والنصوص، وتدعو إلى

الانفتاح على تعددية الفهم والتفسير. من خلال تركيزها على الوعي والعلاقة بين الفرد والعالم، تسعى هذه الفلسفة إلى إعادة تعريف معاني الوجود والفهم في العصر الحديث.^(١)

المنهج العلمي العقلي والتأويلي :

العقلانية هي المنهج الذي يعتمد على العقل والمنطق في اكتساب المعرفة واتخاذ القرارات، حيث يتم التحليل والتفكير بشكل منطقي ومنهجي دون التأثير بالعواطف أو الدين أو الخرافات. أما التأويلية فتعتمد على تفسير الظواهر والمفاهيم بشكل فلسفي وعميق، بحيث تسعى لفهم المعاني الخفية والرموز وراء الوقائع. أما المنهج العلمي فيستند إلى الحفاظ على الدقة والموضوعية في جمع البيانات واستخدام الطرق والتقنيات العلمية لاختبار الفرضيات واكتساب المعرفة الجديدة بشكل منهجي ومنظم.

لذا يُعد العقلانية والتأويلية منهجين فكريين مختلفين يؤثر كل منهما على المنهج العلمي بطريقة مختلفة. فالعقلانية تعتمد على المنطق والحساب والبحث عن الأسباب الجذرية والتوجه نحو الحقيقة الواضحة والثابتة، بينما تعتمد التأويلية على الفهم العميق وتحليل الرموز والتشبيهات والتفسيرات المتعددة للظواهر. وبالرغم من اختلافهما، إلا أن العلاقة بينهما تظهر تشابهات في استخدامهما للمنطق في التفكير والتحليل، وكذلك في التأثير على المنهج العلمي من خلال إضافة أبعاد مختلفة وتفسيرات متعددة للظواهر العلمية.

التشابهات والاختلافات

تعتبر العقلانية والتأويلية من التوجهات الفلسفية التي تؤثر على المنهج العلمي بشكل مباشر. وتشابههما يكمن في تركيزهما على البحث والتحليل والسعي لفهم الظواهر المختلفة. كلاهما يسعى لاستخدام العقل والمنطق في فهم الظواهر والتفسير العلمي. ومع ذلك، يوجد اختلاف بينهما فيما يخص الطريقة التي

^١ - هانز جورج غادامير: " فلسفة التأويل " الأصول . المبادئ . الأهداف، ترجمة . محمد شوقي الزين، مرجع سبق ذكره،

يستخدمونها في التوصل إلى الحقيقة؛ فالعقلانية تعتمد على الملاحظة والتجربة والتحليل العقلي، بينما التأويلية تؤمن بأن الحقيقة قد تكون متعددة وقابلة للتفسير بطرق مختلفة.

تأثير العقلانية على المنهج العلمي

تأثير العقلانية على المنهج العلمي يظهر من خلال التأكيد على استخدام العقل والمنطق في البحث العلمي وتحليل الظواهر. يتبع المنهج العقلاني خطوات محددة تشمل جمع البيانات، وتحليلها، واستنتاج النتائج بشكل منطقي، مما يساهم في توصل العلماء إلى نتائج موضوعية وموثوقة. كما يساعد المنهج العقلاني في استبعاد التأثيرات الشخصية والعواطف عند إجراء الأبحاث، وبالتالي يعزز الدقة والموضوعية في النتائج.

تأثير التأويلية على المنهج العلمي

تأثر المنهج العلمي بالتأويلية بشكل كبير، حيث تعتمد العلوم الاجتماعية والإنسانية بشكل أساسي على التأويل والفهم للظواهر والسلوكيات البشرية. تحاول العلوم الإنسانية فهم السلوكيات الإنسانية وتفسيرها من خلال تحليل الظواهر والمفاهيم الاجتماعية والثقافية، وهو ما يجعل التأويلية تؤثر بشكل كبير على المنهج العلمي في هذا المجال. فالباحثين في هذا المجال يحاولون فهم الحقيقة والظواهر من منظور تأويلي وفلسفي قبل أن يتمكنوا من تصميم الدراسات والتجارب العلمية التي تثبت أو تنفي هذه التأويلات.

التأويلية ومفهوم الحقيقة

تأثير التأويلية على المنهج العلمي يتمثل في تفسير الحقيقة من وجهة نظر مختلفة، حيث يؤدي استخدام التأويلية إلى إدخال عنصر الاعتقاد والمعتقد في البحث العلمي. يمكن أن يؤدي هذا إلى تضارب بين النتائج العلمية الدقيقة والتفسيرات الدينية أو الفلسفية. بالإضافة إلى ذلك، قد يؤدي التأويلية إلى تشويه الحقائق العلمية والتلاعب بالبيانات لتتناسب الفكرة المراد نشرها أو إثباتها. لذلك، يجب أن يكون هناك توازن بين العقلانية والتأويلية لضمان استقامة ودقة البحث العلمي وتوجيهه نحو الحقيقة.

نستنتج من الدراسة أن العقلانية والتأويلية تؤثران بشكل كبير على المنهج العلمي، حيث تسهم العقلانية في تعزيز الدقة والمنطقية في البحث العلمي، بينما تساهم التأويلية في فتح آفاق جديدة واسعة في الاستكشاف العلمي وفهم الظواهر الغامضة. كما أظهر التحليل النقدي للعلاقة بين العقلانية والتأويلية والمنهج العلمي أن الاثنين لا يمكن اعتبارهما متنافيين بل مكملين لبعضهما البعض في تحقيق التقدم العلمي والمعرفي.

بعد دراسة تأثير العقلانية والتأويلية على المنهج العلمي، تم التوصل إلى استنتاجات مهمة. أولاً، أن العقلانية الحديثة والتأويلية الظاهرية قد أثرتا بشكل كبير على عملية إنتاج المعرفة العلمية وشكلتا طريقة جديدة للنهوض بالبحث العلمي. كما تبين أيضاً أن الأسس الفلسفية والأخلاقية لهذين المنهجين لعبا دوراً حاسماً في توجيه العلماء نحو تبني المنهج العلمي الذي يفضي إلى نتائج ذات جودة عالية. بناءً على ذلك، يُوصى بضرورة إجراء المزيد من الأبحاث والدراسات لفهم الآثار الكامنة لكل من العقلانية والتأويلية على المنهج العلمي، وكذلك توجيه الاهتمام إلى دراسة الأخلاقيات والقيم التي تحكم عملية البحث العلمي والتي تؤثر على نتائجه.

خاتمة

في نهاية بحثنا القائم على عقد مقارنة حول المنهج العلمي بين العقلانية الحديثة كما صاغها ديكارت، والتأويلية الظاهرية كما قدمها غادامير، نجد أن المقارنة بين المنهجين لا تكشف فقط عن تعارض في الرؤى، بل تكشف أيضاً عن مسار تطوري لفهم طبيعة المعرفة والوجود.

العقلانية الحديثة، التي يمثلها ديكارت، تقوم على فكرة أن العقل قادر على الوصول إلى اليقين المطلق من خلال منهجية منطقية وتحليلية تقود إلى حقيقة مستقلة وثابتة عن العالم. في هذا السياق، يعتبر ديكارت أن الشك هو الأداة الأساسية التي يجب أن تسبق اليقين، حيث يتم استبعاد كل ما هو غير مؤكد للوصول إلى ما هو جوهري وثابت. هذه الرؤية تضع الإنسان في مركز الكون بوصفه العقلائي القادر على فك شفرات العالم وتحقيق السيادة على الطبيعة من خلال الفهم العقلائي.

لكن التأويلية الظاهرية، كما قدمها غادامير، تتحدى هذه النزعة إلى اليقين المطلق. في نظر غادامير، الفهم البشري لا يمكن أن يكون معزولاً عن السياق التاريخي والثقافي للإنسان. المعرفة ليست حقيقة موضوعية يمكن الوصول إليها بشكل نهائي، بل هي عملية تأويلية تنبثق من الحوار بين الإنسان والعالم، بين الذات والتاريخ. هذا يعني أن الفهم دائماً غير مكتمل، ويخضع لتحولات مستمرة تفرضها تجربة الفرد وتفاعله مع العالم المحيط به. تتجاوز التأويلية الظاهرية الحدود الصارمة للعقلانية وتعيد الاعتبار للعناصر الإنسانية التي يتعذر قياسها بشكل موضوعي، مثل التجربة الذاتية والمعنى الشخصي.

إن هذا التوتر بين العقلانية الحديثة والتأويلية الظاهرية ليس مجرد صراع بين منهجين مختلفين، بل يعكس إشكالية أعمق تتعلق بطبيعة المعرفة نفسها: هل يمكن للإنسان أن يمتلك معرفة يقينية ونهائية عن العالم، أم أن كل معرفة هي في جوهرها عملية تأويلية تستدعي إعادة النظر المستمرة؟ العقلانية تسعى إلى استقرار العالم ضمن قوانين العقل، بينما تدعونا التأويلية إلى الوعي بحركية الفهم وإدراك أن العالم يظل دائماً أكبر من أي محاولة لعقلنته بشكل كامل.

وفي النهاية، لعل الفلسفة نفسها تجد طريقها بين هذين المنهجين، حيث تستفيد من أدوات العقل في تنظيم المعرفة، بينما تظل منفتحة على الأعماق التي تظل خارجة عن سيطرة العقل وتحتاج إلى التأمل والتفسير المستمرين. بهذا المعنى، فإن التكامل بين العقلانية الحديثة والتأويلية الظاهرية قد يكون هو السبيل إلى فهم أعمق وأكثر شمولاً للوجود البشري والمنهجية العلمية.

المصادر والمراجع:

١. مجمع اللغة العربية. المعجم الوسيط. الأولى. القاهرة: مجمع اللغة العربية، ١٩٨٨.
٢. - عبد المنعم حنفي. المعجم الفلسفي الشامل. ط ٣. القاهرة: مكتبة مدبولي، ٢٠٠٠.
٣. - مصطفى دهمس: منهجية البحث العلمي في التربية والعلوم الاجتماعية، عمان-الأردن: المنهل، ٢٠٠٨.
٤. كمال دشلي: منهجية البحث العلمي، حماة-سوريا: مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية - منشورات جامعة

حماة، ٢٠١٦.

٥. رينيه ديكارت : " مقال في المنهج " ترجمة .محمود الخضيرى، ط١ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مكتبة الاسرة ٢٠٠٠ ، القاهرة، سنة بدون .
٦. هانز جورج غادامير: " فلسفة التأويل " الأصول . المبادئ . الأهداف، ترجمة. محمد شوقي الزين، ط٢ ، منشورات الاختلاف، الجزائر ٢٠٠٦ .
٧. هانز جورج غادامير: " الحقيقة والمنهج " الخطوط الأساسية لتأويلية فلسفية، ترجمة. حسن ناظم، علي حاكم صالح ، ط١ ، دار أويا للنشر والتوزيع والتنمية الثقافية، طرابلس ليبيا ، ٢٠٠٧ .
٨. محمود زيدان: مناهج البحث الفلسفي، ط١، جامعة بيروت العربية، ١٩٧٤،

تحديات تحقيق منهج التدريب الميداني لطلاب الدراسات الاجتماعية

(دراسة تطبيقية على مؤسسات التدريب الميداني لطلبة برنامج الخدمة الاجتماعية بجامعة الخرطوم)

Challenges of the Field Training Curriculum for Social Studies Students (An Applied Study on Field Training For Students of the Social Work Program in University of Khartoum)

د. الدسوقي جلال محمد حامد

أستاذ علم الاجتماع المساعد

قسم العلوم الاجتماعية، كلية الآداب والفنون - جامعة حائل

المملكة العربية السعودية

Dr. Aldesogi Galal Mohamed Hamed

Assistant Professor

Department of Social Sciences

College of Arts and Arts- University of Hail

Kingdom of Saudi Arabia

ad.hamed@uoh.edu.sa

ملخص

تهدف هذه الدراسة بصورة رئيسية الى التعرف على أهم التحديات التي تحول دون تحقيق وتنفيذ برنامج التدريب الميداني لطلاب الدراسات الاجتماعية، وذلك بالتركيز على العقبات المرتبطة بمؤسسات التدريب الميداني لطلبة برامج الخدمة الاجتماعية بجامعة الخرطوم على مستوى (الدبلوم الوسيط والباكالوريوس والدبلوم العالي والماجستير)، بجانب تقديم رؤية مستقبلية ومقترحات علمية وعملية حول كيفية تحقيق منهج التدريب الميداني من خلال إعداد وتنفيذ برنامج تدريبي طموح يحقق أهداف وتطلعات ورؤى الدارسين والعاملين ببرامج الخدمة الاجتماعية، استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي، وتم الاستعانة بأداتي المقابلة والملاحظة الميدانية المباشرة لجمع البيانات، إضافة إلى الاطلاع على الكتب والمراجع والمجلات والدوريات والنشرات والبحوث والمقالات ذات الصلة بالموضوع.

شملت عينة الدراسة طلاب برنامج الخدمة الاجتماعية على مستوى (درجات الدبلوم الوسيط والباكالوريوس والدبلوم العالي) بكلية الدراسات التقنية والتنمية - وكلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية بجامعة الخرطوم والبالغ عددهم مجملًا (١٢٠) طالب وطالبة، تم اختيار عينة عشوائية منتظمة تمثل كل مستوى دراسي من بينهم بلغ عددهم (٤٠) طالب وطالبة، تمت الدراسة بجامعة الخرطوم -السودان -مدينة الخرطوم في العام ٢٠٢٢م، توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج المهمة مثل افتقاد مؤسسات التدريب إلى الكوادر المؤهلة لتدريب الطلاب، ومعاناتها من سوء البيئة الداخلية للمؤسسة و البيئة المحيطة بها ونقص

الإمكانيات ومعينات عملية التدريب، وعدم تفهم الإداريين بالمؤسسة لطبيعة عملية التدريب وبالتالي وضع مجموعة من القيود الإدارية التي تعيق تنفيذ منهج التدريب.

كلمات مفتاحية: التدريب الميداني - البرنامج التدريبي - معوقات التدريب الميداني - مؤسسات التدريب الميداني.

Abstract

This study aims primarily to identify the most important challenges that prevent the achievement and implementation of the field training program for social studies students, by focusing on the obstacles associated with field training institutions for students of social work programs at the University of Khartoum at the levels of (intermediate diploma, bachelor's, higher diploma and master's) addition to presenting a future vision and scientific and practical proposals on how to achieve the field training approach through preparing and implementing an ambitious training program that achieves the goals, aspirations and visions of students and workers in social service programs, the researcher used the descriptive analytical approach, and used the interview and direct field observation tools to collect data, in addition to reviewing books, references, magazines, periodicals, bulletins, research and articles related to the topic.

The study sample included students of the Social work Program at the level of (Intermediate Diploma, Bachelor's and Higher Diploma) at the College of Technical and Development Studies & the College of Economic and Social Studies at the University of Khartoum, with a total number of (120) male and female students. A regular random sample was selected representing each academic level, from which the number of (40) male and female students was selected. The study was conducted at the University of Khartoum - Sudan - Khartoum City in 2022

. The study reached a number of important results, such as the lack of qualified cadres in training institutions to train students, their suffering from the poor internal environment of the institution and the surrounding environment, the lack of capabilities and means for the training process, and the lack of understanding by administrators in the institution of the nature of the training process, thus imposing a set of administrative restrictions that hinder the implementation of the training curriculum.

Keywords: Field Training- Training Program- The concept of field training obstacles- field training institutions.

مقدمة

يعد التعليم العالي هو الأساس الأول في قاعدة تنمية وتأهيل الكوادر المهنية في شتى التخصصات، ويأتي ذلك من خلال إعداد وتنسيق المناهج التعليمية والتربوية نظرياً وتطبيقياً، ولذا تكتسب عملية التأهيل والتدريب أهمية كبرى في المؤسسات التعليمية بمختلف تخصصاتها ومجالاتها المتنوعة، فملاحقة التطورات التكنولوجية السريعة في العصر الحديث وما يتطلبه ذلك من تعديلات سلوكية ومهارية وتنمية قدرات على مختلف المستويات، فالدول في عالمنا المعاصر لم تعد تتباهى بمواردها الطبيعية أو بثرواتها الاقتصادية،

بقدر ما تتباهى بما تملكه من موارد بشرية قادرة على تحقيق التنمية الشاملة والمستمرة على كافة الأصعدة، لذلك زاد الاهتمام بتنمية وتدريب وإعداد الكوادر المهنية في الحاضر والمستقبل.

فلا يمكن الحديث عن تأهيل كوادر مهنية ذات كفاءة عالية دون التطرق الى أسس تأهيلهم بصورة علمية وعملية تستند عليها الممارسة المهنية في المستقبل، وذلك من خلال النظر الى عملية التدريب نظرة أشمل من التعليم وذلك لكونه (التعليم) نظاماً رسمياً داخل المدارس والمعاهد والكلية يهدف الى تزويد الأفراد بالمعلومات والمعارف الجديدة، في حين أن التدريب يتم داخل الميدان ويشمل الممارسة الفعلية للمعارف النظرية و للأساليب الجديدة في موقف العمل.^١

وتعتبر الخدمة الاجتماعية من التخصصات العلمية والمهنية التي تستند في تدريسها وممارستها على الجانب النظري والتطبيقي حيث تقوم فلسفة التدريب الميداني في تعليم الخدمة الاجتماعية على ضرورة تحقيق التكامل بين التدريب العملي والدراسة النظرية، لهذا كان من ألزم الأمور أن يتم الاستعانة بكافء المؤسسات التدريبية العاملة في مجالات الخدمة الاجتماعية، وبأحسن العناصر البشرية المتخصصة في عملية الاشراف على تدريب الطلبة للاستفادة منهم في عملية التدريب والتأهيل لتحقيق النمو المهني المنشود للطلاب.

وتشير الدكتورة مرضية البرديسي الى أن مفهوم التدريب يجب ان يرتبط باحتياجات المتدربين حتى تتماشى برامجه مع المستوى الفعلي للطلاب وفي نفس الوقت يصبح أداة فعالة على إعدادهم علمياً، كما يجب أن يتم خلال الفترة الدراسية الجامعية للطلاب ولفترة زمنية محددة وتحت إشراف أكاديمي مساند للإشراف المؤسسي الذي يتم من خلال المسؤولين من الأخصائيين الاجتماعيين العاملين في مؤسسة التدريب.^٢

ولكن بالرغم من أهمية التدريب الميداني لطلاب برامج الخدمة الاجتماعية إلا أنهم يواجهون بعدد من التحديات والصعوبات تكمن في كيفية ترجمة المعارف والنظريات والنماذج والمهارات إلى تطبيقات عملية عند الممارسة المهنية في ميدان العمل، مما يستوجب معه ضرورة التكامل ما بين الجانب النظري والجانب التطبيقي وذلك بصياغة هوية تعليم وممارسة واضحة لبرنامج الخدمة الاجتماعية بكافة المؤسسات الأكاديمية

١ / عبد اللطيف ، سوسن عثمان وآخرون، التدريب في الخدمة الاجتماعية، القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٩٨ ، ص٢١٩

٢ / البرديسي ، مرضية محمد ، مدى ملائمة تعليم الخدمة الاجتماعية لممارستها في المجتمع السعودي، سلسلة الرسائل الجامعية، جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ٢٠٠٩م، ص٢٧

التي تقوم بتخريج طلاب في مجال الخدمة الاجتماعية بالبلاد، وذلك بالعمل على تنسيق وتكامل المناهج النظرية مع الجوانب التطبيقية، بجانب الاهتمام بإجراء البحوث التقييمية لفائدتها في التبصير بالمعوقات والتحديات ومن ثم وضع الحلول التي تيسر تحقيق جودة التعليم والتدريب لمهنة الخدمة الاجتماعية، وبناء عليه جاءت هذه الدراسة لإلقاء مزيد من الضوء على أهم المعوقات التي تواجه الطلاب أثناء وجودهم بالمؤسسات الاجتماعية ومن ثم تقديم حلول واقعية تدفع بمسيرة تعليم وممارسة الخدمة الاجتماعية بالبلاد إلى آفاق أرحب ومجالات أوسع تسهم في النهضة والتنمية الاجتماعية المستمرة والمستدامة بخطى ثابتة ورؤية حديثة.

مشكلة الدراسة

تعد عملية التدريب الميداني منهج متكامل ومستمر ومتشاك بين مؤسسات التعليم العالي وطلابها ومناهجها وبين مؤسسات الممارسة المهنية التي يتدرب بها الطلاب، فمخرجات هذه تعتبر مدخلات لتلك، حيث تسبق عملية التأهيل والتدريب للطلاب تنسيق وتنظيم ما بين مؤسسات التعليم العالي ومؤسسات الرعاية الاجتماعية حتى يتسنى وضع خطط للتأهيل والتدريب بصورة متكاملة ووفق رؤى ومنهج مشترك يراعى فيها المصالح العامة والأهداف المنشودة، فبالتالي إذا كانت عملية التدريب الميداني التي يتلقاها طلاب الخدمة الاجتماعية بالمؤسسات الاجتماعية ليست على المستوى المطلوب أو غير متوافقة مع معايير جودة التعليم، حتماً يؤدي ذلك إلى تخريج طلاب يفتقدون للمهارة الكافية والخبرات المهنية اللازمة للتدخل المهني ولممارسة طرق وعمليات الخدمة الاجتماعية في المستقبل.

بالإضافة إلى ذلك فعملية التدريب والتأهيل تستند كثيراً على جودة البنية التحتية والإدارية بالمؤسسات الاجتماعية، والذي يجب أن تتوفر فيها مواصفات معينة، مثل توفر المعينات التدريبية المتطورة والوسائل التعليمية الحديثة، والبيئة المهيأة التي تسمح بممارسة كافة الأنشطة التدريبية المخطط لها، وبقدر ما كانت المؤسسة صالحة ومهيأة فيزيقياً وإدارياً، وفعالة ومرحبة باستقبال الطلبة وتهيئة فرص استفادتهم من التدريب كلما ساعد ذلك على تحقيق أهداف التدريب، وبالعكس فأى خلل أو قصور في بيئة المؤسسة المستهدفة يؤدي إلى الخلل في إعداد الطلاب وتأهيلهم للمستقبل.

وقد يواجه الطالب أيضاً بصعوبات تتعلق بالفجوة بين ما يدرسه وبين ما يراه ويمارسه في المؤسسات خلال تدريبه العملي، فهناك تحديات حقيقة تتعلق بتنفيذ المنهج التدريبي المجاز من قبل المؤسسة الأكاديمية، والتي قد تكون مرتبطة بعدم المام مشرفي التدريب بالمؤسسة بطبيعة المنهج ومحتواه، مما يؤدي إلى عقبات

في التطبيق عند تنفيذ البرنامج، حيث لا يوجد ما يرشد القائم بالتدريب الميداني أو المشرف على تنفيذه، مما يضطره الى ابتداع أو ابتكار طرق ووسائل للتنفيذ حسب منظوره الشخصي أو وفق خبراته العلمية.

كما أن الطالب قد يجد واقعاً غير مهياً لعملية التدريب بالمؤسسات التي يتدرب بها حيث تتصف بضعف الإمكانيات وعدم توفر المعينات المطلوبة لاستكمال متطلبات المنهج التدريبي، حيث تحتاج عملية التدريب الميداني إلى معينات وأدوات وأجهزة متنوعة مثل معامل الحاسوب، قاعات التدريب، معدات الوقاية والسلامة من العدوى في بعض الحالات كما قد يواجه ببعض الإجراءات الإدارية البيروقراطية التي تعيق الكثير من خطوات ومتطلبات عملية التدريب.

إضافة لكل ذلك فإن أي قصور في إعداد طلاب برامج الخدمة الاجتماعية نتيجة للقصور في المحتوى التدريبي، أو لانخفاض مستوى فاعلية برامج التدريب المطبقة، أو عدم اختيار الأساليب والوسائل التدريبية الحديثة أو المؤسسات التدريبية المناسبة والمؤهلة يقود حتماً لتخريج اخصائيين اجتماعيين تنقصهم الكفاءة المهنية اللازمة.

ولتحديد مشكلة البحث بصورة أكثر دقة وعلمية قام الباحث بالاطلاع على عدد وافر من البحوث والدراسات السابقة والتي يمكن عرضها على النحو التالي:

الدراسات السابقة

١/ دراسة محمود على رضوان (٢٠٢٠م) بعنوان معوقات جودة التدريب الميداني لطلاب الخدمة الاجتماعية، هدفت الدراسة إلى تحديد معوقات جودة التدريب الميداني لطلاب الخدمة الاجتماعية والمرتبطة ب (الطلاب، مؤسسات التدريب الميداني، المشرفين الميدانيين، المشرفين الأكاديميين، القسم العلمي)، بالإضافة إلى وضع مقترحات لتحسين الجودة العملية للتدريب الميداني، وتعتبر الدراسة من الدراسات الوصفية التحليلية، والتي استخدمت منهج المسح الاجتماعي بأسلوب الحصر الشامل للتعرف على آراء وإجابات المبحوثين، توصلت الدراسة إلى أن أهم المعوقات المرتبطة بالطلاب كانت صعوبة تكوين علاقات مهنية مع المشرف الأكاديمي والميداني وصعوبة التعاون مع الزملاء لإنجاز المهام في التدريب الميداني، وفيما يتعلق بمؤسسات التدريب الميداني فكانت أهم المعوقات صعوبة الاطلاع على ملفات الحالات بالمؤسسة والروتين المستمر خلال فترة التدريب الميداني. وبالنسبة للمشرفين الميدانيين فكانت أهم المعوقات أنهم غير متخصصين في مهنة الخدمة الاجتماعية وعدم فهمهم لدورهم ودور الطالب خلال العملية التدريبية، وفيما يتعلق بالمشرفين الأكاديميين فكانت أهم المعوقات عدم تقبل المشرف الأكاديمي لأفكار وآراء الطلاب، وعدم قيام المشرف الأكاديمي بتعريف الطلاب بمؤسسة التدريب وآلية وطريقة سير العمل فيها بشكل مفصل.

وفيما يتعلق بالقسم العلمي فكانت أهم المعوقات عدم مراعاة القسم الرغبة الطالب وميوله في اختيار المجال الذي يريد التدريب فيه وعدم عقد اجتماعات تمهيدية كافية من قبل القسم لتوضيح آلية التدريب الميداني ودور الطالب فيها. قدمت الدراسة مجموعة من التوصيات المقترحات التي يمكن أن تساهم في تحسين جودة التدريب الميداني لطلاب الخدمة الاجتماعية.

٢/ دراسة خليل إبراهيم الهلالات (٢٠١٤) بعنوان معوقات التدريب الميداني لدى طلبة العمل الاجتماعي في الجامعة الأردنية، هدفت الدراسة إلى التعرف على معوقات التدريب الميداني لدى طلبة العمل الاجتماعي في الجامعة الأردنية، ولقد بينت نتائج الدراسة أن معوقات التدريب الميداني لدى طلبة العمل الاجتماعي التي تعود إلى الطلبة أنفسهم والمشرفين الأكاديميين جاءت بمستوى منخفض، وأما المعوقات المرتبطة بالمشرفين الميدانيين ومؤسسة التدريب لقد جاءت بمستوى متوسط وإن أعلى المعوقات درجة هي تلك المرتبطة بالمشرفين الميدانيين، وأقلها المرتبطة بالمشرفين الأكاديميين.

٣/ دراسة زردة حسن شيبطة (٢٠١١) بعنوان معوقات التدريب الميداني بمجالات الممارسة العامة في الخدمة الاجتماعية، استهدفت الدراسة تحديد أهم معوقات التدريب الميداني بمجالات الممارسة العامة في الخدمة الاجتماعية من خلال السعي لتوضيح أهم المعوقات ذات الصلة بطلاب التدريب الميداني نفسه، أو المعوقات المرتبطة بمرشفي التدريب بجامعة القدس المفتوحة (المشرف الأكاديمي)، أو المرتبطة بالأخصائي الاجتماعي بالمؤسسة، أو بالمؤسسة الاجتماعية التي يتدرب فيها الطلاب، بجانب ذلك سعت الدراسة إلى تقديم مقترحات لكيفية مواجهة معوقات التدريب الميداني بمجالات الممارسة العامة في الخدمة الاجتماعية، إضافة لذلك هدفت الدراسة إلى الوصول لبرنامج إرشادي متكامل لمواجهة معوقات التدريب الميداني بمجالات الممارسة في الخدمة الاجتماعية.

توصلت الدراسة إلى أن من أهم المعوقات التي تواجه طلاب التدريب الميداني بمجالات الممارسة العامة في الخدمة الاجتماعية، صعوبات تتعلق بتركيز مؤسسات التدريب على الجوانب الإدارية وتنفيذها بطريقة روتينية دون الاهتمام بالجوانب المهنية والفنية في موقف التدريب، حيث تحرم بعض المؤسسات الطالب من الاطلاع على بعض الملفات والسجلات الضرورية أثناء التدريب، بجانب نقص المهارات المهنية للمشرفين الميدانيين داخل المؤسسة، وتمييز أخصائي المؤسسة بعض طلاب التدريب الميداني علي البعض الآخر في المعاملة، وعدم اهتمام أخصائي المؤسسة بطلاب التدريب الميداني بسبب قلة العائد المادي الذي يعود عليه نتيجة تدريب الطلاب، كما توصلت الدراسة إلى أن من أهم التحديات التي تواجه الطلاب أثناء عملية التدريب الميداني، قلة الإمكانيات المادية المتاحة داخل مؤسسة التدريب، بجانب عدم توفر الأماكن اللازمة

داخل المؤسسة لتحقيق أهداف التدريب، إضافة لتقليدية المؤسسات واعتمادها على مناهج غير مواكبة للتطورات الحديثة في مجالات الخدمة الاجتماعية.

4/ دراسة أحمد صلاح الدين أبو الحسن (٢٠١٣م)، بعنوان معايير اختيار مؤسسات التدريب الميداني للطلاب والمعلمين بقسم التربية الخاصة في ضوء مدخل الجودة، هدفت الدراسة في تساؤلها الرئيس إلى التعرف على المعايير الواجب توفرها عند اختيار مؤسسات التربية الميدانية لإعداد معلم التربية الخاصة في ضوء مدخل الجودة، توصلت الدراسة الي بعض النتائج المهمة والتي تعبر عن وجهة نظر القائمين على التدريب الميداني بقسم التربية الخاصة عن أهمية المعايير الواجب توفرها عند اختيار مؤسسة التدريب حيث أقر غالبيتهم ضرورة اختيار مؤسسات تتميز بمباني وتجهيزات معمارية مناسبة للطلاب ذوي الإعاقة تتوفر بها وسائل التعليم من مكاتب وصلات للتربية البدنية وحدائق ومساحات للألعاب والأنشطة، وأن تكون المؤسسة مجهزة بوسائل الأمن والسلامة مثل وسائل الإنذار ومعدات الإطفاء وصناديق الإسعافات الطبية العاجلة، بجانب اختيار المؤسسة التي تتيح الفرص اللازمة لممارسة الأنشطة الصفية واللاصفية اليومية ويتسم فيها العمل بالتعاون والجماعية وتتسم بمستوى عالي من النظافة، وملتزمة بالتعامل الجيد مع الطلاب وتهتم بمشاركة أولياء الأمور في اتخاذ القرارات الخاصة بعملية التعليم والتعلم.

5/ دراسة مكية جمعة أحمد همت (٢٠١٤) بعنوان واقع التدريب الميداني لطلبة الاجتماع والخدمة الاجتماعية بالجامعات السودانية، هدفت الدراسة التعرف على واقع التدريب الميداني في أقسام الاجتماع والخدمة الاجتماعية بجامعات السودان، من وجهة نظر الطلبة المتدربين، من خلال عينة عشوائية مقدارها مائة من الطلبة المنخرطين في مؤسسات التدريب الميداني، استخدم منهج المسح الاجتماعي وأسلوب الدراسة الوصفية التحليلية، وتوفرت البيانات والمعلومات اللازمة للدراسة بأداة الاستبيان والملاحظة بالمشاركة، وخلصت الدراسة إلى أن المنهج المتبع في التدريب الميداني بالجامعات السودانية تكسب الطلبة خبرات ومهارات مهنية مقدرة، وتوفر لهم ظروف مواتية يتعرفوا من خلالها على واقع المشكلات الاجتماعية في المجتمع المحلي، وأوضحت الدراسة أيضاً وجود أثر ايجابي واضح للإشراف المهني، ومن جهة أخرى أبانت النتائج عدم وجود سياسة واضحة للتعاقد مع المؤسسات الاجتماعية التي تدرب الطلبة، وعدم وجود دليل تدريبي معتمد في أقسام الخدمة الاجتماعية مما يقلل معه من الفوائد الكثيرة المتوقعة ، وختمت بمقترحات منها ضرورة مراجعة السياسات التدريبية الحالية والسعي من أجل وضع مناهج وإجراءات تجعل من مساق التدريب الميداني في مستوى قيمته ومركزيته في تزويد الطالب بالكفاءة المهنية والخبرات التطبيقية.

6/ دراسة مها محمد نهشل وآخرون (٢٠٢١) بعنوان الصعوبات والتحديات التي تواجه طالبات الخدمة الاجتماعية خلال التدريب الميداني في مؤسسات المملكة العربية السعودية التعليمية، استخدمت الدراسة المنهج الكيفي، من خلال المقابلات شبه المنظمة معتمدة على العينة القصدية المكونة من (١٢) طالبة، كشفت الدراسة عن أبرز المعوقات المرتبطة بمؤسسة التدريب (البيئة المكانية)، وهي: صغر مساحة وحجم المؤسسة التدريبية، وعدم الاهتمام والعناية بنظافة المدرسة بصفة عامة، وعدم توافر الإمكانيات اللازمة لإقامة الأنشطة والفعاليات، ومن أبرز المعوقات المتعلقة بإدارة المدرسة، عدم استعداد المدرسة لاستقبال المتدربات، ومنع المتدربات من الاختلاط بالطالبات، أو التدخل لحل مشكلاتهن، وعدم وجود الوعي الكافي لدى المؤسسة بأهمية التدريب، وامتناع بعض المدراس عن استقبال الطالبات، ومن أبرز المعوقات المرتبطة بالمرشدة الطلابية عدم توفر التخصص للمرشدة، وعدم توفر الصفات الفطرية، والمكتسبة لدى المرشدة الطلابية، وعدم الجدية، وعدم الاهتمام بعملية التدريب، وأخيراً، كان من أبرز المعوقات المرتبطة بالمتدربات أنفسهن صعوبة التطبيق النظري على واقع الميدان، وعدم القدرة على التعامل مع الطالبات، والافتقار إلى المهارات والمعارف، وعدم توافر الصفات الفطرية، والمكتسبة المطلوبة للممارسة المهنة.

7/ دراسة عماد عبد اللطيف اشتيه (٢٠٠٩م) بعنوان معوقات الوصول إلى الجودة الشاملة في تطبيق مقررات التدريب الميداني في تخصص الخدمة الاجتماعية في جامعة القدس المفتوحة، هدفت الدراسة إلى معرفة المعوقات التي تواجه تطبيق مقررات التدريب الميداني في تخصص الخدمة الاجتماعية، وربطها بالعناصر الخمسة الرئيسة في عملية التدريب الميداني وهي (المؤسسة الاجتماعية ، والأخصائيون الاجتماعيون فيها ، والدارسون كمتدربين، والمشرفون الأكاديميون، والمناهج)، توصلت الدراسة إلى أن أكثر المعوقات المرتبطة بمؤسسات التدريب الميداني تمثلت في عدم قدرة المؤسسات على استيعاب الطلبة بسبب ازدياد عدد المتدربين، الذين يشرف عليهم الأخصائي في المؤسسة، وكثرة الأعباء التي يقوم بها الأخصائي التي تحول بينه وبين قدرته على الإشراف على المتدربين، بجانب قلة الزيارات التي يقوم بها المشرف الأكاديمي للمؤسسات لمتابعة الطلبة المتدربين، إضافة لعدم تفرغ الدارسين تفرغاً كاملاً للدراسة مما يقلل من الوقت الذي يخصصه الدارس للتدريب الميداني، وعدم اشتراك الدارس بالأنشطة والفعاليات التي تنظمها الجامعة، والمرتبطة بالتدريب الميداني.

ويتضح من خلال استقراء الدراسات السابقة إن من أهم معوقات التدريب الميداني للطلاب والمتعلقة بمؤسسات التدريب الميداني:

عدم قدرة المؤسسات التدريبية على استيعاب كافة الطلبة المتدربين بسبب ازدياد أعدادهم مقارنة بحجم وسعة المؤسسة التدريبية، إضافة لعدم تهيئة بيئة مناسبة تسهم في تطبيق كافة مناشط وخطوات وبرامج عملية التدريب الميداني، كما لا تتوفر ببعض المؤسسات وسائط التعليم من مكنتات وصالات للتربية البدنية وحدائق ومساحات للألعاب والأنشطة، وغير مجهزة بوسائل الأمن والسلامة الضرورية، بجانب الكثير من الصعوبات ذات الصلة باللوائح الإدارية المتبعة بالمؤسسات التدريبية، زيادة على ذلك تعاني بعض المؤسسات من قلة الإمكانيات المادية المتاحة وعدم توفر الأماكن اللازمة داخل المؤسسة لتحقيق أهداف التدريب، إضافة لتقليدية المؤسسات واعتمادها على مناهج غير مواكبة للتطورات الحديثة في مجالات الخدمة الاجتماعية، مما يعضد ما ذهبنا إليه في أن المؤسسة التدريبية تعتبر من الأركان الرئيسية الأربعة التي يستند عليها عملية التدريب الميداني، فبالنالي فإن أي قصور في بنائها وهيكلها الإداري الوظيفي يؤثر سلباً في قيامهما بالمهام المنوطة بها وبالتالي تأثيرها سلباً على متلقي خدماتها المهنية والأكاديمية على حد سواء.

وبناء على ما سبق يمكن تحديد مشكلة الدراسة في تحديد أهم التحديات والمعوقات التي تواجه طلاب برامج الخدمة الاجتماعية بجامعة الخرطوم والمتعلقة بالمؤسسات الاجتماعية التي يتدربون بها والتي تعوق وتحد من استفادتهم من منهج التدريب الميداني في الخدمة الاجتماعية. وعليه تطرح الدراسة التساؤلات التالية:

١/ ما هي أهم التحديات المتعلقة بالمؤسسة التدريبية والمتصلة بالجوانب الإدارية والتي تعيق عملية تدريب الطلبة

٢/ ما هي أهم التحديات ذات الصلة بالبيئة الفيزيائية للمؤسسة والتي تعيق عملية تدريب الطلبة

٤/ كيف يمكن معالجة هذه التحديات من أجل تحقيق جودة تعليم وممارسة الخدمة الاجتماعية

الهدف العام للدراسة

تهدف هذه الدراسة بصورة أساسية الي تسليط الضوء على أهم التحديات التي تحول دون تحقيق وتنفيذ برنامج التدريب الميداني لطلاب الدراسات الاجتماعية، وذلك عند العمل على تطبيق برنامج التدريب الميداني بمؤسسات الرعاية الاجتماعية.

الأهداف الفرعية للدراسة

١/ معرفة أهم التحديات المتعلقة بالمؤسسة التدريبية والمتصلة بالجوانب الإدارية والتي تعيق عملية تدريب الطلبة

٢/ تحديد أهم التحديات ذات الصلة بالبيئة الفيزيائية للمؤسسة والتي تعيق عملية تدريب الطلبة

٣/ تقديم رؤية مستقبلية ومقترحات علمية وعملية حول كيفية تحقيق جودة التعليم من خلال إعداد وتنفيذ برنامجي تدريبي طموح يحقق أهداف وتطلعات ورؤى الدارسين والعاملين ببرامج الخدمة الاجتماعية.

أهمية الدراسة

تتبع أهمية الدراسة من ضرورة وأهمية الإعداد المهني لطلبة برنامج الخدمة الاجتماعية، حيث صارت عملية الإعداد المهني ضرورة بالغة بعد أن اتسعت القاعدة العلمية للخدمة الاجتماعية بمداخلها المختلفة وطرقها ومهاراتها وبالتالي فإن هناك ضرورة للاهتمام بالإعداد المهني لاكتساب تلك المعارف والاتجاهات الحديثة من خلال التبصير بأهم العقبات التي تواجهها ومن ثم العمل على تذليلها ومعالجتها بصورة علمية، وهذا ما تحاول هذه الدراسة القيام به.

يمثل التدريب الميداني حجر الزاوية في إعداد وتأهيل الطلاب في مجالات الممارسة في الخدمة الاجتماعية، وبالتالي فإن أي خلل أو معوقات تواجه التدريب الميداني تؤثر بشكل سلبي على الممارسة المهنية للخدمة الاجتماعية، وتؤثر على مكانة الخدمة الاجتماعية بالمجتمع وتقلل من أهميتها واعتراف المجتمع بها، مما يتطلب إجراء دراسات تحليلية تستخلص منها نتائج ميدانية تبني عليها توصيات تفيد في تحقيق جودة تعليم وممارسة مهنة الخدمة الاجتماعية.

كما تبرز أهمية الدراسة في كونها تسهم في إثراء البحث العملي في مجال العلوم الاجتماعية لأهميته في تحقيق جودة ممارسة وتعليم الخدمة الاجتماعية نظرياً وتطبيقياً من خلال المساهمة في صنع سياسة علمية واحدة لمهنة الخدمة الاجتماعية ترتبط بأولويات واضحة وتستند على مناهج متفق عليها، مما سوف ينعكس إيجابياً في إثراء الإطار النظري والممارسة المهنية للخدمة الاجتماعية بشكل خاص.

المنهج المستخدم في الدراسة وأدوات جمع البيانات

قام الباحث باستخدام المنهج الوصفي التحليلي باعتباره يتناسب مع طبيعة الدراسة، وذلك لطبيعة المنهج الذي يتيح الاستعانة بمختلف الأدوات البحثية المستخدمة للحصول على البيانات بشكل دقيق وواضح، كاستخدام الملاحظة والمقابلة وتحليل الوثائق والسجلات، وبناء على ذلك تم جمع واستقاء المعلومات بالرجوع إلى الكتب والمراجع والمجلات والدوريات والنشرات والبحوث والمقالات ذات الصلة بالموضوع، بجانب ذلك استخدم الباحث أداة المقابلة بصورة رئيسية وذلك من خلال عقد المقابلات الجماعية مع الطلاب والمشرفين والإداريين والعاملين بالمؤسسات التدريبية بأسلوب يتسم بالحرية غير المقيدة في الحوار والمناقشة في تناول موضوع الدراسة.

كما استند الباحث على أداة الملاحظة بالمشاركة وذلك من خلال قيام الباحث بتسجيل عدد من الزيارات الميدانية للمؤسسات الاجتماعية التي يتدرب بها الطلبة، والقيام بملاحظة تفاعلهم وسلوكهم اثناء التدريب، وملاحظة أداء المشرفين اثناء تطبيقهم لمنهج التدريب وممارستهم لأدوارهم ومهامهم المختلفة.

عينة الدراسة والمجال المكاني والزمني للدراسة

شملت الدراسة طلاب برنامج الخدمة الاجتماعية على مستوى (درجات الدبلوم الوسط والبيكالوريوس والدبلوم العالي) بكلية الدراسات التقنية والتنمية – وكلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية بجامعة الخرطوم والبالغ عددهم مجملًا (١٢٠) طالب وطالبة، تم اختيار عينة عشوائية منتظمة تمثل كل مستوى دراسي من بينهم بلغ عددهم (٤٠) طالب وطالبة، تمت الدراسة بجامعة الخرطوم – السودان – مدينة الخرطوم في العام ٢٠٢٢م.

المفاهيم والاتجاهات النظرية للدراسة

أولاً: مفاهيم الدراسة

أ/ مفهوم التدريب الميداني Field Training

يعرف التدريب الميداني في الخدمة الاجتماعية على أنه تدريب الطلاب في المؤسسات الاجتماعية لتأهيلهم لممارسة المهنة من خلال اكتسابهم المهارات اللازمة للأخصائي الاجتماعي والتزود بالمعارف والمعلومات المهنية، أو أنه العملية التي تتم من خلال الممارسة الميدانية وتستخدم فيها أسس متعددة تستهدف مساعدة الطالب على استيعاب المعارف وتزويده بالخبرات الميدانية من خلال الالتزام بمنهج يطبق في مؤسسات وبإشراف مهني^١.

بينما يذهب الدكتور عبد المجيد نيازي إلى أن التعليم أو التدريب الميداني field instruction هو إحدى مطالب تعليم الخدمة الاجتماعية التي تستلزم قيام الطالب بالتدريب والعمل في إحدى المؤسسات الاجتماعية لفترة من الزمن تحت إشراف وتوجيه المختصين، وبالتالي فهو يعتبر جزء مهم ومكمل لبرنامج دراسة الخدمة الاجتماعية، حيث يزود الطلاب بالفرص اللازمة لممارسة الخدمة الاجتماعية بطريقة مباشرة، ويهدف إلى مساعدة الطالب في اكتساب المهارات المهنية اللازمة واكتساب القيم المهنية، وتحويل المعرفة التي تم اكتسابها في قاعات الدرس إلى مهارات مهنية تطبيقية^٢.

^١ / على، ماهر أبو المعاطي، مقدمة في الرعاية والخدمة الاجتماعية، دار الزهراء للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثانية، ٢٠١٧م، ص٢٠٨

^٢ / نيازي، عبد المجيد بن طاش محمد، مصطلحات ومفاهيم انجليزية في الخدمة الاجتماعية، مكتبة العبيكان، السعودية، الرياض، الطبعة الثانية، ٢٠٠٠م، ص١٢٧

وبناء على ما سبق يرى الباحث أن التدريب العملي هو أحد جناحي الإعداد المهني للأخصائي الاجتماعي وهو جزء أساسي ومكمل للإعداد النظري، فمن خلال التدريب العملي يتم إكساب وتدريب الطلاب على المهارات والمبادئ والقيم المهنية التي تعزز التعليم النظري في قاعات الدراسة، مما يمكنهم من أداء دورهم في بفاعلية في المستقبل، فهم بمثابة الترجمة العملية للمعارف النظرية والمهارات التطبيقية التي يحتاجها الأخصائي الاجتماعي حينما يباشر مهمته في ميدان العمل.

ب/ مفهوم البرنامج التدريبي Training Program

يعتبر البرنامج التدريبي نشاط هادف ومخطط لتحقيق أهداف العملية التدريبية خلال فترة زمنية محددة، وهو نتيجة تحديد الاحتياجات التدريبية للمتدربين ومن خلاله يتم التفاعل المتبادل بين جميع عناصر العملية التدريبية، كما يشير إلى مجموعة الإجراءات التي تصمم لمساعدة الأفراد على اكتساب المهارات والاتجاهات اللازمة لتطوير أدائهم المهني.^١

وعليه يمكن القول بأن البرنامج التدريبي هو مجموعة من العمليات والخطط والمهام والمهارات التي يتم تصميمها بواسطة متخصصين أكاديميين هدفها إكساب الطلاب المهارات والمقدرة اللازمة لعمليات التدخل المهني والممارسة المهنية الفاعلة المستندة على المعارف والعلوم النظرية التي درسها الطالب، بحيث تتوافق هذه العمليات مع مقدرات الطلاب وتلبي احتياجاتهم المعرفية.

ج/ مفهوم معوقات التدريب الميداني

يقصد بالمعوقات تلك التحديات والمشاكل التي تواجه الإنسان في سبيل تحقيق أهدافه وغاياته، ويشير الباحث في هذه الدراسة إلى أن معوقات التدريب الميداني يقصد به تلك التحديات والصعوبات التي تواجه طلاب برنامج الخدمة الاجتماعية أثناء قيامهم بتطبيق منهج العمل الميداني بإحدى مؤسسات الرعاية الاجتماعية تتعلق بالمؤسسات التي يتم فيها التدريب، والتي قد ترتبط ببعض الجوانب الإدارية والبيئية، أو بجانب تأهيل واستعداد وتخصص العاملين بهذه المؤسسات.

د/ مفهوم مؤسسات التدريب الميداني field training institutions

تعتبر المؤسسات الاجتماعية مركزاً رئيسياً لممارسة مهنة الخدمة الاجتماعية وتكامل بنائها التعليمي والمهني، خاصة وأن الخدمة الاجتماعية مهنة تطبيقية ومهنة ممارسة عملية، وبدون هذه الممارسة فلن

^١ / محفوظ ، ماجدى عاطف ، الإشراف المهني في محيط الخدمة الاجتماعية، دار الزهراء للنشر والتوزيع، السعودية ، الرياض، الطبعة الثانية، ٢٠١٣م، ص ١٧٧

يكون لها وجود فعلي في المجتمع، وبالتالي فإن المؤسسات التي يتم فيها تدريب الطلاب تعد شريكة مهمة في عملية إعداد الطلاب.^١

وفي هذا الصدد يقول الدكتور عماد عبد اللطيف اشتيه، أنه يمكن النظر للمؤسسات التدريبية من جانبين رئيسين، الأولي تتمثل في المؤسسات التي تنظم عملية التدريب، وهي المؤسسات الأكاديمية التي يناط بها عملية تعليم وإعداد الطلاب نظرياً بوضع المناهج الدراسية وتوصيفها وتحديد أسس تقييم الطلاب ، الثانية فهي المؤسسات التي يقع على عاتقها تنفيذ برنامج التدريب، وهي المؤسسات التي تعمل في مجالات الرعاية الاجتماعية بمختلف ميادينها، والتي يعمل بها مجموعة من الأخصائيين الاجتماعيين المتخصصين في عملية تأهيل وتدريب الطلاب.^٢

وبناء على ما سبق يعرفها الباحث بأنها المكان الذي يتم فيه تدريب الطلبة ميدانياً، وهي تلك المؤسسات العاملة في مجالات الخدمة الاجتماعية، سواء كانت مؤسسات أولية أو ثانوية وتقدم خدماتها المهنية داخل المجتمع، ولديها القدرة والاستعداد لاستقبال وتدريب طلبة الخدمة الاجتماعية.

ثانياً: الإطار النظري للدراسة

أهداف التدريب الميداني لطلاب الخدمة الاجتماعية

لا شك أن التدريب الميداني يحقق أهدافاً جوهرية متعددة تنصب في إكمال عملية الإعداد والتأهيل لطلاب الخدمة الاجتماعية ليكون بعد ذلك أخصائياً اجتماعياً مهنيّاً، ويشير الدكتور ماهر أبو المعاطي إلى أن من أهم أهداف التدريب الميداني لطلاب الخدمة الاجتماعية ما يلي:

- ١/ تنمية سمات شخصية الطالب المهنية وإكسابه السمات اللازمة لممارسة المهنة كالموضوعية والابتكار ... الخ، بما يمكن الطالب فيما بعد من القيام بدوره كأخصائي اجتماعي.
- ٢/ تعريف الطالب بالمؤسسات الاجتماعية المختلفة التي تعمل في مجالات الخدمة الاجتماعية والوقوف على أنشطتها وبرامجها وأهدافها ولوائحها ومعوقاتها ... الخ

^١ / على، ماهر أبو المعاطي ، الاتجاهات الحديثة في جودة تعليم الخدمة الاجتماعية مع نماذج مصرية وعربية وعالمية) الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ٢٠١٢ م

^٢ / اشتيه، عماد عبد اللطيف ، معوقات الوصول إلى الجودة الشاملة في تطبيق مقررات التدريب الميداني في تخصص الخدمة الاجتماعية في جامعة القدس المفتوحة، دراسة منشورة بالمجلة الفلسيطينية للتربية المفتوحة عن بعد، المجلد الثاني، العدد الثالث، ٢٠٠٩م، ص ٢٥٩

٣/ استيعاب الطالب لمعارف ومعلومات مرتبطة بالممارسة المهنية سواء ارتبطت بمفهوم التدريب في مجالات الخدمة الاجتماعية أو معلومات مرتبطة بمؤسسات التدريب أو معلومات مرتبطة بالمجتمع المحيط بالمؤسسة أو العملاء.

٤/ تزويد الطلاب بالخبرات الميدانية المرتبطة بالممارسة وترتبط بعمليات الخدمة الاجتماعية في طرقها سواء ارتبطت تلك الخبرات بعمليات الدراسة والتشخيص، وضع الخطة، التنفيذ، الاتصال، التسجيل، التقويم، التنسيق، البحث ... الخ، إلى جانب خبرات عامة مرتبطة بتنظيم المؤامرات وإعداد وتنفيذ الندوات، الرحلات المعسكرات...الخ

٥/ إكساب الطالب المهارات الفنية اللازمة لإعداده في المجالات المختلفة للممارسة المهنية سواء كانت مهارات عامة ترتبط بكل طرق الخدمة الاجتماعية أو مهارات خاصة ترتبط بطريقة من طرق الخدمة الاجتماعية أكثر من الطرق الأخرى.^١

٦/ تحقيق فهم أفضل وأوضح للمفاهيم النظرية بصورة عملية تطبيقية مباشرة في بيئة العمل، مع تمكينه من التفاعل مع بيئة العمل.

٧/ إكساب الطلاب الاتجاهات السلوكية التي يجب أن يتصف بها الأخصائي الاجتماعي لضمان نجاحه في عمله.

٨/ إكساب الطلاب القيم المهنية وأخلاقيات المهنة عن طريق الممارسة الميدانية ونمو الذات المهنية.

٩/ تزويد الطلاب بالخبرات الميدانية المرتبطة بعمليات الممارسة المهنية كالدراسة والتشخيص والعلاج والتقويم.

١٠/ تزويد الطلاب بمعارف وخبرات ومهارات العمل الفريقي سواء مع زملائهم أو غيرهم من المختصين في المهن الأخرى.^٢

ويشير د عائض الشهراني إلى أن طالب الخدمة الاجتماعية والذي يمثل في المستقبل الممارس المهني يكون قادرا على ممارسة المهنة بقدر ما تلقاه من تدريب على اكتساب المهارات المرتبطة بالممارسة، واكتساب قيم واتجاهات المهنة، ومن أجل ذلك يجب أن يشتمل البرنامج التدريبي على ثلاث محاور الأول

١ / على ، ماهر ابو المعاطي ،مرجع سابق، ص ٢٢٠

٢ / فهمي ، محمد سيد ، التدريب العملي والزيارات الميدانية، المكتب الجامعي الحديث، مصر، الاسكندرية، ٢٠١٢م، ص ٨

هو التخطيط للبرنامج التدريبي بعناية والثاني توزيع البرنامج على المدى الزمني، والثالث تصميم النماذج بالشكل الذي يتضمن نقل المعارف والمهارة إلى أرض الواقع، الأمر الذي يعمل على مساعدة المتدربين على اكتساب المقدرة على استخدام المعارف الجديدة، ومن ثم ممارسة المهارات التي تم اكتسابها.^١

وترتكز الخدمة الاجتماعية ك تخصص مهني قائم على الممارسة على منهج يتكون من الجانب النظري والممارسة الميدانية أثناء العمل الميداني، حيث تتاح للطلاب الفرصة لربط واختبار النظرية المكتسبة بالجوانب المهنية في مكان العمل حيث يمثل التدريب الميداني مختبراً يتم فيه اختبار النظريات التي يتم تدريسها على المستوى الجامعي وممارستها تحت إشراف ممارس مهني مؤهل حتى يتمكن الطالب من اكتساب المهارات، وبالتالي يهدف العمل الميداني إلى مساعدة الطلاب على ترجمة المحتوى النظري الذي يتم تغطيته في الفصل الدراسي إلى مواقف واقعية كجزء من إعداد الطالب ليصبح أخصائياً اجتماعياً محترفاً.^٢

وفي هذا الصدد يذهب الدكتور محمد سيد فهمي إلى أن هذه الأهداف وحدها لا تكفي ما لم تكن اتجاهات المشرف نحو عملية التدريب اتجاهات إيجابية مرتبطة بأهمية إكساب الطالب بالمهارات العملية الميدانية حتى يكون أخصائياً اجتماعياً مهنيًا، ولذلك فإنه لا بد من مراعاة بعض العوامل الضرورية مثل أهمية تعاون مشرف المؤسسة مع الطلاب ومع مشرف الكلية في تحقيق أهداف التدريب، إضافة إلى ضرورة إيمان المشرف بأهمية التدريب الميداني لطلاب برنامج الخدمة الاجتماعية، بجانب انتظامه في عقد الاجتماعات الإشرافية للقاءات مع الطلاب بصورة دورية ومنظمة.^٣

إعداد البرامج التدريبية

تعد برامج التدريب من أهم العمليات والعناصر الأساسية، التي يمكن الاهتمام بها في المؤسسات الأكاديمية والاجتماعية المختلفة، حيث تضع كافة المؤسسات برامج تعليمية وتدريبية خاصة تهدف إلى اكتساب المتدربين معارف وقدرات تأهيلية لرفع مستوى الأداء والفاعلية. ويوضح النموذج التالي الخطوات الأساسية لإعداد برنامج تدريبي وهي:

^١ / الشهراني، عائض بن سعد ابو نخاع، الخدمة الاجتماعية، شمولية التطبيق ومهنية الممارسة، خوارزم العلمية للنشر والتوزيع، السعودية، جدة ، الطبعة الثانية، ١٤٣٠، ص ٩٥

^٢ / Mohan Dash, B., & Roy, S. (Eds.). (2019). Fieldwork Training in Social Work (1st ed.). Routledge India. <https://doi-org.sdl.idm.oclc.org/10.4324/9780429297120>

^٣ / فهمي، محمد سيد، مرجع سابق، ص ٨

- ١/ تحديد أهداف البرنامج التدريبي.
- ٢/ تطوير المقاييس التي يمكن عن طريقها تقييم عملية التدريب.
- ٣/ تحديد مضمون التدريب للعاملين.
- ٤/ تصميم أساليب وإعداد مواد التدريب اللازمة.
- ٥/ تنفيذ البرنامج التدريبي على المتدربين.
- ٦/ مقارنة مستوى المتدربين بعد التدريب وفقاً للمقاييس المعيارية.^١

الإجراءات المنهجية للدراسة الميدانية

ولما كان الهدف الرئيس لهذه الدراسة هو معرفة وتحديد أهم التحديات التي تحول دون تحقيق وتنفيذ برنامج التدريب الميداني لطلاب الدراسات الاجتماعية ببرامج الخدمة الاجتماعية بجامعة الخرطوم أثناء تواجدهم بالمؤسسات الاجتماعية لتطبيق منهج التدريب الميداني، ولاعتماد الباحث على أداتي **والملاحظة والمقابلة** بصورة رئيسية، قام الباحث بعقد المقابلات الجماعية مع الطلاب والمشرفين والإداريين والعاملين بالمؤسسات التدريبية بأسلوب يتسم بالحرية غير المقيدة في الحوار والمناقشة في تناول موضوع الدراسة، كما قام الباحث بتسجيل عدد من الزيارات الميدانية للمؤسسات الاجتماعية التي يتدرب بها الطلبة، والقيام بملاحظة البيئة الإدارية والفيزيائية والمحيطية بالمؤسسة، وملاحظة أداء المشرفين والإداريين أثناء تطبيقهم لمنهج التدريب وممارستهم لأدوارهم ومهامهم المختلفة والقيام بمناقشتهم في كثير من القضايا ذات الصلة بموضوع الدراسة.

وبناء على ما سبق تم تحديد المحاور الرئيسية التي تم وصفها ودراساتها وتحليلها على نحو ما هو مبين أدناه:

أولاً/ محور القيود الإدارية بالمؤسسات التدريبية

إن من التحديات الأساسية التي تواجه عمليات التدريب بالمؤسسات الاجتماعية اعتماد بعض مديري المؤسسات التدريبية على النموذج البيروقراطي في الإدارة الذي يسير وفق قواعد وإجراءات محددة، حيث تضع بعض المؤسسات الاجتماعية شروطاً ولوائح كثيرة تتصف بالبيروقراطية، وذلك بهدف التنظيم الإداري للعمل يلتزم بها الموظفون أثناء أدائهم للمهام المخصصة لهم، بحيث إن التطبيق الصارم لهذه القوانين

^١/ باغريب، أماني عبد الرزاق، معوقات التدريب الميداني لطالبات الخدمة الاجتماعية بكلية البنات جامعة حضرموت،

دراسة منشورة بمجلة جامعة حضرموت للعلوم الإنسانية، مجلد رقم ١٦، العدد ٢، ٢٠١٩م، ص ٢١

واللوائح، يولد الروتين والجمود في التنظيم، مما قد يؤدي إلى تعقيد العمليات والخطط التدريبية وتعرق سيرها بشكل سليم وطبيعي.

وفى هذا الصدد يشير الدكتور عبد الله محمد عبد الرحمن إلى أن اتباع النموذج البيروقراطي في الإدارة من شأنه أن تلغي العديد من الخصائص والسمات الفردية مثل القدرة على الابتكار والتجديد والإبداع مما يضعف معها سرعة اتخاذ القرار وتحقيق الأهداف التنظيمية، وذلك نظرا لقيام التنظيم البيروقراطي على العقلانية والترشيد المتناهي في العمل، مما يسهم في إلغاء طبيعة الحرية والديمقراطية.^١

ومن خلال المناقشات الجماعية التي قام بها الباحث مع مجموعة الطلاب المختارين، اتفق معظمهم على أن بعض المؤسسات وتحت سلطة بعض الإجراءات الإدارية لا تسمح للطلاب بالقيام ببعض العمليات المهنية داخل المؤسسة بسهولة مثل القيام بعمليات التسجيل والدراسة والتشخيص والعلاج، أو القيام ببعض الأنشطة والبرامج الجماعية، بجانب عدم السماح لهم بالتواصل مع الحالات وأسره أثناء عملية التدريب، فعلى سبيل المثال لا يتمكن الطلاب المتدربين من القيام بالزيارات المنزلية بالرغم من أهميتها في كثير من الحالات في حيث أنها تبرز وتوضح ما لا توضحه المقابلات المؤسسية من أمور تتعلق بحياة العميل.

ومن خلال الزيارات الميدانية التي قام بها الباحث لاحظ عدم وجود أماكن مخصصة بالمؤسسات التدريبية لإجراء المقابلات المهنية بصورة عملية وعلمية، حيث يلاحظ ضيق المكاتب المخصصة لإجراء المقابلات مما يؤدي إلى تكديس الأفراد أثناء ساعات العمل، كما يلاحظ أن الأخصائيين الاجتماعيين يقومون بعقد المقابلات في هذا الجو الخانق وفي وجود الكثير من الأشخاص مما يعرض عملية سير المقابلة إلى الكثير من المقاطعة وينحرف بها عن المنهج العلمي حيث من المتفق عليه أن تقوم المؤسسات بتهيئة وإعداد مكان مناسب لإجراء المقابلات بأنواعها ومستوياتها.

ولقد أشار الدكتور سيد رمضان في هذا الخصوص بأنه يشترط على المؤسسات أن تعد مكاناً للمقابلات تسمح بانفراد الأخصائي الاجتماعي بالعمل كي يشعر العميل بأنه في مكان يهيئ له السرية التامة والحفاظ على خصوصيته، على أن تتوفر في هذا المكان كافة الشروط والظروف الفيزيائية من إضاءة وتهوية سليمة، والبعد عن الضوضاء حتى لا يؤثر ذلك في حديث العميل أو يؤدي إلى تشتيت أفكار الأخصائي الاجتماعي أو العميل.^٢

^١ / عبد الله، عبد الله محمد عبد الرحمن، إدارة المؤسسات بين النظرية والتطبيق، مكتبة المتنبى، ٢٠١٦، السعودية، الدمام،

^٢ / رمضان ، السيد ، ممارسة خدمة الفرد ،أسس عملية المساعدة ،دار المعرفة الجامعية ،القاهرة ،٢٠٠٤ ، ص ٢٥٥

وفي أحيان كثيرة لا يسمح للطلاب المتدربين بالتواجد أثناء إجراء هذه المقابلات، مما يعيق عملية اكتسابهم لمهارة إجراء المقابلة بصورة تطبيقية ومهنية، كما لا يسمح لهم في الكثير من المؤسسات من الاطلاع على الملفات الخاصة بالعملاء، حيث يتعلل المشرفين بأن هذه الملفات سرية لا يجوز الاطلاع علي محتواها بحجة تطبيق مبدأ السرية في الممارسة المهنية للخدمة الاجتماعية ، مما يحرم معه الطالب المتدرب من اكتساب مهارة التسجيل بالرغم من أهميتها في عملية الممارسة المهنية والتدخل المهني مع الحالات الفردية والجماعية في محيط عمليات الخدمة الاجتماعية.

٢/ سوء البيئة الفيزيائية بمؤسسات التدريب ومدى تأثيرها على عمليات التدريب الميداني

ويقصد هنا بالبيئة الفيزيائية تلك الجوانب ذات الصلة بالمباني والمكاتب المخصصة لتدريب الطلاب من حيث سعتها وجاهزيتها لاستيعاب الطلاب، ومدى تأثيرها على استيعابهم واكتسابهم للمعارف والخبرات المنشودة من عملية التدريب الميداني.

وحتى يتسنى تطبيق المعارف العلمية النظرية التي تلقاها الطالب بقاعات الدرس على أرض الواقع وحتى تتم عملية التدريب الميداني بطريقة سليمة فلا بد من توافر بيئة سليمة ومعافاة وطيبة مستعدة لاستقبالهم ومهيئة لاحتضانهم، ولكن يواجه العديد من الطلاب ببعض التحديات التي تعيق الاستفادة من برنامج التدريب الميداني، تتعلق بالبنيات التحتية للمؤسسات الاجتماعية محل التدريب، حيث تعاني بعض المؤسسات الاجتماعية من صغر حجم المؤسسة مقارنة بأعداد الطلبة المتدربين، فالقاعات المخصصة للتدريب لا تتناسب مع عدد المتدربين الكبير مما يؤدي إلى الزحام وعدم الانتظام بقاعات التدريب ، بجانب ضعف الإمكانيات المتاحة و عدم توفر قاعات تدريبية مزودة بالإمكانيات المادية التي تساند العملية التدريبية مثل أجهزة العرض وغيرها.

فمن خلال الزيارات التي قام بها البحث لعدد من المؤسسات الاجتماعية التي يتدرب بها الطلاب لاحظ الباحث أن بعض المؤسسات تتصف بصغر حجم المؤسسة مقارنة بأعداد الطلبة المتدربين، حيث يلاحظ ضيق المكاتب وقاعات التدريب بحيث لا تستوعب كافة الطلاب المتدربين، فالقاعات المخصصة للتدريب لا تتناسب مع عدد المتدربين الكبير مما يؤدي إلى الزحام وعدم الانتظام بقاعات التدريب، بجانب ضعف الإمكانيات المادية المتاحة وعدم توفر قاعات تدريبية مزودة بالإمكانيات المادية التي تساند العملية التدريبية مثل أجهزة العرض وغيرها.

ولا شك في أن غرف التدريب المزدحمة والتي يكون فيها عدد الطلاب المتدربين أكبر مما يتسع له المكان، بمعنى ألا يتوافر فيها المتسع الذي يحتاجه الطالب المتدرب لممارسة ألوان النشاط التعليمي

والتدريبي التي يحتاجها تشكل عائقاً أساسياً يؤثر في عملية التعلم والتحصيل وفي التفاعل والانضباط، كما أن الاكتظاظ داخل غرفة التدريب يساهم في تقليل قدرة المشرفين على ممارسة أساليب التدريب المتقدمة مما قد يكون له الأثر السلبي على سير عملية التدريب، فحتماً قلة اعداد الطلاب وتناسبها مع حجم غرفة أو مكان التدريب يوفر بيئة تعليمية أفضل بالنسبة للطلاب وتزيد من فاعلية المشرفين واداءهم لدورهم المنشود.

ومن خلال مناقشة الطلاب المبحوثين أقر معظمهم بأن المؤسسات تفتقد وبصورة واضحة البيئة المهيأة للتدريب حيث تعاني الكثير منها من ضيق المساحات المخصصة للأنشطة التدريبية المتنوعة مثل أنشطة عقد اللقاءات الإشرافية، أو القيام ببعض الأنشطة الجماعية مثل الأنشطة الترفيهية الثقافية أو الأدبية أو المعسكرات أو إقامة الندوات والمحاضرات، كما تفتقد بعضها للعدد الكافي من المنافع مثل دورات المياه مقارنة بعدد الطلاب المتدربين.

وفي هذا الصدد يري الدكتور محمد صبري فؤاد أنه ليس من المهم في المكان تأثيثه بقدر ما يجب أن تتوفر فيه السرية اللازمة والهدوء، بحيث يجب أن يكون بعيداً من الضوضاء الازدحام وأن يتسم بطابع العمل والبساطة لما يحتويه من أثاث ومعدات والبعد عن المبالغة في التزيين، كما يجب أن يكون جيد الإضاءة والتهوية^١.

٣/ افتقار مؤسسات التدريب للكوادر المهنية المؤهلة لتدريب الطلاب

لكي تتم عملية التدريب الميداني بطريقة صحيحة وتحقق الأهداف المرجوة فإنه لابد من توافر الإمكانيات البشرية المؤهلة والمتخصصة اللازمة لنجاحها، تلك الكوادر التي أعدت بصورة متخصصة لأداء هذا الدور من خلال الصقل والتدريب والتأهيل المستمر قبل وبعد الانضمام للمؤسسة التدريبية، حيث تنبع أهمية تأهيل وتدريب العاملين في مجالات تدريب طلاب برامج الخدمة الاجتماعية نظرياً وتطبيقياً من منطلق أن دور الأخصائي الاجتماعي المشرف على التدريب الميداني بالمؤسسة يتناسب طردياً مع ما لديه من حجم ونوعية المعرفة ومستوى المهارة والخبرة للقيام بما هو منوط به من مهام وأدوار، مما يظهر حاجته المستمرة إلى اكتساب المزيد من المعارف والمهارات والخبرات التي تصقل شخصيته المهنية وتجعله قادراً على أداء أدواره المهنية بكفاءة عالية.

^١ / النمر، محمد صبري فؤاد، طريقة العمل مع الافراد، العمليات والمجالات، المكتب العلمي للنشر والتوزيع، الاسكندرية

وفي هذا الشأن يري الدكتور ماهر أبو المعاطي أن من أهم التحديات التي تواجه مهنة الخدمة الاجتماعية في الدول العربية النقص الواضح في أعضاء هيئة التدريس والمشرفين المتخصصين في الخدمة الاجتماعية، حيث يوجد عجز واضح في أعضاء هيئة التدريس المتخصصين في بعض معاهد وأقسام إعداد الاختصاصيين الاجتماعيين، بل وقيام غير المتخصصين في الخدمة الاجتماعية بتدريس المقررات المهنية للخدمة الاجتماعية، مما يقلل من فاعلية الإعداد المهني وتخريج ممارسين غير قادرين على مواجهة التغيرات التي يمر بها المجتمع العربي.^١

وفي ذات الصدد أشارت الدكتورة مرضية البرديسي إلى مجموعة من التحديات التي تواجه تعليم وممارسة مهنة الخدمة الاجتماعية تتمثل في النقص الواضح في أعضاء هيئة التدريس والمشرفين الميدانيين المتخصصين، إضافة إلى عدم تفهم المهنيين من التخصصات الأخرى العاملة في مجالات الرعاية الاجتماعية لطبيعة عمل الاختصاصي الاجتماعي وكيفية الاستفادة من خبراته.^٢

كما يري (Clement Brown) أن من أكبر العقبات التي تقف أمام تطبيق مناهج التدريب بصورة سليمة في مجال تعليم وتدريب الطلاب في مجالات الخدمة الاجتماعية تتمثل في نقص الأماكن التي يمكن للطلاب أن يتعلموا فيها تعزيز وتوسيع المعرفة والمهارات التي يكتسبونها في الفصول الدراسية، فهناك نقص واضح في المؤسسات المناسبة التي يمكن تدريب الطلاب فيها وكذلك في المشرفين الأكفاء الذين يعتبرون المعلمون الميدانيون. حتى الاختصاصيين الاجتماعيين المحترفين ذوي الخبرة لا يمكنهم التدريس بفعالية إلا في مؤسسات تتمتع بمعايير عالية من الجودة والفعالية والكفاءة.^٣

ومن خلال المقابلات التي أجراها الباحث مع عدد من المشرفين بالمؤسسات الاجتماعية التي يتدرب بها الطلاب، اتضح أن بعض المشرفين على التدريب يحملون مؤهلات أكاديمية أو درجات علمية بسيطة وغير متخصصة في مجالات الخدمة الاجتماعية، ولم يتحصلوا على دورات تدريبية تؤهلهم للقيام بعمليات التدريب الميداني بصورة منهجية وعلمية، وعليه يرى الباحث أن افتقاد بعض من هذه المؤسسات إلى الكوادر المؤهلة لتدريب الطلاب على التعامل مع الفئات المستهدفة، قد يؤدي إلى الخلل في إعداد الطلاب وتأهيلهم للمستقبل.

٤/تقليدية الممارسة المهنية بالمؤسسات التدريبية

^١ / علي، ماهر أبو المعاطي، مرجع سابق ص ١٦٠

^٢ / البرديسي ،مرضية محمد، مرجع سابق، ص ١٢

^٣ / Clement Brown, S., & Gloyne, E.R. (1966). The Field Training of Social Workers: A Survey (1st ed.). Routledge. <https://doi-org.sdl.idm.oclc.org/10.4324/9781003194743/>

المنتبع لواقع الممارسة المهنية للكثير من المؤسسات الاجتماعية العاملة في مجالات الرعاية الاجتماعية بالبلاد يلاحظ قلة اهتمامها بالأخذ بالاتجاهات الحديثة في ممارسة للخدمة الاجتماعية، وعدم الاهتمام بتطوير أساليب العمل والتدخل المهني الحديثة فبالنالي تضيق الفرصة للطلاب المتدربين لمواكبة هذه الاتجاهات الحديثة والاستفادة من تطبيقها عملياً، فمؤسسات التدريب التي يقع على عاتقها تدريب وتأهيل طلاب برنامج الخدمة الاجتماعية في حاجة ماسة إلى التطوير والتحديث المستمر في أساليبها واستراتيجياتها المهنية والأكاديمية بما يضمن النهوض بالموارد البشري (الطلاب) عبر استخدام الطرق التقنية الحديثة.

وتعد مهنة الخدمة الاجتماعية من التخصصات المهنية الديناميكية والمرنة التي يمكنها التوافق مع الظروف المجتمعية المتغيرة باستمرار، فهي ليست كيان منعزل عن البيئة أو المجتمع المحيط بها، فهي تتأثر به وتؤثر فيه، وبالتالي فهي تستطيع مواكبة التطورات والتحديثات على كافة مستويات الممارسة وكل نطاقات التعليم والتدريب، ولكن بالرغم من ذلك ما زالت بعض المؤسسات الأكاديمية والمهنية تمارس نوعاً من الممارسة التقليدية التي تعتمد على النماذج والطرق التقليدية في تعليم وممارسة الخدمة الاجتماعية.

فممارسة الخدمة الاجتماعية تحتاج إلى التحرر من القوالب الجامدة والممارسات التقليدية النمطية من أجل مواجهة المشكلات الحالية التي تتسم بالتعقيد والتشابك، حيث يجب الاستفادة من الاتجاهات الحديثة في تعليم وممارسة مهنة الخدمة الاجتماعية، مثل الاستفادة من الأنماط الإدارية الحديثة في إدارة مؤسسات الخدمة الاجتماعية وزيادة الاهتمام بتكنولوجيا المعلومات Technology Information والاستخدام المكثف للحاسب الآلي وبرامجه وشبكة المعلومات الدولية، بما يساهم في مسيرة المهنة للتطورات والتحديات التي تواجهها على مستوى التعليم أو الممارسة.

ولعله من المفيد الإشارة إلى ما ذهب إليه الدكتور ماهر أبو المعاطي في أن من أهم التحديات التي تواجه مهنة الخدمة الاجتماعية في الدول العربية، تلك التحديات التي تتعرض لها المهنة سواء بالنسبة لإعداد ممارسيها أو في مجال الممارسة الفعلية في مجالاتها المتعددة، حيث يلاحظ تقليدية المؤسسات الاجتماعية العاملة في مجالات الممارسة المهنية والتي يتلقى فيها الطلاب عمليات التدريب الميداني، مازالت تمارس أساليب غير مواكبة للاتجاهات الحديثة خاصة على مستوى الممارسة، إضافة إلى عجزها في أن توفر لطلاب الخدمة الاجتماعية الذين يتدربون بها الفرص التعليمية والتدريبية الكافية والملائمة التي تمكن الطالب من اكتساب أساسيات الممارسة المهنية السليمة.^١

^١ / علي، ماهر أبو المعاطي، مرجع سابق ص ١٦٠

ومن خلال الزيارات الميدانية للباحث لعدد مقدر من المؤسسات التدريبية لاحظ الباحث أن غالبية المشرفين الميدانيين يتبعون بعض الطرق التقليدية في التدريب مثل عقد المحاضرات النظرية أو تكليف الطلاب ببعض المهام الروتينية والتي في بعض الأحيان قد تكون خارج نطاق عملية التدريب، أو تدريب الطلاب على بعض المهارات المرتبطة فقط باستخدام طرق الخدمة الاجتماعية الثلاث (فرد - جماعة - تنظيم مجتمع) دون استخدام نماذج أو نظريات أكثر تطوراً ، حيث يلاحظ عدم تدريب الطلاب على تطبيق أسلوب الممارسة العامة في الخدمة باعتباره أسلوباً حديثاً في ممارسة الخدمة الاجتماعية.

٥/ عدم تقبل إدارة المؤسسات التدريبية للطلاب وعدم التعاون معهم

من المعوقات الأساسية التي قد تواجه الطلاب هو عدم تفهم كثير من المؤسسات لطبيعة عملية التدريب الميداني والهدف منه، وبالتالي يقوم المشرفين بتكليف الطلاب ببعض المهام خارج منظومة التدريب لا تتوافق مع الطبيعة الأكاديمية للطلاب، مما يعيق الطلاب من الاستفادة من البرنامج التدريبي بصورة سليمة.

ويستند التدريب الميداني بصورة كبيرة على العلاقة المهنية التي تنشأ بين الطلاب المتدربين وزملائهم وعملائهم ومشرفيهم المباشرين، فمن المعلوم أن العلاقة بين الطلاب والمشرفين يجب أن تسودها الثقة المتبادلة والتعاون، حيث تعتبر العلاقة المهنية هي الصلة التي تنشأ بين المشرف على التدريب والطلاب أثناء عملية التدريب، فهي تعمل على تيسير التعامل بينهما حتى يتم في ظلها ومن خلالها الهدف المطلوب من عملية التدريب الميداني، فالمشرف الميداني بالمؤسسة والذي تنقصه الخبرة والكفاءة والقدرة العلمية والمهنية والتأهيل الأكاديمي المناسب قد لا يستطيع بناء علاقة مهنية رشيدة مع الطلاب المتدربين تقوم على تطبيق المبادئ المهنية بمهارة ودراية مما قد يتسبب في فشل العلاقة المهنية أو اضطرابها فيما بينهم، مما يمثل عائقاً وتحدياً كبيراً في تحقيق الهدف المنشود من التدريب الميداني.

وقد أشارت الأستاذة زردة شبيطة إلى أن من المعوقات الأساسية التي تواجه طلاب برنامج الخدمة الاجتماعية أثناء عملية التدريب الميداني عدم ترحيب بعض المؤسسات بالطلاب المتدربين خاصة مع زيادة عدد الطلاب في مجموعات التدريب على المهارات أو لعدم توفر الإمكانات اللازمة للتدريب بتلك المؤسسات مما يمثل صعوبة أمام اكتساب الطلاب للمهارات وبالتالي صعوبة في استخدامها في المواقف المختلفة في الممارسة المهنية.^١

^١ / شبيطة، زردة حسن، معوقات التدريب الميداني بمجالات الممارسة العامة في الخدمة الاجتماعية، دراسة ميدانية لطلاب جامعة القدس المفتوحة، برنامج التنمية الاجتماعية والأسرية، م، ٢٠١١، ص ١٧

وبمناقشة الطلاب حول هذه الموضوع أفاد غالبية بأن بعض المشرفين بالمؤسسات التدريبية لا يهتم بدعم وبناء هذه العلاقة المهمة، بالرغم من أهميتها، بل أن بعض المشرفين لا يتقبل وجود الطلاب بالمؤسسة ولا يشعرهم بأنهم جزء من المؤسسة، بل يعتبرهم عبء على المؤسسة ومصدر للإزعاج والفوضى وعدم الانضباط، فيتخذ منهم موقف العداء وعدم التعاون .

٦/ سوء البيئة المحيطة بالمؤسسة وصعوبة الوصول إليها

تعد البيئة الخارجية للمؤسسة ذات تأثير هام على نشاط المؤسسة، خاصة وأن أثرها يكون على جانب متلقي خدماتها (الطلاب) وعلى مقدميها (المشرفين)، فالمؤسسات الاجتماعية تتأثر بصورة مباشرة بمجموعة من العوامل البيئة الداخلية والخارجية، فالمؤسسة الاجتماعية كتنظيم إداري لا توجد في فراغ بل هي مضمنة في الإطار المجتمعي والسياسي والثقافي المحيط، وهي تتأثر بهذه العوامل وتؤثر فيها. ويؤكد ذلك رواد نظرية التوازن البيئي the environmental equilibrium theory حيث كشفت تحليلاتهم طبيعة العلاقة المتبادلة بين المؤسسات الاجتماعية أي كان نوعها والبيئة الخارجية التي توجد فيها، فهم يؤمنون بأن المؤسسة ما هي إلا نسق اجتماعي، لديه مجموعة من العمليات الداخلية والخارجية التي تتداخل مع علاقات متعددة مع البيئة الخارجية، ومن ثم يجب أن يحدث نوع من التوازن البيئي والتنظيمي الداخلي والخارجي، وذلك من أجل استمراره وتحقيق أهدافه ككل.^١

وينصب اهتمام هذا المحور في معرفة مدى ملائمة البيئة العمرانية (السكنية) التي بنيت بها المؤسسة التدريبية ومدى تأثير ذلك على عملية تطبيق منهج التدريب الميداني بها، فعلى سبيل المثال فمن ميزات أي حي سكني، هو سهولة وتعدد خيارات المواصلات للسكان والزوار على حد سواء، أو ما يعرف في علم التخطيط بالوصولية (Accessibility)، حيث تكمن أهمية التنوع في وسائل النقل في تقليل تكلفة السكن في الحي السكني، فعندما يمكن الوصول إلى الحي السكني وفق عدد من الخيارات، فإن ذلك يضيف قيمة إضافية للحي وترابطه مع المحيط، وبالتالي يسهم بصورة فاعلة في نموه وازدهاره وأمنه، وقد أشار بعض الطلاب إلى بعد أماكن سكنهم عن مكان التدريب بالمؤسسات، حيث يستغرق الوصول إليها وقت طويل وجهد مضي وتكلفة مالية مرهقة، حيث يضطر كثير من الطلاب استخدام أكثر من وسيلة للمواصلات العامة للوصول إلى مكان التدريب، وإذا أخذنا في الاعتبار عدم توفر المواصلات العامة في وقت الذروة مع الكثافة السكانية العالية التي تشهدها الخرطوم العاصمة القومية للبلاد يصبح من العسير الوصول بسهولة ويسر لكثير من الطلاب إلى مؤسسات التدريب، مما

^١ / عبد الله، عبد الله محمد عبد الرحمن ، مرجع سابق، ص ٥٨.

يكون خصماً على استعدادهم البدني والذهني لتطبيق منهج التدريب الميداني وبالتالي يؤثر على عملية الإعداد والتأهيل.

نتائج الدراسة

١/ بعض المؤسسات الاجتماعية التي يتدرب بها الطلاب وتحت سلطة بعض الإجراءات الإدارية لا تسمح للطلاب بالقيام ببعض العمليات المهنية داخل المؤسسة بسهولة، أو القيام ببعض الأنشطة والبرامج الجماعية، بجانب عدم السماح للطلاب بالتواصل مع بعض الحالات وأسره أثناء عملية التدريب، فعلى سبيل المثال لا يتمكن الطلاب المتدربين من القيام بالزيارات المنزلية بالرغم من أهميتها في كثير من الحالات في حيث أنها تبرز وتوضح ما لا توضحه المقابلات المؤسسية من أمور تتعلق بحياة العميل.

٢/ افتقار بعض المؤسسات التدريبية لأماكن مخصصة لإجراء المقابلات المهنية بصورة عملية وعلمية، حيث تعاني من ضيق المكاتب المخصصة لإجراء المقابلات مما يؤدي إلى تكديس الأفراد أثناء ساعات العمل، مما يعرض عملية سير المقابلة إلى الكثير من المقاطعة وينحرف بها عن المنهج العلمي.

٣/ إتباع بعض المؤسسات لبعض الإجراءات الإدارية واللائحة والإصرار على تطبيقها، يمثل عبء واضحة وتحدي كبير يعيق تطبيق منهج التدريب الميداني، حيث لا يسمح للطلاب المتدربين بالتواجد أثناء إجراء هذه المقابلات، ولا يسمح لهم في الكثير من المؤسسات من الاطلاع على الملفات الخاصة بالعملاء، مما يحرم معه الطالب المتدرب من اكتساب مهارة التسجيل أثناء المقابلة أو مهارات التواصل مع العملاء داخل المؤسسة أو خارجها.

٤/ تعاني بعض المؤسسات الاجتماعية التي يتدرب بها الطلاب من صغر حجم المؤسسة مقارنة بأعداد الطلبة المتدربين، بجانب ضعف الإمكانيات المتاحة وعدم توفر قاعات تدريبية مزودة بالإمكانيات المادية والتقنية التي تساعد العملية التدريبية مثل أجهزة العرض وغيرها.

٥/ تفتقد الكثير من المؤسسات الاجتماعية التي يتدرب بها الطلاب إلى الكوادر المهنية والأكاديمية المؤهلة لتدريب الطلاب، حيث يلاحظ أن بعض المشرفين على التدريب يحملون مؤهلات أكاديمية أو درجات علمية بسيطة وغير متخصصة في مجالات الخدمة الاجتماعية، ولم يتحصلوا على دورات تدريبية تؤهلهم للقيام بعمليات التدريب الميداني بصورة منهجية وعلمية مما يؤدي إلى الخلل في إعداد الطلاب وتأهيلهم للمستقبل.

٦/ إتباع غالب المؤسسات التدريبية لطرق تقليدية في تدريب الطلاب مثل المحاضرات النظرية أو تدريب الطلاب على بعض المهارات المرتبطة فقط باستخدام طرق الخدمة الاجتماعية الثلاث (فرد- جماعة - تنظيم مجتمع) دون استخدام نماذج أو نظريات أكثر تطوراً.

٧/ لا توجد بالمؤسسات الاجتماعية محل الدراسة مركز أو وحدة مخصصة للتدريب، بجانب عدم اعتماد خطة أو مناهج واضحة للتدريب، وقد يعزى ذلك لعدم التنسيق بينها وبين المؤسسة الأكاديمية، حيث يغيب الدليل أو المرشد لعملية التدريب الميداني، حيث يلاحظ أن معظم الجامعات السودانية لم تهتم بتوصيف مقرر العمل الميداني بصورة واضحة، مما يؤدي إلى خلل في التطبيق عند تنفيذ البرنامج، حيث لا يوجد ما يرشد القائم بالعمل الميداني أو المشرف على تنفيذه، مما يضطره إلى ابتداء أو ابتكار طرق ووسائل للتنفيذ حسب منظوره الشخصي أو وفق خبراته العملية، وقد تتوافق مع أهداف البرنامج وقد تختلف، وخاصة عند تقييم مستوى الطلاب تمهيدا لنقله إلى المرحلة المقبلة من التأهيل.

٨/ عدم تفهم كثير من المؤسسات لطبيعة عملية التدريب الميداني والهدف منه، وتكليف الطلاب ببعض المهام خارج منظومة التدريب لا تتوافق مع الطبيعة الأكاديمية للطلاب، إلى جانب عدم تقبل بعض المشرفين بالمؤسسة لوجود الطلاب بالمؤسسة لفترة زمنية طويلة، بل النظر إليهم كعبء على المؤسسة ومصدر للإزعاج والفوضى وعدم الانضباط.

توصيات الدراسة

١/ التدقيق في اختيار مؤسسات التدريب الميداني بحيث يضمن مطابقتها للمعايير والشروط التي تمد الطلاب بالمعارف والخبرات والمهارات المطلوبة لممارسة المهنة بصورة علمية وعملية، مع ضرورة الاهتمام بتوفير الإشراف المهني المتميز والبرامج التدريبية المخططة بصورة منهجية.

٢/ القيام بعمل مسح شامل للمؤسسات التي تقوم بتدريب الطلاب للتأكد من جاهزيتها وقدرتها على استيعاب الطلاب والمامها بمنهج التدريب وإيمانها بأهميته وضرورة تنفيذه، مع الحرص على تزويد هذه المؤسسات بنسخة متكاملة من دليل التدريب الميداني الذي تعتمده المؤسسة الأكاديمية كمنهج ودليل لإتمام عملية التأهيل المهني لطلابها، وذلك حتى يتسنى للمشرفين والإداريين بالمؤسسة التدريبية معرفة الدور المطلوب منهم بصورة تفصيلية، ومن ثم يسهل عليهم القيام به على ضوء ما جاء بالدليل الإرشادي.

٤/ يجب أن تسبق عملية التأهيل والتدريب للطلاب تنسيق وتنظيم ما بين مؤسسات التعليم العالي ومؤسسات الرعاية الاجتماعية حتى يتسنى وضع خطط للتأهيل والتدريب بصورة متكاملة ووفق رؤية ومنهج مشترك يراعى فيها المصالح العامة والأهداف المنشودة، وذلك من خلال الحرص على قيام منسقي التدريب بالمؤسسات الأكاديمية بتسجيل زيارات دورية قبل وبعد توزيع الطلاب بالمؤسسة، وعقد جلسات واجتماعات تنسيقية مع المشرفين والطلاب والاتفاق على خطة التدريب التفصيلية بما يضمن تحقيق معايير الجودة

ومتطلباتها، وهذا يستلزم مراجعة خطط التدريب الحالية وتقويمها وتحديثها بما يضمن تحقيق أهداف التدريب الميداني.

٥/ النظر إلى عملية التدريب الميداني للطلاب باعتبارها عملية متكاملة ومتداخلة ومستمرة بين مؤسسات التعليم العالي ومؤسسات الممارسة المهنية، مع أهمية أن تستند سياسة التدريب في المؤسسات الاجتماعية على ضرورة توفر تخطيط علمي يوضح الأهداف والأنشطة والمدى الزمني للتدريب لأن ذلك حتما يساعد على وضع إطار عام للعملية التدريبية وتحديد الزمن المطلوب للتنفيذ.

٦/ الاهتمام بوضع خطة متكاملة الجوانب متناسقة الأجزاء تتوحد فيها الرؤى فيما يختص بتدريب وتأهيل وإعداد الطلاب يراعى فيها أن تتقارب مناهج إعداد وتأهيل الكوادر بالمؤسسات التعليمية.

٧/ ضرورة أن تتولى الجهات المسؤولة في الدولة تأسيس مراكز متخصصة لتدريب وتأهيل الكوادر العاملة داخل المؤسسات الاجتماعية والذين يقع على عاتقهم تدريب طلاب برامج الخدمة الاجتماعية، مع الوضع في الاعتبار ضرورة أن تضمن في خطط هذه المراكز إعداد مدربين (TOT) لتدريب الفئات المستهدفة من الطلاب والكوادر العاملة.

٨/ يجب أن تهتم الدولة بتخصيص ميزانيات مالية لهذه المراكز التدريبية تفي بالغرض المنشود من عملية التدريب، وتعمل على توفير كل المعينات المطلوبة لتفعيل عمل هذه المراكز، مع الحرص على ربط هذه المراكز ببعضها وبالمراكز في الدول الأخرى ذات التجارب الشبيهة عبر عملية تشبيك قوامها وحدة البرامج والخطط والأهداف والأنشطة وتبادل الخبرات حتى لا تعمل هذه المراكز وكأنها تعمل في جذر منعزلة عن بعضها البعض.

٩/ العمل على تخفيض عدد الطلاب بالشعب عند توزيع الطلاب بالمؤسسات التدريبية حتى يتسنى للمشرفين القيام بمسؤولياتهم وتحقيق الفائدة المرجوة من التدريب الميداني، بجانب توزيع الطلاب بالمؤسسات القريبة من أماكن السكن، والتي تتوفر بها السلامة والأمن والبيئة المحيطة التي تنسم الرقي الحضري الجيد.

١٠/ إعادة صياغة وتوصيف المقررات النظرية التي تدرس بالكليات لتتوافق مع طبيعة واقع التدريب الميداني وتتفق مع محاور وأهداف التدريب الميداني مع ربط المقررات بمدخل مجالات الممارسة المهنية باعتباره من أنسب المداخل التي يمكن أن تستخدم بكفاءة وعلمية، مع الأخذ في الاعتبار إعادة النظر في المجالات التي تدرس للطلاب حاليا ويتم التدريب عليها والتركيز على المجالات ذات الأولوية التي تشكل احتياجات أساسية للمجتمع وتحقق أهدافه المنشودة.

المراجع باللغة العربية

- 1/ السيد رمضان ،ممارسة خدمة الفرد ،أسس عملية المساعدة ،دار المعرفة الجامعية ،القاهرة ،م ٢٠٠٤.
- 2/ الشهراني، عائض بن سعد ابو نخاع ، الخدمة الاجتماعية، شمولية التطبيق ومهنية الممارسة، خوارزم العلمية للنشر والتوزيع، السعودية، جدة ، الطبعة الثانية، ٢٠١٨م.
- 3/ النمر، محمد صبري فؤاد ، طريقة العمل مع الأفراد ،العمليات والمجالات ، المكتب العلمي للنشر والتوزيع، الإسكندرية، بدون تاريخ.
- 4/ عبد اللطيف، سوسن عثمان وآخرون ، التدريب في الخدمة الاجتماعية ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٩٨م.
- / عبد الله، محمد عبد الرحمن، إدارة المؤسسات بين النظرية والتطبيق، مكتبة المتنبى، السعودية، ٢٠١٦ 5
- 6/ نيازي، عبد المجيد بن طاش محمد ، مصطلحات ومفاهيم انجليزية في الخدمة الاجتماعية، مكتبة العبيكان، السعودية، الرياض، الطبعة الثانية، ٢٠٠٠م.
- 7/ على، ماهر أبو المعاطي ، مقدمة في الرعاية والخدمة الاجتماعية، دار الزهراء للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثانية، ٢٠١٧م
- 8/ على، ماهر ابو المعاطي، الاتجاهات الحديثة في جودة تعليم الخدمة الاجتماعية مع نماذج مصرية وعربية وعالمية (الإسكندرية، المكتب الجامعي، بدون تاريخ
- 9/ فهمي، محمد سيد، التدريب العملي والزيارات الميدانية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية ،مصر، ٢٠١٢

المراجع باللغة الانجليزية

- 1/ Mohan Dash, B., & Roy, S. (Eds.). (2019). Fieldwork Training in Social Work (1st ed.). Routledge India. <https://doi-org.sdl.idm.oclc.org/10.4324/9780429297120>
- 2/ Clement Brown, S., & Gloyne, E.R. (1966). The Field Training of Social Workers: A Survey (1st ed.). Routledge. <https://doi-org.sdl.idm.oclc.org/10.4324/9781003194743>
- 3/ Nair, R., Juvva, S., & Nadkarni, V.V. (Eds.). (2019). Field Instruction in Social Work Education: The Indian Experience (1st ed.). Routledge India. <https://doi-org.sdl.idm.oclc.org/10.4324/9780367810320>

الرسائل والدراسات

- ١/ إبراهيم الهلالات، معوقات التدريب الميداني لدى طلبة العمل الاجتماعي في الجامعة الأردنية، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد رقم ٤٢، ٢٠١٥
- 2/ أبو الحسن، أحمد صلاح الدين، معايير اختيار مؤسسات التدريب الميداني للطلاب لمعلمين بقسم التربية الخاصة في ضوء مدخل الجودة، المجلة العربية لضمان جودة التعليم الجامعي، العدد ١١، ٢٠٢٣م
- 3/ أشتية، عماد عبد اللطيف، معوقات الوصول إلى الجودة الشاملة في تطبيق مقررات التدريب الميداني في تخصص الخدمة الاجتماعية في جامعة القدس المفتوحة، دراسة منشورة بالمجلة الفلسطينية للتربية المفتوحة عن بعد، المجلد الثاني، العدد الثالث، ٢٠٠٩م

- 4/ البرديسي ، مرضية محمد ، مدى ملائمة تعليم الخدمة الاجتماعية لممارستها في المجتمع السعودي، سلسلة الرسائل الجامعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ٢٠٠٩م
- 5/ باغريب، أماني عبد الرزاق ، معوقات التدريب الميداني لطالبات الخدمة الاجتماعية بكلية البنات جامعة حضرموت، دراسة منشورة بمجلة جامعة حضرموت للعلوم الإنسانية ، مجلد رقم ١٦، العدد ٢، ٢٠١٩م
- 6/ رضوان، محمود على محمود، معوقات جودة التدريب الميداني لطلاب الخدمة الاجتماعية، مجلة كلية الخدمة الاجتماعية للدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الفيوم، مصر ، العدد الواحد والعشرون، ٢٠١٩م
- 7/ شبيطة، زردة حسن، معوقات التدريب الميداني بمجالات الممارسة العامة في الخدمة الاجتماعية، دراسة ميدانية لطلاب جامعة القدس المفتوحة، برنامج التنمية الاجتماعية والأسرية، ٢٠١١م
- 8/ محفوظ، ماجدي عاطف، الإشراف المهني في محيط الخدمة الاجتماعية، دار الزهراء للنشر والتوزيع، السعودية ، الرياض، الطبعة الثانية، ٢٠١٣م
- 9/ نهشل، مها محمد ، الصعوبات والتحديات التي تواجه طالبات الخدمة الاجتماعية خلال التدريب الميداني في مؤسسات المملكة العربية السعودية، مجلة أم القرى العدد ٤ مجلد ١٣، ٢٠٢١م
- 10/ همت، مكية جمعة أحمد، واقع التدريب الميداني لطلبة الاجتماع والخدمة الاجتماعية بالجامعات السودانية، دراسة ميدانية من وجهة نظر الطلبة المتدربين، مجلة دراسات في الخدمة الاجتماعية والعلوم الإنسانية، جامعة حلون، العدد ٣٦ المجلد رقم ١، ٢٠١٤

تلوث الهواء وأمراض الصدر بمدينة كوم امبو

بالاعتماد على البيانات الجيومكانية وتقنيات نظم المعلومات الجغرافية

Air Pollution and Respiratory Diseases in Kom Ombo City: Leveraging Geospatial Data and Geographic Information Systems Techniques

د. محمد أحمد محمد محمود عبود

مدرس الجغرافيا الاقتصادية ونظم المعلومات الجغرافية المنتدب بجامعة أسوان

DR. Mohamed Ahmed Mohamed Mahmoud Aboud

Lecturer of Economic Geography and Geographic Information Systems, Aswan
University

aboudkarem@gmail.com

ملخص

يعتبر الهواء النقي من أهم احتياجات الإنسان على سطح الأرض لذلك يعد تلوث الهواء مشكلة بيئية خطيرة تؤثر على العديد من المدن حول العالم، بما في ذلك مدينة كوم أمبو. وتلعب الصناعة وحركة المرور والنشاط البشري العام دورًا رئيسيًا في توليد هذا التلوث.

تعتبر مدينة كوم أمبو من المدن التي تعاني من مشكلة تلوث الهواء بشكل خاص، حيث ينتج هذا التلوث من القطاع الصناعي بالأخص مصنعي السكر والخشب الحبيبي، والحركة المرورية الكثيفة واستخدام الوقود الأحفوري للطاقة من بين أهم المصادر للتلوث.

يتسبب تلوث الهواء في كوم أمبو في تراكم مجموعة متنوعة من الملوثات الجوية في الغلاف الجوي، مثل غازات ثاني أكسيد الكربون، وأكاسيد النيتروجين، والجسيمات العالقة في الهواء والتي تؤثر هذه الملوثات بشكل مباشر على جودة الهواء وصحة سكان المدينة.

أحد التأثيرات الرئيسية لتلوث الهواء في كوم أمبو هو زيادة حالات الأمراض التنفسية، بما في ذلك الصدرية والرئوية. يعاني الأفراد الذين يعيشون في هذه البيئة الملوثة من زيادة في الأمراض المزمنة مثل الربو والانسداد الرئوي المزمن، مما يؤثر على جودة حياتهم ويزيد من تكاليف الرعاية الصحية.

لمواجهة هذه المشكلة، تتطلب مدينة كوم أمبو تبني سياسات بيئية صارمة وتعزيز الوعي بأهمية حماية البيئة والحفاظ على نظافة الهواء. من خلال اعتماد تكنولوجيا نظيفة وتشجيع استخدام وسائل النقل العامة وتشجيع الطاقة المتجددة، يمكن تقليل تأثيرات تلوث الهواء وبالتالي تحسين صحة سكان المدينة وجودتهم الحياتية.

وتم تناول موضوع الدراسة في أربع مباحث رئيسية اولها مصادر تلوث الهوائي بمدينة كوم امبو، وثانيها الأمراض الناجمة عن التلوث الهوائي بمدينة كوم أمبو، وثالثها تقييم الاثر البيئي لصناعة السكر في مدينة كوم امبو واخرها الحلول المقترحة لمشكلة التلوث الهوائي بمدينة كوم امبو.

واعتمدت الدراسة على مناهج عدة منها: المنهج الاستقرائي الاستدلالي، والتعاشي بالمنطقة، إلى جانب استخدام بعض البرامج الإحصائية بالدراسة، وذلك لاستخراج الأشكال المختلفة و إيجاد العلاقات المتباينة و إنتاج الخرائط.

كلمات مفتاحية : التلوث – الجيومكانية – أمراض الصدر – الأثر البيئي.

Abstract

Clean air is considered one of the most essential needs for humans on Earth, which is why air pollution is a serious environmental problem affecting many cities worldwide, including Kom Ombo. Industries, traffic, and general human activities play a significant role in generating this pollution.

Kom Ombo is considered one of the cities suffering particularly from air pollution, where this pollution mainly stems from industrial sectors, heavy traffic, and the use of fossil fuels for energy.

Air pollution in Kom Ombo leads to the accumulation of a variety of air pollutants in the atmosphere, such as carbon dioxide, nitrogen oxides, and particulate matter, directly impacting air quality and the health of the city's residents.

One of the primary effects of air pollution in Kom Ombo is the increase in respiratory diseases, including bronchial and pulmonary diseases. Individuals living in this polluted environment experience a rise in chronic diseases such as asthma and chronic obstructive pulmonary disease, affecting their quality of life and increasing healthcare costs.

Addressing this issue requires Kom Ombo to adopt strict environmental policies and raise awareness of the importance of environmental protection and maintaining air cleanliness. By implementing clean technology and promoting the use of public transportation and renewable energy, the effects of air pollution can be reduced, thus improving the health and quality of life for the city's residents.

The study addressed four main topics, the first of which is the sources of air pollution in Kom Ombo City. The second discusses the diseases resulting from air pollution in Kom Ombo City, while the third evaluates the environmental impact of the sugar industry in Kom Ombo City. The last topic covers the proposed solutions to the air pollution problem in Kom Ombo City

The study relied on several methodologies, including inductive reasoning and area immersion, as well as the use of statistical programs to extract various forms, identify contrasting relationships, and produce maps."

Key words: Pollution - Geographical analysis - Respiratory diseases - Environmental impact.

مقدمة :

تتعم محافظة أسوان بهواء نظيف ونقي بصورة عامة وتشير البيانات المتاحة إلى أن الهواء في مدينة أسوان يتوافق مع معايير جودة الهواء كما ينص عليه القانون رقم ٤ لعام ١٩٩٤، ومع ذلك ربما تحدث مشكلات في تلوث الهواء في المنطقة المحيطة بمصنع كيما في مدينة أسوان. ومشكلة تلوث الهواء مشكلة خطيرة ترتبط بمصانع السكر في كل من كوم أمبو وادفو ومصنع الفيروسيلىكون في ادفو. الهواء في كوم أمبو وادفو ملوث بالجسيمات الصغيرة في المناطق المحيطة بالمصانع. وعلي نطاق أقل فإن تلوث الهواء في المناطق السكنية ينتج عن حرق المازوت في المخابز وحرق قمائن إنتاج الطوب والمخلفات الصلبة وكذلك عادم السيارات.

وبما أن تلوث الهواء من القضايا التي أضحت تؤرق الإنسان في جميع المجتمعات لا سيما أن الهواء يعتبر ضروريا للإنسان شأنه شأن الماء، بل هو أكثر أهمية وضرورة.

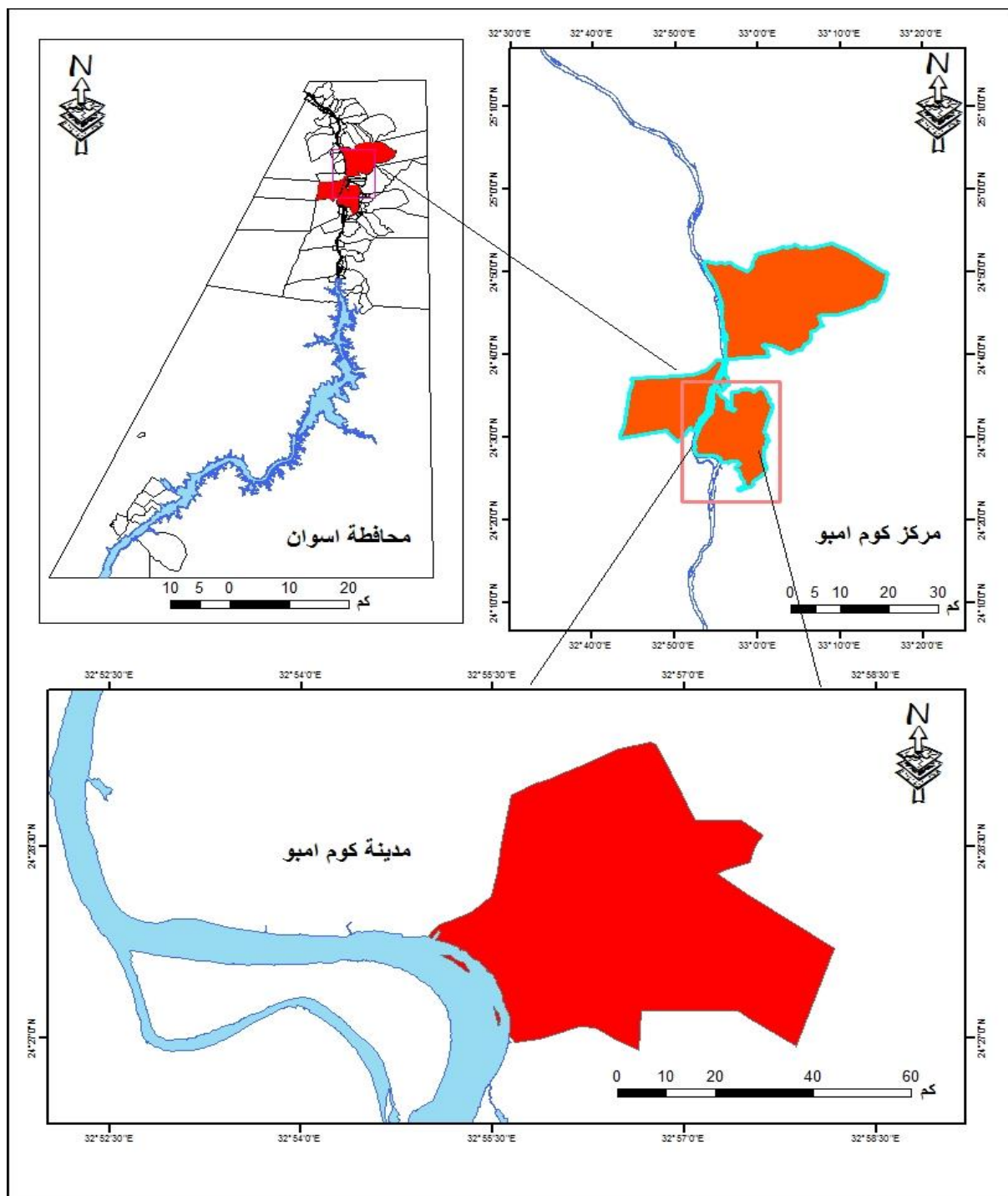
ولم يعد الهواء بذلك النقاء والصفاء الذي خلقه الله عليه، بل امتدت إليه يد البشر عابثة، فاختل التوازن واهتز هذا النظام الدقيق، فكانت المعامل والمصانع ووسائل النقل ومحطات توليد الطاقة والاستخدامات المنزلية، هذه المصادر تثبت يوميا آلاف الأطنان من الملوثات المختلفة إلى الهواء دون وجود أي ضوابط أو عوائق وأصبح الغلاف الجوي مدفنا أو مكب نفايات غازية. والإنسان هو الذي يتنفس هذا الهواء الملوث فهو الذي صنع المشكلة، وهو الذي تحمل مسئوليتها وهو الذي تلقى آثارها سلبا على صحته، وما يحدث في مدينة كوم أمبو خير دليل على ذلك فهي مدينة صناعية بالمقام الأول وتجارية بالمقام الثاني إلا أنها تزف الحزن والبأس لأهلها فهي مدينة ملوثة وموبوءة وفي هذا البحث سوف نتحدث عن أهم المشكلات التي جعلت منها مدينة غير صحية وأثر ذلك على صحة الإنسان والأمراض المرتبطة بها.

أولاً الإطار المكاني :

مركز كوم أمبو أحد مراكز محافظة أسوان الخمس ومدينة كوم أمبو هي المدينة الوحيدة داخل المركز ويقع شمال مركز أسوان بحوالي ٤٠ كيلومترا ويمتد على ضفاف نهر النيل بمساحة ٢٠ كيلوم متر مربع يحده

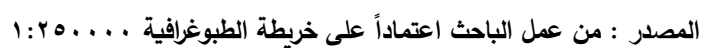
من الشمال مركز كلابشة ومن الشرق مركز نصر النوبة ومن الغرب الصحراء الغربية ومن الجنوب مركز دراو وتضم أكبر عدد للقرى يبلغ ٢٦ قرية ومدينة واحدة هي محل الدراسة وبها معبد كوم أمبو الشامخ على الضفة الشرقية للنيل كما هو موضح بالشكل (١)، أما عن مدينة كوم أمبو فيقع في شمالها قرية منيعة والسبيل وجنوبها مركز دراو وقرية الشطب وشرقا قرية العباسية ونمرة ٧ قبلي وغربا نهر النيل، وتمتد فلكيا بين ٢٨ ٢٤ شمالا ٥٧ ٣٢ شرقا هي تعتبر مركزا تجاريا كبيرا كما هو واضح من الشكل (٢)، ويبلغ عدد سكان مركز كوم أمبو ٤٠٥٢٤٩ نسمة حسب تقدير السكان لعام ٢٠٢٠^١، ويبلغ عدد سكان مدينة كوم أمبو ١١٢٤٨٢ نسمة أي بنسبة ٢٧ ٧ % من سكان مركز كوم أمبو معرضون جميعهم للإصابة بأمراض الصدر نظرا للظروف البيئية المتعلقة بالهواء الملوث الذي يستنشقه يوميا.

(١) محافظة أسوان ، الادارة العامة لمركز نظم المعلومات والدعم واتخاذ القرار ،الدليل الاحصائي ،٢٠٢١ ، ص٣٨



المصدر : من عمل الباحث اعتماداً على الخريطة الطبوغرافية ١:٥٠.٠٠٠

شكل (١) موقع مدينة كوم امبو بالنسبة لمحافظة اسوان ومركز كوم امبو



شكل (٢) التقسيم الإداري لمركز كوم أمبو

ثانياً الاطار النظري والدراسات السابقة

عرف خبراء منظمة الصحة العالمية تلوث الهواء بأنه الحالة التي يكون فيها الجو خارج أماكن العمل محتويًا على مواد بتركيزات تعتبر ضارة بالإنسان أو بمكونات بيئته، وعلى ذلك يقصد بتلوث الهواء احتواءه على ملوثات أو عدة ملوثات بكميات مؤثرة، ولفترة زمنية قد يكون لها تأثير على صحة الإنسان أو الحيوان أو النبات، أو المحيط الحيوي الذي يعيش فيه الإنسان^(١)

ويعد الهواء ملوثًا إذا حدث تغيير في تركيبه لأي سبب، وإذا ما اختلطت به بعض الشوائب أو الغازات الأخرى بمقدار قد يضر بالحياة^(٢).

كما أن تلوث الهواء يكون بأي تغير كمي أو كيفي يطرأ على عناصره، أو تركيبه، يكون له أثر سيئ على صحة الإنسان، أو على مصالحه الاقتصادية، أو يكون له أثر يحدث خللاً في الانتظامات البيئية.

ويتلوث الهواء عندما تتواجد فيه مادة أو أكثر غازية، أو صلبة، أو سائلة، وعندما يحدث تغير هام في نسب الغازات المكونة له، بحيث تؤدي هذه التغيرات إلى تأثيرات ضارة، مباشرة أو غير مباشرة على المواد الحية المكونة للنظام البيئي، أو تجعل الظروف التي تعيش فيها هذه الكائنات غير ملائمة أو تسبب خسائر مادية^(٣)

وقد عرف المجلس الأوروبي تلوث الهواء بالتالي: يقال إن هناك تلوثًا في الهواء عندما تظهر مادة غريبة أو يحدث تبدلاً هاماً في نسبة عناصره يؤدي لنتيجة ضارة أو إلى خلق مرض أو تضاييق^(٤).

بالرغم أن التلوث ظاهرة واضحة المعالم بمدينة كوم أمبو إلا أنه لم تقم دراسة واحدة أكاديمية لهذه الظاهرة إلا أنها اقتصر على بعض التقرير الخاصة بوزارة البيئة إلا أن هناك بعض الدراسات عن مركز كوم أمبو أو جاءت متضمنة مركز كوم أمبو بصفة عامة وكانت أحدثها على سبيل المثال لا الحصر:

١- دراسة أشرف أحمد على، العمران الحضري في مركز كوم أمبو، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة طنطا، ٢٠١٢ وتحدث فيها عن النمط العمراني وتوزيعه.

(١) أحمد عبد الجواد، تلوث الهواء، الطبعة الأولى، الدار العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩١، ص ٢٣-٢٥.

(٢) عدنان البياتي، تلوث الهواء في الوطن العربي بين ضرورات التنمية وسلامة البيئة، مجلة شئون عربية، العدد ٧٩، ١٩٩٤، ص ١٦٠-١٧٢.

(٣) محمد العودات، التلوث وحماية البيئة، الطبعة الأولى، الأهالي للنشر والتوزيع، دمشق، ١٩٨٨، ص ٤٣.

(٤) عبد الرحمن حميدة، التلوث، أبعاده وأخطاره، مجلة كلية العلوم الاجتماعية، مجلد ٣٥، ص ٥٥٢.

٢- دراسة هبة صلاح الدين سيد حمزة، المشكلات البيئية بالجزر النيلية من السد العالي إلى كوم أمبو، دراسة بيئية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، ٢٠١٤ وتحديث فيها عن أهم المشكلات المتعلقة بالجزر

٣- دراسة محمد أحمد محمد محمود، السياحة في محافظة أسوان، دراسة في جغرافية السياحة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة طنطا، ٢٠١٥ وتكلم في الفصل الخامس عن أهم المشكلات التي تواجه السياحة في محافظة أسوان بوجه عام.

ثالثا أسباب الدراسة:

تلوث الهواء يعتبر من أخطر قضايا التلوث، وتعود أهمية الدراسة إلى:

١- أن الهواء أكثر الموارد أهمية بالنسبة للإنسان، وأن أي تلوث بأي نسبة لأي عنصر من العناصر من شأنه أن يدخل مع الهواء إلى جوف الإنسان محدث الكثير من الأضرار والأمراض التي تصيب الإنسان؛ ذلك أن الإنسان يتنفس على مدار ٢٤ ساعة في اليوم، وأن ملوثات الهواء هي ملوثات تبقى داخل جسم الإنسان ولا يطرح منها خارج الجسم إلا القليل.

٢- حاجة الإنسان الماسة للهواء، فهو يستهلك يوميا حوالي ١٥ كجم من الهواء، في الوقت الذي يستهلك فيه حوالي ٣ كجم من الماء، وحوالي كيلو جرام واحد من الغذاء.

٣- إن الإنسان لا يستطيع أن يصبر على انقطاع الهواء أكثر من ثلاث دقائق، في الوقت الذي يستطيع أن يصبر فيه على الجوع أسابيع، وعلى العطش أياما.

٤- يستطيع الإنسان أن يتجنب أكل الغذاء الفاسد، كما يتجنب شرب الماء الملوث، ولكنه لا يستطيع بأي حال من الأحوال إلا أن يتنفس الهواء المتوفر مهما كانت نوعيته، ودرجة تلوثه.

٥- البيئة الملوثة التي يعيش فيها الباحث، مما يسمح له استخدم ما المعاشية الفعلية للظاهرة موضع الدراسة ووضع مقترحات وحلول لتلك المشكلة، فالمحافظة على الهواء بمدينة كوم أمبو يعتبر مسؤولية فردية وجماعية، كما هي مسؤولية وطنية وعالمية على حد سواء.

رابعا أهداف الدراسة:

- ١- التعرف على حقيقة الملوثات الهوائية وطبيعتها في مدينة كوم أمبو.
- ٢- التعرف على أهم الأضرار والأمراض التي يلحقها تلوث الهواء بالإنسان وصحته وممتلكاته في مدينة كوم أمبو
- ٣- وضع تقييم الاثر البيئي لتلوث الهواء في مدينة كوم أمبو.
- ٤- عمل buffer للمناطق التي تعاني من المشكلة تلوث الهواء.
- ٥- العمل على وضع بعض المقترحات والحلول لمعالجة مشكلات التلوث الهوائي في مدينة كوم أمبو

خامسا المناهج والأساليب:

أعتمد الباحث على عدة مناهج منها على سبيل المثال المنهج الموضوعي و المنهج التاريخي والوصفي واستخدم العديد من الاساليب مثل الاسلوب الكمي والكارتوجرافي باستخدام نظم المعلومات الجغرافية والاستشعار من بعد.

معايير الهواء النقي الطبيعي :

الله سبحانه وتعالى خلق الكون ووضع فيه كل شيء بقدر فقال : " إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ " (١) . ومن أعظم ما خلق الله سبحانه وتعالى في هذا الكون هو الهواء ، وهو موجود في الغلاف الجوي بقدر موزون على شكل غازات بنسب طبيعية متفاوتة ليس لها أي آثار سلبية على الأحياء .

وهذه الغازات هي :

- | | |
|---------------------------|----------------------------------|
| -النيتروجين بنسبة | ٧٨.٠٧٪ من حجم الهواء . |
| -الأكسجين بنسبة | ٢٠.٩٥٪ من حجم الهواء . |
| -الآرجون بنسبة | ٠.٩٣٪ من حجم الهواء . |
| -الكريبتون بنسبة | ٠.٠٠٠١٪ من حجم الهواء . |
| -لهيدروجين بنسبة | ٠.٠٠٠٥٪ من حجم الهواء . |
| -الهيليوم بنسبة | ٠.٠٠٠٥٪ من حجم الهواء . |
| -النيون بنسبة | ٠.٠٠١٨٪ من حجم الهواء . |
| -ثاني أكسيد الكربون بنسبة | ٠.٠٣٪ على الأكثر من وزن الهواء . |

(١) سورة القمر ، آية : ٤٩ .

-الأوزون بنسبة

٠.٠٠٠٠٠٢٪ من وزن الهواء .

فأي زيادة أو نقصان يحدثه الإنسان ، أو تحدثه الطبيعة ، وأي تغيير كمي أو تغيير كيميائي في هذه المكونات الطبيعية للهواء سيؤدي إلى تلوثه لا محالة^١.

قام الباحث باعتماده على عدة خطوات أولاً مصادر تلوث الهواء بمدينة كوم أمبو - ثانياً الآثار الناجمة عن التلوث الهوائي بمدينة كوم أمبو - ثالثاً تقييم الأثر البيئي لصناعة السكر - رابعاً الحلول المقترحة لمشكلة التلوث الهوائي بمدينة كوم أمبو وختم بحثه بالنتائج والتوصيات

المبحث الأول: مصادر تلوث الهوائي بمدينة كوم أمبو :

تنقسم مصادر تلوث الهواء في مدينة كوم أمبو إلى قسمين رئيسيين، وهي إما مصادر طبيعية ليس للإنسان أي تدخل فيها ، أو مصادر بشرية بفعل نشاطات الإنسان المختلفة .

أولاً : المصادر الطبيعية لتلوث الهواء بمدينة كوم أمبو :

وهي المصادر التي تتجم عن الطبيعة دون تدخل الإنسان فيها، وهي إما أن تكون صلبة، أو سائلة أو غازية، وتنحصر مصادر التلوث الطبيعي للهواء بالآتي :

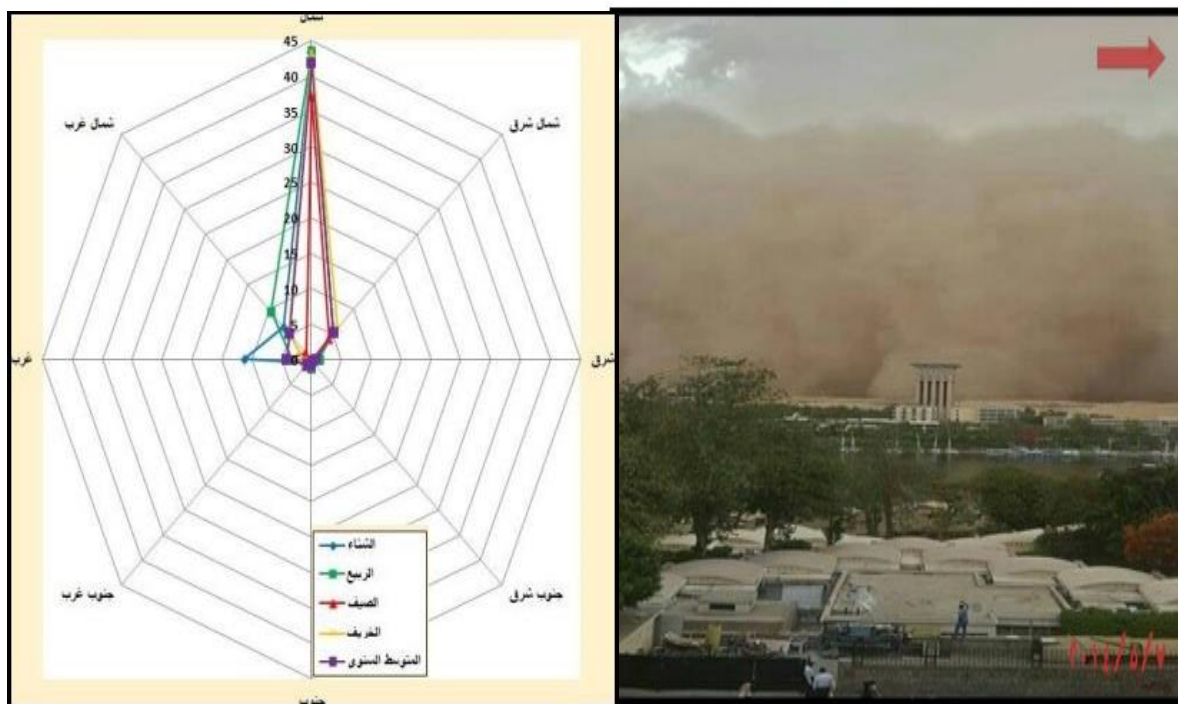
(١) الرياح والعواصف الترابية :

تلعب الرياح والعواصف دوراً هاماً في تلوث الهواء لما تحمله من تراب، وغبار، ورمال، ويبدو دورها واضحاً في المناطق الجافة، والأراضي القاحلة، التي تحيط بمركز كوم أمبو بصفة عامة حيث تقوم الرياح المصاحبة للعواصف والتي تنطلق غالباً بموازاة سطح الأرض بحمل كميات هائلة من الرمال من سطح التربة الصحراوية؛ وذلك لأنها لا تجد أمامها عائقاً يمنعها، كما لا توجد نباتات تحمي هذه التربة وتؤدي إلى تماسكها، وقد تحمل الرياح هذه الرمال والأتربة إلى مسافات بعيدة جداً لتسقطها في النهاية على مدينة كوم أمبو والأراضي الزراعية وقد تدمر ما بها من محاصيل ، ومن أمثلة الرياح التي تؤثر في تلوث الهواء رياح الخماسين، والتي تهب بصفة عامة على شمال مصر في بداية الصيف من كل عام كما هو موضح في الصورة رقم (١) والشكل (٣) حيث إن الرياح تلعب دوراً هاماً في نقل مؤثرات الصناعة على الجهة الجنوبية

(١) يسرى دعيبس، تلوث البيئي وتحديات الوجود ، سلسلة التنمية والبيئة، ١٩٩٥، ص ٥٨

بشكل كبير من مدينة كوم أمبو وهذا الآن معظم اتجاهات الرياح تأتي من المال بالمقام الأول كما هو موضح في ورده الرياح خلال السنة.

كما أن الرياح تلعب دورا كبيرا في نشر الملوثات بكوم أمبو حيث إن معظم الرياح شمالية بالمقام الأول مما يتسبب في نشر ملوثات مصنعي السكر والخشب الحبيبي في المناطق الجنوبية المتاخمة للمصنعين الأكثر تضررا من باقي الجهات الأخرى، كما أن ضعف وقوة الرياح يؤثر على مدى انتشار الملوثات فإذا كانت الرياح ضعيفة يكون نصيب المنطقة الجنوبية أضعاف المناطق الأخرى فيشبه بواقى عملية احتراق المصاص (الهفوت) بمثابة رحات مطر تهبط على تلك المنطقة حتى ٥ كيلو جنوبا بينما في حالة قوة الرياح وزيادة سرعتها فإن تأثيرها على المنطقة الجنوبية المتاخمة يكون أقل اثر على حساب امتداد المنطقة الجنوبية الى ٨ كم من واقع الدراسة الميدانية وحساب اقصى امتداد بناء على المعايشة الفعلية بمنطقة الدراسة.



صورة (١) رياح الخماسين وهي تضرب محافظة أسوان شكل (٣) ورده الرياح لمدينة كوم امبو

المصدر : دراسة ميدانية بالاعتماد على محطة الارصاد الجوية بكوم امبو
(٢) حبوب اللقاح :

غالبا ما تكون في فصل الربيع، وهو فصل إزهار معظم أنواع الأشجار، والنباتات، وهذه تتطلب تلقيحا قد يكون ذاتيا، أو غير ذاتي عن طريق انتقال حبوب اللقاح هذه من أشجار إلى أخرى، وهذا يجعل الهواء مليئا

بهذا الغبار الذي يؤدي إلى نوع من الحساسية لدى بعض الناس (مرض الحساسية الربيعي) فهي تعد أحد الملوثات الطبيعية التي تلوث الهواء في مدينة كوم أمبو نظر لإحاطة مدينة كوم أمبو بالعديد من القرى الزراعية من جميع النواحي كما هو موضح بالشكل (٢)

٣) الجراثيم :

يتواجد في الهواء بشكل دائم أعداد كبيرة من أنواع البكتيريا، وغالبا ما تكون العلاقة طردية بين التركيز البكتيري والكثافة السكانية ودرجة التهوية، فكلما كانت الأماكن مغلقة وذات كثافة سكانية عالية ازداد بالتالي تركيز البكتيريا، لذا؛ غالبا ما تكون الأماكن المغلقة المزدحمة بالسكان ذات تلوث جرثومي واضح مثل: (دور السينما، المعارض، الشوارع المكتظة، المحال التجارية، وسائل النقل العامة).

أما أجواء المناطق الريفية فتكون أقل تلوثا بالجراثيم، نظرا لقلة السكان، وتجدد الهواء باستمرار، ولكن إذا كانت نسبة تركيز الغبار مرتفعة، والرطوبة الجوية عالية كان ذلك ميدانا خصبا لنشوء أعداد أكبر من الجراثيم. ومهما تعاظم وتفاقم حجم الملوثات الطبيعية، فإنها لا تصل إلى درجة الملوثات البشرية، كما أن نوعيتها أقل خطورة على الصحة العامة، وتأثيرها على البيئة الحيوية يبقى محدودا ويمكن اعتبار هذا النوع من الملوثات الطبيعية في مدينة كوم أمبو.

ثانياً : المصادر البشرية لتلوث الهواء في مدينة كوم أمبو :

إن استعمالات الإنسان المختلفة من خلال أنشطته المتنوعة في البيئة التي يعيش فيها تعتبر من المصادر البشرية لتلوث الهواء، سواء كانت تلك الاستخدامات في المجالات الصناعية، أو الاستخدامات المنزلية، أو الحياتية اليومية. ذلك أن الإنسان الذي يعيش في القرن العشرين اندفع اندفاعاً محمواً لم يسبق له مثيل من أجل إشباع رغباته من كل ما هو جديد ، منبهراً بوسائل التقنية الحديثة ، فأسرف باستغلالها غير مكترث بنتائجها ، فانعكس ذلك سلباً على نظام حياته ، وكان هو أكثر المتضررين من جراء التلوث الذي أحدثه .

أما أهم المصادر البشرية لتلوث الهواء فهي كما يلي :

١) وسائل النقل :

تشكل وسائل النقل المختلفة في مدينة كوم أمبو (البرية والنهرية) مصدراً رئيساً لا يستهان به في مجال تلوث الهواء ، أما الوسائل البرية فهي الأهم في ذلك نظراً لزيادة أعدادها وأنواعها نظراً لزيادة عدد السكان واعتمادها على المركبات الناتجة من تقطير البترول كوقود^١، وما تقذفه من مخلفات احتراق الوقود في داخلها ، مما يترك أثراً سلبية على الإنسان وسائر الكائنات الحية ، خاصة إذا علمنا أن هذا المصدر في حالة تزايد مستمر نتيجة للزيادة المطردة في أعداد المركبات وانتشارها في مدينة كوم أمبو وحتى في الأرياف ، وتكمن أهم الأسباب التي تجعل من السيارات والدرجات البخارية مصدراً رئيساً لتلوث الهواء فيما يلي :

١- نوعية الوقود المستعمل، وزيادة نسبة المركبات الأكسوجينية ومركبات الرصاص المضافة إليه لتحسين أداء المحرك ورفع كفاءته .

٢- عدم الاحتراق الكامل للوقود (بنزين، ديزل) داخل محركات السيارة .

٣- عدم إجراء الصيانة المستمرة لمحركات السيارات للتأكد من أداء المحرك ومن عملية احتراق الوقود بداخله.

ونتيجة لحركة المركبات المستمرة، تنبعث من عوادمها أنواع عديدة من الملوثات، أهمها: غازات أول أكسيد الكربون، ثاني أكسيد الكربون، الرصاص، أكاسيد النيتروجين، ثاني أكسيد الكبريت، الهيدروكربونات، السناج، هذا بالإضافة إلى الروائح الكريهة، كما تعتمد كمية هذه الملوثات على كمية الوقود المستهلك وعمر المركبة، ودرجة صيانتها، وحركة المرور وكثافتها، كما تلعب الظروف المناخية دوراً رئيساً في كيفية انتشار هذه الملوثات في الهواء ومداها^(٢) .

ولعل الانبعاثات الناتجة عن المركبات يتحكم فيها بالدرجة الأولى نوع الوقود المستخدم (ديزل ، بنزين) ، والتي ينتج عنها العديد من الملوثات مثل : غازات الكربون ، والكبريت ، والنيتروجين وغيرها .

جدول (١)

المواد الملوثة الناتجة عن محركات الاحتراق الداخلي (غم) من المادة الملوثة لكل (كجم) من الوقود

محرك الديزل	محرك البنزين	
١٩١	١٨٠	ثاني أكسيد الكربون
٣.٤٨	٠.١٣٩	ثاني أكسيد الكبريت
١٥.٠٨	٢.٢٠٠	أكاسيد النيتروجين
٩.٢٨	٣٠١.٦٠٠	أول أكسيد الكربون
١.١٦	٠.٢٢٠	سناج
١.١٦	٥٢.٢٠٠	هيدروكربونات غير محترقة
-	٠.١١٦	رصاص

المصدر : عزت أبو حمرة ، ١٩٩٢

(١) وزارة البيئة ، تقرير حالة البيئة في مصر ، ٢٠٠٨ ، ص ٢٩

(٢) سفيان التل، ياسر سارة، حالة البيئة في الأردن، وزارة الشؤون البلدية والقروية والبيئة، عمان، ١٩٨٩، ص ٥٠ .

يوضح الجدول (١) أن أول وثاني أكسيد الكربون هما الأكثر انبعاثاً من عوادم السيارات، وكذلك الهيدروكربونات غير المحترقة ، وأن الرصاص ينتج عن محركات البنزين دون محركات الديزل، كما أن الكبريت ينتج عن محركات الديزل أكثر منه في محركات البنزين، وهذا يشكل خطراً كبيراً على قطاع البيئة، وإن نسبة وجود الكبريت في الديزل تعتبر عالية جداً في غالبية الدول العربية. والسيارة بجميع أجزائها تطلق مخلفات إلى الهواء ، وتكمن الخطورة في انبعاثات السيارات في أنها تطلق ملوثاتها ومخلفاتها في نفس المستوى الذي يتنفس فيه الإنسان ، والجدول (٢) يبين أجزاء السيارة والملوثات المنطلقة من كل جزء من هذه الأجزاء .

جدول (٢) الملوثات الناتجة عن أجهزة السيارات

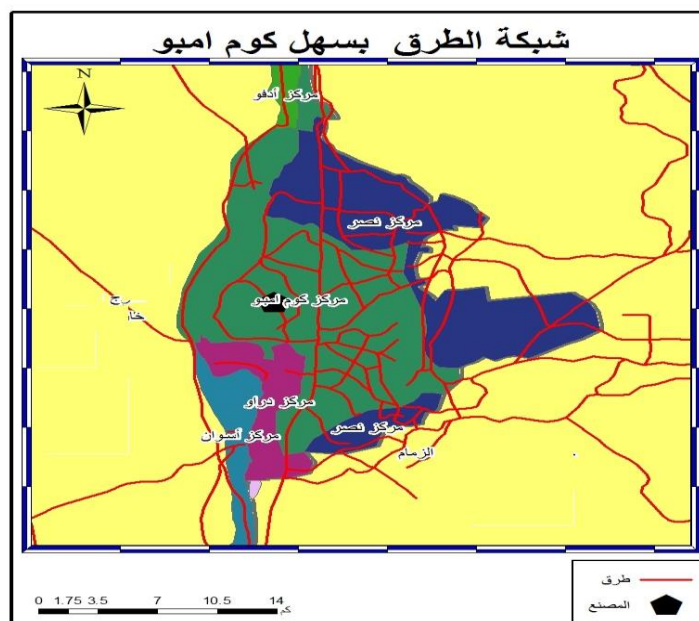
المصدر	ملوثات الهواء
العام	غاز أول أكسيد الكربون، جسيمات هيدروكربونية، غاز ثاني أكسيد الكربون، أكاسيد النيتروجين، السناج، جسيمات الرصاص في هيئة مركبات، ثاني بروميد الإيثيلين ، مادة البنزوبيرين .
الكاربوريتر (علبة الاحتراق)	هيدروكربونات ، غاز أول أكسيد الكربون ، غازات هيدروكربونية .
مخزن الوقود	هيدروكربونات، أكرولين، الدهايدات (فورمالدهيد، برومالدهيد، استيلدهيد) .
فلتر الهواء	غاز أول أكسيد الكربون .
شمعات الاحتراق	غازات هيدروكربونية
الفرامل (الكوابح)	جسيمات الاسبستوزات .

المصدر : سليمان العقيلي ، بشير جرار ، ١٩٩٠ .

يلاحظ من خلال الجدول (٢) أن غالبية الملوثات تصدر عن العام، إذ إنه المصدر الوحيد الذي تخرج منه الغازات بعد عملية الاحتراق، وكذلك تنتج ملوثات أخرى عن كل من الفرامل، والكاربوريتر، ومخزن الوقود، وفلتر الهواء، وشمعات الاحتراق، بمعنى أن السيارة والدراجات النارية بجميع أجزائها مصدر فعال في تلوث الهواء، إذ تعتبر السيارات هي المسؤولة عن حقن الجو بحوالي ٦٠ % من ملوثات الهواء كما أن سوء توزيع شبكة الطرق في مركز كوم أمبو كما هو موضح بالصورة (٢) وشكل (٣) يوضحان مدى تأزم وتفاقم مشكلة التلوث الهوائي الناتج عن وسائل النقل بمدينة كوم أمبو.



صورة (٢) توضح التزامح عند مدخل مدينة كوم امبو من ناحية الشمال



شكل (٣) شبكة النقل بمركز كوم امبو



المصدر : دراسة ميدانية يوم ٢٠٢٣/٧/١٥

صورة (٤) مصنع قصب السكر بكوم أمبو

(٢) الصناعة في مدينة كوم أمبو :

تلعب الصناعة دورا هاما في تلوث الهواء، بالإضافة إلى الغازات الملوثة الناتجة عن احتراق الوقود اللازم للصناعة، تطلق الصناعات المختلفة العديد من الملوثات كناتج للعملية الصناعية كما هو موضح في الصورة (٤) لمصنع السكر والصناعة التكاملية الذي انشأ عام ١٩٢٠ م وهو يعد أحد مصادر التلوث الهوائي الرئيسية في مدينة كوم أمبو بالإضافة كذلك للصورة (٥) لمصنع الخشب الذي يشترك مع المصنع السابق في إلقاء الغازات السامة على سكان المنطقة المحيطة بهم، بالإضافة إلى أن هذين المصنعين يطلقان الكثير من ملوثات الهواء، وتعتمد كميات وأنواع المركبات المنبعثة على نوع المنتج الذي تخرجه تلك المصانع، والمواد الخام، والوقود، والتكنولوجيا، والتدابير المستخدمة في حماية البيئة، كما أن هناك عوامل لا تقل أهمية عن سابقتها، فحجم المنشأة الصناعية، وعمر الآلات، ومستوى الصيانة والإدارة، كلها تساهم بنوع وحجم التلوث الصادر عن تلك المنشأة.



المصدر : دراسة ميدانية يوم ٢٠٢٣/١/١٢ / صورة (٥) مصنع الخشب الحبيبي بمدينة كوم أمبو

جدول (٣) الصناعات الكبرى بمدينة كوم امبو

ملحوظة	المنتج	المصنع
العمالة (١٥٠٠) عامل + ٥٠٠ موسمي الانتاج سكر (ا) وسكر (ب) والمولاس والواح الخشب الحبيبي المواد الخام : قصب السكر المساحة المشغولة ٥٠٠ فدان	السكر والخشب الحبيبي	السكر والصناعات التكميلية
العمالة ٤٥٠ عامل	الدقيق	مطاحن مصر العليا (ناصر)
العمالة ٣٥٠ عامل	الدقيق	مطاحن مصر العليا (أبو سمبل)
تم أغلقه وتسريح العمال	منتجات الالبان	مصنع الالبان

المصدر: محافظة أسوان ، مركز المعلومات والدعم واتخاذ القرار ، بيانات غير منشورة

وينتج عن العملية الصناعية في المصنعين السابقين العديد من الملوثات مثل: الكبريت، وأكاسيد الكبريت، والنيتروجين، وثاني أكسيد الكربون، وأول أكسيد الكربون، والمواد الهيدروكربونية، والمواد العالقة مثل (الهفوت)، هذا بالإضافة إلى ما تطلقه الصناعة من ملوثات تعتبر نادرة لكن بعضها يحتمل السمية^(١).

وعند دراسة مصادر تلوث الهواء بصناعه السكر والصناعات التكميلية نجد كمية الملوثات التي تنتج من هذه الصناعات إلى حد كبير هي ناتج احتراق الوقود سواء إن كان وقود (مازوت) أو غاز أو مخلفات زراعية متمثلة في الباجاس (المصاص المتبقي من عصر أعواد القصب)، والذي يعتبر مصدر رئيسي للحصول على الطاقة في مصنع سكر كوم أمبو مع العلم أنه تم منع استخدام تلك المادة في معظم المصانع المنتجة للسكر في جمهورية مصر العربية، ونتيجة لعدم الحرق الجيد لتلك المادة فينتج عنها خروج انبعاثات عالية التركيز بجزيئات دقيقة من الرماد مع الغازات تسمى (هفت) لدى سكان المنطقة كما هو موضح بالصورة (٤)، مما يؤدي الى حدوث تلوث بيئي ملحوظ، حيث تتجاوز حجم الانبعاثات في هذه الصناعات الحدود المسموح بها، ومن خلال مشروع برنامج الرصد والإعلام البيئي يتم قياس العناصر التالية: ثاني أكسيد الكبريت والأكاسيد النيتروجينية والأوزون وأول أكسيد الكربون والدخان الأسود، الجسيمات الصغيرة أقل من ١٠ ميكرون والجسيمات العالقة الكلية والمركبات العضوية المتطايرة، الرماد المتطاير والدخان. على الرغم من عدم وجود ذلك كله في مواقع محطات القياس بالبرنامج والتي يبلغ عددها ٤٢ موقعا، ويقدم الجدول (٥) صور عامة للعناصر التي تم قياسها في المحطات الموجودة بمحافظة أسوان.

جدول (٥) عناصر تلوث الهواء المقاسة بواسطة برنامج الرصد والاعلام البيئي في محطات الرصد الثلاثة بمحافظة أسوان

(١) مصطفى كمال طلبة ، إنقاذ كوكبنا ، التحديات والآمال ، حالة البيئة في العالم ١٩٧٢-١٩٩٢ ، الطبعة الأولى ، مركز دراسات الوحدة العربية ، برنامج الأمم المتحدة للبيئة ، بيروت ، ١٩٩٢ ، ص ١٧٥ .

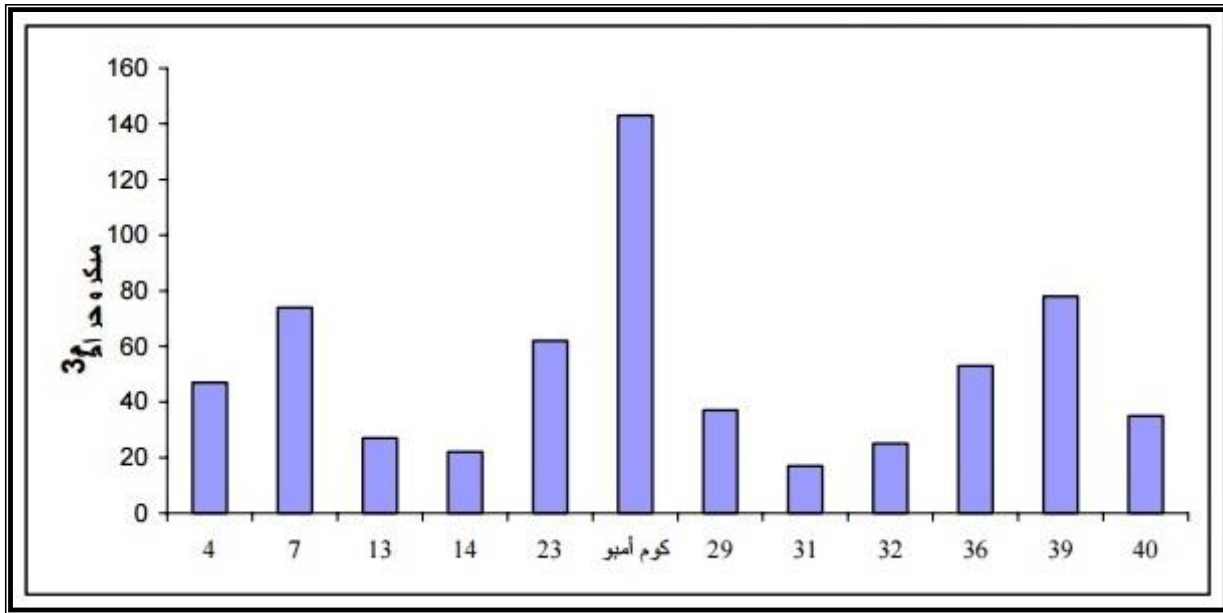
الغازات المحطة	ثاني أكسيد الكبريت	الدخان الأسود	الجسيمات الأقل من ١٠ ميكرون	الأوزون	الرماد المتطاير	الدخان
أسوان	X			X	X	
كوم أمبو	X	X	X		X	X
إدفو			X		X	

المصدر : من عمل الباحث اعتماداً على بيانات مشروع برنامج الرصد والاعلام البيئي محطات أسوان، كوم أمبو، إدفو بدأت عمليات القياس (يوليو ١٩٩٩ حتى ٢٠٢٣)

وعلى الرغم من انه لا يوجد سوى ثلاث محطات تابعة للرصد البيئي بنسبة ٧ % فقط بالنسبة للجمهورية إلا أنه تم رصد العديد من مشكلات فيما يتعلق بالهواء في مدينة كوم أمبو كما تشير البيانات إلى أن كوم أمبو هي واحدة من أكثر المناطق التي يرتفع فيها تلوث الهواء، في جمهورية مصر العربية.

ويلاحظ أن نوعية الهواء تتجاوز الحدود القصوى لمتوسط المعدل السنوي لملوثات الهواء بالنسبة لثاني أكسيد الكبريت (٦٠ ميكروجرام / م^٣). حيث إنه لا يوجد من بين ٤٢ محطة قياس الموجودة في مصر، سوى محطة كوم أمبو ومحطتان فقط هي التي تتجاوز عن هذا الحد (مدينة القاهرة القبلي) (شارع رقم ١) وجامعة القاهرة بالجيزة (١١) ^١، يلاحظ أن نوعية الهواء تتجاوز بمحطة كوم أمبو بشكل دراماتيكي الحدود القصوى لمتوسط المعدل السنوي لملوثات الهواء بالنسبة للدخان الأسود (٦٠ ميكروجرام / م^٣) حيث إنه يعد أعلى معدلاً تم قياسه في المواقع الموجودة بمصر كما هو موضح بالشكل رقم (٤) إضافة إلى ذلك كله، فإنه تجاوزت نوعية الهواء الحد الأقصى لملوثات الهواء الخاصة بالجسيمات الصغيرة الأقل من ١٠ ميكرون وذلك لحد مدة تعرض ٢٤ ساعة وذلك بنسبة ٩٧ % في عام ٢٠٠٠، وبنسبة ١٠٠ % في عام ٢٠٠١ وذلك بسبب تواجد المصنع في قلب مدينة كوم أمبو كما هو موضح بالشكل (٥).

^١ التوصيف البيئي محافظة أسوان ، ٢٠٠٣ ، ص ٥٣



المصدر : التوصيف البيئي لمحافظة اسوان ، ٢٠٠٣ ، ص ٥٤

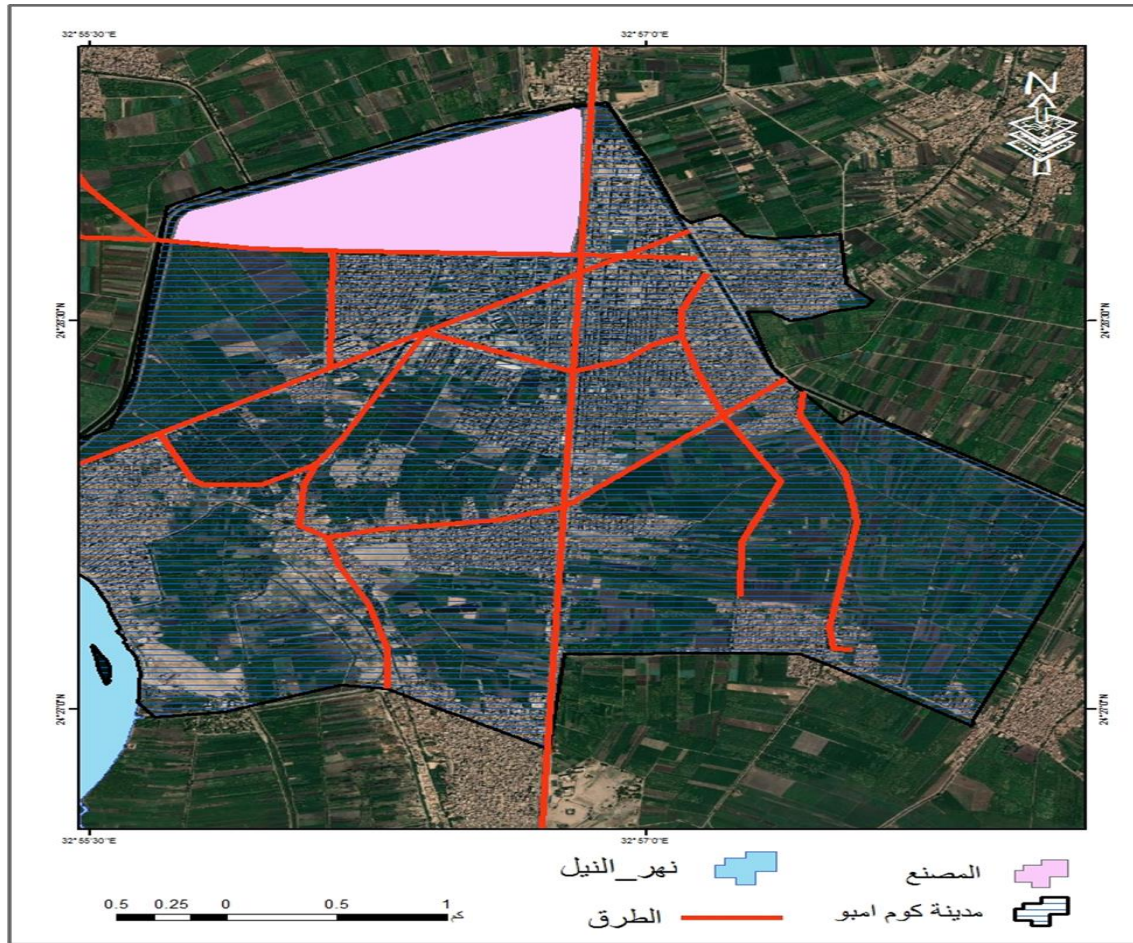
وتشير الأرقام المختلفة إلى المواقع التالية: ١ = مدينة القاهرة القبلي، ٢ = شارع الجمهورية، ٣ = العباسية، ٤ = مدينة نصر، ٥ = المعادي، ٦ = التبين، ٧ = التبين الجنوبية، ٨ = فوم الخليج، ١٠ = شبرا الخيمة، ١١ = جامعة القاهرة بالجيزة، ١٣ = منطقة ٦ أكتوبر، ١٤ = مدينة العاشر من رمضان، ١٥ = السويس، ٢٠ = أسيوط، ٢٣ = ١٠، الأقصر، ٢٩ = المكس، ٣٠ = الاسكندرية (٣١)، (IGSR) = العاصفة، ٣٢ = مدرسة غيط العنب، ٣٥ = كفر الزياد، ٣٦ = طنطا، ٣٧ = المحلة الكبرى، ٣٨ = المنصورة، ٣٩ = دمياط، ٤٠ = كفر الدوار، ٤٢ = ميدان الشهداء.

شكل (٤) المعدل السنوي لتركيزات الدخان التي تم قياسها بواسطة برنامج الرصد والإعلام البيئي

في ٢٠٠٣

ويجب الأخذ بنتائج تطبيق برامج الرصد البيئي الخاصة بذلك القطاع للتعامل مع جميع الأنشطة التي تم تحديد أنها ذات آثار سلبية محتملة على البيئة، أثناء العمليات العادية وفي الظروف غير المواتية

ويجب أن تستند أنشطة الرصد البيئي إلى المؤشرات المباشرة وغير المباشرة المطبقة على مشروع بعينه للانبعاثات والنفايات السائلة واستغلال الموارد، كما يجب أن يكون معدل تكرار الرصد آليا لتوفير بيانات تمثيلية للمعيار الجاري رسده. ويجب أن يقوم بعمليات الرصد أفراد مدربون وفقا لإجراءات الرصد والاحتفاظ بالسجلات مع استخدام معدات تجري معايرتها وصيانتها على نحو سليم. أما ينبغي تحليل بيانات الرصد ومراجعتها على فترات منتظمة الإرشادات العامة بشأن البيئة والصحة والسلامة.



المصدر : من عمل الباحث بالاعتماد على برنامج arc gis 10.5

شكل (٥) موقع مصنع الصناعات السكر التكاملية لمصر العليا

كما لوحظ أن معظم تلوث الهواء في صناعة السكر والصناعات التكاملية يأتي من خلال عمليات حرق المازوت والباجاس (المصاص) في صناعة السكر أما صناعة الورق والخشب، فينتج انبعاث الكربون العضوي من قسم التكليف في ماكينات الورق والخشب وذلك نتيجة استخدام الإضافات الكيميائية أو بسبب التصميم الرديء لدوار المياه ومحطات معالجة مياه الصرف، إلا أن أثرها يكون بسيطاً، كما تصدر انبعاثات عن صرف المخلفات الصلبة التي تحتوي على مواد عضوية مثل الورق التالف والمخلفات البيولوجية^١

٣) الملوثات الناتجة عن الاستخدامات المنزلية :

الإنسان ومن خلال استخداماته المنزلية لمواد الوقود المختلفة (فحم ، مازوت ، كيروسين ، غاز) يطلق كميات كبيرة من الدخان والغازات الضارة مثل : أكاسيد الكربون ، أكاسيد الكبريت ، والهباب ، وما

(١) جهاز شئون البيئة ٢٠٢٣ ص ٢٦

يتولد أيضاً من حرارة تنطلق إلى الوسط المحيط ، تعمل على رفع درجة حرارته كنوع من التلوث الحراري للجو الذي له دور في تكون الجزر الحرارية.

٤) الملوثات الناتجة عن النفايات الصلبة :

تشكل مكبات النفايات الصلبة مصدرا للتلوث الجوي الكيميائي، لكونها تحتوي على بقايا عضوية تسمح بنشاط الفعل البكتيري في ظروف وجود الأكسجين على شكل تحلل هوائي، أو عدم وجوده تحلل لا هوائي، مما يترتب على ذلك تشكل وانطلاق غازات مختلفة كالنشادر، وأول وثاني أكسيد الكربون، والميثان، والنيتروجين، والهيدروجين، ويقدر أن الطن الواحد من النفايات الصلبة يتولد عنه ما يعادل ١٣٠ م^٣ من الغازات، وهذا ينتج نتيجة لمشكلات إدارة المخلفات الصلبة، فإنه يتم حرق المخلفات الصلبة في الشوارع، وفي مواقع مقالب القمامة وقرب مجاري المياه والطرق وفي مواقع التخلص للمخلفات ومما لا شك فيه أن هذا يعد مصدر ملحوظ لتلوث الهواء في المناطق السكنية.

٥) قمائن إنتاج الطوب والمخابز^١:

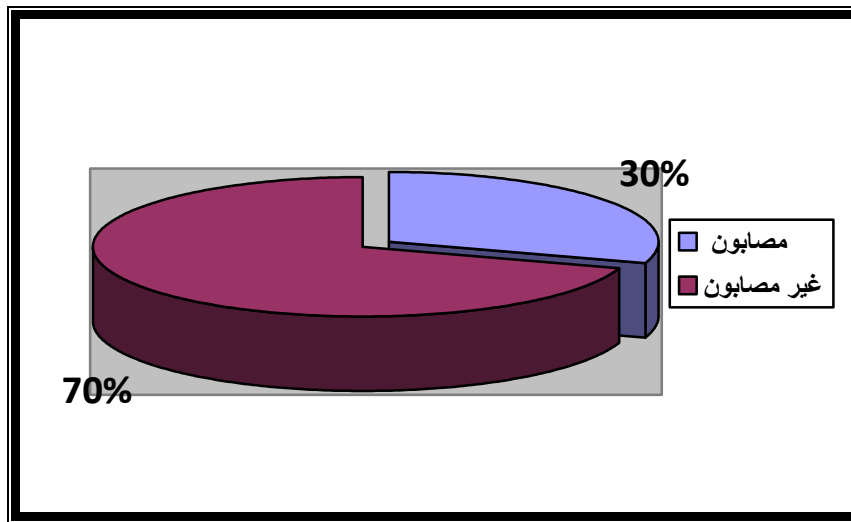
يستخدم المازوت (وهو عبارة عن وقود ثقيل) في قمائن إنتاج الطوب المحلي ويتسبب في حدوث تلوث شديد للهواء في تلك المناطق، حيث يتم رش طبقات من المازوت على الطوب ثم يتم إشعال النار فيه جدير بالإشارة أن المازوت لا يحترق بصورة كاملة في مثل هذه الحالات إضافة إلى أن المازوت يحتوي على نسبة مرتفعة جدا من الكبريت (٢,٨ %). وعلى الرغم من أن عملية إنتاج الطوب تلك غير قانونية، إلا أنه يصعب السيطرة عليها. وخلال أحد ورش العمل للجان البيئية عام ٢٠٠٢، طلب البعض توفير بدائل رخيصة.

وأخيرا بعد دراسة اهم الاسباب التي تؤدي إلى تلوث الهواء بمدينة كوم أمبو وجد الباحث أن كلاً من مصنع سكر والخشب بكوم أمبو هما من اشد الاسباب في ارتفاع نسبه تلوث الهواء ويرجع ذلك الى اعتماد ذلك المصنع على الباجاس (المصاص) كوقود للمراجل البخارية وما ينتج عن حرق الباجاس المستخدم لإنتاج الطاقة البخارية والطاقة الكهربائية المستغلة في الصناعة كلها مما يتسبب في ارتفاع نسبة غاز اول اكسيد الكربون والدخان والجسيمات الاقل من ١٠ ميكرون وغيرها مما يؤثر هذا على البيئة والسكان وهذا ما سوف يتم دراسته في المبحث الثاني.

المبحث الثاني: الأمراض الناجمة عن التلوث الهوائي بمدينة كوم أمبو

^١ (محمد احمد محمد محمود عبود، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٥٦)

على الرغم من أن تلوث الهواء يعد من أخطر القضايا على وجه الإطلاق التي يمكن أن يواجهها الإنسان حيث لا مفر من استنشاق هواء بالنسبة للإنسان فنجد أن هناك ٢١٥٠٩ أسرة في مدينة كوم أمبو معرضون للإصابة بأمراض الصدر الخفيفة منها والخطيرة وقام الباحث بعمل استبيان على مدرسة إبراهيم بشير الثانوية بنين التي يعمل بها مستغلا حضور الطلاب في فترة الامتحانات وكان عددهم (٥٥٨ طالبا) وسؤالهم من يعاني من أمراض الصدر فكانت الإجابة بنعم بنسبة ٣٠ % بعدد ١٦٧ طالبا وهي نسبة كبيرة كما هو موضح بالشكل (٥) اذا قورنت بأي منطقة من الجمهورية والعجيب ان مجمع المدارس يقع بجوار مصنعي السكر والخشب الحبيبي كما هو موضح بالصورة (٦) لذلك سيقوم الباحث بدراسة اضرار تلوث الهواء والامراض الخطيرة التي تسببها ومن ناحية أخرى، تشير الإحصاءات إلى أن ٢٨ % من الأطفال الأقل من خمس سنوات والذين دخلوا المستشفيات أنهم مصابون بنوع أو بأخر من أمراض الجهاز التنفسي وأعلى تلك النسب توجد في ادفو وكوم أمبو (٥٥ % و ٤٢ %) على التوالي.



شكل (٥) نسبة عدد الطلاب المصابون بأمراض صدرية في عينة الدراسة



صورة رقم (٦) توضح مدرسة ابو بكر الصديق وهي غرب مصنع الخشب الحبيبي مباشرة

أضرار تلوث الهواء :

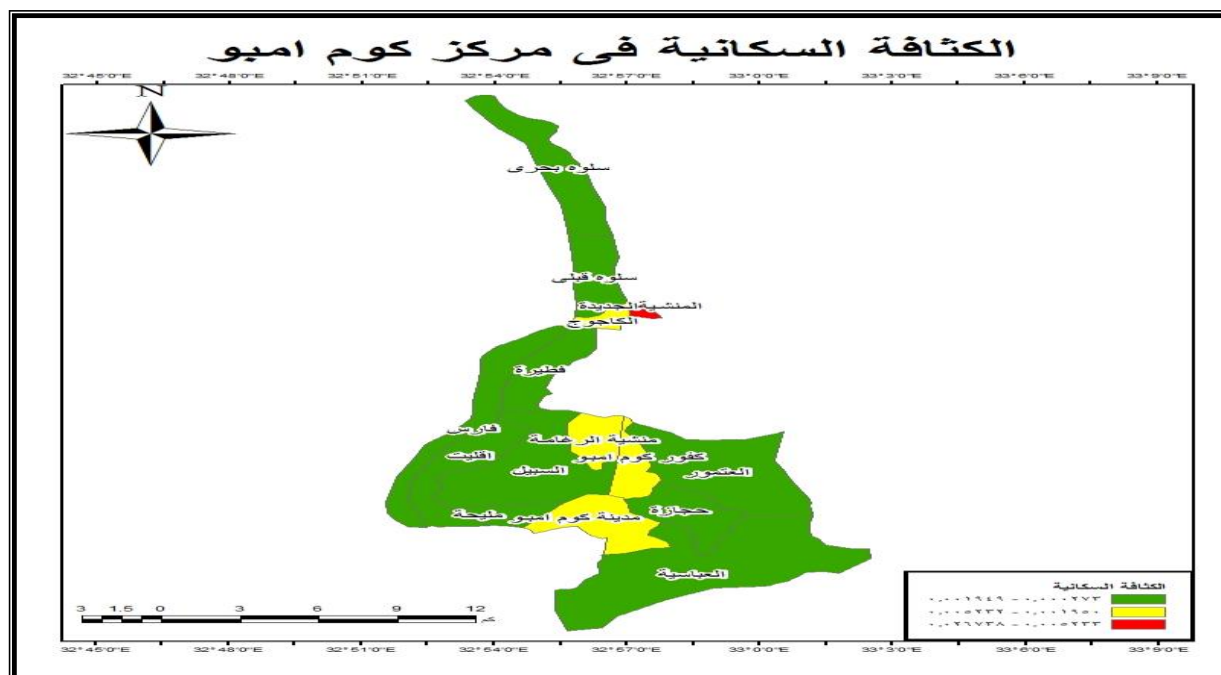
في الماضي كانت العوامل الداخلية الوراثية هي المسؤول الأول والوحيد عن صحة الإنسان، ولكن مع التطور الصناعي والتكنولوجي وما صاحبها من تلوث للبيئة، أصبحت العوامل الخارجية البيئية هي المسؤول الأول والمباشر عن صحة الإنسان.

أما تلوث الهواء فهو أحد العناصر والمصادر الرئيسة التي تؤثر على صحة الإنسان، إذ إن أي تغير كمي أو كيميائي في مكونات الهواء التي يتنفسها الإنسان سواء في مكان عمله، أو سكنه، يؤدي إلى أمراض خطيرة واضطرابات فسيولوجية، وتتأثر صحة الإنسان بجميع الغازات والمعادن الثقيلة، والجسيمات العالقة في الهواء، وحتى الملوثات الثانوية للهواء خاصة إذا كان هناك تجمعات سكانية مرتفعة الكثافة مما يؤدي إلى ارتفاع نسبة الإصابة بالأمراض ويوضح الشكل (٧) الكثافة السكانية في مركز كوم أمبو وعند عمل نطاق لتحديد المناطق الأشد خطراً وتأثراً بالتلوث فوجد الباحث أن تلك الأماكن تتوافر على نطاق ثلاثة كيلو مترات من خلال الدراسة الميدانية في جميع أنحاء المدينة مما ترتب عليه عمل خريطة BUFFER لتحديد مناطق التأثير كما هو موضح بالشكل (٨) وصورة (٧) عدة مناطق ومدى تأثير التلوث على المناطق المحيطة بالمنطقة ومن أهم الغازات التي تتأثر بها منطقة المحيطة بالمصنعين هي كالاتي .



المصدر: الدراسة الميدانية في أيام مختلفة من شهر ديسمبر

صورة (٧) تلوث الهواء بمدينة كوم امبو



المصدر من عمل الباحث اعتماداً على محافظة اسوان ، ادارة الاحصاء ، ٢٠٢١ / شكل (٧) الكثافة السكانية بمركز كوم أمبو

أولاً : الأضرار التي تلحقها الغازات بصحة الإنسان في مدينة كوم أمبو :

(١) أول أكسيد الكربون :

يعتبر غاز أول أكسيد الكربون من أشد الغازات السامة الملوثة للهواء، ويتراوح تأثير هذا الغاز على صحة الإنسان تبعاً لتركيزه حيث تعدى النسب المسموح بها في مدينة كوم أمبو أي أكثر من (٦٠ ميكروجرام/م^٣)، حيث يؤدي إلى الصداع، والشعور بالغثيان، والإعياء، والتقيؤ، وصعوبة التنفس، وارتخاء العضلات وقصور في الشريان التاجي، وقد يصل الأمر إلى الغيبوبة أو الموت. وإذا ما بلغت درجة تركيزه في الهواء إلى ١٠٠٠ جزء في المليون، فستكون المحصلة هي الموت المحتم، وإذا ما بلغت التركيزات معدلات منخفضة خلال فترة طويلة، فإن هذا يؤدي إلى اضطراب بنظام القلب والتنفس. أما إذا وصل تركيزه إلى ٥٠ جزء في المليون لمدة ستة أسابيع، فإن ذلك يؤثر على عمل القلب والدماغ، وتقل القدرة على التركيز، وتضعف قدرة الإنسان على العمل، كما يؤثر على حدة الرؤية. أما إذا وصل تركيزه إلى ٨٥ جزءاً في المليون، فإن فاعلية الدم لنقل الأكسجين تقل بمعدل ١٥٪.

ويعتبر غاز أول أكسيد الكربون من الغازات السامة، وترجع خاصية السمية إلى قوة اتحاده مع هيموجلوبين الدم، حيث يحل محل الأكسجين ، مما يحد من قابلية الدم لنقل الأكسجين من الرئتين إلى خلايا الجسم مما قد يسبب الموت وهذا ما حدث في معظم الحالات التي كانت موجودة .

(٢) ثاني أكسيد الكبريت :

يؤثر غاز ثاني أكسيد الكبريت بشكل كبير على الصحة العامة، إذ يؤدي إلى ضيق في التنفس، وتساقط الشعر ، والتهاب الكلي والتهاب المجرى الأنفي والرئوي، ويسبب السعال الشديد. وإذا وصل تركيز هذا الغاز إلى ٠.٥٢ جزءاً في المليون ، فإن عدد الوفيات سوف يزداد ولكن عند تركيزات منخفضة من هذا الغاز تصل إلى ٠.٩٢ جزءاً في المليون ، فإن هذا سيؤدي إلى الزيادة المرضية في الجهاز التنفسي، وعند التعرض لفترات طويلة لهذا الغاز إلى (١) جزء في المليون ، فإن ذلك يسبب انقباضاً في القصبات الهوائية ، مما يزيد في مقاومة مرور الهواء إلى داخل الرئة^(١) .

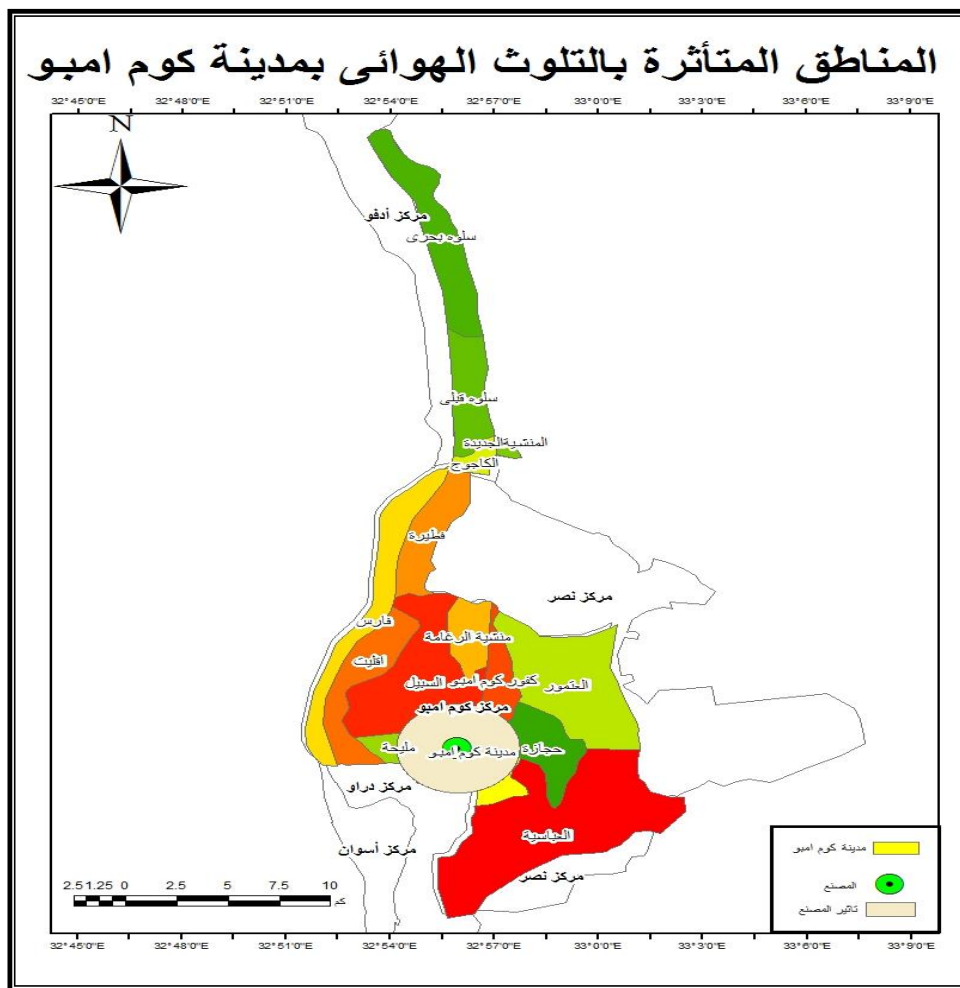
ولا تقتصر سمية ثاني أكسيد الكبريت على الإنسان فحسب، بل تتعداه لتصل إلى النباتات أيضاً، ويظهر واضحاً في اصفرار الأوراق وظهور البقع ، ثم تجعد الورقة وموتها وسقوطها^(٢) .

(٣) أكاسيد النيتروجين :

(١) سليمان العقيلي ، بشير جرار ، تلوث الهواء ، ١٩٩٠ ، مرجع سابق ، ص ٩٣ .

(٢) محمد العودات ، التلوث وحماية البيئة ، ١٩٨٨ ، مرجع سابق ، ص ٥٨ .

يسبب غاز ثاني أكسيد النيتروجين عدة آثار على صحة الإنسان، منها تهيج العيون، وبطانة الجيوب الأنفية، والجهاز التنفسي، وإلى احتقان رئوي، والتهاب القصبات الهوائية. ويرجع سبب خطورة هذا الغاز إلى أنه عند استنشاقه يتحول داخل الجسم إلى حمض نيتريك مخفف، فيؤثر مباشرة على أنسجة الرئة، ويتسبب في تهيج بطانتها وتليفها، وتسبب التهاب رئوي حاد. وعندما يصل تركيزه إلى ٣ جزء في المليون، فإنه يؤدي إلى تهيج العيون، والأنف، والتعرض لتركيز ٥ جزء في المليون لمدة دقيقة واحدة يسبب احتقاناً رئوياً، كما أن التعرض لتركيز ٢٥ جزءاً في المليون لمدة خمس دقائق يسبب اضطرابات في التنفس^(١).



المصدر : من عمل الباحث اعتماداً على الدراسة الميدانية التي قام بها الباحث

شكل (٨) المناطق المتأثرة بالتلوث الهوائي بمدينة كوم امبو

ثانياً : الأضرار التي تلحقها العناصر الثقيلة بصحة الإنسان :

(١) سليمان العقيلي ، بشير جرار ، تلوث الهواء ، ١٩٩١ ، مرجع سابق ، ص ٩٢ ، ٩٣ .

(١) الرصاص :

تعتبر العناصر الثقيلة من المواد السامة للجسم، وحتى التراكيز المنخفضة منها، ويعتبر الرصاص واحداً من أخطر هذه العناصر ، حيث يدخل الرصاص الجسم عن طريق الرئتين، أو عن طريق الجهاز الهضمي^(١) .

ويؤدي التعرض للهواء الملوث بجسيمات الرصاص لفترات طويلة إلى ترسيب الرصاص في معظم أنسجة الجسم، ويسبب تأثيرات بالغة تشمل الأنيميا، وتلف أنسجة الدماغ، واختلال وظيفة الكلية، وشلل الأطراف، ويحل الرصاص محل الكالسيوم في العظام ، كما يسبب فقدان الشهية، وعسر الهضم، والتقلصات المعروفة باسم المغص الرصاصي ، كما يسبب أيضاً ألم المفاصل (النقرص الرصاصي) ويؤثر على الجهاز التناسلي، والتشوهات الخلقية للأجنة .

وتزداد نسبة الرصاص في المواد الغذائية المعلبة ، إذ يُحكم إغلاق هذه العلب بالرصاص ، فيتسرب قسم منه إلى داخل العلبة وينقل منها إلى جسم الإنسان^(٢) .

ثالثاً : الأضرار التي تلحقها الجسيمات العالقة بصحة الإنسان :

تعتبر الجسيمات التي قطرها بين ٠.٠١ و ١٠ ميكرون أكثر الجزيئات تأثيراً، وتلويثاً للهواء وذلك لأنها:

- ١- تشكل القسم الأكبر من الجسيمات الملوثة للهواء .
- ٢- تحوي جزيئات دقيقة تحدث أكبر الضرر للجهاز التنفسي ، وخاصة عند الأطفال ؛ لأنها تستطيع اختراق دفاعات الأنف بشكل يسهل الوصول إلى أعماق بعيدة في الرئتين .
- ٣- أنها تحتوي على الأتربة والدخان، والهباب، وجزيئات المبيدات، والأبخرة الناتجة من تكثف المواد الطيارة.

وتؤثر الجسيمات في الإنسان لوحدها أو متحدة مع الملوثات الهوائية الأخرى ، وذلك من خلال ملامستها للجلد والعيون وتوغلها داخل الجهاز التنفسي ، وتسبب الأمراض المختلفة ، وخاصة التهاب الشعب الهوائية ، والانتفاخ الرئوي ، والربو ، وتستأثر الجزيئات الصغيرة التي قطرها أقل من ٣ ميكرون بمعظم الأضرار التي تلحق بالجهاز التنفسي ، وخاصة التهاب الرئوي الذي يصيب القصبات الرئوية الدقيقة، ويعيق مرور الهواء، مما يجعل التنفس صعباً ، إضافة إلى الإصابة بالانتفاخ الرئوي.

(١) كوركيس عبد آل آدم ، التلوث البيئي ، ١٩٨٨ ، مرجع سابق ، ص ١٠٠ .

(٢) علياء حاتوغ بوران ، محمد أبو دية ، علم البيئة ، ١٩٩٤ ، مرجع سابق ، ص ٢٢٩ .

وبينت الدراسات التي أجريت على السكان الذين يعيشون بالقرب من معامل الأسمت ارتقاع نسبة الأمراض الصدرية لديهم ، وضيق التنفس ، والسعال ، وضعف وإرهاق عام ، والتعب السريع ، وأمراض العيون ، وخاصة مرض سيلان الدمع ، والتي يزداد بمعدل ٣-٤ مرات عنها في المناطق غير الملوثة .

ويمكن القول بصفة عامة أن الملوثات الناتجة عن الأنشطة البشرية والطبيعية على حد سواء تؤثر بصورة كبيرة ومباشرة على جميع أجزاء جسم الإنسان دون استثناء، فالكبد، والجهاز التنفسي، والعظام، والدماغ، والغدد، والطحال، والجلد، والكلية ، والدم ، والعيون ، وتتأثر بالكثير من الملوثات ، كما بين ذلك جدول رقم (٦) .

جدول (٦)

الأعضاء والأنسجة في جسم الإنسان والملوثات التي تستهدفها الملوثات

العضو	الملوثات التي تؤثر عليه
الجهاز التنفسي	غاز أول أكسيد الكربون، أكاسيد النيتروجين، أكاسيد الكبريت، الأوزون، جسيمات الأسبستوزات، جسيمات الغبار العالق، جسيمات الهيدروكربونات، النيكل، الكاديوم، البريليوم .
الكبد	الكربونات الهالوجينية ، الزرنيخ ، المواد المشعة .
العظام	المواد المشعة ، الرصاص .
الدماغ	الرصاص ، الزئبق ، الكوبالت .
الغدة الدرقية	اليود المشع .
الطحال	الكاديوم ، الزئبق .
الجلد	جسيمات الغبار المتراكم ، جسيمات الأسبستوزات ، الزرنيخ .
الكلية	الكاديوم .
الدم	غاز أول أكسيد الكربون ، غاز أول أكسيد النيتروجين ، الرصاص .
العيون	رذاذ المطر الحمضي ، جسيمات الغبار العالق ، جسيمات الغبار المتساقط ، أكسيد الكبريت، أكاسيد النيتروجين ، الضباب الدخاني .

المصدر : سليمان العقيلي ، بشير جزار ، ١٩٩٠ .

كما يلحق الجسم العديد من الأمراض نتيجة لتركيز بعض العناصر في الجو أو في الجسم ، والجدول رقم (٧) يبين الأمراض الناتجة عن ملوثات الهواء الأولية التي قد تصيب الإنسان .

جدول (٧)

بعض الأمراض الناتجة عن ملوثات الهواء الأولية التي قد تصيب الإنسان في مدينة كوم امبو

الرقم	نوع الملوث	التأثير
١	الجسيمات	مرض التحجر الرئوي ويعرف أيضاً بمرض الغبار الحجري ، مرض الغبار ، مرض التهاب الأسبستوزي .
٢	غاز أول أكسيد الكربون	نقص في قدرة الهيموجلوبين على نقل الأكسجين إلى أجزاء الجسم ، حيث يتحد غاز أول أكسيد الكربون مع الهيموجلوبين مكوناً كرومكسيد الهيموجلوبين الذي لا يستطيع حمل الأكسجين مما ينتج عنه آثاراً جانبية متعددة في الجسم تشمل الضعف العام وارتخاء العضلات وسرعة التنفس وغيرها كما ويتحد غاز أول وثاني أكسيد الكربون مع الحديد اللازم لبعض الأنزيمات التنفسية مما يؤدي إلى إحباط عملها أو تقليل فعاليتها .
٣	غاز ثاني أكسيد الكبريت	يسبب تهيج للبطانة المخاطية في الجهاز التنفسي مما يؤدي إلى سعال شديد وضيق في التنفس ، كما يعطل غاز ثاني أكسيد الكبريت عمل الأهداب الدقيقة المبطنة لمجرى الجهاز التنفسي ويسبب التهاباً بالقصبات والشعبات الهوائية .
٤	غاز أول أكسيد النيتروجين	يتحد مع الهيموجلوبين مكوناً الميتاغلوبيين مما يسبب نقص وصول الأكسجين إلى أنسجة الجسم ، وعند التركيز العالي لهذا الغاز فإنه يسبب شللاً مميتاً ، كما أن التعرض لتركيزات منخفضة من هذا الغاز يسبب ما يعرف بظاهرة الطفل المزرق بسبب تكون الميتاغلوبيين .
٥	غاز ثاني أكسيد النيتروجين	يسبب تهيج في البطانة المخاطية ، للجهاز التنفسي بسبب رائحته المخشقة والمسببة لحساسية معينة وعند التركيز العالي يسبب مرض التريل .
٦	غاز الأوزون	يسبب الأوزون تهيج في البطانة المخاطية ، وعند التركيز العالي فإنه يسبب اختناقاً رئوياً والتهاباً في الشعبات الهوائية ومرض التريل ومرض انتفاخ الرئة .
٧	الزئبق	يهاجم الزئبق أنسجة الجهاز العصبي المركزي ويسبب آثاراً نفسية وعصبية ، كذلك يسبب تلوث الهواء ببخار وجسيمات الزئبق اضطرابات في الجهاز التنفسي والتهابات متنوعة وتشنج العضلات.

٨	الرصاص	يسبب تلف لجهاز البصر المركزي وخصوصاً الدماغ وقد يصيب الإنسان بالتخلف العقلي .
٩	النيكل	يسبب التقيؤ والصداع وسرعة التنفس كتأثير مباشر كما ينتج عن تلوث الهواء بجسيمات ومركبات النيكل حروق بالجلد ، وقد يسبب أيضاً كل من سرطان الرئة وسرطان الجيوب الأنفية .
١٠	الزرنيخ	يسبب تلوث الهواء بالزرنيخ كل من سرطان الجلد وسرطان الكبد وسرطان الرئة كما قد يؤدي تلوث الهواء بالزرنيخ إلى تشوهات خلقية .
١١	الكادميوم	يسبب تلوث الهواء بالكادميوم مرض ويلسون كما يؤدي إلى تلف الرئة والكلية .
١٢	البريليوم	يسبب تقرح الجلد وتهيج بطانة الجهاز التنفسي كما يسبب أيضاً مرض التهاب البريليولي كما قد ينتج عنه سرطان نخاع العظم .

المصدر : سليمان العقيلي ، بشير جزار ، ١٩٩٠ .

المبحث الثالث: تقييم الأثر البيئي لصناعة السكر في مدينة كوم أمبو

معايير تلوث الهواء :

نظرا لخطورة تلوث الهواء وضعت الدولة القوانين التي تحافظ على البيئة بصورة عامة والهواء على وجه الخصوص وأهمها القانون رقم ٤ لسنة ١٩٩٤ م والذي يتضمن الحدود القصوى المسموح بها لحرق الوقود حيث اشترط ألا تزيد نسبة الدخان في الهواء عن ٢٥٠ ملليجرام / م^٣ في حين اشترط لا تزيد نسبة ثاني أكسيد الكبريت ٦٠ مللدرام / م^٣، وأول أكسيد الكربون عن ٤٠٠٠ ملليجرام/ م^٣ بالمصانع القائمة ونحو ٢٥٠٠ ملليجرام/ م^٣ للمصانع المراد إنشاؤها أما نسبة الرماد المتطاير فيجب ألا تصل إلى ٢٥٠ ملليجرام / م^٣ للمصانع القريبة من العمران ونحو ٥٠٠ ملليجرام/ م^٣ للمصانع البعيدة عن العمران وهذه الاشتراطات تتطلب تصميمات حديثة للمصانع تكفل الحفاظ على البيئة والحقيقة لا يوجد حتى الآن برنامج محدد على مستوى الوطن العربي للحد من الملوثات الهوائية المنبعثة من المصانع، أو السيارات ومراقبتها، وقياسها باستثناء الشروط البيئية الواجب توفرها في بعض المصانع ليتم على ضوءها الترخيص.

كما لا تتوفر مواصفات أو معايير بيئية لملوثات الهواء، وقد أدى هذا الوضع إلى عدم اكتراث المصانع، وأصحاب السيارات بمكافحة انبعاثاتها الغازية الضارة، أو الحد منها، كما أن نقص الدراسات والأبحاث في هذا المجال أدى إلى عدم اهتمام الجهات المعنية بالشروع في سن القوانين والتعليمات التي تحد من التلوث الهوائي في بعض المناطق المعرضة له.

كما لا توجد ولا تتوفر أية معايير أو مواصفات قياسية، وحدود عتبية لملوثات الهواء، وبالتالي تستعين الجهات المعنية بشئون البيئة في غالبية الدول العربية بالمعايير العالمية المتوفرة سواء في كندا، أو الولايات المتحدة الأمريكية، أو معايير ومواصفات منظمة الصحة العالمية .

ومن المفارقات العجيبة أن محطة الرصد بالبيئي بكوم أمبو تقع في مدرسة إبراهيم بشير الثانوية بنين وهي أمام بوابة المصنع الرئيسية على أحد المباني، وعلى الرغم من ذلك فإنه لأتمنع المصنع من ممارسة كافة أنشطة التلوث الذي يجيدها مع العلم أن هذه المركبات ضارة بالنباتات والحيوانات والعديد من الكائنات الدقيقة وكم سبق رأينا كيف تؤثر على الإنسان في المبحث الثاني وسوف نتطرق إلى دراسة أهم تلك الملوثات كالتالي:-

أهم ملوثات الهواء :

ينطلق إلى الهواء إما من المصادر الطبيعية، أو البشرية، العديد من الملوثات الصلبة، والسائلة، والغازية فالصناعات المختلفة ووسائل النقل تساهم في إنتاج قدر كبير من ملوثات الهواء، إضافة إلى الملوثات التي تنطلق من محطات توليد الطاقة، والغازات المنبعثة من أماكن حرق النفايات الصلبة، هذه كلها وغيرها تساهم في تركيز بعض العناصر في الهواء .

وتنقسم ملوثات الهواء إلى عدة أقسام :

- تلوث الهواء بالغازات .
- تلوث الهواء بالعناصر الثقيلة .
- تلوث الهواء بالجسيمات .
- الملوثات الثانوية للهواء .

وسنتناول كل عنصر من هذه العناصر على حدة .

أولاً : تلوث الهواء بالغازات :

(١) أكاسيد الكربون :

والمقصود بغازات الكربون هما غاز أول أكسيد الكربون (CO)، وغاز ثاني أكسيد الكربون (CO_2)، ينتج غاز أول أكسيد الكربون من الاحتراق غير الكامل للوقود المحتوي على المواد العضوية، ومن صفات هذا الغاز أنه لا لون ولا طعم ولا رائحة له، وينحل في بلازما الدم بقدر ما ينحل في الماء^(١)، ودرجة انحلاله في الماء قليلة، يمكنه أن يحترق، لكنه لا يساعد على الاحتراق.

ويعتبر غاز أول أكسيد الكربون من الغازات السامة، وترجع خاصية السمية إلى قوة اتحاده مع هيموجلوبين الدم، حيث يحل محل الأكسجين، مما يحد من قابلية الدم لنقل الأكسجين من الرئتين إلى خلايا الجسم مما قد يسبب الموت. ويعد هذا الغاز من أكثر الغازات الملوثة للهواء سمية، وتقدر كمية أول أكسيد الكربون المنتجة عالمياً بحوالي ٣٠٠ مليون طن، وتعتبر الصناعة، والسيارات، وتدفئة المنازل المصادر الرئيسية لتركز أول أكسيد الكربون في الجو.

ويوجد في الهواء الطبيعي غير الملوث عند تركيز لا يزيد عن ٠.١ جزء في المليون، وعندما يتعرض الإنسان إلى جو يحتوي على ١٥ جزء في المليون من هذا الغاز، فإن طاقة جهاز الدوران على حمل الأكسجين تقل بمعدل ١٥٪، أما إذا كانت حركة المرور في بعض الشوارع كثيفة، وارتفع تركيز هذا الغاز إلى ٢٠-٣٠ جزء في المليون، فإن الإنسان غالباً ما يصاب بالصداع، وضعف الرؤية، والغثيان والإرهاق.

أما غاز ثاني أكسيد الكربون فهو عديم اللون، والرائحة، وذو طعم غير مقبول، يتراوح تركيزه في الهواء الطبيعي الجاف غير الملوث ٣٠٣-٣٢٠ جزء في المليون، وبسبب إطلاق كميات كبيرة من هذا الغاز من مصادر مختلفة على مستوى عالمي، فقد وصل تركيزه في الغلاف الجوي عام ١٩٨٨م حوالي ٣٤٦ جزءاً في المليون، وخلال الفترة ما بين ١٩٧٠-١٩٨٧م كان معدل إطلاق الغاز إلى الهواء بمعدل ١٦٠٠٠-٢٩٠٠٠ مليون طن سنوياً. ويعتقد أنه توجد زيادة سنوية في تركيز هذا الغاز في الهواء تصل إلى حوالي ٠.٧ جزءاً في المليون بسبب احتراق الوقود المستخدم مثلاً في التدفئة، ووسائل المواصلات، وتوليد الكهرباء، والصناعات المختلفة، وحرق الفضلات^(٢).

(٢) أكاسيد النيتروجين :

أكاسيد النيتروجين عديدة أشهرها غاز ثاني أكسيد النيتروجين (NO_2)، وغاز أول أكسيد النيتروجين (NO)، وتتكون هذه الأكاسيد عند اتحاد الأكسجين والنيتروجين، تحت درجات حرارة عالية، كاحتراق البنزين، والسولار

^(١) منى القاسم، التلوث البيئي والتنمية الاقتصادية، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٣، ص ١٥.
^(٢) سليمان العقيلي، بشير جرار، تلوث الهواء، مكتبة التريبة العربية لدول الخليج، الرياض، ١٩٩٠، ص ٣١.

في المركبات، وهذه الغازات تعتبر سامة، أما إذا وصلت نسبتها في الهواء إلى (٠.٠٧٪) فإنها تؤدي إلى الموت خلال نصف ساعة.

ويعتبر عادم المركبات، ومحطات توليد الطاقة الكهربائية من أهم مصادر أكاسيد النيتروجين. وتساهم غازات أكسيد النيتروجين مع المركبات الهيدروكربونية في تكوين الغيوم السوداء التي نشاهدها في سماء المدن الصناعية^(١).

(٣) أكاسيد الكبريت :

أكاسيد الكبريت عديدة ، وأشهرها على الإطلاق غاز ثاني أكسيد الكبريت (SO₂) ، ويتصف هذا الغاز بأنه عديم اللون ، قابل للاشتعال ، له رائحة نافذة إذا تجاوز تركيزه ٣ جزء في المليون .

يتصاعد غاز ثاني أكسيد الكبريت من حرق الكبريت ، أو الكبريتيد ، أو يعد من أكثر الغازات انتشار نتيجة وجود مصنع الخشب الحبيبي في مدينة كوم أمبو ، ويؤثر ثاني أكسيد الكبريت على الأغشية المخاطية، ويسبب التهاباً في الجهاز التنفسي، كما يسبب الكحة وعدم الراحة، وإذا وجد هذا الغاز بتركيز ٥ جزء في المليون فإن هذا مؤشر لوجود تلوث خطير، كما يؤثر هذا الغاز على النباتات، وقد وجد أن هذا الغاز إذا وصل إلى ٠.٠٢ جزءاً في المليون فإنه يؤثر على بعض النباتات .

وبصفة عامة يمكن القول إن غازات الكبريت، وما ينتج عنها من ملوثات ثانوية، من أخطر ملوثات الهواء على النظام البيئي، فهي شديدة الخطورة لكل من الإنسان والحيوان والنبات على حد سواء .

أما الحد المسموح به كمعدل يومي لتركيز غاز ثاني أكسيد الكبريت حسب قياسات الفدرالية الأمريكية فهو ٠.١ جزءاً في المليون ٢٨٥ ميكرو غرام/م^٣ .

(٤) غاز كبريتيد الهيدروجين (H₂S) :

يتصف هذا الغاز برائحته الكريهة التي تشبه رائحة البيض الفاسد، ينتج من تخمر المخلفات البشرية السائلة، ومن احتراق المواد التي تحتوي على الكبريت ومن الصناعات الجلدية، وتكرير البترول، وصناعة المطاط، وهو من الغازات شديدة السمية يدخل في الجسم إما عن طريق التنفس أو عن طريق الجلد، وهو بهذا يؤثر على الجهاز العصبي المركزي، مما يؤدي إلى حدوث اضطرابات في التنفس، والحد من قدرة التفكير، كما

^(١) علياء حاتوغ ، بوران، محمد أبو دية ، علم البيئة ، الطبعة الاولى ، دار الشروق ، عمان ، ١٩٩٤، ص ٢٢٨.

يسبب التهابات في الحنجرة ، والقصبات الهوائية () ، أما الحد الأعلى المسموح به فهو يتراوح ما بين (٠.٠٠٣-٠.٠٠٨ جزء في المليون) وإذا زاد مثلاً إلى ١٠٠ جزء في المليون لعدة دقائق فإنه يتلف حاسة الشم فوراً .

(٥) الأوزون (٣٥) :

يتواجد هذا الغاز بصورة طبيعية في المستويات المنخفضة في الجو ، وتتزايد درجة تركيزه نتيجة الملوثات المتزايدة المنطلقة من عوادم السيارات، يتواجد في الهواء الطبيعي بنسبة ٠.٠٢ جزءاً في المليون، أما إذا بلغت درجة تركيزه ١.٥-٢.٠ جزءاً في المليون، فإنه سيترك آثاراً مرضية متمثلة في التهاب العيون، والحنجرة، والرئتين، ويلعب هذا الغاز في طبقات الجو العليا دوراً هاماً في حماية الكرة الأرضية من الأشعة فوق البنفسجية، ويتفاوت تركيزه في الطبقات السفلى تبعاً لساعات اليوم، حيث يرتفع عند الظهر في المدن والضواحي السكنية. كما يؤثر الأوزون في النباتات، فيسبب تبقع الأوراق، ويظهر التأثير جلياً في نباتات البرسيم، والقمح، وغيرها

ثانياً : تلوث الهواء بالعناصر الثقيلة :

(١) الرصاص :

يعد الرصاص من أكثر المعادن السامة انتشاراً في الهواء، وهو أخطرهما على الإطلاق، لذا فإن هذا المعدن جدير بأن يهتم به أكثر من غيره، لما له من أضرار بالغة، والسبب في ذلك أن المعادن لا توجد بنسب عالية إلا في بعض المناطق، أي أن انتشارها محدود ، بينما الرصاص يعتبر معدناً واسع الانتشار، ويعتبر ملوثاً عالمياً، وللسيارات الدور الأساسي في ذلك.

ويستخدم الرصاص ومركباته كمواد خام، كما هو الحال في صناعة مبيدات الحشرات، والدهانات، وصناعة البطاريات، إذ إن هذه المصانع (مصانع البطاريات) تقذف إلى الهواء معدلات عالية جداً، فبينما حددت منظمة الصحة العالمية الحدود القصوى لتركيز هذا العنصر في الجو (٠.٠٥-١) ميكرو غرام/م^٣ كمعدل سنوي.

وتؤدي زيادة تركيز الرصاص في جسم الإنسان إلى الضعف، وضعف في الاستجابة العقلية، والإجهاد للنساء الحوامل، وفقر الدم، والإخلال بالجهاز العصبي، والكليتين، ويؤثر على الدماغ، وهو يتراكم في الجسم حيث يحل محل الكالسيوم في العظام^(١).

٤) الزرنيخ :

يعتبر هذا العنصر من العناصر واسعة الانتشار في الطبيعة، ويستخدم في صناعة مبيدات الآفات الحشرية، وتحضير بعض المواد الطبية، ويستخدم كمادة حافظة للخشب .

يتلوث الهواء ببخار وجسيمات مركبات الزرنيخ ، حيث يقوم بعض أنواع من الفطريات بتحويل الزرنيخ إلى بخار الزرنيخ السام، وقد يصل إلى الإنسان أيضاً عن طريق الغذاء، ويتراكم بعد ذلك في أنسجة الجسم ، ويرجع سبب سمية هذا العنصر إلى أن الزرنيخ يعمل على إحباط تفاعلات الأكسدة الفسفورية في الجسم بسبب تنافس الزرنيخ مع الفسفور في التفاعلات الحيوية^(٢) .

ثالثاً : تلوث الهواء بالجسيمات :

الجسيمات أو الدقائق في لغة التلوث الهوائي تشمل مواد صلبة، أو سائلة منتشرة في الجو وبأحجام تتراوح بين جزيئات صغيرة قطرها حوالي ٠.٠٠٠٠٢ ميكرون ، وجسيمات كبيرة قطرها حوالي ٥٠٠ ميكرون، هذه الذرات ممكن أن تترسب في ثوانٍ وقد تستقر في الجو لعدة أشهر، والتلوث بالجسيمات يكون مرئياً في حالتين :

- ١- عندما يكون حجم الجسيمة (١٠٠ ميكرون) أي ما يعادل حجم نقطة الكتابة فهو يُرى بالعين المجردة.
- ٢- عندما تمتلك الجسيمات الأصغر حجماً خصائص تعمل على حجب، أو امتصاص، أو عكس أشعة الشمس، وبذلك يظهر تأثيرها على شكل ضباب خفيف، وتتكون الجسيمات التي يزيد حجمها على ١٠ ميكرون من أنشطة ميكانيكية كطحن المواد المختلفة، وعمليات الرش، واحتكاك إطارات السيارات، أما الجسيمات التي يتراوح حجمها بين ١-١٠ ميكرون، والتي تظهر على شكل دخان (الهفت)، فإنها تكون نواتج لعمليات الحرق ، أما الجسيمات التي يقل حجمها عن ١ ميكرون فتنتج من عمليات الحرق أو التكثيف.

^(١) كوركيس عبد ال ادم ، التلوث البيئي ، وزارة التعليم العالي والبحث الجامعي ، جامعة البصرة ، العراق ، ١٩٨٨

^(٢) وزارة البيئة ، تقرير حالة البيئة في مصر ، ٢٠٠٨

وبصفة عامة يمكن القول إن الجسيمات المنتشرة في الهواء تنتج من رش السوائل، أو سحق المواد الصلبة وانتقال الرذاذ، أو المساحيق إلى الجو كعوالق بواسطة الاهتزاز، أو حركة الرياح، كذلك تتولد الدقائق نتيجة الأبخرة المشبعة (١). وتصنف الجسيمات تبعاً لحجمها وطبيعتها على النحو التالي :

(١) تصنيف الجسيمات تبعاً لحجمها :

أ- الجسيمات المتساقطة :

تتكون هذه الجسيمات من جزئيات يزيد قطرها عن عشرة ميكرون، ولا تلبث هذه الجسيمات أن تتساقط بعد دقائق من انطلاقها من مصدرها، وقد تحملها الرياح الشديدة مرة أخرى، وللجسيمات المتساقطة تأثير ضعيف على المجاري التنفسية ؛ لأن الشعيرات التنفسية تعمل على التخلص من جزء كبير من جزئياته وخاصة التي يزيد قطرها عن ١٠٠ ميكرون ، ولكن لها آثار بالغة على حياة النبات، وتلحق أضراراً كبيرة بالحيوان ووسائل النقل والمباني والممتلكات الاقتصادية، وتصل كمية الغبار المتساقط إلى معدلات كبيرة في مدينة كوم أمبو قد يزيد عن ٣٠ طن/كم^٢/شهر، علماً بأن الحد المسموح به ٩ طن/كم^٢/شهر^٢.

ب- الجسيمات العالقة :

يتراوح قطرها بين ٠.١-١٠ ميكرون ، وتبقى فترة طويلة معلقة في الهواء، أما ترسبها فيكون بطيئاً ، ويتوقف على الظروف المناخية من رطوبة، ودرجة حرارة، ورياح وغيرها، وهي من أخطر الجسيمات الملوثة للهواء ، حيث من الممكن أن تصل إلى الرئتين وتسقر هناك، وتشمل الجسيمات العالقة عدة أنواع تختلف تبعاً لمسبباتها سواء أنشطة عمرانية أم صناعية .

ونظراً لخطورتها فإن التركيز المسموح به يختلف من شطر لآخر، وذلك تبعاً للاختلافات البيئية، والنشاطات الداخلية، فمثلاً في الولايات المتحدة الأمريكية حددت وكالة حماية البيئة الأمريكية ألا يزيد التركيز عن ٢٦٠ ميكروغرام/م^٣ خلال ٢٤ ساعة ، وعن ٧٥ ميكروغرام/م^٣ كمعدل سنوي ، وفي السعودية مثلاً فإن التركيز المحدد هو ٣٤٠ ميكروغرام/م^٣ خلال ٢٤ ساعة لفترة ١٢ شهر ، بينما المعدل السنوي العام لا يزيد عن ٨٠ ميكروغرام/م^٣ .

^١ سليمان العقيلي ، بشير جرار، مرجع سبق ذكره ، ص ٣١
^٢ محافظة أسوان، جهاز شئون البيئة ، ٢٠١٦ ، ص ٢٥

ج- الجسيمات الدقيقة :

وهي جسيمات متناهية في الدقة قطرها أقل من ٠.١ ميكرون تصل إلى الرئتين بسهولة ، ومع ذلك فهي لا تشكل خطراً على صحة الإنسان ؛ لأن الرئتين تستطيع نفثها بسهولة، وقد تتجمع هذه الجسيمات مع بعضها البعض ليصل حجمها إلى أكثر من ميكرون، يصل عددها في الهواء النقي إلى عدة مئات/سم^٣، أما في الهواء الملوث فيصل عددها إلى ١٠٠٠٠٠٠ جزئية/م^٣.

(٢) تصنيف الجسيمات حسب طبيعتها :

أ- الجزيئات الرملية : وهي عبارة عن جزيئات صلبة معلقة في الهواء ، ويزيد قطرها عن ٥٠٠ ميكرون، مصدرها العواصف الرملية بالدرجة الأولى .

ب- الغبار : وهي عبارة عن جزيئات أدق من الرمال ، معلقة في الهواء ، بقطر يتراوح بين ٠.٢٥-٥٠٠ ميكرون، تنتج عن تفتت الأجسام الصلبة وتطايرها إلى الجو .

ج- الدخان : جزيئات صلبة دقيقة جداً من الهباب الناجمة عن عمليات الاحتراق كما في دخان المصانع والمعامل والمنازل ، قطرها أقل من ٢ ميكرون .

د- الرماد : تنبعث هذه الدقائق مع غاز المداخل وقد تحمل معها وقوداً غير محترق .

هـ- الرذاذ : وهي قطرات من سائل معلق في الهواء ، ويمكن رؤيتها بالعين المجردة ، وقد تتكون من الضباب والدخان مكونة الضباب الدخاني ، كما يتكون الضباب الرقيق من الرذاذ والغبار والغازات الملوثة ، ويخلق هذا الضباب انخفاضاً في مجال الرؤية في المدن الملوثة .

و- الأبخرة المعدنية : وهي عبارة عن جسيمات من المعادن والمواد العضوية ، تتراوح أقطارها بين ٠.٠١-١ ميكرون .

ز- الأيروسولات : وهي عبارة عن جزيئات صلبة أو سائلة ، غالباً ما تبقى معلقة في الهواء نظراً لصغر حجمها ، وقطرها بصورة عامة أقل من ميكرون .

رابعاً : الملوثات الثانوية للهواء :

تتكون الملوثات الثانوية للهواء نتيجة لتفاعل الملوثات الهوائية الأولية مع الملوثات الغازية بمساعدة أشعة الشمس كمصدر للطاقة ، أي انطلاق ملوثات أولية متعددة إلى الهواء مع توفر الأكسجين والنيتروجين وبخار الماء وأشعة الشمس يؤدي ذلك إلى دخول هذه الملوثات في تفاعلات كيميائية تؤدي إلى تكوين ملوثات أخرى هي الملوثات الثانوية والتي من أشهرها الضباب الدخاني والمطر الحمضي ولها آثار بالغة على عناصر البيئة لا تقل خطورة عن تأثيرات الملوثات الأولية وأن كانت قليلة الحدوث في مدينة كوم امبو الا انها ممن الممكن حدوثها نتيجة لكمية التلوث المتوافرة وهذه الصورة رقم (٨) توضح مجموعة من الصور من الداخل والضرر الذي تسببه من الخارج



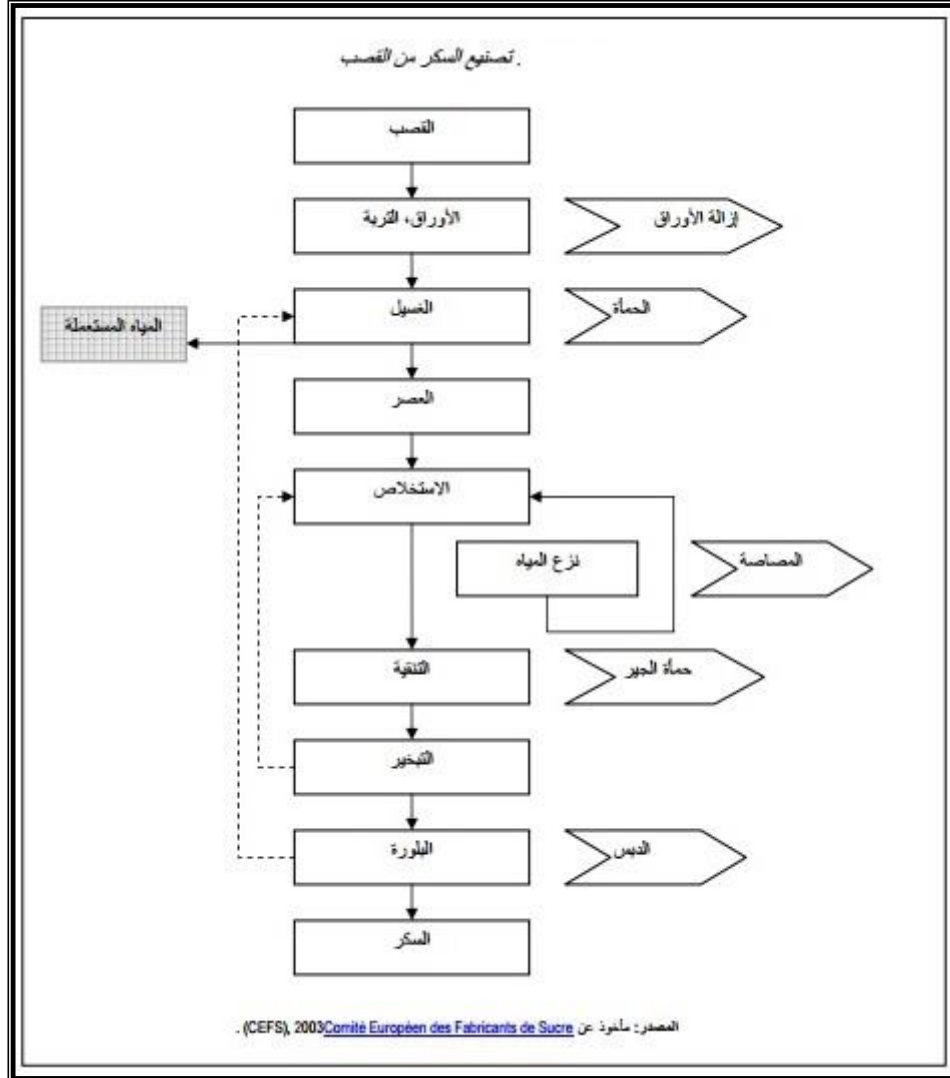
صورة (٨) مجموعة من الصور الاعلى منها العمليات داخل المصنع والاسفل منها الملوث الخارج

المبحث الرابع: الحلول المقترحة لمشكلة التلوث الهوائي بمدينة كوم امبو

وللحد من انواع التلوث الناتجة عن هذه الصناعات يمكن الاستعانة بما يلي :-

- ١- استخدام الباجاس في الصناعات التكاملية سواء في صناعة الخشب او الورق .
- ٢- امداد المصانع بالغاز الطبيعي كطاقة نظيفة وهناك نموذج مطبق في مصانع سكر قوص .
- ٣- تركيب فلاتر حديثه عالية الجودة لتفقيه الغازات الناتجة من عمليات احتراق الباجاس .

٣- تركيب مراحل حديثه من نوع مرجل ياباني الصنع يعمل على الحد من التلوث ويتم تركيب هذا المرجل في مصنع كوم امبو في العصارة (٩) أما باقي العصارات فهي قديمة حيث ان عملية التصنيع تتم في عدة مراحل كما هو موضح بالشكل (٩) .



شكل (٩) مراحل عملية تصنيع القصب

٥- تركيب شفاطات للأتربة بجوار خطوط الانتاج في مصنع الخشب .

٦- تفعيل دور محطات الصرف الصناعي داخل المصانع، وإمداد المصانع التي ليس لها محطات صرف صناعي بشبكات صرف صناعي تعمل على معالجه المياه الناتجة عن الصناعة .

٧- الاستفادة من المواد الصلبة عن طريق إعادة تصنيعها إلى جانب العمل على الاستفادة الاقتصادية

منها

٨- اعداد سجل للنفايات التي يجرى التخلص منها وكيفية معالجتها .

٩- الإنتاج الانظف بصناعه السكر والصناعات التكاملية ادى التغير الكبير في مفهوم الصناعة لقضايا البيئة منقول من النموذج التقليدي للصناعة الى نموذج اكثر توافقا وتكاملا مع البيئة فيما اطلق عليه تعبير "الإنتاج الانظف" والذي يعرفه برنامج الأمم المتحدة للبيئة بأنه التطبيق المستمر لاستراتيجية رقابية متكاملة في العمليات لتقليل المخاطر على الانسان والبيئة بهدف الإنتاج الانظف الى عدم توليد المخلفات في المقام الاول ويتحقق ذلك بتحسين التكنولوجيا^١ ، ويتحقق ذلك من خلال الاعتماد على خطوط إنتاج ومعدات متطورة او استخدام مواد خام ومستلزمات انتاج صديقه للبيئة وكذلك التحكم في النواتج الثانوية للعمليات الصناعية ومحاولة تحويلها الى مواد ذات قيمة اقتصادية أو على الأقل قليلة التلوث ، وهذا يشير الى ان الإنتاج الانظف يسعى للحفاظ على المواد الخام واستبعاد المواد السامه والاقبال من كميته وسميته الانبعاثات والنفايات^٢، الوصول الى تنميه صناعيه تتوافق مع التوازن البيئي لتحقيق في النهاية استراتيجيه التنمية الصناعية .

١٠- تتركز جهود تطبيق اسلوب الإنتاج الانظف في صناعه السكر والصناعات التكاملية من خلال الحد من تلوث الهواء نتيجة حرق الباجاس وذلك عن طرق الاستفادة من الباجاس في صناعه الورق والخشب ، الحد من الاعتماد على المركبات المكلورة وخفض كميات التبييض كما هو الحال في صناعه الورق والخشب ، الاسترجاع الكيماوي والذي يعتبر مثلا لتقنيات الحد من التلوث والإنتاج الانظف والتي تطورت مع تقنيات العمليات الصناعية حيث ركزت على تقليل انبعاث المواد السامه وبالذات المواد المكلورة.

١١- كما يمكن الاعتماد على استخدام محطات ابراج التبريد في مصانع السكر وذلك لتوفير كميته المياه المسحوبة من النيل كما هو الحال في مصنع سكر ادفو حيث اعتمد على ٩ ابراج تبريد والتي وفرت حوالى ١١٥١.٧ لتر / م^٣ من المياه.

١٢- رفع اعمدة المداخل لارتفاع أعلى يحد من اتلوث بالمناطق القريبة من مصنع السكر والخشب

١٣- نقل المصنع الى مكان بديل وهو وادي النقرة حيث ان هناك مساحات شاسعة وبعيدة عن العمران كما هو موضح بالشكل رقم

^١ (اسامه الخولى ، مصطفى طلبه ، البيئة وقضايا التنمية والتصنيع ، سلسلة عالم المعارف ، ٢٠٠٢ ، ص ٢٣٣)
^٢ (المنظمه العربيه للتنميه الصناعيه، التقرير الصناعى العربى ، ٢٠١٥ ، ص ٥٠٤)

١٤ - تطبيق لإرشادات بشأن الانبعاثات والنفايات السائلة وتطبيق الإرشادات بشأن النفايات السائلة على عمليات التصريف المباشر للنفايات السائلة المعالجة في المياه السطحية من أجل الاستخدام العام.

بشأن البيئة والصحة والسلامة بالبحث الإرشادات الخاصة بانبعاث الملوثات من مصادر الاحتراق المرتبطة بأنشطة توليد الطاقة البخارية والكهربائية من مصادر لها قدرة تساوي أو تقل عن ٥٠ ميغاوات؛ أما انبعاثات مصادر الطاقة الأبرد فتعالجها الإرشادات بشأن البيئة والصحة والسلامة من أجل الطاقة الحرارية. أما تقدم الإرشادات العامة بشأن البيئة والصحة والسلامة إرشاداً حول اعتبارات البيئة المحيطة استناداً إلى إجمالي حمل الانبعاثات.

١٥ - رصد الصحة والسلامة المهنية يجب رصد بيئة العمل بحثاً عن الأخطار المهنية ذات الصلة

بالمشروع المحدد. وينبغي تصميم الرصد والقيام به على أيدي متخصصين معتمدين^١

١٦ - الأخذ بالسلامة المهنية في المصنعين حيث يجب على المنشآت الاحتفاظ بسجلات عن الحوادث والأمراض المهنية والأحداث والحوادث الخطرة. وتتوفر إرشادات إضافية عن برامج رصد الصحة والسلامة.

النتائج والتوصيات :

أولاً : النتائج :

كانت أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة ما يلي :

- ١- تعتبر المصادر الطبيعية والبشرية من أهم الملوثات لقطاع الهواء على حدٍ سواء ولكن المصادر البشرية هي الأكثر تلويثاً للبيئة.
- ٢- تعتبر وسائط النقل والصناعة من أكثر العوامل البشرية اعتداءً على البيئة وعلى الهواء خاصة لما تقذفه من ملوثات وعناصر ثقيلة تلحق أضراراً كبيرة بالإنسان .
- ٣- هناك العديد من الأمراض التي لحقت بالإنسان جراء تلوث الهواء منها : الأمراض الجلدية وأمراض العيون واللوذتين وأمراض الجهاز التنفسي .
- ٤- يعتبر عنصر الرصاص من أخطر العناصر التي تدخل جسم الإنسان حيث يدخل الجسم عن طريق الرئتين أو عن طريق الجهاز الهضمي مما يؤدي إلى ترسب الرصاص في معظم أنسجة الجسم ويسبب تأثيرات بالغة أهمها الأنيميا وتلف أنسجة الدماغ وخلل وظيفة الكلية .

^١ البنك الدولي ، إرشادات بشأن البيئة والصحة والسلامة الخاصة بتصنيع السكر، إبريل ٢٠٠٧، ص ١٠

٥- تلوث الهواء غاز أول أكسيد الكبريت يعد أحد العوامل الرئيسية المسببة للارتفاع نسبة الوفيات بالمنطقة المجاورة حيث تقوم الحويصلات الهوائية بجسم الانسان باستبداله محل ذرات الاكسجين مما يسبب تلف في الجهاز التنفسي .

وفي الختام نوصي بما يلي :

- ضرورة المحافظة على الهواء نظيفاً من الشوائب حتى يتسنى لنا أن نحيا حياة سليمة ؛ لأننا لا يمكن أن نستغني عن هذا المورد.

- أن تكون المراقبة شديدة على قطاع النقل والصناعة ومحاولة التقليل من الانبعاثات التي تصدرها إلى الهواء .

- ضرورة وضع مواصفة قياسية للحدود المسموح بها للعناصر التي تتركز في الهواء ولا يسمح بتجاوزها خاصة وأنها تشكل خطراً على صحة الإنسان، كما ويجب متابعة تطبيق اللوائح والقوانين والمواصفات التي تتعلق بقطاع الهواء .

- محاولة نقل المصنع ان امكن لأنه مطلب جماهيري

- تركيب فلاتر حتى يتسنى لسكان المنطقة أن يعيشوا حياة كريمة .

المراجع

- ١- أحمد عبد الجواد، تلوث الهواء ، الطبعة الأولى ، الدار العربية للنشر والتوزيع ، ١٩٩١ .
- ٢- اسامه الخولي، مصطفى طلبه ، البيئة وقضايا التنمية والتصنيع ، سلسلة عالم المعارف ، ٢٠٠٢
- ٣- أشرف احمد عبد الكريم ، مركز اشرف احمد على ، العمران الحضري في مركز كوم امبو ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة طنطا ، ٢٠١٢
- ٤- البنك الدولي، إرشادات بشأن البيئة والصحة والسلامة الخاصة بتصنيع السكر، ابريل ٢٠٠٧
- ٥- حسن الأخرس، أثر تلوث الهواء بالغازات الناتجة عن مصفاة البترول الأردنية ومحطة الحسنة الحرارية على صحة السكان وبعض ممتلكاتهم في بلدة الهاشمية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، الجامعة الأردنية ، عمان ، الأردن ، ١٩٩٥ .
- ٦- رشيد الحمد ، محمد صباريني، البيئة ومشكلاتها ، الطبعة الثالثة ، مكتبة الفلاح ، الكويت ، ١٩٨٦ .
- ٧- سليمان العقيلي ، بشير جرار، تلوث الهواء ، مكتب التربية العربي لدول الخليج ، الرياض ، ١٩٩٠ .
- ٨- طارق محمود ، علم وتكنولوجيا البيئة ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، جامعة الموصل ، العراق ، ١٩٨٨ .
- ٩- عبد الرحمن حميدة ، التلوث ، أبعاده وأخطاره ، مجلة كلية العلوم الاجتماعية ، مجلد (٣٥) .
- ١٠- عدنان البياتي ، تلوث الهواء في الوطن العربي بين ضرورات التنمية وسلامة البيئة ، مجلة شئون عربية ، العدد ٧٩ ، ١٩٩٤ .
- ١١- عزت أبو حمرة ، تلوث الهواء الناتج عن عوادم السيارات ، وزارة الشؤون البلدية والقروية والبيئة ، عمان ، ١٩٩٢ .
- ١٢- علي حسن موسى ، التلوث الجوي ، الطبعة الأولى ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٩٠ .
- ١٣- علياء حاتوغ - بوران ، محمد أبو دية ، علم البيئة ، الطبعة الأولى ، دار الشروق ، عمان ، ١٩٩٤ .

- ١٤- القرآن الكريم .
- ١٥- كوركيس عبد ال آدم، التلوث البيئي، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة البصرة، العراق، ١٩٨٨.
- ١٦- محافظة أسوان ، الادارة العامة لمركز نظم المعلومات والدعم واتخاذ القرار ،الدليل الإحصائي ،٢٠٢٢.
- ١٧- محافظة أسوان ، التوصيف البيئي ، وزارة البيئة ،٢٠٢٣.
- ١٨- محافظة أسوان، جهاز شؤون البيئة ، ٢٠١٦.
- ١٩- محمد احمد محمد عبود ، محافظة أسوان دراسة في جغرافية السياحة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة طنطا ، ٢٠١٥.
- ٢٠- محمد السيد أرناؤوط، الإنسان وتلوث البيئة، الطبعة الأولى، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ، ١٩٩٣.
- ٢١- محمد العودات ، التلوث وحماية البيئة ، الطبعة الأولى ، الأهالي للنشر والتوزيع ، دمشق ، ١٩٨٨ .
- ٢٢- محمد صابر ، الانسان وتلوث البيئة ، الادارة العامة للتوعية العامة والنشر ، ٢٠٠٠ .
- ٢٣- مصطفى كمال طلبة ، إنقاذ كوكبنا ، التحديات والآمال ، حالة البيئة في العالم ، ١٩٧٢-١٩٩٢ ، الطبعة الأولى ، مركز دراسات الوحدة العربية ، برنامج الأمم المتحدة للبيئة ، بيروت ، ١٩٩٢ .
- ٢٤- منى القاسم ، التلوث البيئي والتنمية الاقتصادية ، الدار المصرية اللبنانية ، ١٩٩٣.
- ٢٥- نعيم بارود ، تقييم الآثار البيئية للمشاريع الصناعية في مدينة عمان الكبرى ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة الخرطوم ، الخرطوم ، السودان ، ١٩٩٦ .
- ٢٦- هبة صلاح الدين سيد حمزة ،المشكلات البيئية بالجزر النيلية من السد العالي الى كوم امبو ،دراسة بيئية ،رسالة ماجستير غير منشورة ،جامعة القاهرة ، ٢٠١٤.
- ٢٧- وزارة البيئة ، تقرير حالة البيئة في مصر ،٢٠٢٣.